جوامع الكلم

شيخ المتألهين الأوحد

الشيخ أحمد الشيخ زين الدين الأحسائي

أعلى الله تعالى مقامه

تقديم

توفيق ناصر البوعلي

الجزء الثالث

مؤسسة الإحقاقي



تراث الشيخ الأوحد ١٣

جوامع الكلم

شيخ المتألهين الأوحد
الشيخ أحمد الشيخ زين الدين الأحسائي
أعلى الله تعالى مقامه

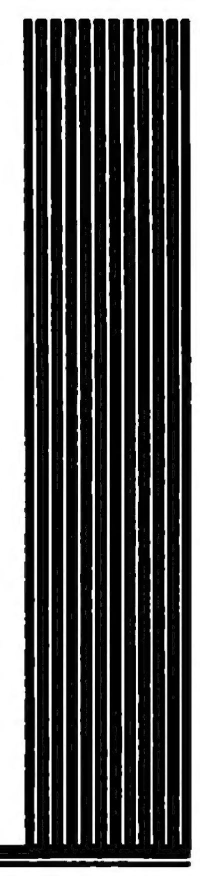
تقديم
توفيق ناصر البوعلي

الجزء الثالث

الأعيد

الطبعة الأولى

١٤٣٢هـ - ٢٠١١م



هويـة الكتـاب

اسم الكتـاب:	جـوامـع الكـلـم
المؤلـف :	الشيخ احمد الأحسائي
تقـديم:	توفيق ناصر البوعلي
الناشـر:	مؤسسة الإحقـاقي
عني بطباعـته:	الأميرة للطباعة والنشر



للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - لبنان

هاتف: ٠٣/٩٤٦١٦١ - ٠٣/١١٥٤٢٥ - تلفاكس: ٠١/٢٧٦٩٨٨

http://www.Dar-Alamira.com

e-mail:zakariachahbour@hotmail.com

مؤسسة الإحقاقي

للتحقيق والطباعة

والنشر

alehqaqe@hotmail.com

رسالة في جواب الشيخ
يعقوب ابن الحاج قاسم الشرواني

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين ، وصلّى الله على محمد وآله الطاهرين .

أما بعد ، فيقول العبد المسكين أحمد بن زين الدين الأحسائي : إنه قد عرض عليّ جناب العالم العارف جناب الشيخ يعقوب بن حاجي قاسم الشرواني مسألة عويصة كان سمعها منّي وسمِعها من بعض العلماء والحكماء مشافهة ونقلاً غير معنى ما سمع مني طالباً من السؤال معنى ما أريده ، ولأجل أن مقصوده غير ما سمع منهم كان التعبير غير مطابقٍ للمقصود ولكن الجواب مني آتي به على حسب ما أفهم من عبارته والله سبحانه ولي التوفيق وهو حسبنا ونعم الوكيل الهادي إلى سواء الطريق .

قال سلّمه الله : إن الذاهب من المدد ولد له مادة وهي النور وصورة وهي الرحمة .

أقول : معنى مراده من كلامه أن الشيء المصنوع لا بدّ أن يكون له مادة وهي وجوده وهو الأب وله صورة وهي ماهيّته وهي الأم ، فيكون الشيء متولداً منهما وسعادته وشقاوته في الصورة وذلك كما أشار عليه السلام : (**الشقي من شقي في بطن أُمّه**) ، كما أن الخشب يعمل باباً وصنماً وشقاوة الصنم في الصورة إذ لا قبح في الخشب .

وقوله : وصورة وهي الرحمة يكون في السعيد كما قال الصادق عليه السلام : (**إنّ الله خلق المؤمنين من نوره وصبغهم في رحمته**) الحديث ، أمّا لو كان المخلوق غير مؤمنٍ فإنه بعمله يصبغه في غضبه ، لأنّ الرحمة صبغ مَنْ أجابَ دعوة الله ، وأمّا مَن أنكرَ دعوة اللهِ فصِبغه في غضَبِه ، واعلم أنَّ أصل المسألة أنهم اختلفوا في الممكن الباقي هل يحتاج في بقائه إلى المدد أم لا ؟ فقيل : لا يحتاج ، قياساً منهم على الجدار فإنه إنما يحتاج في إنشائه إلى المدد ، وأمّا في بقائه فلا يحتاج ، وهذا القول باطل وإلا لكان مستغنياً ، والأكثر قالوا : يحتاج في بقائه إلى المدد مطلقاً أي سواء [كان] جماداً أم نباتاً أم حيواناً ولكن أكثرهم ذهبوا إلى أن المدد في كل آنٍ جديد بمعنى أنّه لم يرد على الشيء قبل ذلك ، فإذا احتاج إلى مددٍ آخر أتاه غير المدد الأول ، وإذا ذهب منه شيء لم يعُد أبداً ، فالشيء مثل النهر كل ما ذهب منه لا يعود ، ولكنه باقٍ بصورته النوعيّة فما دامت الصورة النوعيّة موجودة ، فالشيء موجود وإنْ تبدّلت المادّة لأن المادة تتغيّر وتتبدّل دائماً وتضمحِلّ ، وعلى هذا القول تلزم مفاسد ، منها : أنّ المادة المباشرة للعمل الحسن أو القبيح تذهب قبل ثواب المحسن وعقاب المسيء ، فإذا وقع الجزاء أُثيبَ من لم يحسن وعُوقِبَ من لم يُسيء ويلزم من هذا العبث والظلم من الغني الحكيم العدل العليم ، ومنها : أنه يلزم من ذلك القول بعدم المعاد الجسماني لأن الجسم إنّما هو جسم بمادّته وأمّا الصورة فإنّما تؤخذ في تمييز الجسم بأن يكون نامياً حيوانياً أو نباتيّاً أو غير نامٍ وفي تشخّصه بأن يكون صغيراً أو كبيراً ذكراً أو أنثى أبيض أو أسود وما أشبه ذلك ، فالجسم في الأصل هُوَ المادة

والصورة ، إنّما تخلق من الجسم لأن المادة في نفس الأمر هي الجنس والحصّة من الجنس كالحيوان ، والصورة هي الفصل كالناطق والصاهل والفصل مخلوق من الجنس وقولهم الأجناس متقوّمة بالفصول ، يريدون أنّ الحصّة الحيوانية إنما تتعيّن للنوع بالفصل كما إذا أخذتَ حصة من الخشب لتعملها سريراً إنّما تتشخّص للسرير بحيث تتعين له إذا فصّلتها على الهيئة الصالحةِ للسرير ، وليس المراد أنّها لا توجد إلّا بالهيئة الصالحة للسرير ، فإنها كانت موجودة بصورة النوع أعني الخشبية الصالحة لنوع السرير والباب والسفينة ، فهي موجودة بالصورة الجنسية وليس قولي بالصورة الجنسية أنها لا توجد إلّا بها بل توجد الحصّة فيما قبل الفصل بصورة النوع وهم يريدون أن الحصص إنما تتقوّم بفصولها ، ولا يريدون أن الجنس متقوّم بفصول أنواعه ، لأن الجنس يتقوم بالصورة الجنسيّة بلا شك ، والحصص فيها حصص من الصورة الجنسية تتقوّم بها إلّا أنّها لا تتعين الحصة منها للنوع إلّا بفصله وهي موجودة قبل ذلك في الجنس بحصةٍ من الصورة الجنسية .

والحاصل ، لا تتوهم من قولهم : إن الأجناس متقوِّمة بالفصول أن الفصل مخلوق قبل الجنس بل الجنس قبل الفصل ، لأنّ الجنس هو المادة والفصل هو الصورة ، والمادة هي الوجود والصورة هي الماهيّة كالخشب فإنه هو المادة والصورة إنّما خُلِقَتْ منها ، وإن كانت المادة تتوقف على الصورة في الظهور كالكسر فإنه قبل الانكسار ، ويتوقّف على الانكسار وإن كان مخلوقاً من الكسر والمادة أب للشيء والصورة أُمٌّ له فهو ولدهما وذلك كما ذكره

الصادق عليه السلام في قوله : (**إن الله خلق المؤمنين من نوره وصبغهم في رحمته فالمؤمن أخو المؤمن لأبيه وأمه أبوه النور وأمّه الرحمة**) الحديث .

ولمّا ثبتَ بالدليل العقلي والنَّقلي أنّ الأجسامَ المباشرة للطاعة أو المعصية لا بدّ أن تُعادَ لِتجزى كل نفس بما تسعى ، وأنّ الأجسام إنما هي أجسام بالمادّة والصورة ، وأنّ المُجازى بالثواب المباشر للطاعة والمُجازى بالعِقابِ المباشر للمعصية وأنَّ كل ممكن إنّما هو شيء بغيره فتتوقّف شيئيّته على مقوِّمٍ تقويم صدورٍ وهو فعل الله سبحانه ومقوِمٍ تقويم تحقّقٍ وهو المادةُ والصورة ، ولما كانتا أيضاً ممكنتين احتاجَتا إلى الإمدادِ السيالي من نوع ما يذهب منه ولو بقي طرفة عين بدون إمداد كان عدماً ولمّا دلّ الدليل على أن الذاهب هو العامل المباشر للطاعة أو المعصية وهو المطلوب وجب أن يكون هو العائد إذ لو كان العائد غيره لزم أن يكون الشيء في كل آنٍ مطيعٍ ولا عاصٍ ، لأن المطيع والعاصي ذهب وهذا غيره فيأتي زيد يومَ القيامة جديداً ليس له ثواب لعدم طاعته ولا عليه عقاب لعدم معصيته ، وذلك كما ذهب إليه أولئك القائلون بأنه كالنهر الجاري فإن النهر الجاري في كل آنٍ ماؤه جديد غير مائه في الآن الذي قبله ، وأمّا إذا كان العائد هو الأول كان إذا عاد متّصِفاً بعمله قبل المفارقة فيعود بما لَه من الخير إلّا أن يفعل ما يحبط عمله وبما عليه من الشرّ إلّا أن يتوب .

وهنا بحث شريف وكشف سرّ لطيف تقاصرَ عن إدراكه أفهام الحكماء والعلماء لا يقف عليه إلّا أهله صلى الله عليه وآله أجمعين أو مَن أوقفوه عليه والحمد لله ربّ العالمين وهو أن العقلاء

بأجمعهم من العلماء والحكماء وأهل الملل والأديان من أهل العصمة عليهم السلام وغيرهم قالوا : ﴿**إن كلّ ما لَه أوّل فله آخر**﴾ وقالوا : ﴿**كلّ ما سبقه العدم لحقه العدم**﴾ ، وقد اتفق أهل الملل المحققون أن كل ما سوى الله من المصنوعات له أول فيجب أن يكون له آخر ، وكل ما له آخر متناهٍ فانٍ ، وأن ما سوى الله من المصنوعات سبقه العدم بمعنى أنه لم يكن موجوداً في وقتٍ ما هو قبله فيجب أن يلحقه العدم وكل ما يلحقه العدم فهو متناهٍ فانٍ ، واتفق أهل الشرائع الإلهية أن الجنة والنار باقيتان وأهلهما باقون لا يلحقهم العدم ولا آخر لوجودهم ، وهذا مما لا إشكال فيه فما التوفيق بين هذا وبين القاعدتين المتفق عليهما ؟

فاعلم أن العلماء والحكماء تحيروا فمنهم من قال : بقدم العالم ليتخلص من هذا الإشكال ، ومنهم من قال : إن المخلوقات منقطعة ، الأول للأدلة القطعية والجنة والنار وأهلهما غير منقطعي الآخر لنص الشرائع الإلهية على ذلك ، وهذا أمر ممكن فيكون الممكن أوّله منقطع وآخره غير منقطع ، وهذا الكلام ممّن نُقِل عنه السيد محمد الداماد وهو صحيح ، ولكن ليس هذا محلّ السؤال إنّما محل السؤال كيف تكون القاعدتان صحيحتين والمخالف لهما صحيحاً ؟ والجواب المطلوب أن يأتي بما ينطبق على القاعدتين وعلى المخالف لهما بما يكون صحيحاً في العقول السليمة ، **وهو أنْ نقول** : إنَّ الممكن لا يكون إلّا من غيره والمستند في وجوده إلى غيره يكون وجوده مسبوقاً بوجود ذلك الغير فيكون الممكن غير موجود في رتبة وجود موجده ، فقد سبق عدمُه وجودَهُ وله أول وهو بدؤه من صنع موجده فعلى القاعدتين يكون آخره يلحقه العدم وله

آخِرٌ أيضاً ، وقد ثبت أنّ الذاهب دخلَ في ملكِ الله فلا يخرج من ملكه ، وأنّ الذاهب أيضاً مؤلف من عناصره الجسمانية إن كان جسماً ومن عناصره الطبيعية إن كان فلكاً أو فلكيّاً ومن عناصره الجوهريّة إن كان نفساً ومن عناصره المعنويّة إن كان عقلاً ومن عناصره السرمديّة إن كان سرمديّاً ، فإذا ذهب تفكّكت أجزاؤه فذهب كل جزءٍ إلى أُستقُصِّه وعاد إليه عودَ مُمازجةٍ إلّا أنّه متميّز متعين في علم اللهِ في كتاب رُتبتِهِ هذا بالنسبة إلى حروف مادته ، وأما بالنسبة إلى كلمات مادّته فعودُها عود مجاورةٍ فإن الحروف المعجمة تعود عودَ ممازجةٍ والمهملة تعود عود مجاورةٍ وكان بعد التأليف الأول قبل ذهابها سحقَتها في الممكن دورُ عناصرها وكرُّ أفلاكِ التكليف في ضمن جملة الشيء حتى نعمت وتلطّفَتْ وأكلَتْ أراضي قوابلها ما فيها من غرائب مراتبِ تنزّلاتها حتى لم يبق من غرائبها إلّا الهيئات التي اكتسبتها من أوصافِ تكاليف الشيء ، فما رجع منها إلى استُقُصِّها لم يرجع مكانه الجزئي الأول حين أخذه الأول للتأليف الأوّل لنعومته ولطافته في ضمن تكليف الشيء ، وإن كان من نوع المكان الأول إلّا أنّه أقرب إلى المبدأ لنعومته وصفائه ونَضْجِه ولما فيه من الأوصاف التي اكتسبها مِنَ التكليفِ في ضمن تكليف الشيء ، فإذا أُخِذَ للإمداد كان مبدؤُهُ الثاني قبلَ مبدئه الأول وقتاً وأعلى من الأول مكاناً فيكون بقاؤه الثاني أطولَ من بقائه الأوّل وأشدّ تأثّراً وتأثيراً بالثواب أو العقاب ، وإذا تحلّلَ وذهب من الشيء خلص من غرائبه وأعراضه اللاحقة له من مراتب تنزّلاته إلّا الهيئات التي اكتسبها من أوصاف تكاليف الشيء وعاد إلى مكان ووقتٍ من استُقصِّه أعلى من مكان مبدئه الثاني وقبله لشدّة سحقِهِ وتلطّفه في

ضمن تكليف الشيء ، فإذا أخذ للتأليف الثالث أخذ من مكان أعلى من مكانه حين أخذ للتأليف الثاني وقبله فكان مبدؤه الثالث قبل مبدئه الثاني وأعلى منه فيكون بقاؤه الثالث أطول من بقائه الثاني وأشدّ تأثّراً وتأثيراً بالثواب أو العقاب ، وهكذا في كل آنٍ من الدنيا والآخرة والعبارة السهلة عن عدم تناهي المتناهي وعن عدم انقطاع المنقطع أن الممكن خلقه الله ولم يك شيئاً ، ثم جعله شيئاً بجعله وقدرته والإمداد الذي به البقاء صنع وخلقٌ كالصنع الأول فهو ممكن كالأول وكلّما ذهب شيء أعادَهُ فلا يتناهى حكم كلّما ، وقد بيّن ذلك في كتابه فقال : ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ﴾ فكانوا خالدين فيها أبداً بحكم كُلّما ، ومثاله أنّك لو وضع لك عشرة دراهم في كيس نفقة عشرة أيام لو لم تُزَد العشرة دراهم فنِيَتْ بعد عشرة أيام لأنّها محصورة في الأول والآخر ، ولكن إذا أنفقتَ خمسة دراهم وضعنا في الكيس عشرة فكانت الدراهم التي في الكيس عشرين ، فإذا أنفقتَ خمسة بقي فيه خمسة عشر ، فإذا أنفقت خمسة ووضعنا في الكيس عشرة بقي فيه عشرون وهكذا ، ففي الحقيقة أنّ الذي في الكيس ثلاثون فكيف ينقطع ما لا ينقطع مدده المانع من انقطاعه ، فإذا كان كل مَدَدٍ تجدّد فإن مبدأه قبل مبدأ ما قبله في الوقت وفوق ما قبله في المكان ، وأقرب من مبدأ ما قبله في الرتبة ، وأشرف من مبدأٍ ما قبله في الجهة ، وأكثر من مبدأ ما قبله في الكمّ ، وأشد من مبدأ ما قبله في الكيف ، وكيف نفس المدد المتجدّد قبل ما قبله من المدد في الوقت وفوق ما قبله في المكان ، وأقرب مما قبله في الرتبة ، وأشرف مما قبله في الجهة ، وأكثر مما قبله في الكم ، وأشدّ مما قبله في الكيف ، كان أبطأ مما قبله

اضمحلالاً بالنسبة إلى ما قبله وأسرع استمداداً وأطول بقاء وأعظم استغناءً بربّه ، وأشدّ افتقاراً إليه وآيةُ ما ذكرنا المركب عند أهل الصناعة فإنه كلما كثر سحقُهُ وتكريره وسقيه ازداد عظماً في الكم وشدّةً في الكيف ، وكذلك تكسير الاسم عند علماء الهيميَاءِ كلّما ازداد تكسيراً ازداد تأثيراً وسرعةً فافهم .

فإنّ أول إمكان الممكن لا يتناهى فإذا تخلّص من الموانع كان استعداده للأكوان لا يتناهى فتكويناته تدريجيّة وبقاؤهُ تدريجي كما أشرنا إليه فافهم .

واشرب صافياً فقد كشفتُ لك السّتر وأطلعتُك على السِّر فخُذْ ما آتيتُك وكن من الشاكرين والمولود في رتبة الإمدادِ الذي تألّفَ مِنهُ في القرب والبعد والسعادة والشقاوة والشدّة والضعفِ ، فأهل الجنة كلما طال مكثهُم في الجنّة ازدادوا صحةً وقوة وشباباً وكثرت ممالكهم وعظمت شهواتهم ، واشتدَّت لذّاتهم وتبالغَ نعيمُهُم حتى أنّه يكون أدنى ما فيها من النّعيم لو وصل إلى أحدٍ من أهل الدنيا منه ذرّة كجزءٍ من مائة ألفِ جزءٍ لماتَ ذلك الشخص الذي كان من أهل الدنيا ومَن قرب منه ولو كالشعاع ، لأن مثال المطيع لا يزال مشتغلاً بتلك الطاعة في غيب مكان الطاعة وفي غيب وقتها ، فإن كنتَ تحِبّ أن ترى ما قلتُ لك فافهم ، تمثيلي لك وهو أنّك إذا رأيت زيداً يوم الجمعة الثالث من شهر رجب سنة تسعٍ وثلاثين بعد المائتين والألف يصلّي في المسجد كتبتِ الملائكة صورة مثاله في غيب ذلك المسجد وفي غيب يوم الجمعة إلى يوم القيامة ، فكلّما التفتَ قلبُكَ بمرآة خياله انطبع فيها صورة مثال زيدٍ يصلّي في غيب ذلك المكان وذلك الوقت فهو باقٍ يعمل ذلك العمل إلى يوم

القيامة لزيدٍ فتقوى أعماله وتستحكمُ أوصافه فيتبالغ نعيمه من ثمرات الطاعة الواحدة ، وإذا رأيت عمراً في ذلك اليوم وذلك المكان يفعل المعصية كتبتِ الملائكة صورة مثاله في غيب ذلك المكان وذلك الوقت إلى يوم القيامة ، فكلما التفتَ قلبك بمرآة خياله انطبع فيها صورة مثال عمروٍ مُتلبِّساً بفعل تلك المعصية في غيب ذلك المكان وغيب ذلك الوقت فهو باقٍ يعمل ذلك العمل الذي هو المعصية إلى يوم القيامة ، فإذا أتى إليك عمروٌ وهو مصِرّ على تلك المعصية رأيته بقلبك متلبِّساً بتلك المعصية مكشوف العورة لديك فتقوى معاصيه وتستحكم أوصافه القبيحة فيتبالغ تألّمه من ثمرات تلك المعصية الواحدة .

وإن أتى إليك عمرو وهو تائب من تلك المعصية رأيته بقلبك وليس بينه وبين تلك المعصية ربطٌ ومثاله الذي تراه متلبِّساً بتلك المعصية ليس مرتبطاً به وإن كان مثالاً له ولا يستمدّ ذلك المثال في بقائه من عمل عمروٍ ولا نيّته ، وإنّما يستمدّ ذلك المثال من الصورة التي هي أصله القائمة في سجّين كتاب الفجّار ، فإذا جاء يوم القيامة محا صورة ذلك المثال من غيب ذلك المكان وغيب ذلك الوقت ومحا رسمه من الأرض ومن نفوس الملائكة ومن ألواح سائر الزّمانيّات وألواح سفليّات الدّهر حتى لا يبقى لها ذكرٌ في سائر الأوقات والأمكنة ، فإنه تعالى يستر على مَنْ تاب وفي الدعاء (**يا مَن أظهر الجميل وستر القبيح**) .

قال سلّمه الله : فإن كان الراجع والعائد هو نفس الذاهب فلا يخلو ، إمّا أن يكون الراجع هو المادة فقط أو الصورة فقط أو كليهما والأولان ليسَا بصحيح لأن لكل مادةٍ صورةً ولكل صورةٍ مادةً .

أقول : جواب هذا وما بعده يُعلَمُ ممّا ذكرنا ولا نذكره مرة ثانية إلّا للبيان ، فنقول : اعلم أن العائد هو المادة ولكن لمّا كانت لا تنفك عن الصورة قلنا : إنّه لا بدّ من إعادة الصورة إلّا أن الصورة منها جنسية ومنها نوعية ، ومنها شخصية ، فالجنسية الفصل المميّز بين الأجناس وهذا الفصل قد يكون مميّزاً بين الأجناس العالية كالجسم المميز بين المتحيزات ، وقد يكون صورة جنسيّة باعتبار كالمتحرك بالإرادة فإنه صورة جنسيّة بالنسبة إلى الحيوان وقد يكون صورة نوعية باعتبار كالمتحرّك بالإرادة فإنه صورة نوعيّة بالنّسبةِ إلى الجسم النّامي ، وكذلك الصورة النوعيّة قد يكون نوعية باعتبار وجنسيّة باعتبار إلى أن تكون صورة لأسفل الأنواع فتخلص للنوعيّة كما أن الفصل الأعلى يختص بالصورة الجنسية ، والصورة الشخصيّة تختص بأفراد النوع الأسفل وهذه الصور كلٌ واحدة توجد مع ما تنسب إليه ، ومنها أي من الصورة ما تحصل للمادّة من أعمالِ ذي المادَةِ من حسن أو قبحٍ ، فأمّا الصور الأُول فقد تفارق أصل المادة على حسب انتقال الشيء بسبب تبدّل أعماله ، وأمّا هذه فلا تفارق المادة وربّما تتغير بها حقيقة الشيء ، وتغيّرُ هذه الصورة تابع لتغيّر الأعمالِ ، وعلى كل حال فالمادّة إنّما تُعاد وتحشر في هذه الصورة ولأجل هذا تحشر العصاة في صور أعمالهم فيحشر النمّام عقرباً أي في صورة عقرب أو حيّة ، ويحشر الحريص غراباً ، ويحشر صاحب الشهوة في النكاح في صورة فرسٍ ، ويحشر صاحب شهوة الأكل المحرّم خنزيراً ، وهكذا فتعاد المادة في صورة عملِ ذي المادة إذا مات عليه كما قال صلى الله عليه وآله : **(على ما تعيشون تموتون وعلى ما تموتون تحشرون)** ، نقلته بالمعنى .

فقوله سلّمه الله : فالأوّلانِ ليسا بصحيحٍ لأنّ لكل مادةٍ صورة ولكل صورة مادةً مبني على مطلق الصورة والكلام هنا كما سمعتَ مما كتبنا فافهم .

قال سلّمه الله : على أنها لو كانت هي المادة لا يحكم عليها بالحسنة والسيئة ولا بالكفر والإيمان ، لأن ذلك في مقام القدر الذي هو الحدود والهندسة فيرتفع الثواب والمعاقبة .

أقول : لو قلنا إن العائد هو المادة لا يلزم خلوُّها من الصورة التي اكتسبَتْها من العمل ، وإن فرَضْنَا خلوّها من الصورة الجنسيَّةِ والنوعيَّةِ لم نفرض خلوّها من الصورة الشخصية العمليّة التي لزمتها مِنْ أعمالِ المكلّف لأن التقدير للحدود الذي هو الخلق الثاني جارٍ في كل مرتبةٍ من مراتب الصنع كلٌّ بنسبتِه مثلاً جارٍ في الطبائع حتى صارت العناصر وفيها حتّى صارت المعادن ، وفيها حتى صارت النباتات ، وفيها حتى صار الخشب وفيه حتى صار السّرير ، فالحدود والهندسة هي التي تتحقق بها الصُّورة في كُلِّ رتبةٍ إلّا أنّ الصورة التي تكون مميّزة للأفراد وهي الصورة الشخصيّة هي محل السعادة والشقاوة الشخصية وهي المتعارفة ، وأمّا الجنسيّة والنوعيّة فكذلك إلّا الحكم فيهما يكون شاملاً لأفراد الجنس وأفراد النَّوع فتعميم كلامه على الظَّاهر متجهٌ .

قال سلّمه الله : وعلى الثالث يلزم أمرانِ أحدهما أن زيداً مثلاً من مبدئِه إلى منتهاه ما فعل إلّا فِعلاً واحداً في الباطن وإن تعدّد في الظاهر ، وثانيهما أنّ كل أحدٍ بأي مددٍ بدأ فبِه يختم إن خيراً فخيرٌ ، وإِنْ شرّاً فَشَرٌّ ، وكِلَا الأمرين كما ترى .

أقول : يريد أنّا إذا فَرضْنَا أنّ العائِد بعد ذهابه إن كان هو المادّة والصورة الأوّلَيْنِ لزمَنا أمرانِ كِلاهما غير جائزٍ :

أحدُهُما : أنَّ زيداً وهو المكلّف الذي حكمنا عليه بالتّغير والتبدّل في كلِّ آنٍ مِنْ أوَّلِ عُمره إلى منتهى أجلِه ، ومن أوَّلِ أعمالِه إلى آخرها ، ما فعل إلّا فِعلاً واحِداً في الباطن يعني أن المقتضى لفعله قبلَ أن يذهب الذّاهِبُ هو الذَّاهبُ نفسُهُ ، فإذا عاد بنفسه من غير تغيير وهو المعبر عنه بعود مادّتِه وصورته فعل ذلك الفعل الأول لأنّه هو مقتضى طبيعته والطبيعة لا تغلط ولهذا أخبر سبحانه عن الكفار بقولهم : ﴿ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ فلو عاد الذاهب بمادته وصورته لفعل فعله الأول ، وإن كانا في الظاهر اثنين فإنّهما في الباطن فعل واحد .

وثانيهما : أنه إذا كان العائد بعينه هو الذاهب كان كل شخص يجري على مدده الذي خلق منه أوّلاً ، فإن كانت طينته طيبةً فعل خيراً سواء تغيّر وعاد كالأول من دون تبديل أم لم يتغيّر ، وإن كانت طينتُه خبيثةً فعل شراً تغير أم لم يتغيَّر كذلك ، وفيه أنه لا يلزم ما ذكر على فرض الوجه الثالث ، بل نقول : إنَّ العائد هو المادة والصورة ومع ذلك تتعدّد أفعاله لأجل ما يعرض له من التغيير كما أشرنا إليه سابقاً من أن العائد وإن كان هو الأول لكن مبدأ تنزّله للشيء أعلى من مبدأ تنزّله أولاً ، وقبله أيضاً لقوّته بسبب كثرة السّحق والتكرير والتردّد في أحوال التَّكليف والأعمال ، وأيضاً بسبب ما لحقه ممّا اكتسب من وصف الأعمال ربّما زاد كمّه كما زادَ كيفه ، وكما سبق مبدؤه واستعلى في رتبته ، وأيضاً يعود إليه في وقتٍ غير وقتِ تنزّله أوّلاً وكل هذه وأمثالها مُشخِّصات يلزم منها

تعدّد أفعاله وشدّة أعماله كمّاً وكيفاً في الظاهر والباطن وقوّة اتّصافه بما اكتسب وشدّة تلك الأوصاف المكتسبة كمّاً وكيفاً بحيث يكون في حال ذهابِه أقوى منه في ذهابه أوّلاً وقد أشار الإمام الصادق عليه السلام إلى هذا المعنى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ، فقال عليه السلام : (**بالحكمة يُستخرَجُ غَورُ العقلِ وبالعقل يُستخرج غَوْرُ الحكمة**) انتهى .

فتعدّد أفعاله وتشتدّ أعماله ومع هذا نقول : إن الطبيعة لا تغلط بل لو عاد ثانياً ولم تتغيّر أعماله ولم تتكثّر أفعاله لجاز لنا أن نقول : إن الطبيعة غَلِطت لأنّها دائرة مدار اقتضاءِ المقتضى وجوداً وعَدَماً ، وعلى الثاني أنَّ الخاتمة تابعة للسابقة ولكن السابقة ليست السَّابقة زماناً وإنّما هي السابقة دهراً بمعنى أنّها آخرُ عائدٍ لأنّه أعلى مراتب الشيء وأَسْبَقُها ، فآخر عائدٍ إلى الشيء من المدد قبل كلِّ شيء من ذلك الشيء ، وأعْلى كلِّ شيء منه وقد بيَّنّا ذلك سابقاً فراجعه وهذا هو السّابقة التي تكون الخاتمةُ تابعةً لها وكاشِفةً عنها وهي منتهى الشيء الذي يُسِّرَ له حتَّى خلق منه والتّيسير الذي ذكره صلّى الله عليه وآله في جوابه لسراقةَ بنِ مالكٍ في قوله : **اعملوا فكلٌّ ميسَّرٌ لما خلق له** ، قد ذكرناه في الفوائد في الفائدة (**السابعة**) عشرة مَنْ أراد الوقوف عليه طلبه من هُنَاك .

فرغ من تسويد هذه التنبيهات مُنشِئُهَا العبد المسكين أحمد بن زين الدين الأحسائي في الليلة الثامنة من شعبان سنة تسع وثلاثين بَعْدَ المائتين والألف من الهجرة النبوية على مهاجرها وآله ألف الصلاة والسلامُ حامداً مُسَلِّماً مُستَغْفِراً .

رسالة في جواب بعض العلماء (الملا مهدي) في أنه هل يبقى جسد الأنبياء والأوصياء بعد موتهم في الأرض ؟

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله ربّ العالمين ، وصلّى الله على محمد وآله .

أما بعد ، فيقول العبد المسكين أحمد بن زين الدين الأحسائي : إنه قد بعث إليَّ بعض العلماء الأفاضل أيده الله بمسائل يريد جوابها على حال اشتغال البال ببواعث الدنيا وبالأمراض المانعة من التوجّه ، ولكن لا بدّ من إيراد ما يحصل به التّنبيه على الجواب في الجملة إذ لا يسقط الميسور بالمعسور وإلى الله ترجع الأمور ، وقد جعلتُ كلامه الشريف متناً ليحصل لكل كلام ما يناسبه من الجواب ومن الله إلهام الصواب .

قال سلّمه الله : أما بعد ، فالباعث من تصديع جنابكم هو أن تمنّوا على العبد الفقير بالجمع بين الأحاديث التي ذكرها الشيخ الطوسي في التهذيب في كتاب الزيادات وبين الحديث الذي ورد أنَّ موسى عليه السلام أخرج عظام يوسف عليه السلام ، وما قال العسكري عليه السلام في حقّ ذلك الرجل أن في يده عظماً من عظام نبي من الأنبياء عليهم السلام .

أقول : اعلم أنّ المعلوم بالدليل القطعي أن الله عزّ وجلّ لم يخلق شيئاً من الأجسام المعروفة خارجاً عن حيطة محدّد الجهات وليس وراءه شيء مخلوق بل لا شيء وراءه ، وأمّا ما نثبتُه من عالم

الأشباح والهيولى المجردة عن الزمان والمكان والعناصر كعَالَمِ المثال ، وما نثبته من الأجسام المجردة عن الزمان والمكان والعناصر كذلك كجوهر الهباء المذكور والطبائع الأُول والنفوس ، وما نثبته من الجواهر المجرّدة عن الزمانَ والمكان والعناصر وتمام الصورة كالأرواح ، وما نثبته من المعاني القارّة والجواهر المجردة عن الزمان والمكان والعناصر والصور كالعقول ، وما نثبتُه من أضدادِها وعكوسِها ، فإنّما هي في جوف هذه الأجسام التي أعلاها محدّب محدّد الجهات وأسفلها أسفل التخوم من الأرض السابعة المسمّى بمركز العالم فهي في غيب هذه الأجسام ، وقولنا : ليس وراء محدّد الجهات شيء ، نريد به ما قاله الحكماء الأوّلون من أنّه ليس وراءه خلاء ولا ملاء ومعناه غير ما قاله المشّاؤون وأتباعهم من المتكلمين لأنّهم يتوهّمون شيئاً هناك فضاء لا يوصف بخلاء لأنّ فيه مجرداتٍ ولا بملاءٍ لأنّ المجردات ليست أجساماً لتملأ ما هي فيه ، كذا زعمه بعضهم وأمثال هذا مما ليس بشيء لأنهم نقلوا هذه العبارة عن الحكماء الأوّلين ولم يفهموا مرادهم منها ، والأوّلون أخذوها عن الأنبياء عليهم السلام والمعنى ما قلنا لك وليس قولنا إنّه لا شيء نفياً للإمكان بل هو نفي للممكن إذ لا واسطة بين الإمكان والوجوب والمحال لا يصلح للواسطة بحالٍ من الأحوال ، لا في الواقع ولا في الفرض وليس وراء المحدّد وجوب ، تعالى الله عن أن يكون معزولاً عن خلقه كما ليس محصوراً فيهم ، فالذي وراء الإمكان ليس شيئاً بمعنى أنه لم يكوّن لا بمعنى أنه لا يمكن فيه التكوين كما قاله من جهل قدرة الله سبحانه فنفاه على حسب ما اقتضاه عقله ولسنا بصدد بيانه ، فإذا عرفتَ أنه لم يوجد شيء من الأجسام

المعروفة إلّا الفلك الأطلس وما في جوفه. فاعلم أنّ عالم المثال عالم ذو أعاجيب وهو في الإقليم الثامن أسفلهُ على محدّدِ الجهات والمراد أنّه كذلك في الرتبة لا أنّه خارج عنه، وفي هذا العالم جنة الدنيا التي هبط منها آدم وإليها تأوي أرواح المؤمنين وهي الجنّتان المدهامتان وهي في جهة المغرب، قال تعالى: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾، وهذا العالم إذا خلعتَ جسدك في النوم رأيت ما هناك لأنّك إذا دخلتَ في النوم خلعتَ الجسد العنصري البشري الكثيف وبقيتَ في الجسد العنصري الذي هو من أرض هورقليا من هذا العالم المذكور، وهذا الجسد الذي خلعته عند النوم هو الذي يدرك في هذه الدنيا من العناصر الأربعة الزمانية المعروفة من المزاج المتركّب منها الساري بالأغذية من الطعام والشّراب، فإذا خلعته لم تدرك بهذه الأبصار وإنّما تُدرك بأبصار أهل ذلك العالم وأهل العصمة عليهم السلام يدركون في هذه الدنيا ما في ذلك العالم وما وراءه، فقد رأى رسول الله صلى الله عليه وآله ليلة المعراج وقد عرج بجسده الشريف الذي خرج به في الدنيا لأهل زمان بِعثتِه رأى جميع ما في عالم الغيب والشهادة وما في الدنيا وما في البرزخ وما في الآخرة وأوقفه الله سبحانه على جميع ما خلق كلّ في مكانه ووقته من عالم الملك والملكوت والجبروت.

ومعنى كلامي أنّه صلى الله عليه وآله رأى ليلة المعراج عند وصوله إلى مقام قاب قوسين عقل الكلّ في الوقت الذي خرج فيه من كتم غيب الإمكان إلى الوجود الكوني، ورأى ما دونه إلى ما تحت الثرى، كذلك ورأى ما فوق العقل وتحت المشيّة في مقام أو أدْنَى، فإذا عرفتَ هذا فاعلم أن الأجساد جسدان: جسد عنصري

بشري وهو المرئي المحسوس ، وجسد عنصري برزخي من عناصر هورقليا وهذا هو الذي يبقى في القبر مستديراً ويحشر فيه بعد تصفيته وهو الباقي الذي خلق للبقاء نزل في الأصل من باء بسم الله الرحمن الرحيم والجسد البشري العنصري هو المتكوّن من الأغذية وهو داخل خارج دخوله وخروجه على السواء ، ولا يتعلق به في نفسه ثواب ولا عقاب وليس له بقاء ، بل هو فانٍ لا يعود لأنه بحكم الثوب لبِسَه ويخلعه ، نعم هو حامل في الدنيا للجسد الباقي المذكور .

وهذا الجسد العنصري الفاني له ارتباط بالباقي وذلك الارتباط مختلف في الأشخاص فمن كان طيباً طاهراً زاكياً نقيّاً من المعاصي والذنوب كان ارتباط الفاني فيه بالباقي ضعيفاً فهو أقلّ وأضعف من ارتباط الثوب الذي تلبسه بجسدك وهذا الطيّب إذا أراد خلعه في الحياة كان أسهل عليه من خلع ثوبه ومن كان خبيثاً نجساً متهتِّكاً مُخَلِّطاً كان الفاني في باقيه مُعرِّقاً متمكناً لا يتخلّص منه إلّا بعد طول بعيد ومكثٍ في أطباق الثرى طويل بعد تقطّع أوصاله وتبدّد أعضائه وتَفَتُّتِ عظامه لأن جسديه قد تمازجا لما بينهما من التقارب والتناسب بخلاف جسد الطيّب مع ما يلحقه من العنصري فإنه قشر عليه ظاهرٌ صحبه إلى وقتٍ مقدّر له ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثاً ومتاعاً إلى حين .

ومن بين الطيّب والخبيث مختلف التعلّق والارتباط ولكلٍ درجات مما عملوا فعلى هذا يكون المعصومون أسرع خلعاً لبشريّتهم وأسرع غيبُوبة عن أبصار أهل الدُّنيا وغيرهم أبطأ ، وقد ثبت بالإجماع والأخبار المتواترة معنى بأن النبي نوحاً على محمد

وآله وعليه السلام عند الطوفان استخرج عظام آدم عليه السلام من سرنديب أو من مكة على اختلاف الروايتين وحمله في السفينة ، وفي رواية استخرج جسد آدم عليه السلام وحمله في السفينة ودفنه بعد استواء السفينة على الجودي في ظهر الكوفة فهو الآن ضجيع نوح خلف قبر أمير المؤمنين عليه السلام ، وكان عمر آدم على ما رواه الصدوق في الإكمال سبعمائة سنة وثلاثين ، والمستفاد من كلام مروج الذّهب للمسعودي مع انضمامه إلى الرواية المذكورة أن بين موت آدم عليه السلام وحمل نوح عليه السلام لجسده في السفينة ألف سنة وخمس مائة سنة وأربع عشرة سنةً وقد ثبت في اللغة العربية استعمال لفظ العظام في الجسد لأنّها معظم الجسد ولهذا ورد وجوب صلاة الأموات على مجموع العظام كما وجبت على الجسد ، وإن لم يكن فيها شيء من القلب كما في صحيح علي بن جعفر عن أخيه موسى عليه السلام .

وأيضاً روي في المشهور المقبول من الروايات أن موسى على محمد وآله وعليه السلام حمل عظام يوسف على محمد وآله وعليه السلام من شط نيل مصر ودفنه في بيت المقدس ، وكان بينهما أربعمائة سنة تقريباً أو تنقص قليلاً وكان يوسف عليه السلام من عباد الله المخلصين فلا ينقص عن حال آدم عليه السلام . والمراد بإخراج عظامه إخراج جسده وإنّما عبّرَ عنه بها لأنّها معظمُ الجسَدِ واستعمال ذلك كثير في كلام العرب في خطاباتهم ومُحاوراتهم وفي أشعارهم ومنه ما قال الشاعر يرثي طلحة بن عبيد الله بن خلف ويسمّى طلحة الطلحات لأن أمّه صفيّة بنت الحارث بن طلحة بن أبي طلحة بن عبد منافٍ قال :

رحـــم الله أعـــظُـــمـــاً دفـــنـــوهـــا
بـــسـِجـــســتـــان طـــلـــحـــة الـــطَّـــلـــحـــاتِ

فسمّي جسده المدفون بسجستان أعظُماً واستعمال ذلك غير منكور في لغة العرب ، وأنت إذا عرفتَ ما حقّقنا لك قبل لم تشُكّ في أنّ الذي حمله نوح وموسى على محمد وآله وعليهما السلام هو الجسد لا العظام ، ومثال جسد المعصوم عليه السلام كسبيكة الذهب الصافي إذا لحقها غبارٌ فإنّك إذا جلوتها انكشف عنها وهي باقية على هيئتها لأن الغبار لم يغُصْ فيها كما أن البشريّة لم تغُصْ في بواطن أجسادهم لأنّها نورانيّة طاهرة ، ولهذا تنطوي لهم الأرض ويمشون على الماء وفي الهواء إذا شاؤوا ، لأنّ أجسادهم كنفوس غيرهم . ومثال جسد الشخص من سائر الناس كمثل سبيكة ممزوجة من ذهب ونحاس أو فضّة ونحاس فإنّك إذا صفيتها لا تصفو إلّا بإذابتها وتصفيتها وكسرها من أصلها لأن الخلط ممازج لها ولهذا تراه يحتلم في المنام ويجنب لأن البشريّة مازجت ظاهره وباطنه ، وإن لم تكن من حقيقته والمعصوم عليه السلام لا يجنب في المنام ولا ينام قلبُه ، وإن نامت عينه فافهم .

وأمّا ما قال أبو محمد العسكري عليه السلام في حقّ ذلك الرجل وهو ما رواه في كتاب ثاقب المناقب وخرائج الراوندي ، روي عن علي بن الحسين بن سابور قال : قحط النّاس بسرّ من رأى في زمن الحسن الأخير عليه السلام فأمر الخليفة الحاجب وأهل مملكته أن يخرجوا إلى الاستسقاءِ فخرجوا ثلاثة أيام متوالية إلى المصلّى يستسقون ويدعون فما سُقوا فخرج الجاثليق في اليوم الرابع إلى الصحراء ومعه النَّصارى والرُّهْبَان وكان فيهم راهبٌ فلمّا

مدّ يدَهُ هطلَتِ السماء بالمطر فشكَّ أكثر النّاسِ وتعجّبوا وصَبوا إلى دين النّصرانيّة فأنفذ الخليفة إلى الحسن عليه السلام وكان محبوساً فاستخرجه من حبسِه وقال : الْحَق أُمَّة جدِّكَ فقد هلكَتْ فقال له : **(إني خارج في ذلك ومزيل الشكّ إن شاء الله)** فخرج الجاثليق في اليوم الثالث والرُّهْبَان معه وخرج الحسن عليه السلام في نفرٍ من أصحابه فلمّا بصر بالراهب وقدْ مَدّ يده أمَر بعض مماليكه أن يقبض على يده اليمنى ويأخذ ما بين إصبعيه ففعل وأخذ من بين سبَّابتَيْهِ والوسطى وأخذَ عظماً أسود فأخذه الحسن عليه السلام بيده ثم قال : **(استسقِ الآن)** فاستسقَى وكانت السماء مغيّمةً فتقشّعت وطلعت الشمس بيضاء فقال الخليفة : ما هذا العظم يا أبا محمد؟ قال عليه السلام : **(هذا رجل مرّ بقبر نبيٍّ من الأنبياء فوقع في يده العظم وما كُشِفَ عن عظم نبي إلّا هطلت السماء بالمطر)** انتهى .

فيحتمل أنه قطعه من جسده وكشف عنه لحمه ليكون العظم بارزاً وذلك أنّه سمع ذلك من بعض الكتب المنزّلة أو من كلام بعض الأنبياء عليهم السلام فقطعه وكشطه لأجل هذا السرّ ، ومن الأمارات الدالّة على هذا كونه أسود لأنه لو أخذه بالياً لكان أبيض ، **وقولي** : من الأمارات لاحتمال أن يكون اسودادُه من مسّ الراهب لأجل ذنوبه كما في الحجر الأسود وكان حين أخذه آدم عليه السلام دُرّاً أبيض ، وإنّما ترجّح الأول لأنّه هو الظاهر المحسوس المشاهد بخلاف الاحتمال الثاني فإنّه أمر معنَوِيٌّ ، وإذا قام الاحتمال المساوي بطل الاستدلال فكيف بما إذا قام الاحتمال الراجح وبيان الأرجحيّة أنّه لا قائل بالفرق بين آدم وبين غيره من الأنبياء بل كل من قال بأنّ أجسادهم لا تبقى عمّم وكل مَن لم يقل

بذلك بل حكم بالبقاء عمّمَ ، وإذا ثبت عدم الفرق وثبت أن نوحاً حمل جسد آدم أو عظامه عليهما السلام فقد ثبت بالوجدان أنّ من حكم ببلاءٍ لحمه وأنّ الأرض تأكله حكم على العظم بذلك ، وإن كان العظم أبطَى اضمِحلالاً ، ولو جاز أنّ الأرض تأكل لحم آدم عليه السلام أكلَتْ عظامه فلا يبقى منها شيء أصلاً لأن مدّة مكثه في الأرض كما ذكرنا أوّلاً ألف سنة وخمسمائة سنة وأربع عشرة سنةً ويستحيل بقاء العظام هذه المدة تامة إلّا لسرٍّ عظيم وهذا السر المانع من اضمحلال العظام هو بعينه المانع من اضمحلال اللحم ومن تغيّر الصورة مع ما ورد في الأخبار من أنّ الله تعالى حرّم على الأرض أن تأكل لحومهم فافهم ويأتي إن شاء الله تعالى تمام الكلام .

قال سلّمه الله : والأحاديث التي ذكرها الشيخ رحمه الله في التهذيب في كتاب الزيادات بسنده عن عطية الإبزاري قال : سمعتُ أبا عبد الله عليه السلام يقول : (**لا تمكس جثة نبي ولا وصي في الأرض أكثر من أربعين يوماً**) انتهى .

أقول : يريد عليه السلام إن أبطأ خلع البشريّة يكون أربعين يوماً وقد يكون أقلّ من ذلك ولو كان المراد بها مكث الجثّة على المعنى المفهوم عند العوام لما وجد نوحٌ آدم عليهما السلام ، ولما وجد موسى يوسف عليهما السلام لما سمعت من طول المدة بينهما ، وإنّما خصّ آخر الخلع بأربعين يوماً دون الأقل منها والأكثر لأنّ عدّة اللبس والخلع متساوية ، فإنّ لبس البشريّة في النزول مساوٍ لخلعها في الصعود ، وكانت مراتب اللبس في النزول أربعين وذلك لأنّه مخلوق من عشر قبضات من الأفلاك التسعة ومن الأرض من

كل واحد قبضةً ، فمن الأطلس قلبه ومن المكوكب نفسه ، ومن فلك زحل عقله أي تعقّله ، ومن فلك المشتري علمه ، ومن فلك المريخ وهمه ، ومن فلك الشمس وجوده الثاني ، ومن فلك الزهرة خياله ، ومن فلك عطارد فكره ، ومن فلك القمر حياته ومن العناصر الأربعة جسده فهذه عشر قبضات ، وأدار كلّ قبضة أربع دورَاتٍ ، دورة عناصرها ودورة معادنها ودورة نباتها ودورة حياتها في كل شيء بحسبه ، فهذه أربعون وهي مراتب الوجود بعدد ميقات موسى عليه السلام ، وفي الخلع البطيء التدريجي كذلك أربعون نازلاً وصَاعِداً .

قال سلّمه الله تعالى : في التهذيب بسنده عن زياد بن أبي الحلال عن أبي عبد الله عليه السلام قال : (**ما من نبي ولا وصي يبقى في الأرض بعد موته أكثر من ثلاثة أيام حتى يرفع روحه وعظمه ولحمه إلى السماء ، وإنما يؤتى مواضع آثارهم ويبلغهم السلام من بعيد ويسمعونهم في مواضع آثارهم من قريب**) ، وفيه أيضاً بسنده إلى علي بن بزرج الخياط قال : حدثنا عمر وقال : جاءني سعد الإسكاف قال : يا بني تحمل الحديث؟ فقلتُ : نعم ، فقال : حدثني أبو عبد الله عليه السلام أنه قال : (**لمّا أصيبَ أمير المؤمنين عليه السلام قال للحسن والحسين عليهما السلام : غَسِّلاني وكفِّناني وحَنِّطاني واحملاني على سريري واحملا مؤخّره تكفيانِ مقدّمَهُ فإنكما تنتهيانِ إلى قبر محفور ولحدٍ ملحود ولِبنٍ موضوع فألحداني وأَشْرِجا اللِّبن عليَّ وارفعا لِبنَةً ما يلي رأسي وانظرا ما تسمعانِ ، فأخذا اللِّبنةَ عند الرأس بعد ما أشرجَا عليه اللِّبنَ فإذا ليس في القبر شيء ، وإذا هاتف يهتف أمير المؤمنين كان عبداً**

صالحاً فألحقه اللهُ بنبيه وكذلك يفعل اللهُ بالأوصياء بعد الأنبياء حتّى لو أنّ نبياً ماتَ في المشرق ومات وصيّه بالمغرب لألْحَقَ اللهُ الوصي بالنبي) انتهى .

أقول : في الحديث الأوّل إشارة إلى ما أشرنا إليه من اختلاف مدّة خلع البشريّة ومعلوم أنّ منهم عليهم السلام من يخلع بشريّتَهُ في ثلاثة أيامٍ ويراد من هذا الحديث البعض المخصوص عندهم وإن كان ظاهرُه يدلّ على العموم جمعاً بين الأخبار ، **فإن قلتَ** : هذا صريح في أنّ جميع الجسد وما يتعلّق به من غيبه وشهادته يرفع حتى يبقى موضعه خالياً وتأويله على ما تدّعيه خلاف الظاهر والأصل عدمه ، **قلتُ** : قد ثبت بالأدلّةِ القطعيّة أنّ آدم عليه السلام نقله نوح عليه السلام من موضع مدفنه بسرنديب أو بمكة من الأرض العنصرية هذه وكذلك يوسف مع موسى عليهما السلام وقد بقي آدم ويوسف عليهما السلام هذه المدة الطويلة ويمكن تأويل هذه الأخبار على مثل ما ذكرنا سابقاً وهو تأويل متّجه ، ولا يمكن التوجيه والتأويل في استخراج آدم ويوسف عليهما السلام ونَقْلِهما وصرفه عن ظاهره ولا قائل بالفرق فيجب المصير إلى ما قلنا فإنه إذا خلع الصورة البشريّة فقد رُفع بذلك إلى السماء في الرتبة وإلى العرش كما في قصّة الحسين عليه السلام كما يأتي ذكره فهو وإن بقي في قبره لكنه لا يراه غير المعصوم الذي يرى ببصره ما في عالم البرزخ وما في عالم الغيب ولو نبشهما غير معصومٍ لم ير شيئاً كما رواه محمد بن جعفر بن قولويه في كامل الزيارات عن عبد الله بن بكر الأرجائي في حديث طويل عن الصادق عليه السلام إلى أن قال : قلتُ : جُعِلتُ فداك أخبرني عن الحسين عليه السلام لو نُبِش

كانوا يجدونَ في قبره شيئاً ؟ قال : (**يا بن بكر ما أعظم مسائلك الحسين مع أبيهِ وأمّه والحسنِ في منزل رسول اللهِ صلى الله عليه وآله يُحبَون ويرزقون ولو نُبِشَ في أيامه لوجد ، فأمّا اليوم فهو حيّ عند ربّه ينظر إلى معسكره وينظر إلى العرش متى يؤمر أنْ يحمِلَهُ وأنّه لعلى يمين العرش متعلّق يقول : يا ربِّ انجز لي ما وعدتني وإنّه لينظر إلى زوّاره وهو أعرف بهم وبأسمائهم وبأسماء آبائهم وبدرجاتهم ومنزلتهم عند اللهِ من أحدكم بوُلده وما في رحلهم ، وإنه ليرى من يبكيه فيستغفر له رحمة له ويسأل أباه الاستغفار له ويقول : لو تعلم أيّها الباكي ما أُعِدَّ لك لفرِحتَ أكثر ممّا جزِعتَ ويستغفر لَهُ كُلُّ من سمع بكاءَهُ مِنَ الملائكة في السماء وفي الحير وينقلب وما عليه من ذنبٍ**) انتهى .

فقوله عليه السلام : (**لو نُبِش في أيامه لوُجد**) ، يراد منها أكثر من ثلاثة أيام لأن أيّام جمع قلةٍ أريد به جمع كثرةٍ وذلك لأنّه لو نُبِشَ في أيّامه ولم يوجد لأنكر الأعداء كونه مقتولاً وعلى هذا لو نُبِش بعد الأربعين يوماً وُجِدَ وبعد السنة والسنتين وأزيد لأنّها من أيّامه ولو أريد ما في الحديث المتقدّم لما كان ينبغي أن يقال في أيّامه وهو يريد بها يومين أو ثلاثة ، لأنه لو أريد بهذا الكلام أنه لو نُبش بعد دفنه بيوم أو يومين أو ثلاثة لما حسن أن يقال في أيّامه إذ لا تفهم الثلاثة من هذه العبارة في العرف وللعلّة المذكورة ، ورفع روحه وعظمه ولحمه إلى السماء ، يراد منه ما قلنا إلا أنهم عليهم السلام يتكلّمون بالحقائق ونحن نتكلّم بظواهر اللغة ، ولو أردنا أن نتكلّم بالحقيقة لم نجد عبارة عنها أحسن ممّا قالوا ، فإنّ الجسد إذا خلع البشريّة عنه الّتي هي أرض بالنسبة إلى الأجساد الباقية

العنصريّة وهي سماء لها مع أنّا قدّمنا لك أن هذه البرزخيّة في الإقليم الثامن وأسفله على محدّب محدِّد الجهات يعني في الرتبة فكيف يدركه أهل الدنيا غير المعصومين عليهم السلام ، وكيف لا يقال إنّه في السماء .

وقوله : (**وإنما يؤتي مواضع آثارهم**) الخ ، لأنّها هي محل خلع البشريّة فإذا خلع الجسد الباقي الجسدَ العنصري الثقيل في محلّه من القبر الذي تدركه العوام بقي الجسد الباقي في سمائه من ذلك القبر فيأتون الزوّار محلّ القشر الملقى ، ولعمري أن الجسد الباقي فيه في غيبه إلى يوم القيامة عند ربّه يرزق وقوله : (**يبلغّهم السلام من بعيد**) ، لبعد ما بين الخالع والمختلَع وقوله : (**ويسمعونهم من قريب**) ، لأن الزوار بعيدون عن الخالع ، والخالع في القبر في غيبه فيسمعهم من قريب لأنهم لا يرونه وهو يراهم ولا يسمعونه وهو يسمعهم ، وحديث كامل الزيارة بهذا المعنى ، **وأمّا حديث** سعد الإسكاف فهو كغيره ، وروي **أن الذي رفع مقدّم السرير هو أمير المؤمنين عليه السلام** لأنه كما قال عليه السلام في كلامه لسلمان وأبي ذرّ : (**إن ميِّتَنا إذا ماتَ لم يمت وإن مقتولنا لم يقتل**) ، وكان علي عليه السلام يغسّل رسول الله صلى الله عليه وآله يوم مات وهو يتقلّب ولا يحتاج إلى من يُقَلِّبه ، وكل هذا وأمثاله لضعف بشريّتهم وقوّة نوريّتهم فهم أحياء كهم أموات فافهم .

وقوله : (**فإذا ليس في القبر شيء**) ، روي أنه بعد ما يجتمع بنبيّه صلى الله عليه وآله يعود إلى حفرته وهو كثير في أخبارهم ، وفي الزيارات المروية عنهم عليهم السلام في زيارة أمير المؤمنين عليه السلام (**السلام عليك وعلى ضجيعَيْك آدم ونوح**) ، وذلك لأن

جسده الشريف في القبر إلى الآن وإلى ما بعد ذلك أي إلى ما بعد خروج صاحب العصر عليه السلام عجل الله فرجه ، وبعد قتله عليه السلام بثمان سنين فجسده الشريف في قبره المشهور بظهر الكوفة في غيبه على المعنى المتقدّم مضاجعاً لنوح وآدم عليهم السلام ، كما في صريح الزيارة والأصل في الاستعمال الحقيقة واحتمال خلافه مرجوح لا يخرج عن حكم الأصل المؤيّد بالأدلّة العقلية والنّقلية .

قال سلّمه الله : وما قلتم إن الأئمة عليهم السلام يكونون في القبر ولكنهم لا يرونهم الناس لانخِلاعهم البشريّة عنهم لا يوافق حديث الأخير فإن الإمام يرى الإمام الآخر .

أقول : قولي هذا حق وقولكم فإنّ الإمام يرى الإمام الآخر حقّ أيضاً ، ولكنه حينئذٍ لا يراه في بشريته إلى أن يرجع بعد اجتماعه بالنبي صلى الله عليه وآله وبعد رجوعه يراه في بشريته إلى أوان الخلع العادي له ومع هذا إذا أراد الإمام أن يرى الإمام الميت بعد خلعه البشرية فيها رآه فليس بينهم غيبةٌ ولا فرقة أبداً وإن حصل ذلك في الظاهر ، ومن المعلوم أنّ الأنبياء والأوصياء عليهم السلام يُحشرون من مواضع حفرهم وليس لأنّهم يدفنون فيها مرّة ثانية بعدما يرفعون إلى السماء فآدم ونوح عليهما السلام يحشرانِ من قبريهما بظهر الكوفة وقوله في حديث كامل الزيارة : (**وإنه لعلى يمين العرش متعلّق**) ليس لأنه هناك بل على نحو ما قال أمير المؤمنين عليه السلام : (**صحبوا الدنيا بأبدانٍ أرواحُها معلقة بالمحل الأعلى**) يعني توجهها إليه وهذا إن شاء الله تعالى ممّا لا إشكال فيه .

والحمد لله ربّ العالمين ، وصلّى الله على محمد وآله الطاهرين وكتب العبد المسكين أحمد بن زين الدين بيده الجانية حامداً مصلياً مسلماً مستغفراً .

***

رسالة في جواب
بعض الإخوان من أصفهان

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على محمد وآله الطاهرين .

أما بعد ، فيقول العبد المسكين أحمد بن زين الدين الأحسائي : إنه قد أتت إلي بعض المسائل من بلد الأمان والإيمان أصفهان حرسها الله من طوارق الحدثان من بعض الإخوان حفظه الله من نوائب الزمان بأحاديث مشكلة يريد فيها البيان وكان القلب غير مجتمع والبال متشتّتاً ولكن لا يسقط الميسور بالمعسور وإلى الله سبحانه ترجع الأمور .

فمنها : صحيح عاصم بن حميد عن أبي عبد الله عليه السلام قال : ذاكرت أبا عبد الله عليه السلام فيما يروون من الرؤية فقال عليه السلام : (**الشمس جزء من سبعين جزءاً من نور الكرسي والكرسي جزء من سبعين جزءاً من نور العرش والعرش جزء من سبعين جزءاً من نور الحجاب والحجاب جزء من سبعين جزءاً من نور الستر فإن كانوا صادقين فليملؤوا أعينهم من الشمس ليس دونها سحاب**) .

أقول : المقام يقتضي في بيان هذا الحديث الشريف أوجهاً ثلاثة :

الأول : ما هذه الأنوار ؟

الثاني : كيف كانت خمسة ؟

الثالث : لِمَ كانت نسبة الأنوار بعضها إلى بعض سبعين ؟

فالأول : اعلم وفّقك الله تعالى أن المراد بالكرسي نفس فلك البروج وهو العلم الظاهر الذي أحاط بكل شيءٍ ، قال الله تعالى : ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ وفي الدعاء (**أسألك باسمك الذي أشرقت به السماوات والأرضون**) .

وأمّا الوجه الثاني : فاعلم أنّه عليه السلام إنما ذكر هذه الخمسة لأن أدنى الأنوار التي لا يقدرون على النظر إليها هو الشمس وأعلاها ممّا لا تسارع العقول إلى إنكاره هو الستر والمراد بها الأنوار المتناسبة كل واحد إلى ما فوقه واحد من سبعين ، وإلا فلو كان المراد مجرّد التناسب لكان تحت ذلك مثله ، فقد روي أن (**السكينة جزء من سبعين جزءاً من نور الزهرة ، والزهرة جزء من سبعين جزءاً من نور القمر ، والقمر جزء من سبعين جزءاً من نور الشمس**) ، وكذلك فوق الستر ولا خصوصيّة في هذا العدد ولا فائدة هنا فيه .

وأمّا الوجه الثالث : فاعلم أن عدد السبعين في الحديث يراد منه أمر ظاهري وأمر حقيقي ، فأمّا الظاهري فاعلم أنهم قد يطلقون العدد ولا يكون مراداً بخصوصه وإنما يراد به مجرد الكثرة ، وهذا كثير في الروايات وفي القرآن مثل أنهم كعدة بني اسرائيل سبعين ألفاً أو يزيدون وهذا يراد به مجرد الكثرة يدل عليه ما ذكر في قصّة موسى عليه السلام وحيلة بلعم بن باعورا لمّا طلب منه الجبارون الدّعاء على موسى وقومه فانسلخ الاسم من لسانه فاحتال لهم

وقال : زيّنوا نساءكم وبناتكم وأمروهن يمضين إلى عسكر موسى وأوصوهن ألا تمنع جارية أحداً يريدها ، وأنا أرجو أنهم يزنون بهن وما فشا الزنى في قوم إلّا حلّ بهم الطاعون ، ففعلوا فحلّ فيهم الطاعون وكان سيّاف موسى عليه السلام تلك الساعة غائباً واسمه الفِنْحاص بن العَيْزار ، فأتى فلما رأى ذلك عمد إلى شلوم بن زمرير وهو معانق لكُشتا بنت صور من القوم الجبارين فانتظمهما بحربة معه فرفعهما في الهواء وقال : يا ربّ هذا يرضيك فرفع الطاعُون فحسب المفقود من الطاعُون من قوم موسى في ساعة واحدة سبعين ألفاً وكذلك في قوله تعالى : ﴿ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ ﴾ أي آبائهم لأنّ الطائفة المؤمنة الأولاد الصغار من بني إسرائيل وكانوا ستمائة ألف كذا قيل وقيل الكل ستمائة ألف ، فإذا كانت الأولاد ستمائة ألف فكيف يكون الجميع سبعين ألفاً ، وإنما يراد منه مجرّد الكثرة وكذلك في قوم يونس عليه السلام ، والمراد بالسبعين هنا هذا المعنى لأن السبعين على المعنى الباطن صحيح ولكن هذه النسبة باعتبار التشكيك في الشدة والضعف ، وأما في الكمّ فلا يدخل عدّه تحت علمنا وستسمعه إن شاء الله تعالى .

وأما الوجه الحقيقي في عدد السبعين فاعلم أن أوّل فرد من الأعداد هو الثلاثة وهو عدد كل فرد من معدن ونبات وحيوان وذلك عدد الكيان إذ كل فرد فله عقل ونفس وجسد ، واعلم أيضاً أن أول زوجٍ الأربعة وكل فرد ممّا ذكر فهو مربّع الكيفية حرارة ورطوبة وبرودة ويبوسة ، فكل فرد فهو ذو سبعة مثلّث الكيان مربع الكيفيّة ، فكانت السبعة هي العدد الكامل فجرى في الأصول لقوله

تعالى : ﴿ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ يجري صنعه بأمرٍ محكم وقضاء مبرم وعلم متقن ، فلذلك كانت السماوات سبعاً والأرضون سبعاً والأيام سبعة والأنبياء أولو الشرائع سبعة إلى غير ذلك ، والسبعة في مرتبة الأصول والعلل ، ثم لمّا كانت المعلولات في الوجود الثاني بالنسبة إلى عللها فكانت الفاعلية في المرتبة الأولى وهي مرتبة الآحاد وكانت المفعولية في مرتبة العشرات فكان اعتبار السبعة في الأولى سبعين في الثانية فكانت العلة في الشدة سبعين والمعلول في الضعف واحداً .

فإن قيل : فإذا كانت السبعة في المرتبة الثانية سبعين وهي نسبة رتبة المعلول من العلة ينبغي أن يكون واحداً من عشرة لا واحداً من سبعين ، **قلنا** : لما كان المعلول لا يتكون من سنخ العلّة وإنّما يتكون من فعلها في رتبته لا في رتبة العلة لأنّ رتبة الفعل في رتبة المفعول ، فإذا قلت : زيد ضرب ضرباً كان ضرب في رتبة ضرباً لأن الفعل إنما قام بزيد قيام صدور لا قيام عروض ولا يستند إلى زيد ، وإنما يستند إلى جهة ظهور زيد بالضرب ، وذلك هو حقيقة ضرب وهو نفسه ، ففي الحقيقة كان ضرب يدور على تلك الجهة على خلاف التوالي وتلك تدور على ضرب على التوالي فالفعل ظاهره وحقيقته لا يحل بزيد ولا يستند إليه ، وإنما أحدثه زيد بنفسه وهو في رُتبة مفعوله الذي هو ضرب من الوجود وإن كان ضرب متقدماً عليه بالعليّة فلما كان ما تقوّم به النور من المنير إنما هو تلك الجهة وهي ظهوره بالنور للنور ، لم يكن عشير السبعين وإلا لكان من سنخه فيكون فيه من كل واحد من السبعة الثلاثة الكيان والأربع الكيفيات عشرُهُ ولو كان كذلك لكان من ذاته ، غاية الأمر أنه أقل

منه كمّاً وليس كذلك بل هو واحد من السبعين لأن السبعة لمّا ظهرت في المرتبة الثانية كانت سبعين وهي مراتب ظهورات السبعة مرتّبة أعلاها الأصول وأسفلها جهة الظهور وهو نفس نور الشمس مثلاً بالنسبة إلى نور الكرسي ونور الكرسي بالنسبة إلى نور العرش فلهذا كان النور الذي هو نفس ظهور المنير واحداً من سبعين من ضياء المنير لا من ذات المنير فافهم وفقك الله تعالى .

وقولنا هنا : إن المراد به مجرد الكثرة نريد به أنه في حقيقة واحد أي إشراقٌ من سبعين وجهاً من المنير دائمَ الإشراق يعني ذلك الوجه فكأنّ للمنير سبعين وجهاً مشرقاً أبداً فالنور إشراق من وجه فإذا نظرت إلى العدد المخصوص فهو صحيح كما قررنا ، وإن لحظتَ دوام الإشراقات من المبادي فهي لا تحصى فيكون ذلك النور نهراً يجري على هيئة الاستدارة الصحيحة أوّله في آخره ، فالوجه أبداً يمدّه منه فلا يستغني أبداً عن المدّ ولا يقف على حدٍّ فهو نهر يجري مستديراً قطبه ذلك الوجه من ذلك المنير فهذا حقيقة ما طلبتَ وما لم تطلب فإن ظهر لك فاحمد الله على جزيل نعمه وإن خفي عليك فاسأل الله الفتاح يفتح لك باب المعرفة .

واعلم وفقك الله أن الله سبحانه بلطيف صنعه لم يخرج شيئاً من خزائنه إلّا مبيناً مشروحاً على أكمل وجه ولكنه خلق الأشياء كما علمها فجرت في مراتب تكوينه مختارةً لِما يسّرها له لا يخالِف شيء منها محبّته وذلك كمال اختيارها ، فكان مما أجرى بجميل تدبيره أن جعل ما ظهر ظهر بيانه وما بطن خفي برهانه ، ولو أني حاولت في إظهار هذه التي أشرت إليها بالعبارة الظاهرة المعلومة عند العوام لعَمّيتُ الطريق وصعب المسلك لأن الأشياء إنما تحاول

بما يسهل فيها وهو العبارة الظاهرة للمعنى الظاهر والإشارة للباطن فافهم .

ومنها فقال أمير المؤمنين عليه السلام : (**إن العرش خلقه الله تبارك وتعالى من أنوارٍ أربعة : نور أحمر منه احمرّت الحمرة ، ونور أخضر منه اخضرّت الخضرة ، ونورٌ أصفر منه اصفرّت الصفرة ، ونور أبيض منه البياض وهو العلم الذي حمّله الله الحملة**) .

أقول : اعلم أن العرش يطلق ويراد به معانٍ مختلفة يعرف أحدها بالمقامات ، فهذا العرش هنا المراد به مظهر الرحمانية ومجمع صفات الإضافة وصفات الخلق قال الله تعالى : ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾ يعني استوى برحمانيته إلى كل شيء ، فأعطى كل ذي حقٍّ حقه ، وساقَ إلى كل مخلوقٍ رزقَهُ ، ومجموع هذه الأنوار الأربعة هي العرش بتمامه ، فالنور الأبيض هو الأعلى وهو عن يمين العرش أي ركنه الأيمن ، والنور الأصفر تحته والنور الأخضر عن يسار العرش وهو ركنه الأيسر ، والنور الأحمر تحته فالنور الأصفر ركن أيمن تحت الأبيض والنور الأحمر ركن أيسر تحت الأخضر .

وهذه الأنوار الأربعة هي : سبحان الله وهو الأبيض ، والحمد لله وهو الأصفر ، ولا إله إلّا الله وهو الأخضر ، والله أكبر هو الأحمر ، فهذه الأركان الأربعة هي جميع الوجود المقيد الذي أوله العقل الأول وآخره الثرى ، وقد جعل سبحانه لكل ركن ملكاً يحمله وهي : جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل ، ومعنى يحمله أن شؤونه منحصرة في هذا الملك ولكل ملك جنود من الملائكة لا يحصي عددهم إلّا الله فدار الوجود المقيد كله على هذه الأربع

المراتب وهو قوله تعالى : ﴿ خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ﴾ فالموكل بآثار الخلق جبرئيل من جهة النور الأحمر وإليه الإشارة بقول النبي صلى الله عليه وآله : **(الورد الأحمر من عرق جبرئيل)** ، والموكّل بآثار الرزق ميكائيل من جهة النور الأبيض وهو قوله صلى الله عليه وآله : **(الورد الأبيض من عرقي)** ، والموكل بالموت عزرائيل من جهة النور الأخضر ، والموكل بالحياة إسرافيل من جهة النور الأصفر قال صلى الله عليه وآله : **(الورد الأصفر من عرق البراق)** وكل ملك من هذه الأربعة يعينه على ما وُكِّل به ملكان بنصف قوتهما .

فالنور الأبيض ، هو القلم وهو اسم الله الذي أشرقت به السماوات والأرضون وهو ملك له رؤوس بعدد الخلائق من خُلِق ومن لم يخلق إلى يوم القيامة ، ولكل رأس وجهٌ ولكل آدميّ رأس من رؤوس العقل ، واسم ذلك الإنسان على وجه ذلك الرأس مكتوب وعلى كل وجهٍ ستر ملقًى لا يكشف ذلك الستر حتى يولد هذا المولود ويبلغ حدّ الرجال أو حدّ النساء ، فإذا بلغ كشف ذلك الستر فيقع في قلب هذا الإنسان نور فيفهم الفريضة والسّنة والجيّد والردي إلا ، **ومثل القلب كمثل السراج في وسط البيت** رواه في العلل عن علي عليه السلام وهو الركن الأيمن الأعلى من العرش الذي هو مظهر الرحمانيّة وهو الألف القائم وهو المعاني المجرّدة عن المدّة والمادّة والصورة وهو أوّلُ صوغٍ للموجوداتِ وهو القلم المذكور في الروايات عند مقام قاب قوسين وهو روح القُدس الأكبر وهو أوّل مخلوق ظهر بأوّلِ خلقٍ ، وهو أوّل الوجود المقيّد ، وهو العقل الأول الذي قال الله له : أدبر فأدبَر بالمعاني

فقال له : أقبل فأقبل بالأسماء الثمانية والعشرين التي أولها البديع وآخرها رفيع الدرجات ، وأركان الوجود الأربعة المخصوصة به تحمل آثارها عنه الملائكة الأربعة ، فجبرئيل يحمل عنه آثار ركن الخلق ، وميكائيل يحمل عنه آثار ركن الرزق ، وإسرافيل يحمل عنه آثار ركن الحياة ، وعزرائيل يحمل عنه آثار ركن الممات وظرفه أعالي الدهر القريبة من السرمد ، فنهاية أعلاه نهاية أعلى الدهر فهو في عالم الدهر كمحدّد الجهات في عالم الزمان ، وقد أشار العسكري عليه السلام إليه في قوله : (**وروح القدس في جنان الصاقورة ذاقَ من حدائقِنا الباكورة**) والصاقورة هي العرش المشار إليه وحدائقهم عليهم السلام غَرسوها بأيدٍ في الأرض الجرز التي هي الدواة الأولى ، قال الله تعالى : ﴿نٓ﴾ وهي الدواة الأولى ﴿وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ فالقلم هو هذا وما يسطرون وهو النور الأخضر ويأتي فافهم راشداً .

والنور الأصفر ، هو الروح قال صلى الله عليه وآله : (**أول ما خلق الله روحي**) وهو الركن الأيمن الأسفل من العرش المذكور وهو الروح الكلية ، قال الله تعالى : ﴿إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ﴾ وفي الحديث ما معناه (**إنّ البراق جناحها بين فخِذَيْها وعينُها في رجلها وأذناها تتحرّك أبداً**) وهو ثاني مخلوق بأوّلِ خلقٍ وهو البراق في الإشارة وهو الرقائق المجرّدة عن المادة والمدّة وهو برزخ بين معاني العقل وصور النفس وصورته بين صورة العقل وهي | وبين صورة النفس وهي ــــ فصورته هكذا ┘ ومثال الرقائق المشار إليها كالمضغة قبلها النطفة كالمعاني وبعدها الخلق الآخر كالصُّور وأركان الوجود الأربعة المختصّة به تحمل آثارها

عنه الملائكة الأربعة فجبرئيل يحمل عنه آثار ركن الخلق ، وميكائيل يحمل عنه آثار ركن الرزق ، واسرافيل يحمل عنه آثار ركن الحياة ، وعزرائيل يحمل عنه آثار ركن الموت وظرفه الدهر ونسبته من الدّهر نسبة فلك الثوابت المعبر عنه بالكرسي من الزمان فافهم راشداً .

والنور الأخضر ، هو الكتاب المسطور في رقّ منشور وهو ملك ، رواه سفيان الثوري عن الصادق عليه السلام وهو اللوح المحفوظ وهو (**الروح الذي هو على ملائكة الحجب**) كما ذكره علي بن الحسين عليه السلام في دعائه في الصلاة على حملة العرش وهو النفس الكليّة وهو ثالث مخلوق بأوّل خلقٍ وهو الصور المجرّدة عن المادّة والمدّة وهو شجرة طوبى وسدرة المنتهى وجنّة المأوى وفي تفسير التأويل هي النفس التي لا يعلم ما فيها عيسى عليه السلام وأركان الوجود المختصّة به تحملها الملائكة الأربعة ، فجبرئيل يحمل آثار ركن الخلق ، وميكائيل يحمل آثارَ ركن الرزق ، وإسرافيل يحمل آثار ركن الحياة ، وعزرائيل يحمل آثار ركن الموت ونسبته من الدهر كنسبة فلك البروج من الزمان أو كنسبة الكرسي في الصور وهو كمال الصوغ الأول للموجودات ، وعند علماء الصناعة يقولون هو التزويج الأول . وتحت هذا العالم نثر الخلقَ بين يديه كالذرّ يدبّون فخاطبهم بأعيانهم فسعد من سعد بإجابته وشقي من شقي بمعصيته وإليه الإشارة بقوله عليه السلام : (**السعيد من سعد في بطن أمّه والشقي من شقي في بطن أمه**) ، ويأتي بيان هذا إن شاء الله مشروحاً واضحاً في بيان حديث الطينة .

والنور الأحمر ، هو ملك كان من النور الأبيض والنور الأصفر

قالوا : إن الحمرة تتولد منهما واستدلوا على ذلك بحمرة الزنجفر وهو من الزيبق والكبريت الأصفر هذا على اعتبار ، وباعتبار آخر تولّد من الأبيض والأخضر أن الأبيض واحد والأخضر في الحروف الكونيّة اثنان ، وقالوا : إنّ الألف انعطف على الباء فكانت منهما الجيم وهو حرف النور الأحمر هكذا ≥ وهذه صورة الجيم وهو الركن الأيسر الأسفل من العرش المذكور وهو رابع مخلوقٍ بأوّل خلقٍ وهو الكسر الأول للموجودات بعد كمال الصوغ الأول في النور الأخضر وذلك بعد أنْ قال تعالى للمطيعين للجنّة : ولا أبالي ، وقال للعاصين للنار : ولا أبالي ، وأركان الوجود المختصة به تحمل آثارها الملائكة الأربعة فجبرئيل يحمل آثار ركن الخلق ، وميكائيل يحمل آثار ركن الرزق ، وإسرافيل يحمل آثار ركن الحياة ، وعزرائيل يحمل آثار ركن الموت ونسبته من الدهر كنسبة فلك المنازل من الزمان أو كنسبة الكرسي في حركته الواحدة فكان كل واحد من الملائكة الأربعة المذكورة يحمل أربعة أركان من الأنوار الأربعة من كل واحد ركن ، فجبرئيل يحمل آثار أركان الخلق من الأبيض ومن الأصفر ومن الأخضر ومن الأحمر ، وميكائيل يحمل آثار أركان الرزق من الأبيض ومن الأصفر ومن الأخضر ومن الأحمر ، وإسرافيل يحمل آثار أركان الحياة من الأبيض ومن الأصفر ومن الأخضر ومن الأحمر ، وعزرائيل يحمل آثار أركان الموت من الأبيض ومن الأصفر ومن الأخضر ومن الأحمر ، فيعملون في عالم الدهر وعالم الزمان وما بينهما وتحت كل واحد من الملائكة ما لا يحصي عددهم إلّا الله تعالى .

قال تعالى : ﴿ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴾ فمجموع ما سمعت هو

العرش وقوله عليه السلام : (**منه احمرت الحمرة**) معناه أن ذلك النور يظهر على الملائكة الأربعة وتؤدي آثاره إلى جنودهم الجزئية من الملائكة .

ثم اعلم أنّ فلك الشمس أول الأفلاك السبعة خلقاً وهي مظهر الوجود الثاني فتستمد من نفس الطبيعة الكلية وتفيضه على المريخ وتستمد من صفتها وتفيضه على الزهرة فتستدير الأفلاك وتلقي الكواكب أشعتها خصوصاً المريخ والزهرة بواسطة الجنود الجزئيّة على السحاب ويقع على الأرض ويختلط به نبات الأرض وفيه مبادئ الحمرة هذا والشمس تمدّ السفليات بألوان الحمرة في قبسات الأشعة وبواسطة الكوكبين فتظهر الحمرة في قابلياتها وهي من الطبيعة التي هي النور الأحمر ، ولهذا قال عليه السلام : (**منه احمرّت الحمرة**) وكذلك الخضرة فإن الشمس تستمد من نفس النفس الكلية وتفيضه على المشتري وتستمد من صفة النفس وتفيضه على عطارد تجري في تدبير ألوان الخضرة ما ذكر في الحمرة ، وتستمدّ من الروح من ذاتها وصفتها وتفيضه على باطن زحل وظاهر المريخ وتجري بإذن الله في تدبير ألوان الصفرة كما ذكر وكذلك البياض من نفس العقل على زحل ومن صفته على القمر ، وهكذا وفي بعض الروايات منه ابيض البياض وفي بعضها كهذه الرواية منه البياض وفي بعضها ومنه ضوء النهار ، وفي هذا سرّ اختلاف العلماء فيه هل البياض صبغ أم هو لونٌ هو الوجود والألوان تطرأ عليه ؟ فمن قال بالأول استدلّ بحديث منه ابيض البياض وحمل حديث منه البياض على أن البياض لمّا كان أوّل ظاهر على الشيء بعد وجوده شابه الذاتي فأطلق عليه عبارته ولأن الموجود مركب والأصل في

المركب اللّون ومن قال بالثاني استدل بهذا الحديث وحمل حديث ابيضّ البياض على بياض الوجود يعني أن الأصل فيه البساطة التي هي البياض ، وعندي أن الثاني أجود .

وبالجملة ، فالأنوار الأربعة هي العرش وهو ينقسم إليها وهي وأشعتها هي مجموع الوجود المقيّد الذي أوله الدُّرة وآخره الذرّة ، وأعني بأشعتها كل ما في الزمان من الأجسام والألوان من متحرك وساكن وجماد ونام والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على محمد وآله الطاهرين .

ومنها ما رواه في الكافي بسنده عن ربعي بن عبد الله عن رجل عن علي بن الحسين عليه السلام قال : (**إن الله عزّ وجلّ خلق النبيين من طينة عليّين قلوبهم وأبدانهم ، وخلق قلوب المؤمنين من تلك الطينة وجعل أبدان المؤمنين من دون ذلك ، وخلق الكفار من طينة سجّين قلوبهم وأبدانهم فخلط بين الطينتين فمن هذا يلد المؤمن الكافر ويلد الكافر المؤمن ومن هاهنا يصيب المؤمن السيئة ومن هاهنا يصيب الكافر الحسنة فقلوب المؤمنين تحنّ إلى ما خلقوا منه وقلوب الكافرين تحنّ إلى ما خلقوا منه**) .

اعلم أن الله سبحانه لم يخلق شيئاً فرداً قائماً لذاته للدلالة عليه بل كل مخلوق لا بدّ وأن يكون مركباً بسائطها ومركباتها فلا يكون شيء إلّا من وجود وماهية ، وبيانه أن الوجود لمّا خلقه الله تعالى انخلق أو لم ينخلق فإذا قلتَ : انخلقَ ، قلتُ لك : ضمير انخلق يعود إلى المخلوق والمخلوق لم يكن قبل انخلق فكيف يعود عليه ذكر ولم يك شيئاً ؟

وإن قلتَ : لمّا خلقه لم ينخلق ، **قلتُ** : إذاً ما كان والجواب أنه

خلقه فانخلق فخلْقه هذا وجوده وماهيته انخلق فالشيء إنما هو شيء بالوجود والماهيّة وهي الفعل والانفعال ، وهما متساوقان في الظهور لا يوجد أحدهما إلّا بالآخر وحقيقة هذا الوجود هو أثر المشيّة التي هي فعل الله وإبداعه فالإبداع بالله أخذ من هواء العمق الأكبر ثم أخرجه إلى ذلك الهواء لفظاً مركّباً من حروف وذلك اللفظ هو السحاب فأمطر من السحاب ماء على الأرض الجرز فخرج النبات ، فالسحاب هو اللفظ والماء هو الدلالة من خصوص المادة والهيئة والأرض الجرز هي أرض القابليات التي هي أرض الانفعالات كما ذكرنا ، فظهر المعنى من اللفظ كالثمرة من الشجرة .

ثم اعلم أن الشيء لا يكون إلّا على ما يمكن لذاته من المشيّة فألبسته المشيّة الحياة والعلم والقدرة وجميع صفات الكمال كلّ بحسبه وكانت جميع الخلائق في عالم البرائيّة سواء بالنسبة إلى الإمكان والاختيار ، فلمّا نثرهم بين يديه يد الرحمة ويد العدل قال لهم : ألست بربّكم ومحمد نبيكم وعلي وليكم وإمامكم ؟ قالوا : بلى ، فمنهم من قالها بلسانه وقلبه مؤمناً معتقداً فذلك المطيع فخلقه الله خلقاً ثانياً من طينة الطاعة التي هي طينة عليين ، ومنهم من قال : بلى منكِراً مستهزئاً فذلك العاصي فخلقه الله خلقاً ثانياً من طينة المعصية التي هي طينة سجين ، ومنهم قال : بلى غير منكر ولا معتقد فخلقه الله عزّ وجلّ خلقاً ثانياً من طينة البرزخ وهي طينة من الطينتين .

ثم اعلم أن قولنا : إن المخلوق أول مرة مركب من الوجود والماهية الذي هو الفعل والانفعال ﴿ وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ

لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾ نريد به الهيولي الأولى وهذا بعد التركيب هو الهيولي الثانية باصطلاحِنا لأنه في التمثيل مركب من المادة والصورة النوعية مثلاً كالخشب الذي هو صالح للباب والسرير والمداد الذي يصلح أن تكتب به الاسم الشريف والاسم الوضيع فهذا هو الخلق الأول ولمّا قال لهم : ألست بربّكم ؟ فمن أطاع خلقه من طينة الطاعة التي خلقها الله من رحمته وهي الصورة الإنسانية التي مقتضاها الطاعة والمعرفة بالاختيار وهي طينة عليين أي أعلى الجنّة وهي أرض الولاية العلوية المخمّرة بماء المحبّة الفاطميّة ومَنْ عصى خلقه من طينة المعصية التي خلقها الله تعالى بعدله وهي صور الحيوانات والحشرات والمقادير الشيطانية التي مقتضاها المعصية والإنكار بالاختيار وهي طينة سجّين وهي الصّخرة تحت الأرض وهي طينة الجحود والطغيان المخمرة بماء الحميم وهي منبت شجرة الزقوم فالطينة هي طينة الطاعة والمعصية لأن الطينة هي الصورة الفعليّة وهي متعلق الأحكام والمادّة الواحدة تختلف باختلاف الصورة اختلافاً ضدّياً لأن السامري لمّا صنع العجل من الذهب ووضع فيه من تراب الحياة خار لأنه صورة عجل فإذا حيى كان عجلاً لو صنع ذلك الذهب كلباً ووضع فيه ذلك التراب نبح وكان نجس العين ولو صنعه إنساناً ووضع فيه ذلك التراب تكلم وكان طاهر العين مثلاً فالأحكام والحقائق والطاعة والمعصية كلها من الصورة هي التي أشرنا إليه في الحديث في التأويل (**السعيد من سعد في بطن أمّه**) وهي الصورة كما يدل عليه كلام الصادق عليه السلام حيث قال : (**أن الله خلق المؤمن من نوره وصبغهم في رحمته فالمؤمن أخو المؤمن لأبيه وأمه أبوه النور**

وأمه الرحمة) فتأمل هذا الحديث الشريف ما أصرحه في المدّعى ألا ترى ما حكم به أهل الشرع فيما إذا نَزَا كلبٌ على شاةٍ فأولدها إن حكم ذلك المولود في الحل والتحريم والطهارة والنجاسة تابعٌ لصورته فإن كان شاة فحلال طاهر وإن كان كلباً فحرام نجس والمادة واحدة وإنما اختلفت الأحكام باختلاف الصورة فصور الطاعة في فلك البروج ﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾ وهم الكروبيون والأبرار هم خواصّ الشيعة وقد يطلق على خصيصي الشيعة بالنسبة إلى أئمتهم عليهم السلام وصور المعصية في الصخرة التي تحت الملك الحامل للأرض ﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ﴿٧﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ وهم خواصُّ أصحابِ الشمال .

وقوله عليه السلام : (**قلوبهم وأبدانهم**) فيه إجمال وتفصيل ذلك أنّ الله خلقهم من عليين يعني من غيب عليين خلق طينة أبدانهم وذلك الغيب هو غيب الكرسي والعرش وجسم الكل والمثال والهيولى والطبيعة الكلية والنفس الكلية والروح الكلية فهذه ثمان مراتب ، ومن سرّ ذلك الغيب خلق قلوبهم وخلق من فاضل طينة أبدانهم قلوب شيعتهم ومعنى قولنا فاضل نريد به الشعاع كما تقول نور الشمس الواقع ظاهراً على وجه الأرض هو من فاضل نورها القائم بجرمها وهو قوله عليه السلام : (**وخلق قلوب المؤمنين من تلك الطينة**) أي من فاضلها ، أي من شعاعها ، وإنما سمي الشيعة شيعة لأنهم من شعاع أئمتهم عليهم السلام أو من المشايعة وهي المتابعة والمعنى واحد ، وقوله عليه السلام : (**وجعل أبدان**

المؤمنين من دون ذلك) أي جعل أبدانهم من ظاهر عليين، فإن المؤمنين كل واحد خلق من عشر قبضات تسع من الأفلاك التسعة وقبضة من أرض الدنيا، ويأتي إن شاء الله تعالى تفصيل ذلك.

وقوله عليه السلام: **(وخلق الكفّار من طينة سجين قلوبهم وأبدانهم)** كما تقدم خلق قلوبهم من أسفل من سجّين وهو غيبها، وهو غيب الثور والحوت والبحر والريح العقيم وجهنّم والطَّمْطَام والثرى وما تحته، فهذه ثمان مراتب وخلق أبدانهم من عشر قبضات من سجّين والملك والأرضين السبع وسماء الدنيا.

وقوله عليه السلام: **(وخلط بين الطينتين)** أي طينة المؤمن وطينة خواص المكذّبين وذلك بعد أن كلّفهم في عالم الذر كلّف المؤمنين تحت النور الأخضر وكلّف المنافقين فوق الثرى، فلمّا حكم على أهل طاعته بمقتضاها وهو قوله للجنّة: ولا أبالي، وعلى أهل معصيته بمقتضاها وهو قوله للنار: ولا أبالي، وذلك بعد أن صاغ المؤمنين في النور الأخضر والمنافقين في الثرى كسرهم جميعاً فجعلهم تراباً. كسر المؤمنين في النور الأحمر وكسر المنافقين في الطمطام، ثم خلط الطينتين في هذه الدنيا فكرّت عليه العناصر الأربعة والأفلاك فنعمت الطينتان فصعدت في النباتات ثماراً جنيّة وحنطة وأرزاً وتمراً وعِنباً وغير ذلك.

ثم اعلم أنّ الله بلطيف صنعه قد خلق شجرة تحت العرش اسمها المزن ﴿ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ﴾، هو المنزل وهو العلي الحكيم وهو قوله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ وإنما ذكرت هذه الإشارات المغلقة استدعاءً لقرع الباب فإن من قرع الباب

أوشك أن يفتح له والحاصل وكانت شجرة المزن تقع منها النطف كقطر المطر اللطيف على الشجر والثمار المذكورة والبقول فما أكل تلك التي وقعت عليها تلك القطرة من شجرة المزن مؤمن أو كافر إلّا خرج من صلبه مؤمن وإنّ الله بلطيف صنعه أنبت شجرة الزقوم (**في أصل الجحيم طلعها كأنه رؤوس الشياطين**) وتلك الشجرة منكوسة عروقها في طينة خبالٍ وهي سجّين وثمارها في الجحيم .

وقوله : (**كأنه رؤوس الشياطين**) أي هو رؤوس الشياطين وتلك الشجرة تصعد منها أبخرة إلى أرض الدنيا فتقع النطف وهي القطر منها على الشجر والثمار المذكورة والبقول فما أكل تلك التي وقعت عليها تلك القطرة من شجرة الزقوم مؤمن أو كافر إلّا خرج من صلبه كافر والمعنى في ذلك أن قطر شجرة المزن تسري فيما لها من الطِيَن الطيبة بفتح ياء الطيَن حتى يكون المؤمن من الجميع وإن قطر شجرة الزقوم تسري فيما لها من الطيّن الخبيثة بفتح ياء الطين حتى يكون المنافق من الجميع فهذا معنى قوله عليه السلام : (**فمن هذا يلد المؤمن الكافرَ ويلد الكافرُ المؤمن**) ولمّا كانت الطينتان قد امتزجتا في الأرض والماء والهواء والنار والمطاعم كلها والملابس والأمكنة والأزمنة والصور كان المؤمن من جهة لطخ طينة الكافر يصيب السيّئة وكان الكافر من جهة لطخ طينة المؤمن يصيب الحسنةَ ومعني قولنا امتزجتا في الصور أنه سبحانه لما قال لهم : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ؟ ﴾ قالوا : بلى ، فمن قال بلسانه وقلبه عارفاً بما قال خلقه من طينة الطاعة وهي الإنسانية التي هي جوهرة كنهها الربوبيّة ومَن قال بلسانه خاصّة خلق صورته صورة إنسان لإقراره باللسان وقلبه وصورة حقيقته صورة شيطان وهي

صورة المعصية فامتزاجهم في الصورة الإنسانية ظاهراً فبالصورة الإنسانيّة الظاهرة أصاب الكافر الحسنة .

وقوله عليه السلام : (**فقلوب المؤمنين تحنّ إلى ما خلقوا منه وقلوب الكافرين تحنّ إلى ما خلقوا منه**) معناه أن قلوب المؤمنين خلقوا من فاضل طينة أئمتهم عليهم السلام ولمّا مزجت الطينتان إنما امتزجت طينتا الجسمين وأما طين القلوب فهي باقية على بساطتها ووحدتها لم تمزج بطين قلوب الكفار فلهذا إذا أصاب المؤمن السّيئة كان قلبه منكراً عليه ماقتاً له نادماً على فعله لأنه لا لطْخَ فيه وإذا ذكرت أئمّتهم عليهم السلام طارت قلوبهم إليهم بالاشتياق والوفاق لا ملاحظة رجاء ثوابٍ ولا ملاحظة دفع عقابٍ .

قال تعالى : ﴿ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ ﴾ وكذلك قلب الكافر لم يمزج بطينة المؤمن فكان إذا فعل بعض الطاعة كان قلبه كارهاً لها لأنها ليست من شجرته ولا من ثمرها وإذا فعل المعصية مالت نفسه وقلبه إليها لأنه منها وإذا ذكر أولياء الله استوحشوا وإذا ذكر أعداء الله أنِسوا وهو قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ ٱشۡمَأَزَّتۡ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ﴾ وأُخبرك وفقك الله أنّي لم أترك شيئاً من البيان فيما سألت عنه ، نعم قد يكون خفيّاً لعدم الإنس بالاصطلاح وقد يكون غفلتُ عنه ولا ريب أن الكتابة ليست كالمشافهة فإن المشافهة تطرد العصافير بقطع الشجرة لا بالتنفير والحمد لله ربّ العالمين .

ومنها عن إبراهيم عن أبي عبد الله عليه السلام قال : (**إن الله عزّ**

وجلّ لمّا أراد أن يخلق آدم عليه السلام بعث جبرائيل عليه السلام في أوّل ساعةٍ من يوم الجمعة) .

أقول : يريد بأول ساعة من يوم الجمعة أوَّل آخر مراتب العوالم وذلك لأن الله سبحانه خلق ألف ألف عالم ، وألف ألف آدم ، نحن في آخر العوالم وآخر الآدميين ، فيوم الجمعة هو يوم تم فيه مراتب الوجود الكلية ابتدأ من يوم الأحد وهو النور الأبيض ويوم الإثنين هو النور الأخضر ، وأما النور الأصفر فمتردد بين اليومين ويوم الثلاثاء هو النور الأحمر ويوم الأربعاء هو جوهر الهباء في العمق الأكبر ، ويوم الخميس هو المثال ويوم الجمعة يوم الجسم فهذه هي الستة الأيام التي خلق الله السماوات والأرض فيها وهي فصل الربيع والصيف والخريف والشتاء والمادة والصورة ، فكمال مراتب الوجود الكلية وتمامها وجود أبينا وذريته وزمانه وكان أبونا أول من وجد منّا فكان أوّل ساعة من يوم الجمعة .

قال عليه السلام : (**فقبض بيمينه قبضة فبلغت قبضته من السماء السابعة إلى السماء الدنيا وأخذ من كل سماء تربة وقبض قبضة أخرى من الأرض السابعة العليا إلى الأرض السابعة القصوى**) .

أقول : اعلم أن الله خلق الإنسان من عشر قبضات ومثّل عليه السلام بسبع قبضات إشارة إلى قوله ذكوان في قول الباقر عليه السلام : (**إن حديثنا صعب مستصعب أجرد ذكوان ثقيل مقنّع**) الحديث ، وإلاّ فهي عشر (**عشر قبضات**) قبضة من محدد الجهات خلق منها قلبه ، وقبضة من الكرسي خلق منها صدره ، وقبضة من فلك زحل خلق منها عقله ، وقبضة من فلك المشتري خلق منها علمه ، وقبضة من فلك المريخ خلق منها وهمه ، وقبضة من فلك

الشمس خلق منها وجوده الثاني ، وقبضة من فلك الزهرة خلق منها خياله ، وقبضة من فلك عطارد خلق منها فكره ، وقبضة من فلك القمر خلق منها حياته ، وقبضة من أرض الدنيا خلق منها جسده هذا خلق المؤمن . ثم لمّا أراد أن يخلق الكافر أمر الملك فقبض قبضة من الحوت الذي على البحر تحت الأرضين فخلق منها قلبه ، وقبضة من الثور فخلق منها صدره ، وقبضة من الأرض السابعة القصوى أرض الشقاوة ، فخلق منها دماغه ، وقبض قبضة من الأرض السادسة خلق منها علمه وهي أرض الإلحاد ، وقبضةً من الأرض الخامسة أرض الطغيان خلق منها وهمه ، وقبضة من الأرض الرابعة أرض الشهوة خلق بها وجوده الثاني ، وقبضة من الأرض الثالثة أرض الطبع خلق منها خياله ، وقبضة من الأرض الثانية أرض العادة خلق منها فكره ، وقبضة من الأرض الأولى أرض النفوس خلق منها جسده ، وقبضة من سماء الدنيا خلق منها حياته فهذا تفصيل القبضات وفي الحديث ذكرها مجملة .

قال عليه السلام : (**فأمر الله كلمته فأمسك القبضة الأولى بيمينه والقبضة الأخرى بشماله ، ففلق الطين فلقتين فذرأ من الأرض ذرواً ومن السماوات ذرواً ، فقال للذي بيمينه : منك الرسل والأنبياء والأوصياء والصديقون والمؤمنون والسعداء ومن أريد كرامته فوجب لهم ما قال كما قال ، وقال للذي بشماله : منكِ الجبارون والمشركون والكافرون والطواغيتُ ومن أريد هوانه وشقوته فوجب لهم ما قال كما قال**) .

أقول : قوله عليه السلام : فأمر الله كلمته يريد بالكلمة كلمة كن فالكاف إشارة إلى الكلمة التي انزجر لها العمق الأكبر وهي الكاف

المستديرة على نفسها وهي الاسم الذي استقر في ظله فلا يخرج منه إلى غيره ، والنون إشارة إلى الأرض الجرز والدواة الأولى وبينهما حرف وهو (و) لأن كن أصله كُونْ وإنما حُذفت الواو للالتقاء (**لالتقاء**) الساكنين إشارة إلى أنها موجودة في الكون مفقودة في العين والواو هي الماء الذي جعل الله منه كل شيء حي وهي في اللفظ الظاهر هي دلالة اللفظ على معناه فالماء هو الذي ساقه الله إلى الأرض الجرز فأنبت فيها ما شاء كما شاء فالكلمة في الحديث هي عالم الأمر وهي المشيّة والإبداع فأمسك القبضة الأولى التي من السماوات وهي الطينة الطيبة بيمينه واليمين هي يد الرحمة وهي باطن الولي ، يعني باطن الباب فاليمين هو الولي عليه السلام وهو يمين المشيّة وعدده بالجمل الكبير مائة وعشرة ، والمراد من القبضة هو التكليف الأول حين قال لهم : ألست بربكم ومحمد نبيكم وعلي وليكم ؟ فالتكليف من الله سبحانه بالكلمة المذكورة ويمين الكلمة يد الرحمة وهو الولي عليه السلام ، فلمّا قال الأولياء : بلى معتقدين دخلوا في الباب الذي باطنه فيه الرحمة فهذا معنى الإمساك لأنّ الطاعة هي الدخول في الولاية ، فمعنى قولنا : خلق من طينة الطاعة ، كقول أمير المؤمنين عليه السلام لكميل : (**فيلوح على هياكل التوحيد آثاره**) فظهور الآثار كهياكل التوحيد أنهم لمّا قبلوا التوحيد خلقهم كهياكل التوحيد ومثاله ، لمّا أن شعاع الشمس أطاعها وامتثل أمرها أظهرته كهيكلها منيراً حارّاً يابساً كهيكلها فإنها منيرة حارة يابسة وهذا معنى قولنا سابقاً خلقهم لمّا أجابوا من طينةِ الطاعة وهي الصورة الإنسانية ، ثم إنّ الكلمة أمسكت القبضة الأخرى وهي الطينة الخبيثة بشماله وهي يد العدل

وهو قوله تعالى : ﴿ وَظَاهِرُهُ ﴾ أي ظاهر الباب ، **من قبله العذاب** وذلك حين أنكروا فخلقهم من طينة المعصية أي إنكارهم الولاية وهي ظاهره من قبله العذاب وذلك معنى قوله صلى الله عليه وآله حين سئل : لِم كان عليّ قسيم الجنّة والنار ؟ قال : (**لأن الله خلق الجنة من حُبّه وخلقَ النّار من بغْضِه**) ، وقوله عليه السلام : (**ففلق الطين فلقتين**) معناه أنهم قبل التكليف الأوّل باعتبار إمكان الطاعة والمعصية بالنسبة إلى الفريقين شيء واحد ، وإنما افترقا بالطاعة والمعصية ، فمن أطاع خلق بصورة المطيع ومن عصى خُلق بصورة العاصي ، فهذا معنى فلقَ فلقتين وهو معنى **ذرأ من السماوات ذرواً ومن الأرض ذرواً** وهو معنى **فقال للذي بيمينه منك الرسل** الخ ، لأن كل هذه المعاني هي حكم : **ألستُ بربّكم** ، وقوله عليه السلام : (**فوجب لهم ما قال كما قال**) معناه أنّه خلق ما خلق على ما هو عليه وهو العليم الخبير لا يبخس مستحقاً ولا يظلم أحداً .

قال : (ثم إن الطينتين خلطتا جميعاً وذلك قول الله عزّ وجلّ فالق الحب والنوى ، فالحبّ طينة المؤمنين التي ألقى الله عليها محبّته والنوى طينة الكافرين الذين نؤوا عن كل خير) .

أقول : قد تقدّم بيان خلط الطينتين بعد أن كسرت طينة المؤمن في النور الأحمر وطينة الكافر في الطمطام ، فلا فائدة في إعادتها ولقد أوضحتُ لك في الطينة ما يرتفع به الجبر إذ ليس في الوجود جبر بل الله سبحانه مختار وفعله مختار ومفعوله مختار فليس جبر أبداً فافهم .

ومنها حديث **خمّرت طينة آدم بيدي أربعين صباحاً** .

أقول : الإشكال المسؤول عنه في لفظ **خمرت** وفي **بيديّ** وفي **أربعين صباحاً** لا تزيد ولا تنقص .

فالجواب ، عن الأول أن التخمير المراد به تنعيم أجزاء المخمّر وتكليسه بالحرارة والرطوبة المصلحين وهما في كل شيءٍ بحسبه وقد مر ذكر ذلك في الجملة وهو تخمير طينة آدم في عالم الجبروت في العقول وفي الأرواح وفي النفوس وحلّها في الطبيعة والمادة وعقدها في المثال وحلّها في الأجسام العلوية وفي الملائكة ، وفي الريح وفي السحاب والأرض وطينة ذريته في كل المراتب المتقدمة ، وفي أغذية النبات وفي الثمار وفي الطبخ بالماء والنار ، وعند الأكل بالتنعيم بالأضراس وفي المعدة حتى كان كيلوساً ثم كان كيموساً ثم غذاءً مشاكلاً مشابهاً ، ثم يكون نطفة في الأصلاب ، ثم في البيضة اليسرى حتى يبيض ، ثم في اليمنى حتى يصفو ، ثم في الرحم برطوبة الحيض وحرارة الحمى وهكذا حتى يخرج إلى فضاء الدنيا .

وعن الثاني أنه قد تقدم ذكر اليدين والمراد بهما يدا الكلمة التي انزجر لها العمق الأكبر وهما يد الفضل ويد العدل ، والكلمة هي الربوبية إذ مربوب ، ومعنى أنه سبحانه ربّ زيد أنه مالكه يعني أن جميع ذرّات وجوده التكويني والتشريعي كلها بيده سبحانه حين هي واصلة إليك كما هي قبل أن تظهر عليك فهي أبداً قائمة به قيام صدور لا قيام عروض وهو قول الرضا عليه السلام : (**هو المالك لما ملّكهم والقادر على ما أقدرهم عليه ومعنى**) ، أنه ربُّه أي مُربِّيه وهو المقدّر في التأليف ومقوّي الضعيفِ بحسن التقدير ، ولطيف التدبير ، ومعنى أنّه ربه أنه سائق رزقه الوجودي والتشريعي ومعنى

أنه ربّه أي صاحبه فهو معه في كل حال ، بمعنى أنه شيء بمشيته وهو معنى القيوميّة في كل شيء ، وأمّا الكلام في الربوبيّة إذ لا مربوب من حيث مبلغ الحادث فهو طويل عريض يفني الأيام ، وأمّا من حيث الذات فقد سدّت دونه الأبواب وليس للسائل عنه جواب إن في ذلك لعبرة لأولي الألباب .

وعن الثالث اعلم أنّ الله سبحانه خلق الحرارة من حركة الفعل الكونية وخلق البرودة من سكون المكوّن فنكحت الحرارةُ البرودةَ فأولدت الرطوبة ونكحت البرودةُ الحرارة فأولدت اليبوسة فكانت الطبائع الأربع ، فأدار بعضها على بعض فتولدت العناصر وهو الدور الأول فأدار العناصر بعضها على بعض فتولدت المعادن وهو الدور الثاني ، وأدار الجميع بعضه على بعض فتولدت النباتات وهو الدور الثالث ، وأدار الجميع بعضه على بعض فتولدت الحيوانات فهذه هي الأدوار الأربع ، الرابع منها هو تمامها وقد قلنا سابقاً : إن الإنسان خلق من عشر قبضات ، وقد مرّ ذكر ذلك وكلّ قبضة إنما وجدت على هذا الترتيب بأن كوّرت أربع كورات ورابع كل قبضة هو تمامها ، فالعشر بغير التمام ثلاثين وبالتمام أربعين وهو قوله تعالى : ﴿ وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ﴾ ، فكان الفاعل واحداً والفعل واحداً والمفعول واحداً ، فمعنى أنه خمّر طينة آدم أربعين صباحاً مثلاً القبضة التي من محدّد الجهات خمّر في أول يوم العناصر عناصرها وفي أول ثاني يوم معدنها وفي أوّل ثالث يوم نباتها ، وفي أوّل رابع يوم حيوانها ، فالعشر القبضات كل قبضةٍ أدارها أربعة أدوار فهذه أربعين وهي مراتب الوجود ، وقوله صباحاً يشير به إلى أوّل اليوم .

ثم اعلم أن هذا التدوير إن كان في الغيب فهو في اصطلاحنا كَور ، وإن كان في الشهادة فهو دور .

والحمد لله وحده ، تمت بقلم المجيب أحمد بن زين الدين الأحسائي يوم الثلاثين من جمادى الأولى سنة ١٢٢٣ حامداً مصلياً مستغفراً .

* * *

رسالة في جواب
بعض الأجلّاء

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على محمد وآله الطاهرين .

أما بعد ، فيقول العبد المسكين أحمد بن زين الدين الأحسائي : إنه قد التمس مني بعض السادة النبلاء والأجلاء الفضلاء أن أكتب على بعض مسائل له بعض البيان وكان ذلك في حال تفرّق البال وتشتّت القلب بالحل والارتحال فلم يمكنني [يمكنّي] إلّا الإجابة ولو باليسير إذ لا يسقط بتعذّر الكثير وإلى الله المصير .

قال سلّمه الله : **السؤال الأول** : قوله تعالى : ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴾ وفي الخبر حشر الخلائق إلى الله تعالى .

أقول : معنى إنّا لله إقرار لله تعالى بالملك أي إنّا مُلكٌ لله وهو مالكُنا وصدق هذا الكلام من العبد تحقق العبوديّة وإخلاص العبادة والعبوديّة هي رضا ما يفعل والعبادة فعل ما يرضى ، وأمّا وإنا إليه راجعون وهو المسؤول عنه ، فاعلم أن الله سبحانه خلق الخلق لا من شيء ولا لشيء بل اخترعهم اختراعاً وابتدعهم ابتداعاً اخترَعَ وجوداتهم لا من شيء بفعله ولم يكونوا قبل الاختراع شيئاً ، وإنّما كانوا أشياء بالمشيّة ولهذا قال علي عليه السلام في خطبته يوم الجمعة والغدير : (**وهو منشىء الشيء حين لا شيء إذ كان الشيء من مشيّته**) انتهى ، وكل موجود إنّما تتحقق شيئيته بوجوده وماهيته

في المشخّصات الستة : الوقت والمكان والجهة والرتبة والكم والكيف وقبل ذلك لا شيء ، وإنما كان الشيء بمشيته ومرجع كل شيء إلى مبدئه فنحن بدأنا اللهُ بفعله وإلى ما بدأنا نعود ولم يبدأنا من فعله لنعود إلى نفس فعله ، ولكنّا صدرنا من العمق الأكبر وهو أرض فعله وإلى ما بدأنا منه نعود فعودُنا إلى فعلِ الله هو عودُنا إلى ما بُدِئنا منه وعودُنَا إلى فعل اللهِ هو عَوْدُنا إلى اللهِ فمعنى إنّا لله وإنّا إليه راجعون ، أي إلى ما بُدِئنا مِنْهُ وَهُوَ مُلْكُه ويعود ملكه إلى ملكِه وهذا معنى ألا إلى الله تصير الأمور ، وكذلك حَشْر الخلائق إلى الله تعالى .

قال سلّمه الله تعالى : **السؤال الثاني** : من كلمات الإشراقيين بسيط الحقيقة كل الأشياء .

أقول : هذه العبارة غير صحيحة فإن صحّت بتأويلها بطل لفظها ، وإن كانت على ظاهرها بطلت ظاهراً وباطناً ، وبيان ذلك إن أريد بها أن بسيط الحقيقة لا بدّ وأن يكون كاملاً مطلقاً فتكون جميع الكمالات حاصلة لذاته فلا يفقد شيئاً يحتاج إليه شيء وما يدلّ على هذا المعنى ، فنقول : ما يحتاج إليه المخلوق إن كان هو نفس ذاته تعالى بلا مغايرة لا ذاتاً ولا اعتباراً ولا فرضاً واحتمالاً ، فهذا حق ولكن الأشياء بحذافيرها من الدُّرة إلى الذَّرة غيره ، فإذا قال بسيط الحقيقة كل الأشياء دلّت العبارة على أنه سبحانه كل الحوادث لأن الأشياء حوادث ، وبطلان هذه العبارة ظاهر لأن الحوادث في الإمكان والواجب سبحانه أزلي وليس في الإمكان ، ولا الإمكانيات منه شيء بكل اعتبار وفرض لا بالوجوب ولا بالإمكان .

وإن كان أنّها تقوّمت بفعله فحق ولكن ليس فعله ذاته لأن فعله في الإمكان ، وإن قال : ما يحتاج إليه المخلوق ليس هو نفس ذاته ، وإنما هو مغايرٌ لذاته كان ذلك حادثاً فيكون ما تقوّم به حادثاً وهو حق ، ولكن لا يكون حينئذٍ بسيط الحقيقة كُل الأشياء إذ لا يجوز أن يقال بسيط الحقيقة كلّ الحوادث ، وإن قيل : نريد أن الحادث هو الله بدونِ هُوَ كما قالوا في أمثلة ذلك كالموج في البحر وكالحروف في الصوت وذلك ما يقوله أهل التصوّف إنا الله بلا أنا فالبطلان أظهر لأن ذلك هو وحدة الوجود المجمع على تكفير معتقِدها وأمثال ذلك من الاعتقادات المخالفة للحق ، وإن قيل : المراد أنه هو شيئيّة الأشياء إذ لا شيئيّة للأشياء غير شيئيّة ذاته التي هي ذاته ، فهو بهذا المعنى كل الأشياء فهو أيضاً باطل لأنّ تلك الشيئيّة التي هي شيئيّةُ ذاته إن كانت شيئيّة للأشياء لم تكن شيئيّة لذاته ، وإن كانت شيئيّة لذاته لم تكن شيئية الأشياء إذ الأشياء غيره وإن لم تعتبر للأشياء شيئيّة فلا معنى لكون بسيط الحقيقة كل ما ليس بشيء وإلّا فهو كل شيء فلا يصح من هذا شيء ، وإن أريد أن كل ما سيكون فهو أصله ، وأنّ المراد من العبارة ذلك فلا يصح أيضاً ، إذ ما سيكون أصله من الإمكان لأنّ أصله الوجود المخترع وهو من الإمكان خلقه تعالى لا من شيء لا من ذاته وإلا لامتنع ذلك إذ لا تتغيّر حال الواجب ولا تجري فيه الخلق ولا يخرج من أزليّته شيء ولا يدخلها شيء ، ولا من فعله لأن فعله شيء فلا يصدق أنه لا من شيء ، وإنما اخترعه بفعله لا من شيء ولا شيئية للمحدث إلّا الوجود والماهية المحدثين لا مِن شيء ، ولو قيل : إنه من فعله كما يقوله ضرار وأصحابه لم يصحّ أن يكون البسيط كل

فعله وما مِن فعله كما مرّ وبالجملة فقول كل الأشياء باطل من جهة المعنى والعبارة شرعاً وعقلاً وليلبسوا عليهم دينهم ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ .

قال أيده الله تعالى : السؤال الثالث : عن النبي صلى الله عليه وآله : (**اللهم أرِنا الأشياء كما هي**) .

أقول : إنّ الأشياء قد ذكرنا في كثير من أجوبتنا أنها بجميع ما لها ممّا تتحقق به في كل اعتبارٍ إنما تقوّمت بفعل الله قيام صدور أبداً إذ لو كانت قائمة في آنٍ لا كذلك لزم استغناؤها في آنٍ ، ولو جاز ذلك جاز استغناؤها أبداً فلا تكون مخلوقة ، فإذا رأى الأشياء على ما هي عليه كما ذكرنا من قيامها بالفعل قيام صدورٍ أبداً عرف الله سبحانه كما أشار سبحانه له صلى الله عليه وآله في قوله تعالى : ﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴾ فافهم الإشارة .

قال سلّمه الله تعالى : السؤال الرابع : رؤية الحق تعالى شأنه للسالك العارف هل هو منحصر بتجلّياته سبحانه في مجالي الآثار ومرايا الأفعال ، وكلام قبلة العارفين سيد الشهداء والصديقين عليه السلام ، وملائكته أجمعين في دعاء عرفة (**عميت عين لا تراك [ولا تزال] عليها رقيباً**) وكلام سيد الوصيّين أمير المؤمنين عليه وعلى أبنائه صلوات المصلين : (**ما رأيت شيئاً إلّا ورأيت الله قبله**) ، محمول على هذا المعنى أم حصل الانكشاف الذاتي .

أقول : اعلم أن حقيقة رؤية الحق رؤية القلوب له سبحانه رؤية الإيمان به في أفعاله وآثاره وأوامرِه ونواهيه ، إلّا أنه إذا انكشف

للعارف الغطاء والحجاب رأى ظهورَ الله سبحانه له في آثاره وأفعاله وأوامره ونواهيه مغيِّباً لها في ظهوره بحيث لا يرى سوى ظهوره له وإليه الإشارة بقول سيد الشهداء عليه السلام : (**أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المظهر لك متى غِبتَ حتى تحتاج إلى دليلٍ يدل عليك ومتى بعدت حتى تكون الإشارة هي التي توصل إليك**) فافهم .

قال سلّمه الله تعالى : ما المراد من هذا الخبر **إن شر الثلاثة ولد الزنى** .

أقول : هذا الخبر له معنيان ظاهر وباطن ، أما الظاهر فيراد منه الكلب والكافر وولد الزنى وذلك في حكم النجاسة على احتمال بعض أو أنه شرّ من أبيه الزاني وأمه الزّانية لأنهما قد يتوبان فيدخلان الجنّة وولدهما وإن عمل صالحاً لا يدخل جنّة المؤمنين ، وإنّما يدخل أسفل جنان الحظائر فهو شر الثلاثة ، **وأمّا الباطن** فالمرادُ به الأعرابيّة الثلاثة لأن الثاني ولد زنى وهو شرّهم بمعنى أغلظهم وأشدّهم نكراً .

قال أيده الله تعالى : **السؤال السادس** : في الخصال عن أحدهما عليهما السلام أمر الله تعالى الفلك في دولة السلطان العادل ببطء حركته لتطول دولته وبالسرعة في دولة السلطان الجائر لزوال دولته هذا الخبر منقول بالمعنى لمحو ألفاظه الرائقة من خاطري الفاتر .

أقول : الأخبار دالّة على ذلك ولا محذور في ذلك المعنى وما توهّمه أهل الهيئة من امتناع ذلك لا أصل له ، ودعوى فساد العالم بذلك باطلة لأنّ حركة الفلك إما طبيعية جبليّة أو نفسانية حيوانية متحركة بالإرادة الاختياريّة أو بملائكةٍ تديرها ، فإن كانت طبيعيةً

جبليّة فاعلم أنها إنما تحرك الفلك بمن وكّل بها مِنْ ملكٍ والملك تسبيحه وغذاؤه الطاعة ، فإذا كان السلطان عادلاً وانتشر العدل في الرعيّة وكثرت طاعتهم وتستريح الملائكة بذلك لأن قوتهم إنما تحصل لهم بكثرة الطاعات ، وبها يديرون الفلك وإدارتهم الفلك هو نفس طاعتهم وعين عبادتهم التي يقوّون بها ، فإن حصل لهم معونة من أهل الأرض بالطاعة خفت عليهم ذلك وأبطؤوا بالحركة للفلك التي هي طاعتهم التي بها حفظ النظام ، وإن كان السلطان جائراً كان الجور مفسداً للنظام السفلي ، كما أن العدل مصلح له فتسرع الملائكة بالإدارة للفلك لئلّا يفسد النظام دفعة حفظاً لأصل ذلك ويلزم من سرعة الفلك قصر الأعمار وضيق الأرزاق وتعسير قضاء الحوائج ، وكلما اشتد ذلك عليهم ظلموا وجاروا وكلّما ظلموا وجاروا أسرعت الملائكة بالحركة ، وهكذا ولا يلزم من السرعة والبطء الفساد المتوهم لأنّ النظام يترتب على ما جرت عليه الحركة المتّسقة ولا يفسد إلّا بالحركة المختلفة ، إذا لم تَتَّسِق كما لو تحرك بسرعةٍ دقيقة وببُطءٍ دقيقتين وبسرعة خمس دقائق وهكذا ولم يحصل الاتساق في الأدوار فذلك يفسد به النظام ، أما لو أسرع متسقاً أو أبطأ متسقاً أو اختلف متِّسقاً في أدوار لم يبطل به النظام في أصله ، وإن كان أحسن ذلك البطء المعتدل كالنبض فإنّه إذا اعتدل بدن الإنسان وكان صاحب مرة سوداء صافية كان نبضه بطيئاً معتدلاً ولو لم تكن صافية ، كان بطيئاً مفرطاً أو صفراء كان سريعاً مفرِطاً أو دماً كان سريعاً غليظاً أو بلغماً كان بطيئاً غليظاً وكلها خارجة عن الاستقامة ولو اختلف غير متسق كان علامة الهلاك .

وإن كانت الحركة حيوانية نفسانية فكذلك لأن استمدادها من فاعلها بواسطة انفعالات قوابلها فكلما حصل للقوابل مفسدات أسرعت الحركة لذلك كسرعة النبض عند زيادة الصفراء ويحدث من إسراعها سبب إسراعها كالمحرور يتابع التنفّس لشدة الحرارة ليبرّد بالنفس جوفه ويكون ذلك مجفّفاً لرطوبة جوفه ويلزم منها زيادة الحرارة ، وإذا حصل للقابل مصلِحات أبطأت حركتها لاستراحتها من شدّة الإصلاح بإصلاح القوابل منها كإبطاء النبض إذا سكنت الحرارة ، وإن كان مدبر الفلك ملائكة فكما سبق فافهم .

قال أيده الله تعالى : **السؤال السابع** : أهل النار بعد استقرارهم في سقر وتألمهم بألوان العذاب هل يحصل لهم المحيص مما فيه أم كلّما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها حكم مؤبدي كما هو مؤدى كلّما .

أقول : إن أهل النار يتألّمون بلا انقطاع لتألّمهم أبداً ولا نهاية لذلك ، وقد ذكرنا أدلة كثيرة على ذلك لا مردّ لها ومن توهّم ذلك من علمائنا فالسبب في توهّمه الاستئناس بكلمات أهل التصوف والبدع الذين أدخلوا في الدين ما ليس فيه ، فلمّا أنسوا بكلماتهم تلوّنت أفهامهم بألوان أفهامهم ونظروا في أدلتهم بعين الرضا والميل فقبلوها مع أنك إذا نظرت بعين الإنصاف إلى آيات القرآن وأخبار أهل العصمة عليهم السلام ظهر لك أنهم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفّف عنهم من عذابها أبد الآبدين ، ومن الأدلّة القاطعة دليل الحكمة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ، هو أن الله سبحانه خلق كل شيء وجعل لكل شيء ضدّاً وعكساً ليعلم ألّا ضد له ولا عكس ، فخلق الجنة ونعيمها وجعلها لا نهاية

لها ولا نهاية لنعيمها وخلق ضدها وهو النار ولا نهاية لها لأنها ضد ما لا نهاية له وخلق عذابها ضدّاً لنعيم الجنة ولا نهاية له لأنه ضد ما لا نهاية له ، بل كلما تطاولت الدهور اشتد تألمهم كما أن أهل الجنّة كلّما تطاولت الدهور اشتد نعيمهم ، وبالجملة لو جاز انقطاع التألم جاز فناء النار لأن النار إنّما هي نار بالحرق المستلزم للتألم ولو جاز ذلك جاز في الجنة وهو باطل بالضرورة .

قال أيده الله تعالى : أهل الجنة بعد عروجهم على درجاتهم الحقيقية على حسب اختلاف مداركهم ومراتبهم هل يتمنى الداني مرتبة العالي أم لا ، وعلى فرض التمني هل يمكن له الارتقاء إلى درجته أم لا ؟

أقول : إن التمني لا يكون إلّا فيما لا طمع فيه أو ما فيه عسر وأهل الجنة لا يتصوّر ذلك في حقهم ، بل كل ما يشاؤون فهو حاصل بمجرد الإرادة من دون طلب ، وأيضاً إنما يتمنى المرء الشيء إذا كان له إليه حاجة ، ولا حاجة لأهل الجنّة بالقوة بل كل مطالبهم بالفعل وإن كانت على التدريج فإنما ذلك بتوقيتهم نعم أهل الجنة حكم شهواتهم ومطالبهم على مقتضى الأمر المحكم والعلم المتقن ، فلا يصدر عنهم ما يخالف الحكمة إلّا أنهم يتعارفون بينهم فيعرف الأدنى شرف الأعلى من غير ميل إلى مرتبته فلا يتألم بفقدها ولا يندم ولا يختلف عليه حال لاستغنائه لأنه لا يشتهيها أصلاً ويعرف الأعلى قصور الأدنى عن رتبته فيتنعم بذلك من غير ازدراءٍ لرتبة الأدنى لمثل هذا فليعمل العاملون .

ولا حول ولا قوة إلّا بالله العلي العظيم وصلّى الله على محمد وآله الطاهرين والحمد لله ربّ العالمين ، تمت.

رسالة في جواب
بعض العارفين في الرؤيا

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله ربّ العالمين ، وصلّى الله على محمد وآله الطاهرين .

أما بعد ، فيقول العبد المسكين أحمد بن زين الدين الأحسائي : إنه قد سألني بعض السادة الأجلاء العارفين الطالبين للحق واليقين عن مسألة جليلة لم يتنبّه لها أحد ولم تذكر في سؤال ولا جواب فيما وقفت عليه أو سمعتُ به وحيث وجبت عليّ إجابته لأنه من أهل الحكمة ولا يجوز أن يمنع منها فيكون مظلوماً ، جعلت سؤاله متناً والجواب شرحاً كما هي عادتي في سائر الأجوبة قصداً لكمال البيان ، فأقول وبالله المستعان .

قال سلّمه الله تعالى : في الحديث إن الشيطان لم يمكن له في الرؤيا أن يمثل نفسه بصورة الأنبياء والأولياء عليهم السلام والصلاة ما لِمّه وسَبَبُهُ مع أن الأولياء يجيئون في أي صورة شاؤوا وعلى أنه يمكن لشياطين الجن والإنس في اليقظة أن يدّعوا النبوّة والولاية كما وقع غير مرّة ولم لا يمكن أن يدّعوا ذلك في الرؤيا ورؤيا جناب فاطمة الزهراء عليها السلام مشهورة وهي بظاهرها منافية لهذه الرواية فكيف التوفيق والجمع والالتماس من جنابكم أن تشرحوه حقّ شرحها وما أجركم إلّا على ربّ العالمين .

أقول : إنّ الروايات الدّالة على هذا المعنى متواترة معنًى من الفريقين ولا ينبغي التوقّف في هذا المعنى وهو أن الشيطان لا

يتصوّر بصورة النبي صلى الله عليه وآله ولا بصورة أحدٍ من أوصيائه عليه وعليهم السلام ، ولا بصورة أحدٍ من شيعتهم كالأنبياء والرسل والأوصياء والشهداء والصالحين من المؤمنين من الأولين والآخرين ولكن لهذا المعنى شرط وهو الذي خفي على الأكثر والأصل في الرؤيا أن النفس تلتفت بوجهها وهو الخيال إلى جهة المرئي فتنطبع فيه صورته والصورة هيئتها على نسبة هيئة المرآة وكمّها وكيفها من الطول والعرض والاستقامة والاعوجاج ومن الكبر والصغر ومن لونها من بياض وسواد وغير ذلك ، والأخبار لها أو عنها إنما هو باعتبار ما هي عليه في حقيقة ما هي منطبعة فيه لأنّ الموادّ لا تناط بها الأحكام إلّا باعتبار صورها لأنها هي منشأ الحقيقة الثانية التي يناط بها الحكم والحقيقة المحكوم عليها من المرئي ، إنّما هي ما عند الرائي لأنه هو صاحب الصورة التي تكون بها الحقيقة المحكوم عليها فالمحكوم عليه بالإخبار عنه أو له ليس خارجاً عن الرائي فعلى هذا يظهر لك وجه الشرط المذكور وهو أن تعتقد في المرئي كما هو عليه فلو اعتقد في زيد المؤمن الصالح أنّه خبيثٌ تصوَّر الشيطان له بصورته لأنه لم يقابل خياله إلّا جهة ما توهّمه وهو أحد مظاهر الشيطان ، ولم يقابل خياله جهة الخير الذي هو حقيقة زيدٍ المؤمن فإنّه من مظاهر الوجود الذي هو أحد مظاهر الله ولو تصوّر الشيطان في أحد مظاهر الله احترق ، فقد نقل أن إبليس اللعين لمّا تجلّى لموسى ربّه بقدر خرق الإبرة من نور الستر هرب إبليس إلى أسفل السافلين وإلا لاحترق فإذا ذكر الإنسان زيداً من حيث إنّه صالح أي مطيع لله وعبد ظهرت عليه آثار رُبوبية الله في عبوديته من الطاعة وأعمال الخير ، فقد ذكر الله وهل يكون للشيطان

مدخل في ذكر الله ، فإذا جرى ذكر النبي صلى الله عليه وآله على قلب المؤمن أو الإمام عليه السلام أو أحد من الشيعة من حيث هم شيعةٌ ومطيعون لله فقد ذكر الله وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى : ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴾ يعني أن الغاوين الذين اتبعوا الشيطان له عليهم سلطان وذلك لو أن رجلاً ظنّ في النبي صلى الله عليه وآله أو أحد الأئمة عليهم السلام أو شيعتهم أو تصوّر ذلك سوءاً تصوّرَ له الشيطان في صورتهم له لأن معنى قولهم عليهم السلام في صورتهم في الصورة التي عنده التي تصوّرها من صورتهم التي تخيّلها من وهمه وما يظنّ فهي في الحقيقة صورة ظنّه لما قلنا : إن الصورة حالها على هيئة المرآة وكمّها وكيفها ونسبت الصورة إليهم لنسبة المتصوِّر لها إليهم فافهم .

وأمّا إنهم عليهم السلام يجيئون في أي صورةٍ شاؤوا فهو حقّ لأن جميع الصور لهم فيلبسن منها ما شاؤوا لكنهم لا يلبسون صور الشياطين والكلاب والخنازير لأنّ هذه ليست لهم ولا من سنخهم وإن كانت بهم وإنما يلبسون أحسن الصور وأطيبها والشيطان لا يلبس أحسن الصور لأنها ليست له ولا من سنخه ، فإذا ظهر الشيطان في صورة حسنةٍ فهو كظهورِ بعض الكفّار في الصورة الحسنة وليست في أصل خلقتِهم فإنّ الصُّور الحسنة من الوجود وتنزع منهم فلا يدخلون النار بها وإنّما يدخلون بصورهم الحقيقيّة كلاباً وخنازير فكما أن المؤمن لا تعجبه صورة الكافرة الجميلة لأنّه يراها قبيحة في نظره كذلك لو ظهر له إبليس في صورة حسنة رآه قبيحاً لأنّه ينظر بنور الله فلا يظهر له في الرؤيا بصورة أهل الحق

لأنّه لا يراه إلّا بصورة أهل الباطل كما قرّرنا .

فإذا ادّعى شيطان في اليقظة أنه نبي أوْ إمام لا يظهر بصورة مَنِ ادّعى رتبته فيعرفه المؤمن البتّة فيظهر له القبح في الأعمال والصفات ولا يمكنه أن يظهر الحسن حينئذ في الأعمال والصفات لأنّه إن أظهر ذلك بحيث تخفى على المؤمن وجب على الله في الحكمة أن يكشف ستره وإلا لكان مغرياً بالباطل تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً ، نعم ذلك يخفى على أوليائه لأنّهم لا يعرفون الفرق بين الحق والباطل ولا يعرفون صفة النبي والإمام فيكتفون بمجرّد الدعوى إنّما سلطانه على الذين يتولّونه والذينَ هُمْ به مشركون على أن الله سبحانه يبيّن لأوليائه بطلان دعواهُ لتقوم عليهم الحجة البالغة على أن الدعوى في اليقظة يرجع التعلّق فيها إلى نفس المدّعي لا إلى صورة الرائي ، كما في الرؤيا ولهذا تراه في أمر الطيف بالعكس يقول : رأيتُ في المنام رسول الله صلى الله عليه وآله وفي أمرِ اليقظة يقول : رأيتُ رجلاً يدّعي أنه رسول الله صلى الله عليه وآله ولا بُدَّ أن ينكشف ستره كما ذكرنا وذلك كما نقل في تفسير قوله تعالى : ﴿ **ولقد فتنّا سليمان وألقينا على كرسيّه جسداً ثم أناب** : **إن صخراً الجنّي تصوَّر في صورة سليمان عليه السلام فأتى جاريتَهُ فأخذ الخاتم منها وكان سليمان عليه السلام إذا أراد الجماع نزع الخاتم وأعطاه الجارية حتى يغتسل فلمّا أخذ الخاتم قعد على كرسي سليمان عليه السلام فانقادت له الجن والإنس وأتى سليمان عليه السلام ، وقال : أنا نبي الله سليمان فضربوه وطردوه وقالوا نبي الله على تخت الملك وبقي يدور في مملكته لا يجد من يطعمه قرصاً وذلك الخبيث قاعد وكان يأتي**

نساء سليمان عليه السلام في الحيض فقلن : يا سبحان الله ما كانت عادة نبي الله يفعل هكذا وكان يضرب أم سليمان وهي تقول : كان ابني أبرّ الخلق بي فكيف يضربني ؟ وهكذا من الأمور التي كشف الله بها ستره لئلاّ تكون للناس على الله حجة وبقي أربعين يوماً ثم لمّا كاد يخفى أمره أمر الله ملكاً فزجره فهرب ورمى الخاتم في البحر فالتقمه حوت صغير وكان سليمان عليه السلام يدور على ساحل البحر فرأى صيّاداً فسأله شيئاً فأعطاه سمكة فأخذها سليمان عليه السلام فشقها فإذا الخاتم فيها) الخبر .

فاعتبر بمن تشبّه في اليقظة بالأنبياء عليهم السلام كيف فضحه الله بأفعاله ثم لم يمهله وقد تقدم الفرق بين الرؤيا واليقظة في أصل إسناد الأخبار عنه أوْ لَهُ .

وأمّا أمر رؤيا فاطمة عليها السلام ومختصر معناه أنّها رأت أنّ أباها صلى الله عليه وآله وبعلها وابنيها عليهم السلام خرجوا إلى حديقة بعض الأنصار فذبح لهم عناقاً وطبخ واجتمعوا عليه فأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله منه لقمة فوقع ميتاً ، وأخذ عليٌّ لقمة فوقع ميتاً ، وأخذ الحسن لقمة فوقع ميتاً ، وأخذ الحسين لقمة فوقع ميتاً ، فانتبهت محزونة كاتمة أمرها فأتى رسول الله صلى الله عليه وآله وخرج بهم أجمعين إلى الحديقة المعلومة فذبح لهم عناقاً وطبخ ووضع بين أيديهم وفاطمة عليها السلام معهم ، فلمّا أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله منه لقمة بكت فاطمة عليها السلام ، فقال لها : ما يُبكيكِ ؟ فأخبرته برؤياها فاغتمّ لذلك فنزل جبريل عليه السلام وأتى بذلك الشيطان وقال : يا محمد هذا موكّل بالرؤيا واسمه الرُّها فإن شئت أن تذبحه فافعل فأعطى النبي صلى الله عليه

وآله العهدَ والميثاق أنّه لا يتصوّر في صورته ولا في صورة أحد من خلفائه المعصومين عليهم السلام ، ولا في صورة أحد من شيعتهم ، فاعلم أنَّ الله سبحانه لما كان فعله للأشياء إنّما هو على ما هي عليه اقتضت الحكمة أن يكون ذلك على الاختيار ومقتضى الاختيار والقدر أن يجري الصنع على الأسباب فاقتضت الحكمة أن يجري حكم أن الشيطان لا يتصوّر في صورهم الذي هو شأن الإمضاء وشرح العلل والبيان في قوله تعالى : ﴿ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ ﴾ على تقدّم هذه الرؤيا لتكون سبباً لإمضاء أن الشيطان لا يتصوّر بصورهم كما في نظائره مثل صمت الحسين عليه السلام ولم يتكلم حتى خيف عليه الخرس فلمّا كبّر جدّه صلى الله عليه وآله في الصلاة كبّر فكبّر رسول الله صلى الله عليه وآله فكبّر الحسين عليه السلام حتى فعل سبعاً ليكون ذلك علةً وشرحاً لاستحباب التكبيرات الست في الافتتاح للصلاة ، فإذا عرفتَ الإشارة ظهر لك أن هذه الرواية لا تنافي الروايات لأنّها وجدت للبيان والشرح الذي هو سرّ الإمضاء للأشياء ، فجرى الوجود على النظام التّام والأمر المتقن إِذْ ليس ما جرى على فاطمة عليها السلام من إغواء الشيطان ، وإنّما أجرى الله تلك النجوى بأمر الملك الذي هو موكّل على الرّها : ولهذا روي أنّ الرُّها ملك لأنه فعل ذلك لفاطمة عليها السلام بأمر الملك فهو أمر بطاعةٍ وجرى ذلك عليها عليها السلام طاعة كما روى الفقهاء أن المرأة الأجنبية إذا كان عندها ميت أجنبي ولم يكن مماثل إلّا ذمّي أنّها إذا أمرته بالاغتسال ثم يغسل الميت فإنّه يطهر لامتثال الذّمّي أمر المسلمة في الاغتسال والتغسيل فذلك في الحقيقة فعل المسلمة فكذلك فعل الرُّهَا بأمر الملك فهو في الحقيقة فعل الملك الذي هو

باب لوجود هذه المسألة من الباب الأعظم للوجود فافهم .

بقي سؤال : وهو أن الشيطان إذا لم يتصوّر بصورهم وذلك للعلة السابقة إذ الوجود لا يكون إلّا على أكمل نظام ، وإنما تصوّر بأمر الملك فذلك الشيطان بحكم الآلة كما مر في تغسيل الذمي للميت المسلم بأمر المسلمة لزم أن تكون رؤيا فاطمة عليها السلام صادقة مطابقة للواقع ويلزم من ذلك أن يموتوا إذا أكلوا مع أنهم لم يموتوا .

والجواب : أنّ رؤياها صادقة لما قلنا من التعليل ولأنها قد طابقت الواقع فإنهم أتوا المكان واجتمعوا وصار كلّ ما رأت إلّا أنهم لم يموتوا ، وإنما لم يموتوا ظاهراً لنقض الرؤيا ظاهراً لأنها بصورة صاحب التصوّر الباطل ، وإنما نُقِضت ليكون ذلك بأخذ العهد عليه صالحاً لتأسيس سبب هذه القاعدة ولما كانت الرؤيا صادقةً للعلّة المذكورة وجب أن يكون الموت باطناً لأنه هو الذي رأته عليها السلام في عالم الخيال ، ولمّا كان ذلك جارياً على أهل العصمة عليهم السلام وكان الموت الباطن يطلق على موت هلاك الدين وعلى موت الانقطاع إلى الله والفناء في بقائه تعيّن أن يكون ذلك الثاني لامتناع الأول عليهم بالدليل القطعي فتكون الرؤيا صادقةً مطابقة للواقع ، فقد أشرتُ لك إلى جميع ما تحتاج إليه من شقوق أجوبة المسألة فيما يحضرني من الاعتراضات والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على محمد وآله الطاهرين .

* * *

رسالة في أنواع العلم
في جواب بعض السادة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله ربّ العالمين ، وصلّى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين .

أما بعد ، فيقول العبد المسكين أحمد بن زين الدين الأحسائي : إنه قد كتب إلي بعض السادة الأجلاء والقادة النبلاء الطالبين لحقائق الدين وحق اليقين في الإشارة إلى ما يوصل إلى غاية ما يريد الله سبحانه من العبد إلى جهة الاختصار .

فقال : ما الذي يمكن الإنسان أن يعلمه وما الذي يمتنع وما الذي يجب له بحيث لا ينفك عنه ثم العلم الممكن بأي وجه يكتسب والسبيل إليه ما هو ، وإن كان هناك طرق متشتتة فأي منها أقوَم وأسهل وأرجى ، والمرجو من شيخنا الجواب وهو ملهم الصواب .

فكتبت له على سبيل الاستعجال :

بسم الله الرحمن الرحيم الإمكان والامتناع والوجوب كل واحد منهما [منها] على معنيين عقلي وغير عقلي والثاني على قسمين : طبيعي وعادي فالأقسام تسعة تسقط منها الثلاثة العقلية الأول والممكن الطبيعي أكثر أفراده ميسرة وبعض أفراده متعسرة كالإحاطة

بعلوم أهل عصرك الذين هم [كذا] من نوعك والممتنع الطبيعي ممكن في نفسه ولكنه يتوقف على قلب الطبيعة وتغييرها وصوغها على صورة الممكن والواجب الطبيعي ما جرى عليه المكلف بمقتضى طبيعة [طبيعته] وذلك في الحقيقة ليس من الوجوب في شيء التخلف مقتضى الطبيعة والتكلف وتغيير الطبيعة والتوفيق والخذلان ، وأما الواجب العقلي الذي هو آخر الثلاثة الأول الساقطة فإنما قلنا بسقوطه لعدم البحث عنه لأن الواجب للإنسان ، أما الفعلي الوجودي ولا كون له بدونه أو الانفعال الوجودي ولا تكون له بدونه أو القيام الوجودي ولا بقاء له بدونه لأنه مقتضى فقر (ظ) العبودية إلى الربوبية أو التكليفي وهو تشريعي ووجودي والوجودي هو الأقسام السابقة والتشريعي هو حياة الوجودي لأنه هو سبيل الله إلى عبده وعبده إليه ومعنى وجوب هذه عقلاً أن الإنسان إنما يكون هو هو بهذه لأنها إذا فقدت لم يكن بشيء ، وأما الممكن العقلي الذي هو أول التسعة فبعض أفراده لاحق بالوجود لا بخصوص الموجود وبعض أفراده جارٍ في الأقسام الثمانية التي هي ما سوى الممتنع عقلاً فيستغني عنه ببيانها أو الممكن العادي طريقه الجد والاجتهاد والممتنع في الغالب يقابل الواجب الطبيعي كما تقدم فلاحظه والواجب العادي يحوم حول الطبيعي والله ولي التوفيق .

ثم اعلم أن الذي يمكن للإنسان من الكمالات على الوجوه الثلاثة العقلي والطبيعي والعادي ما لا يكون مراتب العصمة والولاية المطلقة لا بالإثبات ولا بالنفي مطلقاً ، أي مبدأ ومتعلقاً وما عدا ذلك فهو يمكن له بالوجوه الثلاثة بالجد والاجتهاد

وأفضلها وأصحها وأقربها مسافة أتصدوه [الصدق] في كل المواطن فابذل جهدك في الصدق مع الله سبحانه ومعنى الصدق معه سبحانه أنك لا تفتري عليه الكذب ولا تستهزىء به ولا بأحكام علمه وقدرته وأمره ونهيه ومعنى أنك لا تفتري عليه الكذب أن تعتقد أنه ربّ قيوم ومعنى ذلك أنه متفرد بزينه (كذا) الأشياء وملكها وقيومتها فإن اعتمدت على ما سواه أو رأيت لغيره فيها صنعاً قبل أو قل أو ألفت (كذا) نفسك عن الجهل والتقصير والغفلة والنقص حتى لو تكلمت مع شخص في مسألة وتبين كك [لك] غلطك وأصررت على تصحيح كلامك وغير ذلك من عيوب النفس فقد افتريت على الله الكذب لأن الأمر يرجع إلى أنك تقول : إن لي ربوبية وقيومية في شيء وقد قال الله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾ انظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَىٰ بِهِ إِثْمًا مُّبِينًا ﴾ .

ومعنى أنك لا تستهزىء به ولا بأحكام صفاته أنك إذا عرفت شيئاً من جميع الأحوال والأفعال والأقوال ورأيته عند الله راجحاً وتركته مثلاً فإن تركه مرجوح ، فأنت قد أعرضت مما يحبه الله ومن أعرض عما يحبه الله فقد أعرض عن آياته لأنك ما عرفت ، لأن ذلك راجح عند الله إلّا رأيته منه أظهرها لك ، إما في عقلك أو في نفسك أو في العالم الكبير أو في الكتاب والسنّة ، فإذا أعرضت عنه فقد أعرضت عن آيته فقد كذب بالحق الذي جاء من الله سبحانه ومن كذب بالحق فقد استهزأ بالله وبآياته وأحكامه ، قال تعالى : ﴿ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ .

وإذا تحقق صدقك مع الله تعالى لزمه الصدق مع النفس ومع الناس ، ومن كان لك فهو الصادق حقاً ، فإذا كنت [كك] وجبت لك الولاية ، ولما كانت ولاية العصمة التي هي المتبوعية على الأمور الثلاثة مما لا يمكن لك كما تقدم ثبتت لك الولاية التابعية وكنت محسناً والله أبداً معك والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ، وإن الله مع المحسنين ومن كان محسناً علمه الله العلم والحكمة ، قال تعالى : ﴿ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ لأن المحسن حبيب الله قال صلى الله عليه وآله : (**ليس العلم بكثرة التعلم وإنما نور يقذفه الله في قلب من يحب فينفسح فيشاهد الغيب وينشرح فيحتمل البلاء**) فقيل : وهل لذلك من علامة يا رسول الله صلى الله عليه وآله ؟ فقال : (**التجافي عن دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله ، فإذا كان الله محباً للعبد كان سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به**) الحديث .

وهذه الطريقة التي أشرنا إلى تفصيل بعض شقوقها هي الصدق مع الله في كل المواطن التي هي ملاك أمر الدنيا والآخرة ولا رياضة أصح من هذه ولا عمل أخلص منها ولا معرفة أجمع منها فخذها مجملة واعمل بها راشداً متوفوه [كذا] واستعن بالصبر والصلاة ، والصبر هو الصوم والصوم هو الإمساك والإمساك حقيقة ما كان إمساكاً عما سوى الله ، والصلاة هي الصلة والصلة هي الوصلة بين العبد والرب ، وهي معراج العبد إلى الله وهي سبيل الله إلى عبده ، لأن المصلي بين يدي ربه يناجيه ربه بالقراءة ويناجي ربه بالدعاء ويخدمه بالركوع والسجود ويعاهده ويؤدي إليه بالتسليم ، واستعمل أيضاً الورد النافع والإكسير الأكبر قولاً وعملاً وهو

توكلت على الله اثنين وأربعين مرة لجميع مطالب الدنيا والآخرة تكرر في هذا القول ، وأما في العمل فأن تعمد [تعتمد] على الله وحده في جميع مطالبك وتفوض الأمر إليه فترضى بما يجري عليك من بسط وقبض وأن تذكر الجميع [لجميع] مخاوف الدنيا والآخرة اعتصمت بالله ثلاثاً وأربعين مرة قولاً وعملاً ومعنى العمل أن تلجأ إلى الله من كل محذور لا إلى سواه ، ففي القول إذا قلت للمطالب توكلت على الله تلاحظ التفويض إليه عند كل لفظية [لفظة] من الاثنين والأربعين وإذا قلت للمخاوف اعتصمت بالله تلاحظ الالتجاء إليه عند كل لفظة من الثلاث والأربعين وتتخلق بهذين الذكرين لتكون عند الله صادقاً في قولك توكلت على الله واعتصمت بالله ، ثم اعلم أن الله سبحانه جعل له باباً لا يؤتى إلّا منه فمن أتى من غيره حجب عنه وجعل له وجهاً يتوجه إليه من توجه إلى الوجه فقد توجه إلى الله ، ومن أراد أن يتوجه إلى الله بدون الوجه فقد توجه إلى الشيطان ، ولم يتوجه إلى الله ، وباب الله ووجهه هو محمد وأهل بيته صلى الله عليه وآله ، فاجعلهم واسطة بين الله وبينك ووسيلة كك [لك] في جميع أقوالك وأذكارك وأحوالك وأعمالك في جميع ما فصلنا لك والله حافظ عليك والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

* * *

رسالة في جواب بعض السادة
عن مسألتين في التوحيد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ربّ العالمين ، وصلّى الله على محمد وآله الطاهرين .

أما بعد ، فيقول العبد المسكين أحمد بن زين الدين الأحسائي : إنه قد ورد علي من بعض السادة الأجلاء العارفين الطالبين للحق واليقين مسألتان مضمون إحداهما أن الله كان ولم يكن معه شيء ، فلما خلق الخلق كان في مكان غير مكان المخلوق لأنه لو كان معه لكان في الأزل إلّا الله سبحانه ويلزم من هذا التحديد لأنه أوجد الخلق خارج ذاته وإلا لزم التخويف [التجويف] فأين الخلق ؟ قال وقولي في مكان المخلوق أردت العبارة وإلا فمعلوم أن لا مكان له تعالى والمطلب لا تحيط به العبارة بتمامه والمراد محض التعبير فلا يناقش في العبارة ، وثانيهما إن قلنا بوحدة الوجود فأي طريق صحيح وما مثلوا به العرفاء والصوفية في كل منها نقص من وجه وله مثل فأين المثل الأعلى الذي لا نقص فيه مثل البراه [كذا] ومثل العدد ومثل البحر ومثل الشمس ومثل المصدر ومثل الوجه والخيال ، ومثل المداد ومثل الحروف ومثل الثلج وغيره ، أيها أصح بحيث لا يوجد النقص ؟ فكتبت له على استعجال :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على محمد وآله الطاهرين .

أما بعد ، فيقول العبد المسكين أحمد بن زين الدين الأحسائي :

اعلم أن الوجود الواجب سبحانه وحده لا شريك له ، فهو متفرد بالأزل والأزل ليس بمحدود لأن الشيء إنما يتحدد في نفسه عما هو معه في وجوده ، فلا يتعدد شيء من العقول بوجود شيء من الأجسام ، لأن وقت العقول ومكانها الدهر والأجسام وقتها الزمان نعم يتحد بعض العقول ببعضها لأنها في وقت واحد وهو الدهر ، فالواجب وقته الأزل وهو الأزل وليس شيء غيره ، وأما الخلق فهو في الإمكان وليس شيء من المخلوق في الوجوب ولا في السرمد وفي السرمد المشيّة وليس شيء منها في الوجوب ، ولا في الجبروت ، ولا في الملكوت ، ولا في الملك ، فالله خلق الخلق في الجبروت والإمكان ، فالوجوب ليس بمتناهٍ فيكون طرفاه أو أحدهما متصل بالإمكان ، بل هو بلا نهاية ولا غاية والإمكان ليس محدوداً متناهٍ [متناهياً] ، وإنما هو محدود بغير متناهٍ [تناهٍ] وهو الوجوب بمعنى احتياج أكوانه وأعيانه وجميع مراتبه إلى المحدث والدهر ليس محدوداً بالزمان ، والزمان ليس محدوداً بالدهر لما قلنا من أن الشيء إنما يحد بما يقع معه في طرفه فلم يلتق طرف أحدهما بالآخر ، وليس بين أحد منهما وبين الآخر وصل ولا فصل ليقع التحديد فافهم ، وأما وحدة الوجود فلها معنيان أحدهما إيمان لا غير والآخر كفر لا غير .

أما الأول : فالمراد بوحدة الوجود التي هي الإيمان أن تعتقد أن الواجب واحد ولا شيء معه غيره ، والحادث ليس له وجود

بالذات ، وإنما وجوده من وجود الواجب بمعنى اختراع وجود له قائم بوجوده تعالى أبداً قيام صدور لا قيام عروض ، فإذا قلنا : الحادث وجوده وَهِم نريد به أن وجوده من الحق تعالى قائم به قيام صدور لا قيام عروض ولا نريد به أنه لا وجود له أصلاً بل له وجود متحقق في رتبة الحدوث بحسبه والمثل الصحيح له الشمس وضوؤها والسراج وضوؤه والصورة في المرآة والشاخص فإن الضوء والصورة قائمان بالشمس والشاخص قيام صدور لا قيام عروض فهما موجودان حقيقة في رتبتهما لا في رتبة الشمس والشاخص .

وأما الثاني : فالمراد بوحدة الوجود التي هي الكفر أحد معنيين ، أحدهما أن يقال : إن الحوادث لها وجودات حادثة مستغنية بعد الإحداث عن المحدث في بقائها فهي ليست قائمة به إلّا حال الإحداث لا غير ، ومعنى الوحدة هنا إثبات وجودين مستقلين مختلفين إذ معنى ذلك اتحاد الاستقلال الذي هو نفس المستقل فهما شيء واحد وثانيهما أن يقال : إنها قائمة به قيام عروض فهي ليست موجودة بنفسها ولا مستقلة ولكنها عارضة فيه والمثل فيه ما قالوا كالبحر وموجه وكالحروف من النفس وكالأعداد من الواحد على تسامح هنا ، وكالمصدر من الفعل ، وكالثلج في الماء ، وكالصورة في الخيال ، وكالمعنى في العقل ، وكنار القدح من الزناد على تسامح ، هنا أيضاً وكالحروف النقشية من المداد أو النقطة فهي في هذه الأمثلة قائمة به قيام عروض ويلزم منه حدوث العارض والمعروض ، فالقول بهذين القولين قول بوحدة الوجود التي هي الكفر ، وأما الأول فهو إيمان محض ، بل لا تتحقق

المعرفة الكاملة إلّا به لأنّا نقول : إنه سبحانه واحد ليس في الوجوب غيره ولا وجود بالذات لسواه فخلق ما خلق في الإمكان والإحداث اختراعاً أي أحدث وجودات مخترعة من فعله بفعله كالمصدر من الفعل في الاشتقاق الذي هو الحركات والسكنات لا في الاشتقاق الذي هو التقديم والتأخير والمادة كالنار عند القدح من الحجر وكالأعداد من الواحد لا كباقي الأمثلة فتلك الوجودات قائمة بالله قيام صدوره [كذا] أي قائمة بفعله قيام صدور لا قيام عروض إلّا أنها متحققة الوجود في مرتبة الحدوث على ما هو عليه بمعنى أن حقيقة أنه إنما [كذا] قام بغيره قيام صدور فحقيقة تحققه في مرتبة الحدوث قيامه بفعل الله قيام صدور ومعنى ذلك لأن تحققه [كك] أنه نهر يجري على هيئة الاستدارة بفعل الله سبحانه فأوله في آخره وينبوعه من الفعل كوجود الكلام من فعل المتكلم من الهواء في الهواء بمعنى أن المتكلم يأخذ الهواء إلى جوفه فيقطعه حروفاً لا تقوم إلّا في الهواء فهو نهر مستدير أوله في آخره وهو هواء مقدر من الهواء في الهواء ، فهواء الوجود الحادث الإمكان فافهم ما أشرنا إليك واقبل ما نسخناك [كذا] وخذ ما آتيناك بقوة وكن من الشاكرين.

❊ ❊ ❊

رسالة في جواب سائل
عن ثلاث مسائل

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

شيخنا الأعظم وملاذنا الأفخم أدام الله علوك وحرس مجدك ، إني أتيت من سفر بعيد لأن أكون لجنابك من أقل العبيد ، ولكن تلاطم العوائق وتراكم العلائق عاوقني عن الاستسعاد بخدمتك والاستفادة من نتائج قريحتك وألتمس من جنابك وأستدعي من خدام بابك الاستكشاف عن كيفية صدور الموجودات عن المبدأ الأول وكيفية علمه تعالى بالجزئيات ، وعن كيفية المعراج وما هو الحق فيها عندك ، فإن أقاويل العلماء فيها مختلفة والإشكالات الواردة على كل قول منها متكثرة ، مولانا أنا ضيفك ولكل ضيف قرى فاجعل قراي تحقيق هذه المسائل وكتابتها بخطك الشريف في هذه الوريقة وأحسن إن الله يحب المحسنين والسلام عليكم .

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله ربّ العالمين ، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين .

أما بعد ، فيقول العبد المسكين أحمد بن زين الدين الأحسائي : إنه قد وردت على هذه المسائل في غاية اشتغال البال بكثرة الأعراض والأمراض في أغلب الأحوال ، ولم أقدر على الاعتذار

فكتبت الجواب على جهة الاقتصار لأنه حاصل الحضور إذ لا يسقط (**الاقتصار إذ لا يسقط**) الميسور بالمعسور وإليه ترجع الأمور .

قال سلّمه الله : وأريد من خدام بابك (**من جنابك**) الاستكشاف عن كيفية صدور الموجودات عن المبدأ الأول .

أقول : اعلم أن صدور الموجودات إنما كان من فعل الله تعالى لا منه عزّ وجلّ ، فينبغي أن يراد بالمبدأ الأول هو فعل الله تعالى وهو مشيّته وإرادته ، فإيجادهم صدوره عن [من] فعل الله والصادر هو وجوداتهم ، وحاصل [أصل] الوجود الذي منه كانت الأشياء [الأشياء] أنه العنصر الأولي وهو أول فائض من فعل الله [الله تعالى] وهو الحقيقة المحمدية ، وذلك لأن الله سبحانه كان ولا شيء وهو الآن على ما كان ولم يكن ، ثم سواه تعالى ، ثم أحدث الفعل بنفسه أي نفس الفعل لا من شيء وهو المشيّة وهو الإمكان الراجح ، فأمكن بإمكانه الإمكان المطلق الذي هو العمق الأكبر فانبسطت مشيّته على طبق الإمكان بما فيه من جميع الجزئيات على جهة الكلية الإضافية ، مثلاً أمكن بمشيته إمكان زيد الكلي يعني أن إمكان زيد قبل أن يكون يصلح أن يخلق [يخلق منه عمراً] أو نبياً أو شيطاناً أو ملكاً أو أرضاً أو سماء أو جبلاً [أو جبلاً أو شجراً أو حيواناً] وهكذا إلى غير النهاية ، هذا في إمكان زيد قبل أن يخلق وبعد أن يخلق إمكانه لم يفارقه فيمكن فيه كل ما يمكن فيه قبل أن يخلق بتغييره إلى ما شاء ، وهكذا إمكان غيره فإمكان الواحد الجزئي كلي لا يتناهى وهذه الإمكانات هي خزائن جميع الممكنات وهي متعلق (**وهذه الإمكانات الجزئية هي وجميع**

الممكنات متعلق) المشيّة الإمكانية ومحلها ثم [و] ، أحدث بمشيته الكونية النور الأول الذي به تنورت الأنوار وهو الحقيقة المحمدية ، وهو أول موجود فتعلق هذا النور بأرض الجرز أي [أي أرض] القابليات فصار منهما العقل الكلي عقل الكل ثم تنزل بالروح الكلية ثم بالنفس الكلية التي هي اللوح المحفوظ ، ثم بالطبيعة الكلية فالعقل هو النور الأبيض والروح نور أصفر والنفس نور أخضر والطبيعة نور أحمر ، فهذه الأربعة الأنوار هي العرش وصار [هي العرش وهذا] العرش خزانة جميع الأكوان ، فالمعاني في العقل والرقائق في الروح والصور الجوهرية في النفس والطبائع كلها في الطبيعة ، ثم جوهر الهباء ، ثم عالم المثال ، ثم جسم الكل ، ثم العرش ، ثم الكرسي ، ثم فلك الشمس ، ثم فلك الزحل ، ثم [فلك زحل و] فلك القمر ، ثم فلك المشتري ، ثم [و] فلك العطارد ، ثم فلك المريخ ، ثم [و] فلك الزهرة والشمس تستمد من صفة ذات العقل وتفيض على زحل وهو مدبر [مدرك] العقول الجزئية من هيئة صفة العقل ، وتفيض على القمر وهو مربي النفوس الحيوانية الحساسة وتستمد من ذات النفس والروح ، وتفيض على المشتري مربي العلوم [العلوم الجزئية] صلى الله عليه وآله ومن صفة النفس ، وتفيض على عطارد مربي الأفكار وتستمد من ذات الطبيعة فتفيض ، [وتفيض] على المريخ وهو مربي الأوهام ومن صفة الطبيعة ، فتفيض على الزهرة مربي الخيالات فضمن سبحانه الأفلاك حقائق أجزاء الموجودات فإذا أراد سبحانه إيجاد زيد مثلاً أمر كلمته [بكلمته] التامة وهو فعله ومشيته ، فقبض عشرة قبضة بوجه [يوجد] زيد منه أي بالرأس

المختص بزيد من مشيّته لأن كل شيء له رأس مختص به ، فقبض قبضة من محدد الجهات [فقبض من محدد الجهات قبضة] فخلق منها قلبه في أربعة أدوار ومن الكرسي قبضة خلق منها نفسه في أربعة أدوار ، ومن زحل قبضة خلق منها عقله كذلك ، ومن المشتري قبضة خلق منها علمه ، كذلك ومن المريخ قبضة خلق منها وهمه ، كذلك من الشمس قبضة خلق منها وجوده الثاني ، كذلك ومن الزهرة قبضة خلق منها خياله ، ومن العطارد قبضة خلق منها فكره [فكره كذلك] ، ومن القمر قبضة خلق منها روحه الحساسة [الحساسة كذلك] ، ومن العناصر قبضة خلق منها جسده كل قبضة في أربعة أدوار فهذه أربعون رتبة هي مراتب الوجود كميقات موسى فأدار الأفلاك الثمانية المقدرة والأطلس [الثمانية والفلك الأطلس] المسخر لها فألقى [فأبقى] كل منها قبضة على مشاكلها من قبضة العناصر فاستجنت [فاستجن] تلك القوى الروحانية كل في مشاكله من طبائع العناصر في طبيعته فجرت النطف الغيبية في المطاعم والمشارب فاستجنت ، فيما تولدت من المطاعم من النطفة التي هي نطفة أب زيد فألقاها في رحم أم زيد ونطفة الرجل حارة يابسة ونطفة المرأة باردة رطبة ، فإذا أراد الله تعالى إيجاد زيد كان من نطفة أبيه جزء ومن نطفة أمه جزآن فأمر [بأمر] الملك الخلاق فقبض قبضة من تراب الأرض من الموضع الذي يدفن فيه زيد إذا مات فماءها [فماثها] في النطفتين ، والتراب بارد يابس فيبوسته تلائم نطفة الرجل وبرودته تلائم نطفة المرأة ومقدار هذا التراب من النطفتين الأمشاج مختلف [مختلفة] فقد يكون بقدر نطفة الرجل فإذا كان هذا المخلوق ترابه ونطفتاه

صافية كان نبياً أو ولياً أو مؤمناً صالحاً تقياً لكثرة ترابه ، وقد يكون التراب بقدر نصف نطفة الرجل أو ثلثها أو ربعها أو أقل إلى ربع الربع تقريباً ، وكل ما قل ضعيف [ما قل التراب ضعف] عقله وفهمه ودينه ، وكل ما كثر [كثر التراب] قوي عقله وفهمه ودينه ، وذلك على حسب مقتضى قوابلهم ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ فتبقى [تبقى] النطفتان والتراب المصلح لهما والأفلاك المذكورة تدور عليه ، وكل منها بأشعتها تربي [تدور عليه بأشعتها كل منها مربي] القبضة التي من شعاعها والملائكة الخلاقة بإذن الله سبحانه قائمة بفعله تعالى في ذواتها وفي صنعها [في ذاتها وفي صفتها] قيام صدور ، فهو عزّ وجلّ هو الخالق على الحقيقة وهم بأمره يعملون ويترجمون تلك الإمدادات التي من أشعة تلك الأفلاك من جنس ما يحتاج إليه المولود من لحم ودم وعظم ومخ وعصب وشعر وعروق وجلد على حسب [وعروق على حسب] ما يأمرهم [يأمرهم الله] تعالى فالإمكانات كانت بمشيته الإمكانية والأكوان كانت بمشيته الكونية والمشيّة الكونية هي الإمكانية [هي المشيّة الإمكانية] ، ولكن يسميها [تسميتها] باعتبار متعلقها فإن تعلقت بالإمكانات الكلية فهي إمكانية وبالأكوان أي الوجودات هي الكونية ، وبالأعيان أي الذوات هي الإرادة ، وبالحدود والهندسة [بالحدود الهندسية] من الطول والعرض والأجل والبقاء والفناء والرزق وغيرها هي القدر ، وبإتمام الصنع هي القضاء ، وبإظهار المصنوع وتبين [وبتبيين] أسبابه وشرح علله هو الإمضاء ، وأصل المصنوع هو الحقيقة المحمدية صلى الله عليه وآله خلق منها محمداً وأهل بيته عليهم السلام ولم يبق منها شيئاً لغيرهم فبقوا يعبدون الله

سبحانه ألف دهر كل دهر مائة ألف سنة أو ثمانون ألف سنة ، ثم خلق من شعاع أنوارهم حقائق الأنبياء عليهم السلام وبقوا [فبقوا] ألف دهر ثم خلق المؤمنين من شعاع أنوار الأنبياء عليهم السلام ، وهكذا إلى الثرى لم يخلق [لم يخلق الله] تعالى الأسفل من طينة الأعلى قط ، بل من شعاع نور الأعلى وهكذا ، واعلم أنه سبحانه خلق الأشياء لا من شيء فأول المخلوقات اخترعه لا من شيء اخترع مادته وهو الوجود الموصوفي وخلق منه صورته أي من انفعاله وهي الماهية وهي الوجود الصفتي فكل الأشياء تنتهي إلى مصنوعه الأول أي الحقيقة المحمدية وهي محل فعله كالقيام الذي أحدثه زيد ، فإنه محل حركة تقوم [فإنه محل حركته تقوم به] ، إذا قلت قائم فإن قائم صفة زيد صفة فعل لا صفة ذات والحركة الإيجادية بها تكون القيام ، فهو محل الحركة في قولك قائم وقائم اسم فاعل وهو منسوب إلى زيد من جهة فعل للقيام [القيام] فهي صفة تدل عليه لا أنها تبين حقيقة [لا أنه يتبين حقيقته] ، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام : [صفة استدلال عليه لا صفة تكشف له] في الأشياء [تكشف له فالأشياء] تنتهي إلى الحقيقة المحمدية كانتهاء الأشعة إلى جرم الشمس والحقيقة [حقيقته] تنتهي إلى فعل الله تعالى ، وفعله ينتهي إلى نفسه أي نفس الفعل ولا ينتهي شيء من خلق الله [الله تعالى] إلى ذاته تعالى وهو قول أمير المؤمنين عليه السلام : (**انتهى المخلوق إلى مثله وألجأه الطلب إلى شكله السبيل مسدود والطلب مردود**) انتهى ، فهذا بعض الإشارة إلى كيفية الصنع وشرح هذا حتى يبلغ إلى العيان (**حتى يبلغ معلوم سؤاله إلى البيان**) يطول به الزمان .

قال سلّمه الله تعالى : وكيفية علمه تعالى (**وعن كيفية علمه الذاتي**) بالجزئيات .

أقول : اعلم أن الله سبحانه كان وحده ولا شيء معه ، ولا معلوم سواه ، وهو قول الصادق عليه السلام كما رواه [ولا شيء معه كما رواه] في الكافي والصدوق في التوحيد (قال عليه السلام) : (**لم يزل ربنا عزّ وجلّ والعلم ذاته ولا معلوم والسمع ذاته ولا مسموع والبصر ذاته ولا مبصر والقدرة ذاته ولا مقدور فلما أحدث الأشياء وكان المعلوم وقع العلم منه على المعلوم والسمع على المسموع والبصر على المبصر والقدرة على المقدور**) انتهى .

وكلامه عليه السلام في جواب سؤالك كله من شرح هذا الحديث الشريف وهو [جواب سؤالك وهو] كلام الصادق عليه السلام وما بعد كلام الصادق إلّا كلام الكاذب ، كما قال الله تعالى : (**فماذا بعد الحق إلّا الضلال**) .

اعلم أن الله سبحانه كان في الأزل وحده وهو الأزل ولا شيء غيره ، وكان عالماً ولا معلوم غيره لأنه لو كان معه معلوم في الأزل كان قديماً فلا يعلم في الأزل إلّا ذاته خاصة ، ولا يلزم منها أني أقول إنه جاهل لأن الجاهل هو الذي يوجد شيء وهو لا يعلمه ، وأما إذا لم يكن شيء وقلت هو لا يعلم شيئاً لا يلزم منه أنه جاهل وكل ما سواه إنما وجد في الإمكان ، فإذا وجد شيء علمه فهو يعلم كل شيء في مكان ذلك الشيء ووقته ، فلا يجوز أن تقول لأنه سبحانه عالم بها في الأزل لأنه يلزم منه أنها معه ، ولكن يجب أن تقول : هو عالم بها في الأزل بها في الحدوث فهذه [وهذه] العبارة صحيحة ، والعبارة الأول [الأولى] باطلة ، فهذا

معنى قول الصادق عليه السلام : (**فلما أحدث الأشياء وكان المعلوم وقع العلم منه على المعلوم**) ، ومثاله إذا كنت وحدك ولم يكن أحد معك يتكلم فأنت سميع ولا مسموع حيث لا كلام فكيف تسمع لا شيء ، [تسمع ولا شيء] فلما تكلم الذي معك سمعت كلامه يعني وقع السمع منك على المسموع وقبل أن يكلم أحداً [يتكلم أحد] ، أنت لا تسمع شيئاً ولست بأصم بل أنت سميع فافهم المثال تفهم معنى الحديث ، بقي أشياء منها ، اعلم أن العلم مطابق للمعلوم واقع على المعلوم ومقترن [تقترن] بالمعلوم وهذه الصفات ثابتة في العلم لا تخلف عنه [في العلم الحادث لا تتخلف عنه] ، فعلم الله القديم هو ذات الله تعالى بلا مغايرة ، فلو أن شخصاً قال لك : إن الله بعلمه [بعلم] القديم الذي ذاته يعلم زيداً هذا الشخص المعلوم فما تقول له إن قلت يعلم زيداً بعلمه القديم ؟ فما معنى هذا الكلام إذا كان العلم مطابقاً للمعلوم وواقعاً عليه ومقترناً به يلزمك أن ذات الله تعالى واقعة عليه ومطابقة له ومقترنة به وهذا كفر ، وإن قلت : لا يعلم زيداً بعلمه القديم قيل لك : هذا كافر [كفر] ، فإذا قلت : [قلت إن] الله سبحانه في الأزل عالم بزيد في الحدوث كان كلامك صحيحاً فما معنى صحته هناك وبيان هذا أن قول الصادق عليه السلام : (**وقع العلم منه على المعلوم**) فهذا الاقتران والوقوع ليس هو نفس العلم الذاتي بل هو تعلق حادث بحدوث المعلوم مثاله ما تقدم لك من [في] المثال ، فإن تعلق فهذا سمعك [تعلق سمعك] بالكلام ليس هو نفس سمعك الذي به سميع ، بل إنما حصل لك عند كلام الشخص وكذلك صورتك التي في المرآة هي [صورتك في المرآة هو] ظل صورتك

التي فيك ، فإذا وجدت المرآة انطبعت الصورة فيها ولم تحدث لك تغير [تغيير] في ذلك كالشمس لا يظهر نورها إذا قابلها كثيف يظهر فيه النور فالتعلق والمطابقة والوقوع إنما حصل لسمعك حين وجد الكلام لا قبله ، وليس هذا تعلق سمعك الذي هو ذاتك وصورتك في المرآة إنما حصل لها الوقوع والمطابقة عند وجود القابل ، وكذلك فالله سبحانه كان عالماً في الأزل ولا معلوم معه ، فلما وجد المعلوم تعلق به العلم وهذا التعلق حادث عند حدوث المعلوم لا قبله ، لأن تعلق العلم بغير شيء يتعلق به محال فلم يحصل [فلم يحدث] لذاته سبحانه تعلق بشيء ، فإذا وجد ما يتعلق بشيء فإذا وجد ما يتعلق به حصل التعلق ولو كان هذا التعلق قديماً لكان حاصلاً قبل وجود المتعلق به ، ولا يصح تعلق بلا متعلق فثبت أنه عالم ولا [بلا] معلوم يعني في الأزل والتعلق الحاصل عند وجود الحادث فهو علمه تعالى بذلك الحادث ، وكونه لم يحصل قبل المتعلق لا يلزم منه القول بأنه جاهل به ، فإني لو قلت لك : انظر إلى كفّي أي شيء فيه فقلت : لم أر شيئاً لا يلزم أنك لم تر شيئاً ، لأن كفي ليس فيه شيء ولو كان فيه شيء ولم تره صح أنك أعمى ، كذلك قول الصادق عليه السلام : **(كان عالماً ولا معلوم)** ، يعني في رتبة ذاته المقدسة هو [وهو] عالم ولكن ليس ثم شيء ليكون عالماً به ، وإنما كانت الأشياء هنا فكل شيء كان تعلق العلم به [تعلق به] مع كونه ، وأما قوله عليه السلام : **(كان عالماً بها قبل كونها كعلمه بها بعد كونها)** ، فهو مثل قولي : إنك تعلم بصورتك قبل أن تقابل المرآة التي هي [هو] كون صورتك كعلمك بها بعد المقابلة وهذا ظاهر ، فإنه تعالى بعد أن كونها تعلق العلم بها ولم

يكونها إلّا بفعله فحدودها [إلا أن يفعل حدودها فحدودها] هيئات ظلية كما أنك تكون الكتابة بحركة يدك وحدود الكتابة وصفات الحروف هيئات حركة يدك كذلك فعله ، وفعله صدر عن علمه فلم يكن شيء يخالف علمه لأن كل شيء [كل شيء من] صنعه ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ، وأما كلام القوم الذي يختلفون هم [هل] يعلم الجزئيات الزمانية أم لا يعلمها أم يعلمها يعلمها بعلم] كلي ، فإنهم لا يعلمون ما يقولون ﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾ وذلك لزعمهم أنه تعالى ليس له علم هو ذاته ولا يقولون بأن له علماً هو ذاته وبه علم ذاته وعلماً مخلوقاً هو كتابة والمعلومات في هذا كما قال : (**وذلك لزعمهم أنه تعالى ليس له علم إلا هو ذاته بأن له علماً هو ذاته وبه علم ذاته وعلم مخلوقاته في كتابه والمعلومات في هذا الكتاب كم قال**) تعالى : ﴿ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَـٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴾ والمراد بهذا الكتاب اللوح المحفوظ وسماه علمه وقال تعالى : ﴿ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَـٰبٌ حَفِيظٌ ﴾ أي محفوظ أو [أي] حافظ ، فلما زعموا ألا علم إلّا القديم وأن العلم لا بدّ [لا بدّ و] أن يكون مطابقاً للمعلوم ارتكبوا بجهلهم أنه تكون صورة [لجهلهم أن تكون صورة علم] ذاته قياساً على علمهم ولهذا ضلوا [ضلوا وأضلوا] ، قال الصادق عليه السلام كما رواه الشيخ في المصباح في الدعاء بعد نافلة الوتيرة بعد العشاء قال : (**بدت قدرتك يا إلهي ولم تبد هيئة يا سيدي فشبهوك واتخذوا بعض آياتك أرباباً يا إلهي فمن ثم لم يعرفوك**) الدعاء .

فلما قاسوا علمه تعالى بعلمهم فجعلوا صوراً في ذاته [صورة

ذاته] قالوا : إذا تصور زيداً في الدار ثم خرج عنها إن تغيرت [تغير] صورة علمه تغير علمه ، وإن لم يتغير لم يعلم بخروجه فيكون يعلم ذلك بوجه إجمالي ولو سكنا عن قياسهم نقلنا لهم [بالوجه الاجمالي ولو سكتنا عن قياسهم لقد رآه] ، أنا أعلم زيداً في الدار وأعلم أنه يخرج بعد ذلك فإذا خرج لم يكن خروجه مغايراً لعلمي بل هو مطابق والواجب أن لا يقيسوا علمه تعالى بعلمهم ، بل يقولون : هو فوق ما تدركه عقولنا فهو يعلم الجزئيات الزمانية ، وإن كان يلزم على قياس عقولنا ونقصها عن مقام الأزل محذور ولكن قدرته وعلمه لا يقدران بعقولنا وكيف لا يعلمها على جهة التفصيل وهو يخلقها على جهة التفصيل ، فإن قيل : إنما يعلمها بالعلم الأزلي الذي هو ذاته لا العلم [هو ذاته لا يعلم] الحادث الذي هو التعلق ، قلنا : سلمنا ورضينا ولكنه يعلمها في الأزل أو يعلمها في الحدوث في أماكنها ، فإن قلت : في الأزل قلت لك : هي في الأزل معه فإن قلت : لا بل هي في الحدوث ، قلت لك : فإذاً هو في الأزل يعلمها في الحدوث في أماكنها وأوقاتها وهذا هو قولي [وهذا قولي] وأنا أريد أن لا تقول : يعلمها في الأزل بل قل : هو عالم في الأزل بها في الحدوث ، وهذا هو الحق والإشكال [ولا إشكال] فيه ولا شبهة تعتريه [يعتريه] إلّا في شيء واحد وهو معرفة تعلق العلم بها ، فإن الأزل لا يتعلق بالحادث تعلقاً أزلياً بل تعلقاً حادثاً لأنه في الأزل وحده ولو كانت الأشياء معه في الأزل تعلق العلم بها تعلقاً أزلياً لكنها ليست في الأزل وهو في الأزل لم يحصل له هذا التعلق ، وإنما حصل عند [عن] حدوثها وهو معنى قولنا السابق تبعاً لقول سيدنا

وإمامنا جعفر بن محمد عليه السلام فافهم ، وتدبر وفي هذا البحث في هذه المسألة أسرار دقيقة وأبحاث عميقة قد غرق فيها الحكماء والعارفون ولم ينج من الغرق إلّا من ركب سفينة النجاة التي هي طريقة محمد وآله صلى الله عليه وآله .

قال أيده الله : وعن كيفية المعراج وما هو الحق عندك فإن أقاويل العلماء فيها مختلفة والإشكالات الواردة على كل فعل منها متكثرة [الواردة في كل منها كثيرة] .

أقول : اعلم أن الناس اقتصر [اقتصروا بعضهم] على كلام بعض ولم يأخذوا علمهم من أهل العلم عليهم السلام وهو قول أمير المؤمنين عليه السلام : (**ذهب من ذهب إلى غيرنا إلى عيون كدرة يفرغ بعضها في بعض وذهب من ذهب إلينا إلى عيون صافية تجري بأمر الله لا نفاد لها**) الحديث .

اعلم أني [أني لا] أقول قال فلان ، وقال فلان ، فإذا عرفت أن استنادي [عرفت إسنادي] في جميع أفعالي [أقوالي] إلى من لا يجهل ولا يسهو ولا يغش فإذا سمعته من كلامي منافياً لكلام القوم فانظر فيه ولا تستعجل و[ولا] تبادر بالرد فتكون مثل أهل قول : (**بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله**) .

اعلم أن العروج على ظاهره بجسده [العروج بجسده] الشريف وعليه ثيابه فخرق السماوات السبع والكرسي والعرش والحجب حتى وصل إلى مقام قاب قوسين يعني [حتى] اجتمع مع الفعل [العقل] الأول يوم [يعني] خلقه الله تعالى بل [قبل] خلق الأشياء ثم تجاوزه [ثم جاوزه ووصل] إلى مقام أو أدنى وأو بمعنى بل أي بل أدنى والمراد به أنه وصل في عروجه إلى أن انبسطت عليه

المشيّة التي هي أول التعين [هي التعين] الأول ، فكان [فكان هو] محلاً لها كما كانت الحديدة المحماة في النار [بالنار] محلاً لفعل النار ، وظهر عليها كمال تأثيرها فهي مساوية [مساوقة] للنار في الإحراق لأنّ الحديدة إذا أحرقت فهو حرق النار في الحقيقة (**لأن الحديدة إذا أحرقت أحرقت بالنار فالمحرق في الحقيقة هو النار لا الحديدة ، وإنما ظهر تأثير النار فيها**) ، وإلى هذا المقام أشار الحجة عليه السلام في دعاء شهر رجب في قوله : (**فجعلتهم معادن لكلماتك وأركاناً لتوحيدك وآياتك [آياتك ومقاماتك وعلاماتك] التي لا تعطيل لها في كل مكان يعرفك بها من عرفك لا فرق بينك وبينها إلّا أنهم عبادك وخلقك فتقها ورتقها بيدك**) الدعاء .

فلا إشكال في المعراج [معراج صلى الله عليه وآله] بجسده الشريف ، كيف وقد نطق به القرآن وتواتر به النقل [تواتر النقل] ، وإنما الإشكال من الجهل بمعرفة جسد النبي صلى الله عليه وآله ، وفي معرفة الأفاعيل الإلهية ومن الخرق [وفي معرفة الخرق] والالتئام في الأفلاك فنقول : اعلم أن الله سبحانه خلق قلوب المؤمنين من فاضل طينة محمد صلى الله عليه وآله لأنه تعالى خلق قلوب الأنبياء عليهم السلام من طينتهم والفاضل هو الشعاع ، وخلق من فاضل طينة الأنبياء قلوب المؤمنين فنسبة [خلق قلوب المؤمنين من فاضل طينة الأنبياء عليهم السلام وخلق قلوب الأنبياء من فاضل طينتهم عليهم السلام ، والفاضل هو الشعاع فنسبة] قلوب الأنبياء إلى طينتهم كنسبة الشعاع إلى المنير وهو واحد من سبعين ، ونسبة قلوب المؤمنين إلى طينة الأنبياء كذلك واحد من

سبعين ، فنسبة قلبك في النورية والإدراك واللطافة إلى طينة محمد وآله صلى الله عليه وآله ، كنسبة شعاع الشعاع إلى المنير وهو واحد من أربعة آلاف وتسعمائة ، فانظر إلى نسبة قلبك وعقلك في نورانية [نورانيته] إلى أجسامهم عليهم السلام ، وقلبك الذي هو عقلك مع ضعف نسبته [مع ضعفه بالنسبة إلى أجسامهم] ، كيف ينظر إلى ما فوق السماوات و[وإلى] ما تحت الأرضين و[وإلى] ما في الدنيا والآخرة ، ولا يلزم من نفوذه في السماوات يلزم منه خرق [في السماوات خرق] ، ولا التئام فكيف الجسم الذي هو ألطف من عقلك وأنور [أنور منه] بأربعة آلاف وتسعمائة رتبة إذا صعد في [إلى] السماوات ولا يلزم منه خرق و[ولا] التئام ، فإن قلت : كيف يكون كذلك وأبصار الناس تراه صلى الله عليه وآله والعقول لا تراها الأبصار [الأبصار و] تراهم الأبصار [الأبصار قلت] لأن الله سبحانه ألبسهم قالباً كثيفاً بشرياً لينتفع بهم الناس لكن إذا قيست [قست] هذه البشرة [البشرية] التي ألبسهم الله تعالى إياها لينتفع بهم الناس إلى نورانيتهم كانت بنسبة [نسبة] ذرة واحدة إلى جميع العالم ، وأقل فلا يكون مانعة لقلّتها ، ألا ترى أنه صلى الله عليه وآله يقف في الشمس بثيابه ولا يكون له ظل فتعقل ذا كيف لا يكون له ظل بكل ثيابه ولو وضع ثوب واحد منها في الشمس ولم يكون [لم يكن] على جسده الشريف كان له ظل كغيره ، وأيضاً هذه [هذا] جبرئيل عليه السلام ستمائة جناح كل جناح أوسع [جبرئيل عليه السلام له ستمائة جناح أوسع] مما بين المغرب والمشرق وينزل بكلّه في صورة دحية بن خليفة الكلبي ، وإذا شاء مر من ثقب الإبرة وملأ السماوات والأرض لأن

المجردات النورانية لا يكون فيها تراخم [تزاحم] ، ولا تضايق و[ولا] تخرق الأشياء كالملائكة تنزل من السماوات وتصعد ولا يلزم منها خرق ولا التئام هذا وجه من الجواب ومعنى ثانٍ هو أن الصورة البشرية عند إرادة الصعود لها احتمالان : الأول أن صاعد [الصاعد] كلما صعد ألقى منه [منه في] كل مرتبة ما منها فيها مثلاً إذا أراد تجاوز كرة الهواء ، ألقى ما في جسده من الهواء فيها إذا أراد تجاوز النار ألقى ما فيه منها فيها وإذا رجع نازلاً أخذه الجسدة [أخذ جسده الشريف ما له] من كرة النار ، وإذا وصل إلى الهواء أخذ ما له من الهواء ، فإن قلت : على هذا إنما عرج بروحه [على هذا يلزم أنه إنما عرج روحه] قلت : ليس هذا عروجاً بالروح لأنا ما نريد [لا نريد] بإلقاء أجزاء الهواء ذوات الأجزاء بل عوارض الأجزاء لا ذواتها ولو ألقى ذواتها بطل بنية جسده وانحل تركيبه .

والثاني مثل ما ذكرنا ولا [ذكرنا أولاً] أن صورة البشرية التي هي المقدار والتخطيط تابعة للمادة والجسم الأصلي في اللطافة والكثافة ألا ترى أن المعصوم يكون [يجول] من المشرق إلى المغرب في خطوة [المغرب خطوة] واحدة ، وأن علياً يحضر جميع الأموات فلو مات سبعون ألفاً في لحظة واحدة حضرهم بجسمه [بجسمه الشريف] .

وروي أن الكاظم عليه السلام ما بين أن وضع رجله في الركاب إلى أن ركب على الدابة [ركب الدابة] قرأ التوراة والإنجيل والزبور والقرآن في أقل من دقيقة وأمثال هذا كثير [كثير كثير] ، كما هو مروي عنهم عليهم السلام والسبت [النسية] في هذا ونحوه

أن الأجسام اللطيفة إذا خفت من [عن] الذنوب والغفلة عن الله تعالى كانت بحكم الأرواح لا تزاحم فيها ولا تضايق ، فكما يجوز أن يصعد الروح والملائكة إلى السماوات بلا خرق ولا التئام وهي [وهي مع أنه] كثيفة بالنسبة إلى جسد النبي صلى الله عليه وآله كنسبة الواحد إلى أربعة آلاف وتسعمائة فلا يلزم من صعوده صلى الله عليه وآله ذلك بالطريق الأولى وهذا معنى آخر أيضاً من الجواب ، وهنا [وفيها] ثالث وهو إنما لم يجوزوا [وهو أنّا لم نجوز] الخرق والالتئام بزعمهم لما نظروا أن العالم كله على وضع واحد [وإذا] اختل ذلك الوضع بطل النظام ، فإذا خرق حصل حال مرور [مروره] فرجة بحبس [يحبس] الأجزاء المتأخرة وتجاوز الأجزاء السابقة ، فإذا وقفت المتأخرة وقفت جميع الفلك وبطل النظام على أنه [النظام لأنه] لا فرجة فيه ولا يمكن التخلل في أجزائه ولا تلزلزها [ولا يلتزموها] ، والالتئام إنما يكون بانبساط الأجزاء إلى الفرجة ولا يكون الانبساط إلّا مع التخلل والترفق [الوقف] .

واعلم أن هذه التقاريب جارية على مقتضى [مصداق] أفاعيل العباد وأما على مقتضى الأفاعيل [أفاعيل] الإلهية فلا يتوقف على هذه بعد ما علم وثبت بالأدلة القاطعة أنه تعالى سبب من لا سبب له وسبب كل ذي سبب ومسبب الأسباب من غير سبب ، وهذا المعراج من معجز خارق للعادة وذلك لأن قدرة الله عزّ وجلّ لا تقدر على مقتضى عقول الخلق بل إلّا فوق [بل فوق] ذلك بما لا يتناهى ، وإذا أراد [أردنا] بيان ذلك بمقتضى الأسباب قلنا : قد ثبت بالأدلة اللفظية [القطعية] أنه صلى الله عليه وآله علة الإيجاد

مطلقاً أي العلل الأربع الفاعلية لأنه محل مشيّة الله تعالى والمادية لأن الأشياء كلها موادها من أشعة نوره وأنوار أهل بيته عليهم السلام والصورية كلها هيئات أعمالهم كما [هيئة أعمالهم كما في المؤمنين الموحدين وعكوس هيئة أعمالهم كما] في المنافقين الكافرين والغائية ، لأن الخلق لهم خلقوا [الخلق خلقوا لهم] ، فإذا ثبت أنه هو العلة كان علة للأفلاك وما يترتب عليها من الأفاعيل في علة لأجسامها [للأفلاك وكل ما يرتبط عليها من الأفاعيل كجسمه الشريف علة لأجسامها] ونفسه صلى الله عليه وآله علة لنفوسها وعقله علة لعقولها ، فإذا أمر [مر] بالفلك كانت أجزاؤه التي بقدر جسمه الشريف حال مروره فثبت [تثبت] في بقاء جسمه بصورتها وتأثيرها كما فني نور السراج في ظهوره وفي إنارته [إنارته في إنارة] نور الشمس بحسب [بحيث] لا يكون للسراج [السراج] لا في إنارته ولا في تسخينه [أشعته] في نور الشمس أثر فإذا ذهبت الشمس عاد النور في ظهوره [ظهوره وفي إنارته] وفي تأثيره وكانت قبل ذهابها هي المنيرة والمؤثرة بما هو أقوى من تأثير السراج كذلك جسد [جسده] الشريف كلما حاذى في صعوده شيئاً من الفلك غاب ذلك الشيء في ظهوره وفي تأثيره وكان الظاهر والمؤثر في العالم مكان ذلك الجزء [الجزء و] هو الجسد الشريف بأقوى من تأثير ذلك الجزء [الجزء و] في العالم ، فإذا تجاوز عنه عاد على حاله من [عاد من] غير خرق ولا التئام بل هو صلى الله عليه وآله جاء [صاعد] بهذه الحالة سواء كان صعوده على خط مستقيم أم مع سير الفلك فإن كان على خط مستقيم كان ما اعترضه من الأجزاء التي يكون اصطفافها [يكون هو اصطفى ما فيها]

بالنسبة إلى خط سير المستقيم مورداً فيقوم بتأثيراتها ظاهر أو باطناً وبتأثرها [باطناً بتأثير] الوضعي وإن [فإن] كان مع سيرها قام بذلك في مقتضى حركتي [حركة] التوالي وخلاف التوالي في التقدير والتسخير وذلك مما أشرنا إليه من [من أن] جسده علة الأجساد وجسمه علة الأجسام وشبحه علة الأشباح [علة الأجسام ومثاله علة الأمثال ومادته علة المواد] وطبيعته علة الطبائع ونفسه علة النفوس وروحه علة الأرواح وعقله علة العقول والمرجل [والمراد] بهذا كان في عروجه صلى الله عليه وآله محيطاً بجميع أجزاء العالم من [في] ملكها وملكوتها وجبروتها ، فوقف ليلة عروجه [جبروتها فرقها ليلة العروج] على كل شيء عند أول [أول توقف ليلة عروجه] بدئه وآخره وما بينهما في جريتين في جرية أحاط بكل ما أشرنا إليه في الدنيا في جرية صعوده حتى وصل إلى أصل البدء لكل شيء في وقت كونه ومكانه [إمكانه] وفي جرية نزوله وقف على كل شيء في منتهاه [كل شيء في وقتها] في الآخرة وذلك كإحاطة المنير بأشعة ويحتمل على العكس قوى الأنبياء عليهم السلام كلًّا في رتبة [كإحاطة المنير بأشعته كل في رتبة] يوم خلق ويوم بعث ويوم يموت ويوم يعود وهو تأويل مفهوم [وهو قول عز من قائل في مفهوم] المخالفة من قوله تعالى : ﴿ مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا ﴾ ، فإنه تعالى اتخذ الهادين محمداً وآله صلى الله عليه وآله أعضاداً لخلقه وأشهدهم خلق أنفسهم وخلق السماوات والأرض وذلك له صلى الله عليه وآله في عروجه بمحسوسه ومعقوله فافهم راشداً .

وأما شبهة المانعين والمشكلين [المانعين المستشكلين] في عروجه صلى الله عليه وآله بجسمه لئلا يلزم الخرق والالتئام فواهية لأنّا نقول لهم : من أنى [أين] عرفتم أجرام السماوات ومعائر [مقادير] الأفلاك فهل صعدتم إليها لتعلموا ما هي فتحكمون عليها [عليها هل] عاينتم بأبصاركم ولمستم [ولامستم] بأيديكم أم أنتم تتبعون الظن وتخرصون [الظن أو أنتم تخرصون] ، هل عندكم من سلطان بهذا أم يقولون على الله ما لا يعلمون [تقولون على الله ما لا تعلمون] ، إن الذي أخبر لعروجه هو الخالق ويعلم من خلقه ما يجوز ويمتنع [يمنع] ألا يعلم من خلق والذي صعد بنفسه ورأى ببصره صلى الله عليه وآله وهو الصادق الأمين فعلى هذا من ترددون وفيمن يستكون [فعلى هذا فيمن تردون وفيمن تشكون] ، على أن الدليل الفؤادي دليل الحكمة مع النقل الصادق دالاً (**دال**) على جواز الخرق والالتئام وأنا أشير لك بذلك الدليل في الكلام القليل وهو قوله : ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ ، وقول الصادق عليه السلام : (**العبودية جوهرة كنهها الربوبية فما فُقد في العبودية وُجد في الربوبية وما خفي في الربوبية أُصيب في العبودية [العبودية الحديث]**) وقول الرضا عليه السلام : (**قد علم أولو الألباب أن ما هنالك [أن الاستدلال على ما هناك] لا يعلم إلّا بما ها هنا**) انتهى . وما حصل عليه الاتفاق من أن الإنسان هو العالم الصغير وفيه جميع ما في العالم الكبير [الكبير قال علي عليه السلام] :

أتحسب [وتزعم] أنك جرم صغير

وفيك انطوى العالم الأكبر

فإذا ثبت هذه الأدلة دلتك على ما قلنا ، فالحياة فيك هي مثل القمر وفكرك فلك العطارد ، وخيالك فلك الزهرة ، وجوابك الثاني فلك الشمس ووهمك فلك المشتري ، وعقلك فلك زحل ، ونفسك فلك الكوكب ، وقلبك الذي هو عقلك الفلك الأطلس فأية واحدة من هذه مما فيك هي جسم لا تقبل الخرق ولا الالتئام (**فالحياة فيك مثل فلك القمر وفلك العطارد مثل خيالك ، وفلك زهرة وهمك ، وفلك الشمس وجودك ، وفلك المشتري علمك ، وفلك زحل تعقلك ، وفلك المكوكب نفسك ، وفلك الأطلس قلبك هو عقلك فأنت واحدة فما فيك هي جسم لا تقبل الخرق والالتئام**) بل أي شيء منها يدل على ما توهموه من كون الأفلاك كالصخر [كالصخرة] الصلب ، وإنما فيها ما يدل [تدل] على أن السماوات كالبخار وذلك مثل قوله تعالى : ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾ وسأل محمد بن مسلم محمد بن علي الباقر عليه السلام عن [من] قوله تعالى : ﴿وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ قال عليه السلام : (**أن الروح مجانس الريح [الريح والريح مجانس العوى]**) الحديث ، ومتعلق تلك القوى منك مثل مخ [منخر] الدماغ والبخار اللطيف الذي في تجاويف القلب الصنوبري وحكمة الإيجاد في المخلوقات فإن [بأن] ما فوق الأرض هو الماء ويقبل الخرق الالتئام بغير تلزز [تلزلز] أجزاء منه ولا تخلل شيء منها ولا حصول فرجة فيه بل بالتموج من غير حصول خلل فيما يترتب عليه وفوقه الهواء بالطريق الأولى وفوق النار بهذه المثابة مع شدة اللطافة ومقتضى الحكمة في الصنع والأدلة السابقة أن ما فوق النار من سماه [فوق النار سماء] الدنيا وما فوقه هذه البتة لشهادة ما أودع الله فيك وأدلتك من

الاستدلال [البتة هكذا الشهادة ما أودع الله تعالى فيك ومن أدلتك الاستدلال] بقوله تعالى : ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ ﴾، وليس مقتضى الوضع بمانع من الخرق والالتئام ونحن أجد [نجد] في أنفسنا إذا زادت الحرارة على شخص منها أسرع نبضه ومع الرطوبة يسرع بقوة وبالبرودة مع اليبوسة يبطىء بضعف ، ومع الرطوبة يبطىء بقوة ، وإذا حصل في الإنسان شدة كان نبضه يقف في بعض النبضات حتى يترك نبضه [يترك ما اقتضته] ، فإن فهمت فهو مثل حصول الخرق فما لا يحصل بأمثال هذه فساد الجسد كذلك لا يحصل لذلك فساد النظام وفساد الأفلاك (**فما لا يحصل أمثال هذه فساد في الجسد كذلك لا يحصل بذلك فساد في النظام وفساد في الأفلاك**) ، على أنّا قلنا : إن الذي أتانا بالدين من ربّ العالمين وهو الصادق الأمين وآله الطاهرين [الطاهرون] هو الذي رأى وباشر [هو الذي زادنا شرفاً] وهو القائم المطلع على أسرار الحكمة وهو المخبر بذلك [وهو للخير يدلك] ، فإن قوله حقاً وإلا لزمهم إما أنه لم يعرف أو أنه يقول كرم الله حسبنا به التشريق عن النقائص [يقول كرم الله جنابه الشريف عن كل النقائص] والرذائل فيجب على المسلمين منهم أن [أنه] يقولوا : آمنا به كل من عند ربنا سمعنا وأطعنا وقبلنا وصدقنا [أطعنا وصدقنا] فإن هو مع ذلك وإلا فحسبهم الإيمان بما جاء من عند الله ومن عند [وعند] رسول الله صلى الله عليه وآله وحسب الجاحدين المنكلين النار .

والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على محمد وآله الطاهرين ، وكتب العبد المسكين أحمد بن زين الدين الأحسائي ليلة الخميس

ليلة الخامس من شهر ربيع المولود صلى الله عليه وآله سنة اثنين [اثنتين] وثلاثين ومائتين وألف من الهجرة النبوية على مهاجرها وآله أفضل الصلاة وأزكى السلام حامداً مستغفراً مصلياً مسلماً ، تمت .

* * *

رسالة مختصرة
في جواب سائل عن أربع مسائل

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المسألة الأولى (سؤال) : الوجود والإيجاد إمّا أبديّة أو غير أبديّة إن كان الأول فيخالف لصريح ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾ وإن كان الثاني فيلزم أن يكون الفيض [التفيض] وقبول الفيض منقطعاً كما ترى .

المسألة الثانية (سؤال) : (و) لمّا لم تعلّق إرادة الله تعالى بفعل المأمور به لم يصدر الفعل من العبد فيكون مجبوراً .

المسألة الثالثة : (و) في الحديث : (**إنّ الله خلق آدم على صورته**) .

المسألة الرابعة وروى ابن أبي جمهور الأحسائي [اللهسائي] ، عنه عليه السلام قال : (**إن لله شراباً لأوليائه إذا شربوا سكروا (شكروا وإذا شكروا طربوا وإذا طربوا) طابوا وإذا طابوا ذابوا ، وإذا ذابوا خلصوا ، وإذا خلصوا طلبوا ، وإذا طلبوا وجدوا ، وإذا وجدوا وصلوا ، وإذا وصلوا [اتصلوا ، وإذا اتصلوا] لا فرق بينهم وبين حبيبهم**) ، ومما يناسب هذا الحديث ما ورد في الحديث القدسي : (**طلبني وجدني (ومن وجدي عرفني ومن عرفني أحبّني ومن أحبّني عشقني ومن عشقني عشقته ومن عشقته قتلته ومن قتلته فعليّ ديته ومن عليّ ديته فأنا ديته**) .

الجواب : الإيجاد والوجود باقيان وقوله تعالى : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾ فالمراد [المراد] به التغيّر وتفرّق الأجزاء لا العدم وذلك لا ينافي البقاء فإنه يكسره ليصوغه صيغة لا يتغير أبداً انتهى .

[و] **جواب المسألة الثانية** : إنّ الإرادة تتعلق بفعل العبد ولا يكون شيء إلّا بإرادة الله ولا يلزم الجبر لأن إرادة الله وقدرته حافظان لوجود العبد وفعله عن الفناء وبهما يكون العبد وفعله موجودين فيفعل العبدُ الفعلَ باختياره فلا يكون مجبوراً انتهى .

وجواب المسألة الثالثة : إنّ فيها وجوهاً : **أحدها** : أنّ الضمير في صورته يعود إلى آدم يعني خلقه على ما هو عليه .

وثانيها : أنّ بعض الحديث محذوف فإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله **سمع رجلاً يشتم آخر ويقول له قبّحك الله وقبّح ممّا يشبه** صورته [كذا] **فقال صلى الله عليه وآله : لا تقل هكذا فإنّ الله خلق آدم على صورته ، أي صورة من تشتمه .**

وثالثها : أنّ الله سبحانه خلق صورة اختصّ بها ونسبها إليه وشرّفها كما نسب الكعبة إلى نفسه فقال : بيتي وتلك الصورة هي الصورة المحمدية صلى الله عليه وآله وخلق آدم عليها انتهى .

وجواب المسألة الرابعة : إنّ هذه الرواية التي رواها ابن أبي جمهور ليست من طرقنا وإنما هي من روايات العامّة وكذلك الحديث القدسي ليس من رواياتنا ولكن من جهة المعنى لا منافاة فيهما .

أما الأول فمعنى لا فرق بينهم وبين حبيبهم أنهم وصلوا إلى مقام لم يشاؤوا ما سوى الله فتجلّى لهم من [في] كل شيء فرأوه ظاهراً في كل شيء وحينئذٍ لا فرق بينهم وبينه .

وأما الثاني فمعنى فأنا ديته أنّي أقرّبه مني ويتلذّذ بكلامي ومناجاتي فيكون نعمه [نعيمه] في ذلك ولا أجعله مثل سائر أهل الجنّة الذين يتلذّذون بالمآكل والمشارب والمناكح ، وكتب أحمد بن زين الدين .

* * *

رسالة مختصرة
في جواب سائل عن مسائل
(والموجود منها أربع عن المكمل التكويني)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وبه نستعين

أما بعد، فيقول العبد المسكين أحمد بن زين الدين :

قوله سلّمه الله : إن مكمّل التكويني لا بدّ أن يكون مكمّل التشريعي وجناب فاطمة عليها السلام مكمّل في التكوين ولم يكن مكمِّلاً في التشريع .

أقول : ما كلُّ مكمّلٍ في التكوين يكون مكمِّلاً في التشريع وكذلك العكس مثل الخِضر وموسى عليهما السلام فإن الخِضر عليه السلام كان مكمِّلاً في التكوين ولم يكن مكمِّلاً في التشريع ، وموسى عليه السلام بالعكس ، نعم إذا كان المكمِّل كلياً عاماً أعني أنه إذا كان لجميع ما سوى الله سبحانه يكون مكمِّلاً في التكوينات والتشريعات كلها ومحمد وآله صلى الله عليه وآله كذلك فكل واحدٍ من الأربعة عشر صلى الله عليه وآله أجمعين علّة لكل شيء فكل واحد منهم علة للوجودين الوجود التشريعي والوجود الكوني وللتشريعيْنِ التشريع الكوني والتشريع الشرعي ، وأما فاطمة عليها السلام فكذلك إلّا أنّ الأداء عن الله سبحانه سقط عنها كما سقط الجهاد عن النساء كما هو مقتضى مقامهن إذ من المكلّفين رجال ولا يجوز للنساء تبليغهم لوجود المحذور في كثير من الأمور مع

أنها محلّ القُوّام بذلك عليهم السلام كما يشير إليه قوله تعالى : ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ ﴾ .

وقوله سلّمه الله : على قولي في شرح الفوائد والنفس الرحماني الأوّلي الخ ، فإن تمثيلي بالألف أريد به أن الوجود الفائض من فعل الله وبه تقوّمت الأشياء دليلُه وآيتُه الألف اللينة في الأصوات ، فإنها هي نفَسُه بفتح الفاء أي نفس الإنسان يخرج من جوفه ويمتدّ إلى الهواء والحروف التي يتلفّظ بها الإنسان في كلامه ودعائه وقراءته كلها شُعَب من الألف كالنفَس الرحماني بفتح الفاء فإنه يخرج من تأكيد الفعل إلى قوابل الإمكانات فيلزم مما ذكرنا أنه لا يمكن للقارىء أن يقرأ أو يدعو أو يتكلم إلّا على نحو ما ذكرنا ولا نريد أن الألف اللينة التي يتلفظ بها الإنسان هي النفس الرحماني كما يتوهم .

وقوله سلّمه الله تعالى : إمكان الكلي الذي هو الموادّ لكل الأشياء هو الإمكان الراجح الذي هو مكان المشيّة أم الإمكان الذي هو مواد الأشياء سوى الإمكان الراجح .

أقول : الإمكان الراجح هو أثر المشيّة الإمكانية وتأكيدها مثل الضرب بسكون الراء فإنه أثر ضرَب بفتح الراء وتأكيده كما تقول ضَرَبَ ضَرْباً فإن ضرباً أوّل فائضٍ من ضَرَبَ وتأكيده والإمكان أوّل موجودٍ حدَث مع وجود المشيّة الإمكانيّة كالكسر والانكسار في التلازم وهو هيولى كل ما سوى الله سبحانه وموادّ الأشياء عناصر نورانية من ذلك الأصل ، وكونه يقع صفة لما هو أصل له مثل قولك شيء ممكن ، إنما كان جَرْياً على ما وضعت عليه أسرار اللغة العربية كما تقول شيء موجود مع أن الوجود أصله فيوصف

بما هو أصله لبيان ذلك الأصل ، فموادّ الأشياء الخاصّة بكل شيءٍ تأكيداتُ المشيّة الكونية كما أن هيولى الأشياء الكليّة تأكيدات المشيّة الإمكانية . واعلم أنّ الوجود الراجح نطلقه على المشيّة الإمكانيّة والإمكانات كلها وعلى المشيّة الكونيّة خاصّة ، وأمّا الأكوان والمكونات كلها فهي من الوجود المقيد فافهم .

وقوله سلّمه الله : ما الجواب أن الإمام عليه السلام لأي شيء ينحصر في الإثني عشر وأن الأئمة عليهم السلام لأي شيء كانوا منحصرين في أربعة عشر ؟

أقول : اعلم أنّ الأعداد إذا تتبّعتها وجدتَ كل مرتبةٍ من مراتبها فيها عدد تام فالآحاد فيها ستّة فإن الستة عددها تام بمعنى أن كُسوره لا تزيد عليه كالاثني عشر فيكون ناقصاً ولا تنقص عنه كالثمانية ، فيكون زائداً بل تساويه كالستة ، فإن نصفها ثلاثة وثلثها اثنان فهذه خمسة وسدسها واحد ، فهذه ستة ولا يوجد في الرتبة أكثر من عددٍ واحدٍ تامّ كما أنه لا يكون إمام كلي عام بولايته لجميع ما سوى الله سبحانه إلّا واحد لا أزيد ، إلّا إذا كان صامتاً ، وذلك لأن العدد التام أشرف الأعداد فهو كالإمام عليه السلام ، فإنه بالنسبة إلى الرعيّة تام ظاهره طبق باطنه وخافيه كباديه ، ولمّا كان ذلك معتبراً في الغيب والشهادة كان ستة للشهادة وستة للغيب فهذه اثنا عشر ، وأيضاً إن الآيات الآفاقية تشهد أن الأصول لا بدّ أن تكون سبعات والفروع اثني عشريات مثلاً الأنبياء عليهم السلام أولو الشرائع الناسخ ، سبعة لأنهم أصول آدم ونوح وصالح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليه وآله وعليهم والأوصياء فروع عليهم السلام ، فهم اثنا عشر آدم عليه السلام

وأوصياؤه اثنا عشر ، ثم نوح عليه السلام وأوصياؤه اثنا عشر ، ثم صالح عليه السلام وأوصياؤه اثنا عشر ، ثم إبراهيم عليه السلام وأوصياؤه اثنا عشر ، ثم موسى عليه السلام وأوصياؤه اثنا عشر ، ثم عيسى عليه السلام وأوصياؤه اثنا عشر ، ثم محمد صلى الله عليه وآله وأوصياؤه اثنا عشر عليهم السلام ، فجرت الحكمة في كل الأصول والفروع هكذا ، فالأفلاك أصول وهي سبعة والبروج فروع وهي اثنا عشر ، والأيام أصول وهي سبعة ، والساعات فروع في كل يوم اثنا عشر ساعة وهكذا ، إنّما كانت الأصول سبعة لأن السبعة عدد كامل لاشتماله على أول عدد فرد وعلى زوج الزوج ، أعني الثلاثة والأربعة فكانوا عليهم السلام باعتبار تمامهم وتتميمهم ستة وباعتبار الغيب والشهادة اثنا عشر وكانوا عليهم السلام باعتبار حقائقهم فوق التمام الإمكاني كاملين فهم سبعة وباعتبار ما تفردوا به من الكمال عن كل ما سواهم. . .

* * *

رسالة مختصرة
في جواب سائل عن أربع مسائل
رسالة مختصرة في شرح قوله
إن الله يخلق على مقتضى الحكمة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سلام عليك ورحمة الله وبركاته .

أما بعد ، فاعلم أن الكلام يختلف بحسب اختلاف المقامات ، فإن قلنا : إنه يخلق على مقتضى الحكمة لأجل تفهيم العباد ما يريد منهم مما فيه صلاحهم وتوفيقهم لما يحب ويرضى ، قلنا : إن الإمكان بمعنى المكون من الممكنات كما هو مرادنا في قولنا ليس في الإمكان أبدع مما كان ، أي ليس في المكونات على مقتضى الحكمة أكمل مما كُوِّن إذ لو أمكن لكُوِّن ، فإذا كان كذلك ، قلنا : إنه تعالى ما خلق أفضل منه ولو فرض شيء أفضل منه صلى الله عليه وآله لكان ذلك المفروض إياه لا سواه ، إذ كل ما يعقل من المكونات على مقتضى الحكمة دون حقيقته صلى الله عليه وآله ، إلّا إذا أريد به ما في ألواح الباطل مما خلقه تعالى في الثرى مقتضى أوهام الملحدين ، فإنهم إذا توهموا أن الجدارَ مثلاً أفضل من محمد وأهل بيته صلى الله عليه وآله لا بدّ أن يخلق الله ذلك في تلك الألواح المنكوسة فتظهر صورة ذلك في خيال ذلك الشخص المتوهِم لأنه يقابل بمرآة خياله تلك الألواح الخبيثة فتنتقش فيها صورة ما في تلك الألواح فافهم .

وإن نظرنا في هذه المسألة بنظر النور فيما يحتمله الإمكان بمعنى

الجواز جاز أن نقول : إنه تعالى قادر على أن يخلق ما هو أفضل من محمد وآله صلى الله عليه وآله ، بل قد تحقق في آثار المشيّة مما انطوى عليه من خفايا أسرار القدرة الأزلية سبحانه وتعالى ، والقرآن مشحون من ذلك والأحاديث متواردة بذلك ، ولكن لا يعقله إلّا العالِمون والعاملون هنا بكسر اللام محمد وآله صلى الله عليه وآله ومن علموه ذلك مشافهة من شيعتهم ، ولكن لو خلق ما خلق على غير مقتضى الحكمة لما عرف أحد من الخلق شيئاً مما خلق إلّا ببيان خاص لا يصلح لشيء آخر وقد أشرنا إلى هذا التعليل في ملحقات الفوائد .

واعلم أن القوم الذين قالوا : ليس في الإمكان أبدع مما كان ، يريدون بالإمكان الجواز يعنون لا يمكن أن تتعلق قدرة الحق عزّ وجلّ بشيء يكون أكمل مما خلق ونحن نقول : هذا الكلام باطل وقدرة الله تعالى لا تقف على حد يمكن العقول أن تقدره ، ولهذا قلنا : ليس شيء إلّا الله عزّ وجلّ وخلقه فكل ما تعبر الألسن عن اسمه ، إما أن يكون هو الله سبحانه أو خلقه وليس شيء اعتباري ولا ممتنع بل كل ذلك خلق الله تعالى أي خلقه ولو لم يخلقه قبل ذلك لما أمكن أن يتلفظ باسم يدل عليه يميزه عند المخاطب والمتكلم ، قال الصادق عليه السلام : (**كل ما ميزتموه بأوهامكم في أدق معانيه فهو مثلكم مخلوق مردود إليكم**) ، وكذلك قال الرضا عليه السلام حين سأله ابن فضال قال : قلت له : لِمَ خلق الله عزّ وجلّ الخلق على أنواع شتّى ولم يخلقه نوعاً واحداً ؟ فقال : (**لئلا يقع في الأوهام على أنه عاجز ولا تقع صورة في وهم أحد إلّا وقد خلق الله عزّ وجلّ عليها خلقاً لئلا يقول قائل : هل**

يقدر الله عزّ وجلّ صورة كذا وكذا ، لأنه لا يقول من ذلك شيئاً إلّا وهو موجود في خلقه تبارك وتعالى ، فيعلم بالنظر إلى أنواع خلقه أنه على كل شيء قدير) .

وكقوله عليه السلام لما قيل له : إنه اختلف زرارة وهشام بن الحكم فقال زرارة : النفي ليس بشيء وليس بمخلوق ، وقال هشام : النفي شيء مخلوق ، قال السائل : فقال لي : **(قل في هذا بقول هشام ولا تقل بقول زرارة)** انتهى .

والحاصل أن الله سبحانه قادر على أن يخلق أفضل من محمد صلى الله عليه وآله إلّا أنه يكون على خلاف مقتضى الحكمة ، **فإن قلت** : فهل يقدر على أن يخلق ذلك ويكون على مقتضى الحكمة ، **قلت** : نعم ، ولكنه يكون على خلاف مقتضى الحكمة لأنه إذا جعل ما هو خلاف مقتضى الحكمة هو مقتضى الحكمة كان غير معقول إذ المعقول أن الأعوج أعوج فلو جعل الأعوج مستقيماً فإن كان في حال أنه أعوج كان ما قلنا ، وإن أردت أنه يغيره عن حقيقته إلى حقيقة أخرى فهو قادر على ولكن هذا من مقتضى الحكمة ، ثم يا عباد الله الضعفاء لا تقدروا عظمة الله على قدر عقولكم فتهلكوا ، وأما الاحتمالات والتجويزات والفروض التي تفرضونها وتعتبرونها فليست من الحق والنور ، فإن العلم نقطة كثرها الجاهلون انتهى .

والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين .

(الخاتم الشريف) أحمد بن زين الدين

* * *

رسالة في جواب الميرزا أحمد
في شبهة الآكل والمأكول

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى جناب الأرشد الأعظم الأمجد الأكرم الأسعد الميرزا أحمد حمدت عاقبته ، [عافيته] أهدي جميل السلام ، والتحية والإكرام .

أما بعد : فسلام عليك ورحمة الله وبركاته ، ثم إنا نحمد الله الذي لا إله إلا هو [إليك] ، ونصلي على محمد وآله ، أنه قد وصل إلى محبكم وداعيكم ما [وما] ذكرتم فيه من شبهة الآكل والمأكول ، فاعلم أن هذه شبهة ضعيفة ذكرها بعض المتكلمين وتوهم فيها كثير منهم ، وأصل ذلك الاشتباه عدم الفرق بين العوالم وأحوالهم ، ولو أنهم فرقوا بين [ما بين] عالم الدنيا وبين عالم البرزخ وبين عالم الآخرة ما اشتبهوا ، وأصل ذلك أن الأشياء [الأشياء كلها] نزلت بحقائقها من خزائنها إلى هذه الدنيا ، إلّا أن كل شيء منها إذا نزل إلى رتبة لحقه [لحقته] أعراضها ، فإذا رجع إلى جهة مبدئه خلع عرض كل رتبة [رتبة فيها] ، فلما نزل إلى الدنيا لحقه [لحقته] الأعراض البشرية العنصرية وبها كان محسوساً بالحواس الظاهرة ، ألا ترى أنك ترى جسم زيد بعينك الظاهرة ولا ترى روحه بها ، لأن جسمه نزل إلى العناصر فتكدر بأعراضها فأدركه بصرك وروحه لم يزل ولم يتكدر [لم تزل ولم تتكدر] بأعراض العناصر ، فلأجل ذلك لم يرها بصرك ، فإذا قطعت جسم

زيد نصفين بالسيف ، انقطع ، لأن السيف من نوع جسمه الظاهري العنصري ولم ينقطع [لم تنقطع] روحه لأنها ليست من نوع السيف ، فلم يصل السيف إليها ولم يباشرها فكما أنه لم يصل إلى الروح ولم يباشرها لأن رتبة تحققه تحت رتبة تحققها كذلك لم يصل إلى الجسم النازل إلى الدنيا الذي هو الأصل الذي لا يتغير ولا يتبدل وهو الذي ذكره [ذكر] عليه السلام في قوله : (**تبقى في القبر [قبره] مستديرة**) انتهى ، وإنما يتعلق القطع بالأعراض التي هي [هي من] العناصر كما إذا قلت : كسرت الثلج ، فإن الكسر لا يتعلق بالماء وإن كان حاملاً للثلج الذي يتعلق به الكسر . ومسألة الآكل والمأكول من هذا المعنى فإن زيداً إذا أكل عمراً حتى يغتذي به ، فإنما يغتذي بالجسم العنصري وهو الأعراض والأوساخ التي لحقت الجسم الحقيقي الأصلي الذي هو جسم عمرو حقيقة ، والجسم الحقيقي لا يكون شيء منه غذاءً أبداً [أبداً ولا يستحيل منه شيء غذاء] لجسم زيد بل لا يباشره ولا يماسه لأن الجسم الحقيقي من عالم البرزخ والمغتذي به لا يكون إلا من عالم العناصر .

وقد أشار تعالى إلى هذا في قوله : ﴿ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَـٰبٌ حَفِيظٌۢ ﴾ يعني [يعني أنه] محفوظ في كتاب الحفظ [الحفيظ] إلى يوم البعث فيجمع ما تفرق منه بالجسم الحقيقي كالثوب ، والجسم المغتذي به كالوسخ التي [الذي] في الثوب ، فإن الوسخ لحق الثوب من الاستعمال فإذا غسل عاد إلى حاله الأول من غير نقص ولا زيادة وكذلك هذه الأعراض التي لحقت الجسم الحقيقي فإذا أكل اغتذى الآكل بالأعراض العنصرية الدنيوية

التي هي في الجسم الحقيقي كالوسخ في الثوب ، فإذا بعث الله الخلائق عاد جسم عمرو المأكول بتمامه من غير زيادة ولا نقص ولا تبدل ، لأنه هو الجسم النازل إلى الدنيا فإذا خرج من الدنيا ومن هذا العالم ألقى ما لحقه منه فيه ، فالعائد هو المبدأ (**كما بدئكم تعودون**) . فافهم فإن هذا مما لا شك فيه ولا شبهة يعتريه [تعتريه] والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، كتبه العبد المسكين أحمد بن زين الدين الأحسائي حامداً مصلياً مستغفراً .

* * *

رسالة في جواب الشيخ
جعفر قراكوزلوي الهمداني

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين .

أما بعد ، فيقول العبد المسكين أحمد بن زين الدين : أنه قد أرسل إلى الشيخ الأفخر العالم العامل الآقا جعفر قراكوزلوي الهمداني ـ أصلح الله جميع أحواله ـ في مبدئه ومآله بحرمة محمد وآله أمين رب العالمين ، كلمات ذكر فيها اعتقاده لأنظر فيه وأقرّر منه ما وافق الحق وما رأيت فيه منافاة أذكر وجه عدم صحته وأذكر الصحيح وأشير إلى وجه صحته ، وذلك لما تكلم في عرضه بعض الناس وقال : إنه صوفي والتصوّف يطلق على الأعمال المنافية للشرع مع دعوى أنها طريقة الشارع عليه السلام ، ويطلق على الاعتقادات الباطلة التي هي تخالف ما أتى به صاحب الشريعة عليه السلام ، وحيث علم من حاله أنه ملازم لما أتى به الشارع عليه السلام ، ذكر الاعتقاد الذي فيه الكلام من بعض الناس عليه وأنا أذكر عبارته على نحو المتن وأتكلم على ما فيه المنافي للاعتقاد الصحيح .

قال أيده الله : بسم الله الرحمن الرحيم ، المعروض على الجناب المستطاب أن الحقير لما تشرف بخدمتكم واستنار قلبي بنور مشاهدتكم ، عمتني العنايات الإلهية والتوفيقات القدسية ،

فرأيت في نفسي أن أعرض عقائدي وألزمت على نفسي أن أكشف عنها الغطاء لذلك الجناب ، حتى يطلع ذلك الجناب فإن كان فيها خدش أو خطأ فالمرجو من ذلك الجناب التنبيه عليه ، والإشارة على رده ، وإثبات الصواب فيه بالبرهان وهو أني أشهد الله وملائكته ورسله وأنبياءه وجميع خلقه ، أنهم يشهدون علي في الموقف ، أن الله سبحانه واحد في جميع العوالم .

أقول : يعني أنه سبحانه واحد متفرد بالوحدانية في ذاته ، وفي صفاته ، وفي أفعاله فيما هو سبحانه عليه في الأزل ، وفي السرمد ، وفي الجبروت ، وفي الملكوت ، وفي الملك ، وفي الخارج ، وفي الذهن وفي نفس الأمر في الغيب والشهادة ، الظاهر والباطن بالاعتقاد والأعمال والأقوال والأحوال .

قال أيده الله : بمعنى أنه لا نظير له ، ولا ند ولا ضد ولا جزء له لا في الخارج ، ولا في الخيال ، ولا في الوهم ، ولا في العقل ، وكل شيء معدوم في رتبة ذاته حتى أسمائه وغيوره .

أقول : في هذا الكلام إجمال في ثلاثة مواضع :

الموضع الأول : قوله وكل شيء معدوم .

قال بعضهم : حقائق الأشياء في علمه الذي هو ذاته ، وهي ليست متميزة عن ذاته ليست معدومة ولا موجودة بل هي ثابتة .

وقال آخرون : هي الصور العلمية وهي غير مجعولة وهي خارجة عن الذات معلقة بها تعلق الظل بالشاخص .

وقال آخرون : هي خارج الذات والعلم المتعلق بها موجود في

رتبة الذات وأمثال هذه الأقوال الثلاثة يحتملها ظاهر العبارة، وكلها باطلة لاستلزامها وجود شيء غير الذات البحت في رتبة الذات مع أنه يقال: إنها ليست غير الذات، وإن كان المراد منها أن كل شيء من علم أو معلوم بالفعل أو بالقوة غير محض الذات البحت المعبود بالحق ممتنع في رتبة الذات فهو حق، لأن رتبة الذات هو الأزل والأزل هو ربنا المعبود بالحق، وإذا ثبت أن الأزل هو الذات البحت فلا يكون فيه غيره وإلا لكان تعالى محلاً لغيره.

وقولي: أو بالقوة أريد به قول من يقول: إن معطي الشيء ليس فاقداً له، فإنه فيه بالقوة ـ وكما قال الملا محسن في الكلمات المكنونة ـ فإن الكون كان كامناً فيه معدوم العين ولكنه مستعد لذلك الكون بالأمر، ولما أمر تعلقت إرادة الموجد بذلك واتصل في رأى العين أمره به ظهر الكون الكامن فيه بالقوة إلى الفعل، فالمظهر لكونه الحق والكائن ذاته القابل للكون فلولا قبوله واستعداده للكون لما كان فما كونه إلا عينه الثابتة في العلم لاستعداده الذاتي غير المجعول وقابليته للكون وصلاحيته لسماع قول (**كن**)، وأهليته لقبول الامتثال فما أوجده إلّا هو ولكن بالحق وفيه انتهى.

فانظر كيف حكم بأن العالم كامن في الذات بالقوة، ولما توجه إليه قول (**كن**) قبل باستعداده غير المجعول وكون نفسه الظاهرة بالحق وفي الحق تعالى عن ذلك، فالمكون للعالم الظاهر بالفعل عين العالم الثابتة في العلم الكامنة في ذاته، فلما كوّن نفسه الظاهرة بالحق، وفي الحق ظهر الكون الكامن في ذاته بالقوة إلى

الفعل ، مع أنك لو سألته هل في رتبة الذات الحق غير الذات شيء بأي فرض اعتبر ، قال لك : لا فإن أريد بامتناع كل شيء في رتبة الذات معنى ما ذكرنا وإلا فهو باطل .

الموضع الثاني : قوله حتى أسماؤه إن أريد به أن الأسماء معدومة في رتبة الذات لأنها إن كانت أسماء أفعال ، لم تتجاوز رتبة ما يتقوّم بالأفعال ، كالقائم إذا حمل على زيد لأنه اسم فاعل القيام وإن كانت أسماء للذات كانت مميزة للذات عما يشاركها فهي على الحالين تحت رتبة الذات ، فلا يتحد منها شيء بالذات بحال من الأحوال ، فهي بكل اعتبار معدومة في رتبة الذات وقد تطلق ويراد منها الذات فلا تعتبر بنفسها وإن كان إطلاقها على الذات إنما يصح بلحاظ الصفات وأهل التصوف يطلقون الاسم على الذات ويقولون : إن نسبة الاسم من المسمى نسبة الظاهر من الباطن ، ثم يقولون : هو بهذا الاعتبار عين المسمى فإذا اعتبر أنه عين المسمى ، جعل الاسم معدوماً في رتبة المسمى وهو عينه بناء على مذهبهم من القول بوحدة الوجود ولذا قالوا : هو عين المسمى ، مع أنه إن نسبته منه نسبة الظاهر من الباطل [الباطن] وهذا اعتقاد باطل كأصله ، والحق أن الأسماء كلها بكل مراد لا وجود لها في رتبة الذات ، لا في وجود ، ولا في علم ، ولا في ذكر ، وإن وجد العلم في الذات لا يتعلق بها إلا في رتبة وجودها تحت وجود الذات لأن فرض وجود تعلقه بها في رتبة الذات مناف للتوحيد الحق .

الموضع الثالث : قوله : وغيوره يعني به أن غيوره منتفية في رتبة الذات ، فنقول : الصفات السلبية من الغيور لأن قولك : إن

الله تعالى ليس بجسم صفة سلبية جارية بنفي الجسم على تحديد الغير ، فلا يكون الله عزّ وجلّ موصوفاً بها وإنما الموصوف بها المحدود بها وهي تلك الغيور ، كما قال الرضا عليه السلام : (**كنهه تفريق بينه وبين خلقه وغيوره تحديد لما سواه**) ، فالصفات الثبوتية المحمولة صفات فعل فهي في نفس الأمر محمولة على الفعل ، والصفات السلبية في نفس الأمر محمولة على ما أثبتته الأوهام الغافلة له تعالى ، فكل ما سواه غيوره والغيور مطلقاً ممتنعة في رتبة الذات ، فهذا تفصيل الإجمال في المواضع الثلاثة .

قال سلمه الله : وكلها مخلوقة وصادرة عنه تعالى كما تشهد به الأحاديث والأدعية المروية عن الأئمة عليهم السلام ، وعلمه تعالى بالنسبة إلى المخلوقات ، لا يتفاوت سابقاً كان أو لاحقاً .

أقول : قوله وعلمه تعالى بالنسبة إلى المخلوقات فيه إجمال أيضاً من جهة العلم نفسه ومن جهة معنى الكلام ، فالأول إن أريد بالعلم العلم الذي هو هو تعالى فالمعنى بالنسبة إلى دخولها في ملكه من غير أن يكون تعالى فاقداً لشيء في حال من الأحوال ، ولا ينتظر أو يستفيد بشيء ، أو يستقبل لشيء ، وهذا العلم هو الله عزّ وجلّ لا يطابق شيئاً ؛ ولا يطابقه شيء ، ولا يقع على شيء ، ولا يقع عليه شيء ، ولا يتعلق بشيء ، ولا يتعلق عليه شيء ، ولا كيف ، لذلك وإن أريد به علمه الذي هو كتابه الذي ذكره في كتابه المجيد : ﴿ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴾ وقال ﴿ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ ﴾ وما أشبه ذلك فالمراد به العلم الحادث وهو المروي عن أئمة الهدى ، عليهم السلام سمّى الإمام علي بن الحسين

عليهما السلام العرش بالعلم الباطن ، وهو علم الكيفوفة ومنه مظهر البداء وعلل الأشياء والكرسي العلم الظاهر والمعروف بين المسلمين أن اللوح المحفوظ كتب فيه القلم بإذن ربه ما كان وما يكون إلى يوم القيامة وهو المشار إليه في الآيتين المتقدمتين ، وهذا العلم اعتبار تفاوته وعدمه مبني على كونه عين المعلوم أو غير المعلوم أو أن بعضه عين المعلوم وبعضه غير المعلوم ، وهذا الاختلاف لا تعلق له بما نحن بصدده في الجملة في نفسه ، نعم قد تترتب على ذلك مسائل يلزم منها على أحد هذه الأقوال أمور عظيمة النفع أو كثيرة الضرر .

قال أيده الله : وقدرته ومشيّته بالفعل والترك لا يتفاوت مقدّماً كان أو مؤخراً ، وليس في فعله ظلم ولا تعسّف ، وأن الجبر والتفويض كلها باطلان وأنه تعالى معرّى من جميع النقائص الإمكانية ومنزّه منها ، وأنه تعالى مباين لجميع المخلوقات ذاتاً وصفة وفعلاً والحلول والاتحاد والتناسخ ووحدة الوجود ، بمعنى أنه ليس إلا الله تعالى وليس موجود سواه باطلة .

أقول : العبارة عن وحدة الوجود أن يقال : إنه تعالى هو كل الأشياء وأن جميع الخلق منه تعالى كالموج من البحر والحروف من النفس والحروف المنقوشة من المداد وما أشبه ذلك ، إلا أن عبارته ـ سلمه الله ـ أراد منها ما أردنا والتناسخ بأقسامه الأربعة : النسخ والمسخ والفسخ والرسخ .

قال أيده الله : لأن هذا القول مخالف لبداهة الحس والعقل باعث لسقوط التكاليف الشرعية ، وموجب لمفاسد كلية وأما وحدة الوجود بمعنى أن حقيقة الوجود مستغنية عن الكل والكل في

الوجود والبقاء محتاجة له ، وأن الأشياء ليس لها من ذاتها شيء بل كل شيء منحصرة فيه تعالى ، أعتقده ، وأعتقد بنبوة محمد صلى الله عليه وآله من بعده بحول الله وقوته ، وما وصل منهم من المحكم والمتشابه أقر بصدقه وحقيقته على ما هو مرادهم ومقصودهم عليهم السلام ، والذي لا أعرفه من أخبارهم ألزم فيه التسليم لهم وخاتمهم حي وهو القائم عليه السلام ، وأنتظر فرجه وظهوره عليه السلام ، وكل ما وصل منهم من ضغطة القبر وسؤال الملكين ورجعتهم والمعاد الجسماني والروحاني والميزان والصراط والجنة والنار كلها حق وأعتقد أن مخالفيهم من الكفار وغيرهم مخلدون في النار ، وأعتقد أن محمداً وآله عليهم السلام أفضل من جميع الأنبياء والمرسلين ، وحلالهم حلال إلى يوم القيامة وأحب من يحبهم ، وأبغض من يبغضهم ولو قريب أو بعد ووردي اللهم والِ من والاهم وعادِ من عاداهم ، وانصر من نصرهم واخذل من خذلهم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أقول : والحاصل من أول كلامه إلى قوله موجب لمفاسد كلية كل ألفاظه مع ما تدل عليه لغة صحيحة لا شك في ذلك ، وأما المقصود منها غير ما تدل عليه الألفاظ لغة ، فصحته وبطلانه موقوفة على الاطلاع على المراد منها اصطلاحاً أو لغة من جهة الحقيقة أو المجاز وذلك شيء لا أعرف حكمه حتى أطّلع على المراد منه .

وأما قوله : وأما وحدة الوجود بمعنى أن حقيقة الوجود مستغنية عن الكل فظاهره على ما اصطلحوا عليه باطل في معناه ، لا يصح اعتقاده لأن قوله : إن حقيقة الوجود يدل على أن الوجود يتناول

الواجب والممكن فأصله واجب وهو خالصه عن الشوائب ، وفرعه ممكن مشوب بالنقائص ، فالوجود يصدق على شيئين من جهة يكون بالتواطؤ نظراً إلى ذات الوجود ، وإذا نظرت إلى صفته الذاتيّة قلت : بالتشكيك من جهة قوة خالصة وضعف المشوب منه .

وأما المراد والمقصود منه إن كان غير هذا فيُنظر فيه .

وأما قوله : فالكل في الوجود والبقاء محتاجة له ، فهذا إن أريد به أن الاحتياج إليه راجع إلى فعله ، وأثر فعله فهو صحيح وإن كان راجعاً إلى ذاته ، فإن كان من حيث كونه فاعلاً فلا بأس ، وإلا فلا يجوز .

وقوله : وإن الأشياء ليس لها من ذاتها شيء منحصرة فيه ظاهر والحاصل أن الكتابة ما تدل على الضمير إلّا إذا لفظها لا يحتمل غير ما تدل عليه على جهة الحقيقة .

وأما إذا احتمل اللفظ غير ذلك من حقيقة أو مجاز فلا .

وقوله : والمعاد الجسماني أيضاً ليس بصريح في المدعى ، فإن من الناس من يدعي أنه يعتقد المعاد الجسماني ويريد به أن الشخص المعاد هو الصورة الوجودية لا المادة الخاصة الموجودة في الدنيا ، ويدعي أن نفس زيد التي هو بها زيد لا خصوصية لها بمادته في الدنيا ، بل يكون زيد المعاد هو زيد الذي في الدنيا إذا أعيدت نفسه مع صورته في أي مادة كانت سواء أعيد في مادته التي في الدنيا أم في غيرها كما يقوله الملا صدراً من أنه يعاد بصورته لا بمادته ، حتى لو أمكن قيام الصورة بدون مادة لم تعد غير الصورة . حتى أنه ذكر في كتابه العرشية وغيره أن الرجل لم يبق فيه مما كان

فيه حال الطفولية شيء لأن المواد العنصرية متغيرة متبدّلة مضمحلة ، أو كما قال : وهذا عند أهل البيت عليهم السلام ، ليس قولاً بالمعاد الجسماني بل قول بعدمه لأنه بخلاف ما قاله تعالى : ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي ٱلْقُبُورِ ﴾ وقول الصادق عليه السلام ، فإنه مثل ذلك باللبنة .

وكذلك قوله : والجنة والنار ، فإن القائلين بوجودهما اختلفوا في معنى ذلك فمن أقوالهم ما هو باطل لا يجوز اعتقاده .

وكذلك قوله : وأعتقد أن مخالفيهم من الكفار وغيرهم مخلدون في النار فإنه ينبغي تقييده بقوله تعالى : ﴿ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ﴾ فإن العدل الحكيم لا يؤاخذ الجاهل قبل أن يبين له قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ﴾ ، وهذا آخر الإشارة إلى جواب هذا الكتاب ، وكتب أحمد بن زين الدين ، والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين .

كتبه بيده ليلة الرابعة عشرة من جمادى الثانية سنة سبع وثلاثين بعد المائتين والألف من الهجرة النبوية على مهاجرها وآله السلام حامداً مصلياً مستغفراً .

* * *

رسالة حياة النفس في بعض ما يجب على المكلفين من معرفة أصول الدين

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين .

أما بعد ، فيقول العبد المسكين أحمد بن زين الدين الأحسائي : إنه قد التمس مني بعض الإخوان الذين تجب طاعتهم أن أكتب لهم رسالة في بعض ما يجب على المكلفين من معرفة أصول الدين؛ أعني التوحيد والعدل والنبوة والإمامة والمعاد وما يلحق بها بالدليل ولو إجمالاً لا بالتقليد على ما يظهر من ذلك مما يحتمله عوام الناس ، فأجبتهم إلى ذلك على ما أنا عليه من كثرة الأشغال ودواعي الأعراض وملازمة الأمراض ، إذ لا يسقط الميسور بالمعسور وإلى الله ترجع الأمور وسميت هذه الرسالة **حياة النفس** في حضرة القدس ورتبتها على مقدمة وخمسة أبواب وخاتمة كل باب يشتمل على فصول .

أما المقدمة ، فاعلم [اعلم] أن الله سبحانه لم يخلق العباد عبثاً لأنه حكيم ، والحكيم لا يفعل ما لا فائدة فيه ، ولما كان غنياً غير محتاج لأن المحتاج محدث كانت فائدة خلقه للخلق راجعة إليهم ليوصلهم إلى السعادة الأبدية وذلك متوقف على تكليفهم بما يكون سبباً لاستحقاق السعادة الأبدية ، ولو لم يكلفهم لما استحقوا شيئاً ، ولو أعطاهم بغير عمل [بغيره] كان عبثاً وقد ثبت أنه حكيم

لا يفعل العبث قال تعالى : ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ ولما أراد خلقهم ، أنعم عليهم كرماً ، لأنهم لا يكونون شيئاً إلا بنعمته [بنعمه] فلما أنعم عليهم وجب عليهم شكر النعم ، ولا يمكنهم شكر نعمه حتى يعرفوه لئلا يفعلوا ما لا يجوز عليه ، فشكر نعمه متوقف على معرفته ، ومعرفته متوقفة على النظر ، والتفكر في آثار صنعه ، والنظر والتفكر متوقف على الصمت ، يعني الأعراض بالقلب عن الخلق فأول الواجبات على المكلفين الصمت كما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام ، فإذا صمت عن الخلق تمكن من النظر وهو الواجب الثاني وبه يتمكن من المعرفة فمن ترك الواجب الأول من المكلفين فقد ترك الواجب الثاني ومن تركه فقد ترك معرفة الله وتوحيده وعدله ونبوة أنبيائه وإمامة خلفاء أنبيائه عليهم السلام ، ومعرفة المعاد ورجوع الأرواح إلى الأجساد ، ومن ترك ذلك فليس بمؤمن بل ولا مسلم وكان في زمرة الكافرين واستحق العذاب الأليم الدائم المقيم ، والمراد بالمعرفة التي لا يثبت الإسلام إلا بها ، اعتقاد وجود صانع ليس بمصنوع وإلا لكان له صانع ومعرفة الصفات التي تثبت لذاته وهي ذاته ، وإلا لتعددت القدماء والصفات التي تثبت لأفعاله ومعرفة الصفات التي لا تجوز عليها لأنها صفات خلقه والصفات التي لا تجوز على أفعاله لأنها صفات أفعال خلقه ومعرفة عدله لأنه سبحانه غني مطلق فلا يحتاج إلى شيء ، وعالم مطلق ، فلا يجهل شيئاً ، ومعرفة نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وآله ونبوة جميع الأنبياء عليهم السلام ، لأنهم الوسائط بين الله سبحانه وبين عباده والمبلغون عنه تعالى إليهم ومعرفة خلفائهم عليهم السلام لأنهم حفظة شرائعهم فهم حجج الله

بعدهم ومعرفة بعث المكلفين وحشرهم إلى مالك يوم الدين وذلك على ما نذكره من تعليم الله تعالى لعباده معرفة ذلك على ألسن حججه عليهم السلام ، كل ذلك بالدليل ولو مجملاً كما يأتي إن شاء الله تعالى .

الباب الأول : يجب على كل مكلف أن يعرف أن الله سبحانه موجود ، لأنه أوجد العالم ، ولو كان معدوماً لم يوجد غيره وأنه سبحانه باقٍ لاستمرار تجدد آثاره والأثر لا يحدث بنفسه إلا بمؤثر يحدثه ، فالأثر يدل على المؤثر وهو الله سبحانه ولا يصح تغيره تعالى عن حاله وهو كونه موجوداً باقياً مؤثراً فيما سواه وإلا لكان كسائر خلقه يتغير ويفنى فيكون وجوده من غيره ، فيكون حادثاً يحتاج إلى من يحدثه ، فلما وجدنا الآثار وجدناها تدل على وجود مؤثر وهو الله سبحانه ، ومثال الاستدلال بذلك مثل أشعة السراج فإنها ما دامت موجودة تدل على وجود محدث لها وهو السراج ، ولو لم يكن موجوداً لم يوجد شيئاً [شيء] منها ، والدليل على أن السراج دائم الإحداث للأشعة وأنها محتاجة إليه في كل حال لا تستغني [لا يستغني] عنه لحظة أنها لا توجد بدونه ولا تفقد عند ظهوره كذلك جميع الخلق التي هي آثاره تعالى بالنسبة إلى صنعه على هذا النحو ، ولله المثل الأعلى .

فصل : ويجب على كل مكلف أن يعتقد أنه عزّ وجلّ قديم بذاته ، لم يجر عليه العدم في حال ولا يكون مسبوقاً بالغير ، لأنه إذا لم يكن قديماً كان حادثاً إذ لا واسطة بين القدم والحدوث معقولة وقد ثبت أنه ليس بحادث لاستلزام الحادث وجود محدث له ولأنه لو لم يكن قديماً لجرى عليه العدم في بعض الأحوال

فتختلف أحواله ، ومن اختلفت [اختلف] أحواله ، فهو حادث يحتاج إلى من يحدثه ولأنه لو لم يكن قديماً لكان حادثاً مسبوقاً بمن يحدثه تعالى الله عن ذلك ، ولأنه لو لم يكن قديماً بذاته لكان وجوده مستفاداً من غيره فيكون محتاجاً إلى ذلك الغير .

فصل : ويجب أن يعتقد أنه تعالى دائم أبدي لأنه عزّ وجلّ واجب الوجود لذاته ، بمعنى أنه وجوده هو ذاته ، بلا مغايرة فوجوب الوجود بالذات يستلزم الدوام الأبدي لأن القدم والأزل والدوام والأبد والأولية بلا أول بالذات ، والآخرية بلا آخر بالذات شيء واحد بلا مغايرة ، لا في الذات ولا في الواقع ، ولا في المفهوم ، وإلا لكان تعالى شأنه متعدداً مختلفاً فيكون حادثاً وأما اختلافها في المفهوم فهو المفهوم اللفظي الظاهري المستعمل لتفهيم عوام المكلفين ، ولا يراد من هذه الألفاظ المتعددة المختلفة إلا مفهوم واحد يقصد منه معنى واحد وإلا لكان معروفاً بالكثرة والاختلاف ومن كان كذلك فهو حادث ، فقولي : يستلزم الدوام ، عبارة لفظية لأجل التفهيم فنريد من كل واحد منها نفس ما تريد من الآخر ، وإلا فقد وصفته بالصفات المختلفة ومن كان كذلك فهو حادث .

فصل : ويجب أن يُعتقد أنه عزّ وجلّ حي لأنه أحدث الحياة وأحدث الإحياء ويستحيل في العقول أن يحدث الحياة والإحياء من ليس بحيّ ، فلما رأينا من بعض مصنوعاته الحياة والإحياء المتصفين بها ، علمنا أن صانعها حيّ ، وقد ثبت أنه قديم فحياته إن كانت حادثة لم يكن هو حياً قبل حدوثها وتكون حينئذٍ مستفادة من الغير ، وذلك حال المصنوع فثبت أنها قديمة ، ثم إن كانت

حياته مغايرة لذاته ولو بالفرض تعددت القدماء ـ وهو باطل كما يأتي في دليل التوحيد إن شاء الله تعالى ـ فيجب [فوجب] أن تكون حياته عين ذاته إذ لا واسطة بين كونها عين ذاته وبين كونها غير ذاته فإذا انتفى التعدد والمغايرة ثبتت [تثبت] الوحدة .

فصل : ويجب أن يعتقد أنه عزّ وجلّ عالم ، بدليل أنه خلق العلم في بعض خلقه والعالم المتصف به ، ومن لم يكن عالماً ، لم يصح أن يصنع من هو عالم بما يصنع فيه من العلم ، ولأنه صنع الأفعال المحكمة المتقنة الجارية على مقتضى غاية الحكمة ونهاية الاستقامة ، ومن لم يكن عالماً لم يصدر عنه مثل ذلك وعلمه قسمان ، علم قديم هو ذاته ، وعلم حادث وهو ألواح المخلوقات كالقلم واللوح وأنفس الخلائق . فأما العلم القديم فهو ذاته تعالى بلا مغايرة ولو بالاعتبار ، لأن هذا العلم لو كان حادثاً كان تعالى خالياً منه قبل حدوثه فيجب أن يكون قديماً ثم لا يخلو ، إما أن يكون هو ذاته بلا مغايرة أو لا ، فإن كان هو ذاته بلا مغايرة ثبت المطلوب ، وإن كان غير ذاته تعددت القدماء وهو باطل ، وأما العلم الحادث فهو حادث بحدوث المعلوم لأنه لو كان قبل المعلوم لم يكن علماً ، لأن العلم الحادث شرط تحققه وتعلقه [تعقله] وأن يكون مطابقاً للمعلوم ، وإذا لو يوجد المعلوم لم تحصل المطابقة التي هي شرطه وأن يكون مقترناً بالمعلوم وقبله لم يتحقق الاقتران ، وأن يكون واقعاً على المعلوم وقبله لم يتحقق الوقوع وهذا العلم الحادث هو فعله ومن فعله وهو من جملة مخلوقاته وسميناه علماً لله تبعاً لأئمتنا عليهم السلام ، واقتداءً بكتاب الله حيث قال : ﴿ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴾

وقال : ﴿ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ ﴾ .

فصل : ويجب أن يعتقد أنه عزّ وجلّ قادر مختار . أما أنه تعالى قادر فلأنه تعالى غني مطلق وكل ما سواه محتاج إليه في كل شيء لتوقف وجودها على فعله إذ لا وجود لها من نفسها وإلا لاستغنت عنه دائماً ولأجل كونه قادراً على كل شيء أعطاها [أعطاها على] ما سألته بلسان استعدادها ، ولو لم يكن قادراً ، لما أعطى كل شيء خلقه لعجزه عما يحتاج [تحتاج] إليه أو بعضه ، والعاجز محتاج إلى القادر؛ فيكون محدثاً تعالى عن ذلك . وأما أنه مختار فلأنه خلق الاختيار والمختار ومن ليس بمختار لا يصدر عنه من هو مختار ، ولأنه أخّر بعض مصنوعاته عن بعض مع قدرته على تقديم ما أخّر وتأخير ما قدم لنسبة ذاته إلى جميع الأشياء على السواء ولو كان موجباً لم يتخلف شيء من آثاره عنه .

فصل : ويجب أن يعتقد أنه تعالى عالم بكل معلوم ، وقادر على كل مقدور ، لأن نسبة جميع المعلومات والمقدورات في الاحتياج إليه على السواء ، وغنى ذاته عن كل ما سواه فلا تكون بشيء أولى منها بآخر ، ولو كان تعالى عالماً بشيء دون آخر وقادراً على شيء دون آخر لاختلفت [لاختلف] نسبته إليها ، والمختلف أحواله ونسبه حادث متغير [فيتغير] تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

فصل : ويجب أن يعتقد أنه سبحانه سميع بغير آلة ، بصير بلا جارحة ، أما أنه سميع فلأن كل ما سواه متقوم بأمره صادر عن صنعه ، أما بالذات أو بالتقدير ومن جملتها المسموعات فهي حاضرة عنده في ملكه الذي أقامه بقيمومة أمره وفعله كما قال تعالى : ﴿ وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ

مَنْ خَلَقَ ﴾ فسمعه للمسموعات عبارة عن حضورها لديه ، وعلمه بها على ما هي عليه وليس ذلك حاصلاً له بواسطة آلة ، وإلا لكان محتاجاً إليها في إدراكه المسموعات وقد ثبت أنه غني مطلق ، وإنما حصل له ذلك بحضورها لديه حال كونها قائمة بأمره وليس لها حال غير ذلك وإلا لتقومت بنفسها من دون أمره وهو باطل ، وهذا الحضور هو علمه بها الحضوري وهو سمعه الحضوري وأما سمعه القديم فهو ذاته ويحيط بها في أماكنها لا في ذاته تعالى أن يكون محلاً للحوادث والكلام في بصره تعالى وإدراكه للمبصرات كالكلام في السمع في [من] جميع الأحوال . وسمعه وبصره القديمان عين ذاته بلا تعدد إلا في اللفظ كما تقدم في العلم ، لأن السمع والبصر والعلم شيء واحد ومتعلقهما [متعلقها] متعدد ، فإن المسموع هو الأصوات والمبصر هو الألوان والأعراض والمعلوم هو الموجود .

فصل : ويجب أن يعتقد أنه تعالى واحد لا شريك له ، لأنه كامل مطلق ، وغني مطلق فيكون كل ما سواه محتاجاً إليه ، فيكون متفرداً بالألوهية ولو فرض معه إله وجب أن يكون مستغنياً عنه تعالى ، وإلا لم يكن إلهاً ولو كان من فرض شريكاً له تعالى محتاجاً إليه عزّ وجلّ لكان أكمل لكماله المطلق من كون ذلك الشريك مستغنياً عنه تعالى ، وأتم لغناه المطلق ، ففرض وجود شريك مستغنٍ عنه تعالى نقص في كماله وغناه ، فلا يكون له شريك لاستلزام التعدد حصول النقص في الكمال المستلزم للحدوث ، ولأنه لو كان له شريك في أزليته لوجب أن يكون بينهما فرجة قديمة وجودية لتحقق الإثنينية فيكونون ثلاثة ، وتلزم الفرج القديمة بينهم

فيكونون خمسة وهكذا بلا نهاية وهو باطل ، ولأنه لو كان معه شريك في أزليته لاشتركا في الأزل واختص كل واحد بما يميزه عن الآخر فيتركب كل واحد منهما مما اشتركا فيه ومما تميز به والمركب حادث ولأنه لو كان معه شريك في أزليته لميز كل واحد صنعه عن صنع غيره وإلا لم تثبت الشركة ولاقتضت ذات كل منهما العلو على الآخر ، وإلا لم يكن إلهاً ، وذلك كما قال تعالى : ﴿ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ .

واعلم أنه واحد في أربعة [أربع] مراتب لا شريك له فيها : الأولى لا شريك له في ذاته وقال الله : ﴿ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ والثانية : لا شريك له في صفاته قال تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ والثالثة : لا شريك له في صنعه ﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ﴾ والرابعة : لا شريك له في عبادته ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ .

فصل : ويجب أن يعتقد أنه تعالى مدرك ، بمعنى أنه محيط بكل شيء متسلط على كل شيء وذلك هو العلم والقدرة ، لأنه قد وصف نفسه بذلك قال تعالى : ﴿ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ فاللطيف إلى القدرة إشارة [فاللطيف إشارة إلى القدرة] والخبير إشارة إلى العلم ، فالإدراك [فالإدراك القديم] هو الذات الأزلي على نحو ما قيل في العلم والقدرة والإدراك المقارن للحوادث من صفات الأفعال ، ثم هو سبحانه في الأزل كما هو عالم ولا معلوم ، كذلك هو مدرك ولا مدرك ؛ وهذا حكم صفات الذات لأنها نفس الذات بلا مغايرة .

فصل : ويجب الإيمان والاعتقاد بأنه سبحانه مريد ، لأنه سبحانه وصف نفسه بذلك ، فلما وجدنا أن الإرادة لا تكون إلا والمراد معها لأنها لا تنفك عنه ، علمنا بأنه تعالى وصف نفسه بأنه مريد بواسطة فعله وهذا يدل على أنها من صفات الأفعال ولو كانت من صفات الذات لكانت هي الذات لعدم التعدد في الذات ولو كانت كذلك لما جاز نفيها لأن نفيها إذا كانت هي الذات أو من صفات الذات نفي للذات مع أنه تعالى وصف نفسه بنفيها عنه ، قال تعالى : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمۡۚ ﴾ فلو كانت الإرادة هي الذات لكان نفي الإرادة نفي الذات ، وأيضاً الصفة إن كانت توصف الذات بها وبضدها فهي من صفات الأفعال لأن الأفعال لها ضد وصفاتها [صفاتها لها] ضد فإن [وإن] كانت لا توصف الذات بها وبضدها فهي من صفات الذات لأن الذات لا ضد لها ، فالأول مثل الإرادة والكراهة فإنه يقال : هو مريد وكاره ، فتكونان من صفات الأفعال ، والثاني مثل العلم والقدرة فإنه لا يقال عالم وجاهل وقادر وعاجز فيكونان من صفات الذات فالقول بحدوث الإرادة هو مذهب أهل البيت عليهم السلام ، وعليه إجماعهم ، وهو الحق فالإرادة هي فعله تعالى وكذلك الكراهة فإنها صفة فعله قال تعالى : ﴿ وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ ﴾ .

فصل : ويجب الإيمان بأنه تعالى متكلم ، لأنه وصف نفسه بذلك قال تعالى : ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴾ فلما وجدنا أن الحكيم لا يخاطب بما لا يعرف [لا يعرفه] المخاطب ونحن لا نفهم من الكلام إلا أنه الحروف والأصوات المسموعة المنتظمة المركبة ، وقد أجمع أهل اللغة على أن ذلك هو معنى الكلام وهي

[هو] الأصوات والحروف المؤلفة المتجددة المتصرمة وقد وصف نفسه بذلك ، قطعنا بأنه تعالى إنما أسنده إلى نفسه بواسطة الفعل بحدثه [بالفعل يحدثه] فيما شاء من خلقه من حيوان ونبات وجماد وهو حادث لأنه مركب مؤلف وكل مركب فهو حادث ولقوله تعالى : ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ الآية .

فصل : ويجب على كل مكلف أن يعتقد أنه ليس كمثله شيء ، فليس بجسم ولا عرض ولا جوهر ولا مركب ولا مختلف ولا في حيز ولا في جهة لأن هذه صفات الخلق ، ولا يصح على الخالق سبحانه ، أما أنه ليس كمثله شيء فلأن وجود المشابه يستلزم أن يكون شريكاً له في الصفات الذاتية ، وذلك يقتضي النقص في ذاته تعالى لأن عدم النظير أكمل فيكون وجوده نقصاً ومن يجوز عليه النقص يجوز [تجوز] عليه الزيادة ، ومن كان كذلك فهو متغير أو ممكن التغير فيكون حادثاً ، وأما أنه ليس بجسم فلأن الجسم مركب محتاج إلى أجزائه وإلى محل يحل فيه والمحتاج حادث مصنوع ، وأما أنه ليس بعرض فلأن العرض يحتاج في تحققه وقيامه إلى الجوهر أو الجسم ولا يستغني عنه والمحتاج حادث مصنوع ، وأما أنه ليس بجوهر فلأن الجوهر سواء كان جوهراً فرداً على قول من أثبته وهو الذي لا يقبل القسمة طولاً أو سطحاً وهو يقبل القسمة طولاً وعرضاً ، أو جسماً وهو الذي يقبل القسمة طولاً وعرضاً [وعمقاً] محتاج إلى المحل ويلزمه الحركة بالانتقال عنه ، و [أو] السكون باللبث فيه وكل ذلك حوادث لا يحل [لا تحل] إلا في الحوادث ، وأما أنه ليس بمركب فلأن المركب محتاج إلى أجزائه والمحتاج حادث ، وأما أنه ليس بمختلف فلأن المختلف

إنما يكون كذلك بتباين أجزائه أو أحوال ذاته ، وكلا الأمرين موجب للتركيب المستلزم للحدوث ، وأما أنه ليس في حيز فلأن من هو في حيز مشابه [متشابه] للحيز فهو من جنسه فيكون حادثاً ولأنه إما لابث فيه فيكون ساكناً أو منتقل عنه فيكون متحركاً ، وكل من كان كذلك فهو حادث لاستلزام كل منهما له المسبوقية بالآخر ، وأما أنه ليس في جهة فلأن من كان في جهة يلزمه السكون أو الحركة ويلزمه الحواية والتحديد والحصر في بعض دون بعض ، والخلو منه في غير تلك الجهة وكونه شاغلاً للجهة التي هو فيها وكل من يلزمه شيء من هذه الأمور فهو حادث .

فصل : ويجب أن يعتقد أنه سبحانه لا في شيء [شيء ولا فيه شيء] ، ولا من شيء ولا منه شيء ، ولا على شيء ولا عليه شيء ولا فوق شيء ولا تحت شيء ، ولا ينسب إلى شيء ولا ينسب إليه شيء ، لأن ذلك كله صفات الحوادث ، أما أنه لا في شيء فلأنه لو كان في شيء لكان محصوراً والمحصور حادث ولكان إما لابثاً فيه فيكون ساكناً ، وإما منتقلاً [منتقلاً عنه] فيكون متحركاً ، وأما أنه لا فيه شيء فلأنه لو كان فيه شيء لكان محلاً لغيره سواء إن كان ذلك الغير قديماً أم [أو] حادثاً فيكون مشغولاً بالغير ، والمشغول بالغير حادث ، وأما أنه لا من شيء فلأنه لو كان من شيء لكان جزء من ذلك الشيء فيكون مولوداً والمولود حادث [فيكون مولوداً حادثاً] ، وأما أنه لا منه شيء فلأنه لو كان منه شيء لكان ذلك الشيء جزءاً منه فيكون والداً له فيكون حادثاً ، وأما أنه لا على شيء فلأنه لو كان على شيء لكان الشيء حاملاً له فيكون أقوى منه ، وأما أنه لا عليه شيء فلأنه لو كان عليه شيء

لكان أعلى منه فيكون أقوى ، وأما أنه لا فوق شيء فمثل كونه في شيء ، وأما أنه لا تحت شيء فكمثل كون شيء فيه ، وأما أنه لا ينسب إلى شيء ولا ينسب إليه شيء فلأن النسبة على الفرضين اقتران ممتنع من الأزل لأنه من صفات المصنوعين .

فصل : ويجب أن يعتقد أنه سبحانه لا يحل في شيء ولا يتحد بغيره ، أما أنه سبحانه لا يحل في شيء فلأن الحلول عبارة عن قيام موجود بموجود آخر على سبيل التبعية كقيام الأعراض بالأجسام ، أو على سبيل الظهور كقيام الأرواح بالأجسام فلو فرض أنه حالّ بشيء لكان محتاجاً إليه ومتقوماً به فيكون حادثاً ، وأما أنه سبحانه لا يتحد بغيره فلأن الاتحاد إن فسر بما أحاله العقل كما قالوا وهو أن يصير الشيئان الموجودان شيئاً [شيئاً واحداً] من غير زيادة ولا نقصان ، والانفعال [لا انفعال] من أحد منهما فهو محال حصوله فكيف يوصف به الوجوب الحق ؟ وإن فسر بصيرورة الشيء شيئاً آخر فانقلاب [بانقلاب] واستحالة فهذا وإن جاز في الممكن ، إلا أنه يستحيل في الواجب تعالى لأنه تحول الشيء من (**حال**) إلى أخرى والواجب عزّ وجلّ لا يتحول عن حالة والذي يتحول حادث متغير .

فصل : ويجب أن يعتقد أنه تعالى تستحيل عليه الرؤية في الدنيا والآخرة ، لأن الرؤية إن كانت بالقلب وأريد بالمرئي هو الذات البحت فهو باطل لأن الذات البحت لا تدركها البصائر لأنها لا تحوم حول حجاب عظمته تعالى فلا يدركه لذاته إلا هو عزّ وجلّ ، وإن أريد بالمرئي آياته وآثار أفعاله فالقلوب تدرك آياته لأنه تعالى تجلى للقلوب بعظمته فتعرف الدليل عليه وإن كانت الرؤية بالبصر

الحسي فـ : ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ﴾ لأن شرط إدراك البصر للأشياء أن يكون المرئي مقابلاً أو في حكم المقابل كالرؤية بالمرآة وأن لا يكون [إلا يكون] بعيداً [بعيداً أو] قريباً بعداً وقرباً مفرطين ، وأن يكون مستنيراً وأن يكون في جهة والله سبحانه ليس معزولاً عن شيء فلا يكون مقابلاً ، ولا في حكم المقابل ، وليس الله بقريب ولا ببعيد [بعيد] بل هو أبعد من كل شيء ، وأقرب من كل شيء ، وبعده وقربه غير متناهيين فهما فوق الإفراط وليس مستنيراً من غيره ولا في غيره ولتكن ذاته مدركة بل ظهوره يمحو ما سواه ، فإن تجلى محا ما سواه وإن لم يتجل لم يقدر أحد أن يراه وليس في جهة فيكون محصوراً فيها فلا تمكن رؤيته لأن شروط الرؤية لا تجري عليه تعالى ، ولأن ما سواه في الإمكان في الدنيا والآخرة ومن [من كان في] الإمكان لا يدرك من [من في] الأزل فلا يصح رؤيته لا في الدنيا ولا في الآخرة .

فصل : ويجب أن يعتقد أنه سبحانه وتعالى لا يدرك بشيء من الحواس الظاهرة : السمع والبصر والذوق والشم واللمس ، ولا من الحواس الباطنة الحس المشترك والخيال والمتصرفة والواهمة والحافظة ، لأنه عزّ وجلّ لا يشابه شيئاً منها ولا يجانسه والشيء إنما يدرك ما هو من جنسه ويشابهه كما قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه : (**إنما تحد الأدوات أنفسها وتشير الآلات إلى نظائرها**) وقال تعالى : ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ﴾ وقال تعالى : ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴾ وذلك لأن الحواس الظاهرة والباطنة إنما تدرك المحدود والمكيف والمصور والمميز ، وهو عزّ

وجلّ لا حد له ، ولا كيف له ، ولا صورة له ، ولا مميز له تعالى الله عن جميع صفات خلقه علواً كبيراً .

الباب الثاني : في الأصل الثاني ، وهو العدل ، وهو عبارة عن أفعال الله عزّ وجلّ (**وهو عبارة عن حكم ما يؤول إلى أفعاله عزّ وجلّ**) العامة المنوطة بالمكلفين في دار التكليف من الأوامر والنواهي وفي دار الجزاء من الثواب والعقاب ، والعدل لغة ضد الجور وهو عبارة عن التساوي فأفعاله تعالى تتعلق بالمكلفين في الدنيا على جهة العدل ، بمعنى أنه لا يكلفهم إلا بما يطيقون مما فيه صلاحهم بأن يكون جزاؤهم يزيد على قدر التكليف في الطاعة وقدر [بقدر] فعل المكلف في المعصية لتحصيل [لتحصل] فائدة في تكليفهم وفي خلقهم فيها منفعتهم ، لأنه تعالى غنيّ عن كل ما سواه ، وإنما ترجع فائدة التكليف إليهم ، ولما كان عزّ وجلّ لا تجري عليها أحوال خلقه ، كان رضاه عبارة عن فضله ، وكان غضبه عبارة عن عدله ، لأنه لم يغضب على من عصاه لأجل أنه عصاه فهو يتشفى ممن عصاه ، وإنما غضبه في الحقيقة عبارة عن إيجاد [إيجاده] المسببات بأسبابها فالمعصية سبب تام لإيجاد العقوبة الخاصة بها فيوجد الله سبحانه تلك العقوبة بمقتضى تلك المعصية ، إلا أن يعفو إذا شاء ولأن عفوه مانع من ذلك المقتضى ، فإذا لم يحصل مانع من عفوه تعالى تمّت سببية المعصية فخلق [فخلق الله] بها تلك العقوبة وهو حقيقة غضبه وليس غضبه كغضب خلقه من غليان دم القلب فينبعث عنه الانتقام لتشفي المخلوق وهو تعالى عن صفات خلقه .

وأما حكم أفعال [أفعال العباد] الاختيارية فهي التي في إمكان

المكلف وقدرته أن يفعله ويفعل ضده ، فاعلم أن الأشياء كلها من جميع المخلوقات من الذوات والصفات والأفعال ، إنما تتقوم وتكون شيئاً بأمر الله سبحانه ، فليس شيء منها يستقل من نفسه [بنفسه لا في ذاته] ولا في فعله ، ولما أراد من العباد طاعته وامتثال أمره ، ولم يتمكن المكلف من فعل الطاعة إلا إذا كان متمكناً من تركها فيفعلها باختياره خلقه من نور ظلمة وجعله منهما متمكناً من [من فعل] الطاعة والمعصية فالعبد وأفعاله قائمة بأمر الله سبحانه ، فليست شيئاً إلا بأمر الله إلا أنه هو فاعل فعله من غير أن يكون مشاركاً فيه فمن قال : بأن الفاعل للفعل الصادر من العبد هو الله سبحانه من خير وشر ، ليس للعبد في شيء من أفعاله مدخل ولا سبب بل هو فاعل لفعل العبد وسببه كما خلق [فكما هو خالق] العبد كذلك [كذلك هو] خالق أفعاله كما تقول [تقوله] الأشاعرة فقد نسب الله تعالى إلى الظلم حيث يلزمهم أنه هو أجبرهم على المعاصي وعاقبهم عليها . ومن قال : بأن العبد هو فاعل فعله من غير مدخل لغيره في شيء من ذلك بل هو مستقل بفعله لا مانع له منه ولا صاد عنه ، وإلا لما استحق ثواباً ولا استوجب عقاباً فقد عزل الله سبحانه عن ملكه وأخرجه عن سلطانه كما تقول [تقوله] المفوضة من المعتزلة .

والفريقان خارجان عن طريق الحق والصراط المستقيم . فإن الأولين مفرطون ، والآخرين مفرطون ، والحق في القول بالحكم الأوسط كما قال جعفر بن محمد عليهما السلام ، (**لا جبر ولا تفويض بل أمر بين أمرين**) ، يعني لا جبر بأن يقال : إن الله عزّ وجلّ أجبر العباد على المعاصي فإنه لو كان كذلك لما جاز أن يعذبهم على

معاصيهم ، وإلا لكان ظالماً : ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلۡعَبِيدِ ﴾ ولا تفويض بأن يقال : إنه سبحانه فوض إلى العباد وليس له أمر في أفعالهم فإنه لو كان كذلك لكان في ملكه ما لم يقدر أن يكون [تكون] ، فيكون معزولاً عن ملكه وسلطانه ، بل أمر بين أمرين ، يعني أن العبد هو الفاعل لفعله على جهة الاختيار من غير إكراه ولا إجبار ولكن بتقدير الله سبحانه الساري في فعل العبد فبدون القدر لم يتم فعل العبد ، ولم يمض ، ومعنى هذا أن الله سبحانه حافظ للعبد ولما يصدر منه من أفعاله إذ بدون حفظ الله لا يكون العبد ولا أفعاله شيئاً فما دام محفوظ البقاء هو وأفعاله فهو شيء .

وأفعاله الصادرة عنه شيء ، فالعبد المحفوظ فاعل لفعله على الاستقلال من غير مشاركة مع الله تعالى فمعنى قولنا : إن العبد فاعل لأفعاله بالله لا بدون الله ولا مع الله هو ما أشرنا إليه فإنه طريق مظلم وبحر عميق فتفهم ما ذكرنا لك ، إذ ليس غيره إلا جبر أو تفويض وهذا هو العدل في أفعال العباد فإن عصوا فباختيارهم وبموافقة قدر الله ، ولو شاؤوا أطاعوا ، فلمّا اختاروا المعصية أجرى عليهم لازمها من العقاب ولم يظلمهم لقدومهم على المعصية من غير اضطرار ، وإن أطاعوا فباختيارهم وبموافقة قدر الله ، ولو شاؤوا عصوا فلما اختاروا الطاعة أجرى عليهم لازمها من الثواب واستحقوا الثواب لقدومهم على الطاعة من غير اضطرار فيكون معصيتهم بموافقة قدر الله [الله التي] لا تكون بدون هذه الموافقة ، ولم يلزمهم الجبر لتمكنهم حينئذٍ من الطاعة بموافقة قدر الله فاختيارهم لأحد الفعلين لا يفارقه القدر لأنه لا يتم بدون القدر فكان العباد مستقلين بفعل خيرهم وشرهم مع تقدير الله لأي الفعلين

اختاروا ، فلم يفعلوا إلا بتقدير الله وليس هذا التقدير تقدير حتماً [حتم] وإنما هو تقدير اختيار ، فافهم .

الباب الثالث : في النبوة . اعلم أن الله سبحانه لمّا كان غنياً مطلقاً لم يحتج إلى شيء ، فخلق بمقتضى كرمه وفضله خلقاً أحب أن يوصلهم إلى ما شاء من فواضل كرمه ، ولمّا كان حكيماً ، وجب أن يكون ما تفضل به جارياً على مقتضى الحكمة فكلف خلقه بما يستحقون به نيل تلك الفواضل على وجه يخرج تفضله عن العبث . ولما كان سائر الخلق لا يعلمون ما فيه صلاحهم ، لأن ذلك لا يعلمه إلا الله سبحانه ، وكان عزّ وجلّ لا تدركه الأبصار ولا يقدر الخلق على التلقي منه عزّ وجلّ وجب في الحكمة أن يختار من خلقه قوياً يقدر بمعونة الله سبحانه على التلقي منه سبحانه ، ليؤدي إلى الخلق عن الله عزّ وجلّ معاني [يعاني] ما يريد منهم مما فيه صلاح دنياهم وآخرتهم ، لأن ذلك لطف بهم يتوقف داعي إرادته تعالى بهم صلاح نظامهم في النشأتين على ذلك اللطف ، فيكون واجباً في الحكمة وهو النبي صلى الله عليه وآله ، ولما اقتضت الحكمة إيجاد الخلائق في أوقات متعددة متعاقبة ، وكانوا مشتركين فيما خلقوا له وفيما يراد منهم ، وجب في الحكمة أن يبعث سبحانه في كل أمة رسولاً منهم ليؤدي إليهم ويبلغهم ما يريد الله منهم ، لأنهم لا يعلمون إلا ما علمهم [علمهم الله] حتى انتهت النبوة إلى نبينا محمد صلى الله عليه وآله : **(عبد الله خاتم النبيين صلى الله عليه وآله)** .

فصل : لما كانت النبوة من مقتضيات العدل ، وجب أن يكون على أكمل وجه لتحصل فائدة البعثة ، وهو أنه لا بد وأن يظهر الله

سبحانه على يد من بعثه الله نبياً أمراً معجزاً لا يقع من أبناء جنسه مثله خارقاً للعادة ، مطابقاً لدعواه ، يكون من الله عزّ وجلّ تصديقاً لدعواه وأن يكون صحيح النسب طاهر المولد مستقيم الخلقة مطهراً من جميع الأحوال التي تنفر القلوب منه في خَلقه وخُلُقه بحيث لا يطعن عليه أهل زمانه بشيء ، وأن يكون صادق القول لم يعهد منه كذب ، ولا خيانة ولا طمع في شيء من حطام الدنيا ، وأن يكون أعلم أهل زمانه وأتقاهم وأزهدهم وأعملهم بما يأمر وأنهاهم عما ينهي ، مطهراً من جميع الرذائل والنقائص الظاهرة والباطنة بحيث يعرف أهل زمانه الذين أرسل إليهم أنه لا يكون فيهم له نظير في كل صفة كمال ، وأن يكون معصوماً من جميع الذنوب الصغائر والكبائر ، قبل البعثة وبعدها ، من أول عمره إلى آخره من السهو والنسيان ومن كل شيء يتعلل به الرعية من قبول أمره ونهيه أو يحصل به الشك فيه أو التوقف في نبوته ، لأن حجة الله بالغة والنبوة حجة الله على عباده ، ولو جاز أن يكون أحد من المكلفين يجد خدشاً في النبوة ، لما قامت حجة الله عليه ، وأن يكون مسدداً من الله موفقاً للصواب في الاعتقاد والعلم والقول والعمل ، لأن الله سبحانه يتولاه بألطافه وإلهامه الحق ويوصي [يوحي] إليه بذلك على حسب مقامه عند الله ويقدر له ملكاً يسدده ، وكل ذلك إرادة منه تعالى « **لئلا تكون للناس على الله حجة بعد الرسل** » لأن النبي هو الإنسان المخبر عن الله بغير واسطة من البشر ، ولا يكون حجة لله حتى يثبت عند المكلف أن قوله قول الله وأمره أمر الله ونهيه نهي الله ، والله قادر على فعل ما تقوم به الحجة [الحجة له] على خلقه وبذلك يتحقق لطفه بخلقه الذي يتوقف صلاحهم عليه في الدنيا

والآخرة ، فيجب عليه فعله في الحكمة وهو تعالى لا يخل بواجب لأن الإخلال به قبيح وهو لا يفعل القبيح لأنه غني مطلق لا يحتاج إلى شيء .

فصل : إذا عرفت هذا ، فنبي هذه الأمة هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن نضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس [الياس بن مضر] ابن نزار بن معد بن عدنان صلى الله عليه وآله ، لأنه ادعى النبوة وأظهر المعجز على يديه ، وكل من ادعى النبوة وأظهر المعجز المطابق على يديه فهو نبي . وقد تواتر بين المسلمين وغيرهم من جميع أهل الدنيا أنه قد ظهر رجل في مكة المشرفة اسمه محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله ، ادعى النبوة وأظهر الله المعجز على يديه المطابق لدعواه المقرون بالتحدي فيكون نبياً حقاً وهذا التواتر موجب للقطع إلا لمن سبقت له شبهة وهذا أمر متواتر بين جميع أهل الأرض ، لأنه صلى الله عليه وآله خاتم النبيين ، فلا يكون نبي بعده ولا معه فيجب أن يكون نبياً مرسلاً إلى الناس كافة لأنهم مكلفون ولا يصح تكليفهم بغير حجة ، ولا تثبت لله حجة على خلقه إلا على النحو المذكور فتثبت نبوته بالتواتر عند جميع المكلفين ، وأما من سبقت له شبهة فكذلك وإن كانت نفسه قد تعودت على الإنكار لأن الله سبحانه يقول : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ﴾ .

فصل : وأما معاجزه التي صدّق الله بها دعواه فكثيرة ، وقد عد علماء الأمة منها ألف معجزة منها : انشقاق القمر ، ونبع الماء من

بين أصابعه ، وإشباع الخلق الكثير من الطعام اليسير ، وشكاية البعير ، وكلام الذراع المسموم [المسمومة] ، ونطق الجمادات ، وحنين الجذع ، وتسبيح الحصى في كفه وختمه الحصى بخاتمه وغير ذلك ، ومنها القرآن العزيز الذي : ﴿ لَا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ وقد تحدى صلى الله عليه وآله به العرب العرباء حتى تحداهم بالإتيان بأقصر سورة من مثله ، فعجزوا عن ذلك ولمّا لم يقبلوا منه للحمية الجاهلية صبروا على حدود الرماح وشفار الصفاح حتى أباد مقاتليهم وسبى ذراريهم ، وتحملوا لبس العار ووقوع البوار ولم يقدروا أن يدفعوه بالإتيان بسورة مثله وهو باقٍ إلى فناء العالم قد تحدى به ما سوى الله ، فلم يطق أحد من خلق الله معارضته ، ولم يكن لنبي من أنبياء الله عليهم السلام معجز باقٍ بعدهم ، لأن نبوتهم منقطعة إلا معجز نبينا صلى الله عليه وآله ، فإنه باقٍ ما بقي التكليف لأن نبوته صلى الله عليه وآله باقية ، كذلك ليكون معجزه قاطعاً لحجة المعترضين والمعاندين .

فصل : وهو صلى الله عليه وآله خاتم النبيين فلا نبي بعده ، لأن الله سبحانه أخبر في كتابه فقال : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ والله سبحانه لا يقع منه الكذب ، لأنه قبيح والغني المطلق لا يفعل القبيح لعدم حاجته الى شيء وأخبر في كتابه فقال : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ ﴾ وقد أخبرنا صلى الله عليه وآله أنه لا نبي بعده ، فيكون ذلك حقاً وهو أيضاً صلى الله عليه وآله أفضل من سائر الأنبياء عليهم السلام ، ومن الخلق أجمعين لقوله صلى الله عليه وآله : (**أنا سيد ولد آدم ولا**

فخر) وقوله لابنته صلى الله عليه وآله ، فاطمة عليها السلام : (**أبوك خير الأنبياء وبعلك خير الأوصياء**) لأنه معصوم : ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾ وقال تعالى : ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ۝٤٤ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ۝٤٥ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴾ فيكون قوله صدقاً وكونه أفضل الخلق حقاً وكذلك ما أجمع عليه العلماء من أنه صلى الله عليه وآله ، سيد الكائنات ومن الكلام القدسي من قوله تعالى خطاباً له صلى الله عليه وآله : (**لولاك لما خلقت الأفلاك**) فلأجله خلق الأفلاك وهو سيد ولد آدم فهو خير خلق الله أجمعين .

الباب الرابع : في الإمامة ، لما ثبت أن النبي صلى الله عليه وآله [لطف] لا يتم النظام ولا يبقى إلا به إلى يوم القيامة ، ولأنه صلى الله عليه وآله هو المبلغ عن الله والمؤدي عنه تعالى إلى الخلق ما به بقاؤهم ما دام التكليف وما به سعادتهم الأبدية ، وكان ما يؤديه عن الله سبحانه يتجدد آناً فآناً بتجدد أحوال المكلفين إلى يوم الدين وهو عليه السلام لا يبقى إلى آخر التكليف بل يجري عليه التغيير والموت لأنه صلى الله عليه وآله عبد مخلوق ، ولا يجوز في الحكمة رفع حكم النبوة [نبوته] لأنه لطف واجب ما دام التكليف وجب في الحكمة نصب خليفة يقوم مقامه ، ويؤدي عنه إلى الأمة أحكامه ، حافظ لشريعته قائم بسنّته لئلا تبطل حجة الله البالغة على الخلق المكلفين ، ولا بد وأن يكون في الخليفة جميع ما ذكر في حق النبي صلى الله عليه وآله من كونه أعلم أهل زمانه وأتقاهم وأعبدهم وأزهدهم وأنجبهم وغير ذلك ، وكونه معصوماً من الذنوب الصغائر والكبائر من أول عمره إلى آخره ، ومعصوماً من الكذب والخطأ والنسيان وغير ذلك من جميع ما يعتبر في حق النبي

صلى الله عليه وآله ، إلا النبوة لما ثبت أنه صلى الله عليه وآله خاتم النبيين ، فلا نبي بعده ، وإنما اشترط ذلك في الخليفة لأنه قائم مقام نبيه صلى الله عليه وآله في جميع ما يحتاج إليه سائر المكلفين من أحكامه لأنه حافظ شريعته وهو لطف من الله واجب عليه تعالى في الحكمة كما وجبت النبوة على حد واحد ، فلا بد أن يكون متصفاً بصفات نبيه صلى الله عليه وآله بحيث يحصل للمكلفين القطع بأنه حجة الله ، وأن قوله قول الله تعالى وقول رسوله صلى الله عليه وآله وحكمه ووجوب طاعته والتسليم له والرد إليه على جهة القطع ، ولا بد أن يكون مطهراً منزهاً عن كل ما يلزم منه نفرة القلوب وعدم الاطمئنان في جميع الأحوال ، ومن كان في هذه [بهذه] الصفات لا يطلع عليه إلا من يطلع على السرائر ويعلم الضمائر وهو الله وحده فليس ذلك إلى أحد من الخلق ولا يعلم ذلك إلا بنص [بنص] شروط النبوة غير كونه نبياً إلا علي بن أبي طالب عليه السلام لأنه معصوم من كل رذيلة عصم منها النبي صلى الله عليه وآله ، وشريكه في كل فضيلة ، إلا النبوة وقد نص الله سبحانه عليه في كتابه فقال : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴾ فقد تواترت الروايات وكلام المفسرين من الفريقين بأنها نزلت في علي عليه السلام حين تصدق بخاتمه وهو راكع ، لا ينكر ذلك إلا مكابر مباهت ، فأثبت الله عزّ وجلّ لعلي عليه السلام بنص كتابه العزيز ما أثبت له تعالى ولرسوله صلى الله عليه وآله من الولاية ، ولا معنى للولي هنا إلّا أنه أولى بهم من أنفسهم في كل شيء من أمور دنياهم ودينهم وآخرتهم لأنها هي الولاية التي ثبتت لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وآله .

ولهذا نبه على ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله يوم غدير خم على ما رواه الفريقان من طرق متعددة بلغت حد التواتر باعتراف الخصم بقوله لهم : (**ألست أولى بكم من أنفسكم قالوا بأجمعهم : بلى يا رسول الله ، فقال : من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم والِ من والاه وعاد من عاداه ، وانصر من نصره واخذل من خذله**) .

أقول : هذا من قول [هذا قول من قال] الله في حقه : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ ﴾ وقال فيه : ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ وقال فيه : ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾ وقال فيه : ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ۝٤٤ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ۝٤٥ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴾ وقد روى الفريقان أنه صلى الله عليه وآله قال : (**علي أقضاكم وقال : علي مع الحق والحق مع علي يدور معه حيث ما دار**) . وأمثال ذلك فإذا ثبت أنه كما سمعت وأنه معصوم مسدد من الله سبحانه يدور مع الحق حيث دار ، ثبت أنه يهدي إلى الحق ولم يدل دليل على أن غيره من الصحابة بهذه المثابة ولم يدّع أحد من الأمة العصمة لأحد من الصحابة كما ادعيت له ، (**فمن [ومن] يهدي إلى الحق أحق أن يتبع**) ويتخذ إماماً يقتدى به لأنه عليه السلام لا يفارق الحق ، ولا يفارقه الحق ، يدور معه حيث ما دار فهو مرضي [نص] مروي من الفريقين لا ينكره أحد على أنه لا يكون مع باطل في حال من الأحوال ، ولا نعني بالعصمة إلا هذا فقد ثبت عند كل منصف وطالب للحق على جهة القطع من مثل هذا الحديث وهذه الآية على أن علي بن أبي طالب صلوات الله عليه وآله خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله بلا فصل ، لأنه يهدي إلى

الحق ولأنه لا يفارق الحق والحق لا يفارقه فهو أحق أن يتبع بحكم الله سبحانه في كتابه على عباده : ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ﴾ **(الـكـافـرون** ، ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ ، ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾ **هم الفاسقون)** فهو الذي أذهب الله عنه الرجس وطهره تطهيراً ، فهو المعصوم بالنص في [بنص] كتاب الله وقول رسوله صلى الله عليه وآله وهو المنصوص عليه بالخصوص من الله ومن رسوله صلى الله عليه وآله ، ولم يدّع أحد من المسلمين ذلك لأحد من الصحابة والحمد لله رب العالمين .

فصل : والعلة الموجبة لنصب علي بن أبي طالب عليه السلام هي بعينها العلة الموجبة لنصب ابنه الحسن عليه السلام ، ثم الحسين عليه السلام ، ثم علي بن الحسين عليه السلام ، ثم محمد بن علي عليه السلام ، ثم جعفر بن محمد عليه السلام ، ثم موسى بن جعفر عليه السلام ، ثم علي بن موسى عليه السلام ، ثم محمد بن علي عليه السلام ، ثم علي بن محمد عليه السلام ، ثم الحسن بن علي عليه السلام ، ثم الخلف الصالح الحجة القائم محمد بن الحسن صلى الله عليهم أجمعين ، وجميع ما اعتبر في خلافة علي بن أبي طالب عليه السلام وقيامه مقام رسول الله صلى الله عليه وآله وكونه حجة الله على خلقه إلى غير ذلك مما أشرنا إلى نوعه في حقه عليه السلام من الكمالات والفضائل المعتبرة في الواسطة بين الله سبحانه وبين خلقه ، كله معتبر في كل واحد منهم صلوات الله عليهم أجمعين وكذلك خصوص النص على كل واحد منهم من الله كما هو صريح حديث اللوح الذي رواه جابر بن

عبد الله الأنصاري وغير ذلك من القرآن والأحاديث القدسية ، ومن رسول الله صلى الله عليه وآله ، ومن نص كل سابق على من بعده وكل ذلك بالتواتر الموجب للقطع إلا لمن سبقت له شبهة ، لأن ذلك واجب على الله عز وجل ، وهو تعالى لم يخل بواجب لعموم علمه وقدرته وغناه المطلق .

فصل : ويجب أن يعتقد بأن القائم المنتظر عليه السلام حي موجود ، أما عندنا فلإجماع الفرقة المحقة على أنه حي موجود ، إلى أن يملأ الله الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً ، وهو ابن الحسن العسكري الغائب المفتقد وإجماعهم تبعاً لإجماع أئمتهم أهل البيت عليهم السلام ، وإجماع أهل البيت عليهم السلام حجة لأن الله سبحانه أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً فيكون قولهم حجة لأنهم لا يقولون إلا الحق ، فإجماع [وأما إجماع] شيعتهم [شيعتهم فهو] حجة لكشفه عن قول إمامهم المعصوم عليهم السلام . وأما عند العامة فكثير منهم قائلون بقولنا ، ومن قال منهم : إنه الآن لم يوجد ، ومنهم من قال : بأنه عيسى ابن مريم عليه السلام ، فما [وما] روى الفريقان من قوله صلى الله عليه وآله : (**من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية**) ، يرد قولي [قول] هذين الفريقين لأنه صادق على من في زماننا هذا فإن من مات في زماننا هذا ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية ، ولا يصح إلا إذا كان الإمام عليه السلام موجوداً ، مع أنه لطف ما دام التكليف .

فلا يصح وجود التكليف بدون لطف موجود لأنه شرطه والمشروط عدم عند عدم شرطه ، فكل من قال بأنه ولد قال بأنه

موجود إذ لم يقل أحد بأنه ولد ومات ومن استبعد وجوده وطول عمره فقد أخطأ الحكمة ، لأن الله عزّ وجلّ جعل له دليلاً لا يمكن رده وهو أنه خلق الخضر عليه السلام وجده هود عليه السلام ، وأنه ولد في زمان إبراهيم عليه السلام ، على أحد القولين المشهورين وهو إلى الآن باقٍ بل هو حي إلى النفخ في الصور ، وهو آية دالة على القائم عليه السلام ، وإبليس عدو الله باقٍ إلى يوم الوقت المعلوم ، فإذا جاز بقاء عدو الله وبقاء الخضر عليه السلام الذي هو الدليل على مصلحة الجزئية [لمصلحة جزئية] بالنسبة إلى مصلحة بقاء محل ، نظر الله سبحانه من العالم وقطب الوجود فكيف لا يجوز بقاء من متوقف [تتوقف] جميع مصالح النظام في الدنيا [الدنيا والدين] والآخرة على بقائه ؟ مع أن الأمة [الأمة قد] اتفقت رواياتهم وأقوالهم على أنه لا بد من قيام القائم عليه السلام ، فبيّنه رسول الله صلى الله عليه وآله بقوله : (**لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يخرج رجل من أهل بيتي أو من ذريتي أو من ولدي اسمه كاسمي وكنيته ككنيتي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً**) .

ومن قال من العامة : بأنه عيسى ابن مريم كذبه هذا الحديث المتفق على معناه ، لأن عيسى ليس من أهل بيته ولا من ذريته ولا من ولده وليس اسمه كاسمه ولا كنيته ككنيته ومن قال [قال منهم] : بأنه الإمام المهدي العباسي كذبه هذا الحديث ، لأنه ليس من أهل بيته ولا من ذريته ولا من ولده فلم يبق للمنصف الطالب للحق إلا القول بأنه الثاني عشر من الأئمة عليهم السلام التاسع من ذرية الحسين عليهما السلام عجل الله فرجهم وسهل مخرجهم .

فصل : ويجب أن يعتقد وصاية أوصياء الأنبياء عليهم السلام ويؤمن بهم وأنهم وأنبياءهم قالوا الحق عن الله ، لأنه [لأن الله] سبحانه أثنى عليهم بطاعته وإجابته وعبادته وذكره وشكره ، ومن أثنى الله عليه فقوله حق ، وعمله وفعله حق ، وأن يؤمن بكل ما أنزل الله عزّ وجلّ على أنبيائه وأوصيائهم من كتبه ووحيه وبما أدته ملائكته إليهم ، لأن الله عزّ وجلّ أخبر بذلك وأخبر به نبيه محمد صلى الله عليه وآله وحججه الصادقون ، وكلما كان كذلك فهو حق وصدق ، أشهد لهم بأنهم بلغوا ما أنزل إليهم ، وأدوا إلى عباده ما أمرهم [أمرهم الله] بأدائه ، فهل على الرسل إلا البلاغ المبين ؟ .

الباب الخامس : في المعاد ، يجب أن يعتقد المكلف وجود المعاد يعني عود الأرواح إلى أجسادهم يوم القيامة ، وذلك أنه إذا مات الناس كانت أرواحهم على ثلاثة أصناف :

أحدها : من محض الإيمان محضاً وهذا يمضي [تمضي] روحه بعد الموت إلى جنان الدنيا ، يتنعمون فيها فإذا كان يوم الجمعة والعيد عند طلوع الفجر الثاني أتتهم الملائكة بنجب من نور عليها قباب الياقوت والزمرد والزبرجد والدر ، فيركبون فتطير بهم بين السماء والأرض حتى يأتوا وادي السلام بظهر الكوفة فيبقون هناك إلى أول الزوال ، ثم يستأذنون الملك في زيارة أهاليهم ، وزيارة حفرهم إلى أن يصير ظل كل شيء مثله فيصيح بهم الملك فيركبون ويطيرون إلى غرفات الجنان يتنعمون فيها ، وهكذا إلى رجعة آل محمد صلى الله عليه وآله عليه وآله فيرجعون إلى الدنيا فمن قتل في الدنيا عاش في الدنيا [الرجعة] بالضعف من عمره في الدنيا حتى يموت ومن مات في الدنيا يرجع حتى يقتل ، فإذا رفع الله محمداً

صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام ، من الأرض بقي الناس أربعين يوماً في هرج ومرج وينفخ إسرافيل نفخة الصعق فتبطل الأرواح وسائر الحركات فلا حس ولا محسوس أربعمئة سنة وأما أجسادهم فيأتيها الروح والريحان من جنان الدنيا إلى نفخة الصور ، نفخة الصعق ، والأجساد تتفرق أجزاؤها وتبقى مستديرة في قبورهم [قبورها] مثل سحالة الذهب في دكان الصائغ .

وثانيها : من محض الكفر محضاً إذا مات حشرت أرواحهم إلى عند مطلع الشمس يعذبون بحرها ، فإذا قرب غروب الشمس حشروا إلى برهوت بوادي حضرموت يعذبون إلى الصباح ، فتسوقهم ملائكة العذاب إلى مطلع الشمس وهكذا إلى نفخة الصعق فتبطل الأرواح ، وأما أجسادهم فهي في قبورهم يأتها [يأتيها] الدخان والشرر من النار التي في المشرق وهكذا إلى نفخة الصور .

وثالثها : من لم يمحض الإيمان ولم يمحض الكفر وهؤلاء تبقى أرواحهم مع أجسادهم إلى يوم القيامة ، فإذا مضت أربعمئة سنة بين النفختين ، أمطر الله تعالى من بحر تحت العرش اسمه صاد ماء رائحته كرائحة المني ، حتى تكون الأرض كلها بحراً واحداً فيتموج في [على] وجه الأرض حتى تجتمع أجزاء كل جسده في قبره ، فتنبت اللحوم في قدر أربعين يوماً ثم يبعث الله عزّ وجلّ إسرافيل فيأمره فينفخ في الصور نفخة النشور والبعث فتطائر الأرواح ، فتدخل كل روح في جسدها في قبره فيخرج من قبره فينفض [ينفض] التراب عن رأسه : ﴿ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾ وهذا هو المعاد ، أي عود الأرواح إلى أجسادها كما هي في الدنيا ويجب

الإيمان بهذا أي بعود الأرواح إلى الأجساد لأنه أمر ممكن مقدور لله عزّ وجلّ .

وقد أخبر [أخبر به] عزّ وجلّ وقد أخبر به رسول الله صلى الله عليه وآله الصادق الأمين ، فيكون حقاً ولأنه وقت ثمرة العدل والفضل ويوم الجزاء على الأعمال وعدم وجوده ينافي الفضل في إعطاء الثواب ، وينافي العدل في وقوع العقاب ، ولأنه لطف للمكلفين يعينهم على الطاعة ويردعهم عن المعاصي ، فيكون واجباً في الحكمة ولأن المسلمين أجمعوا على وقوعه وعلى أنه أصل من أصول الإسلام ولا يتحقق الإسلام بدون اعتقاد وقوعه وعلى أن منكره كافر فيكون وقوعه حقاً ، ولأن الله سبحانه كلف عباده فأمرهم بطاعته ، ووعدهم على الوفا بعهده ، وامتثال أمره حسن الثواب ، ونهاهم عن معصيته وتوعد من نَقَض عهده ، وخالف نهيه بالعقاب وقد وقع التكليف منه تعالى ، ووقع من بعض عبّاده الطاعة ومن بعض المعصية ولم يقع الجزاء فيما وعد وتوعد وأخبر سبحانه أنه قد أخر ذلك إلى يوم القيامة فقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ وقال تعالى : ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ إلى غير ذلك من الآيات فيكون وقوعه حقاً ، لأنه أخبر به الصادق القادر عليه .

فصل : ولما كان الحشر إنما هو ليتم مقتضى العدل الحق وجب إعادة كل ذي روح لأجل أن يجازى بعمله من خير وشر ، ويؤخذ له الحق ممن تعدى عليه وظلمه ، ويؤخذ منه الحق لمن ظلمه ، فهذه الأحوال الثلاثة وهي مجازاة المكلف بعمله من خير وشر وأخذ حقه ممن ظلمه وأخذ الحق منه لمن ظلمه شامل لكل ذي

روح من جميع الحيوانات من الإنس والجن وسائر الشياطين والحيوانات بجميع أنواعها ، إلا أن ذلك في كل شيء بحسبه بل النوع الواحد كذلك قال الله سبحانه : ﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ﴾ الدليل على أن كلاً من الحساب والحشر عام لكل الحيوانات الناطقة والصامتة قوله تعالى : ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ وقوله عليه السلام : (**ليقتصن للجماء من القرناء**) ، وقوله عليه السلام : (**ولا يظلم ربك أحداً**) يدل بتأويله أنه يأخذ الحق لذي الحق ومن [أن] كان من الناطقين للصامتات و[أو] من الصامتات للناطقين ، بل يحشر [تحشر] بعض الجمادات كالحجارة [كالأحجار] المعبودة من دون الله والأشجار وغيرهما ويقتص منها لرضاها بذلك في أصل كونها لقوله تعالى : ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴾ فإن قلت : كيف ترضى وليس لها عقول ولا شعور ، قلت : إن لها عقولاً وشعوراً بنسبة كونها ولذا قال سبحانه : ﴿ لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ﴾ بضمير العقلاء لأنها لو لم تكن [لم يكن] لها عقول لقال ما وردتها وإنما قال : (**ما وردوها**) بضمير العقلاء لدلالة أن لها عقلاً ومثل ذلك قوله تعالى : ﴿ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴾ ولم يقل طائعات .

فصل : وأمّا القصاص من الجمادات والأشجار فإنه في الدنيا كما وردت به الأخبار الكثيرة ، مثل : (**إنّ زمزم افتخرت على الفرات فأجرى الله فيها عيناً من صبر**) ، ومثل قوله عليه السلام : (**لو طغى جبل على جبل لهده [لهدمه] الله ، وأمثال ذلك كثير ،**

وإنما كانت عقوبة الجمادات والنبات [النباتات] مثل ما ورد أن الأرض السبخة والماء المالح والنبات المر كالبطيخ المر لما عرضت عليها ولاية محمد وأهل بيته صلى الله عليه وآله ولم تقبل ، جعلت مرة ومالحة وإنما جعلت عقوبتها في الدنيا لأنها ليس لها اختيار كلي قوي فينتظر بها إلى الآخرة عسى أن ترجع [يرجع] ، ولأن [لا أن] إدراكها كلي لتكون رتبتها [رتبته] تصل إلى الآخرة بل اختيارها جزئي لا يكاد يرجى رجوعها و [ولا] إدراكها جزئي ، لا تكون رتبته من نوع الآخرة ، وإنما أخرت عقوبة الأصنام إلى الآخرة ، وإن كانت جزئية لأجل التبكيت لمن يعبدها من دون الله) .

فصل : ومما يجب اعتقاده إنطاق الجوارح لتشهد على أصحابها من المكلفين بما عملوا لقوله تعالى : ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ وقد وردت الروايات الكثيرة أن بقاع الأرض تشهد عليهم بما عملوا فيها ، وتحشر الأيام والليالي والساعات والشهور والأعوام فتشهد عليهم بما عملوا فيها ، والعقل يؤيد ذلك فإذا تطابق العقل والنقل على ثبوت شيء وجب اعتقاد ثبوته .

فصل : ومما يجب اعتقاده تطائر الكتب وذلك أن الإنسان إذا مات فأول ما يوضع في قبره ويشرج عليه اللبن ، يأتيه رومان فتان القبور ، قبل منكر ونكير فيحاسبه [فيجلسه] ويقول له : اكتب عملك فيقول : نسيت أعمالي فيقول : أنا أذكرها لك ، فيقول : ليس عندي قرطاس فيقول : بعض كفنك [فقال له : خذ قطعة من كفنك] فيقول : ليس عندي دواة فيقول : فمك فيقول : ليس عندي

قلم فيقول : إصبعك فيملل عليه رومان جميع ما عمل من كبيرة وصغيرة ، فيأخذ تلك القطعة فيطوقه بها في رقبته فتكون عليه أثقل من جبل أُحد وهو قوله تعالى : ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴾ الآية ، فإذا كان يوم القيامة تطائرت الكتب فمن كان محسناً أتاه كتابه من وجهه وأخذه بيمينه ، ومن كان مسيئاً أتاه كتابه وراء ظهره وضربه ، وخرق ظهره ، وخرج من صدره ، وأخذه بشماله فيقفون صفاً جميع الخلائق بين يدي كتاب الله الناطق ، صلوات الله عليه وسلامه وهو الذي تعرض عليه الأعمال فينطق على الخلائق بما كانوا يعملون وكلٌّ ينظر في كتابه فلا يخالف حرف حرفاً وهو بقول واحد وهو قوله تعالى : ﴿ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٢٨) هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ لأنه كانت أعمال الخلائق تعرض عليه في دار الدنيا .

فصل : ومن ذلك اعتقاد الميزان لأعمال الخلائق ، فروي أنه ذو كفتين وروي أنه ليس ذو [ذا] كفتين وإنما هو ولاية الأئمة عليهم السلام ، فقيل : [وقيل] هو كناية عن عدل الله تعالى لعلمه بمقادير الاستحقاقات الراجح منها والمرجوح والحق أنه لا تنافي بين الأقوال الثلاثة فإنه ذو كفتين ، كفة للحسنات وكفة للسيئات وهو ولاية الأئمة عليهم السلام وهو عدل الله ووجه الجمع ليس هذه الرسالة محله والواجب اعتقاد أن يوم القيامة تنصب الموازين لتمييز أعمال المكلفين وأما أنه هو كذا و[أو] كذا فلا يجب ، وإنما ذلك من كمال المعرفة والدليل على وجود قول الله تعالى [تعالى في كتابه] ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ ﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ

فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴾ .

فصل : ومما يجب اعتقاده الصراط ، وهو جسر ممدود على جهنم أول عقبة منه بالمحشر صاعداً إلى الجنة ، يصعدون إليه في ألف سنة وألف سنة نزول وبينهما ألف سنة حذال ، وفيه على الحذال خمسون عقبة كل عقبة يقف فيها الخلائق ألف سنة ، وهو أحدّ من السيف وأدق من الشعر يتسع للمطيع مثل ما بين السماء إلى الأرض ، ويضيق على العاصي والناس فيه على قدر أعمالهم فمنهم من يمر عليه مثل البرق الخاطف ، ومنهم من يمر عليه مثل عَدْو الفرس ، ومنهم من يمر عليه ماشياً ومنهم من يمر عليه حبواً ومنهم [منهم من] يمر عليه متعلقاً فتأخذ النار منه شيئاً وتترك [ترك] منه شيئاً . والواجب اعتقاد وجوده يوم القيامة ، وأنه أحدّ من السيف ، وأدق من الشعر وأنه جسر ممدود على جهنم ، وأن الخلائق يكلفون بالمرور عليه ، وأما معرفة كيفيته و[وما معنى] الصعود عليه والنزول منه ومعرفة ما المراد منه فلا تجب ، وأدلة ما ذكر الأخبار المتواترة معنى من الفريقين وإجماع المسلمين على ذلك .

فصل : ومما يجب اعتقاده الحوض ، ويسمى حوض الكوثر لأن الماء ينصب فيه من نهر الكوثر ، والحوض يكون في عرصة القيامة يسقي منه أمير المؤمنين عليه السلام عطاشى المؤمنين يوم القيامة ، ومما يجب اعتقاده الشفاعة ، وهي شفاعة نبينا محمد صلى الله عليه وآله لأهل الكبائر من أمته كما قال صلى الله عليه وآله : (**ادخرت شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي**) ، والأخبار متواردة متكثرة بأنه صلى الله عليه وآله شفيع [يشفع] لأهل بيته عليهم السلام ،

وللأنبياء عليهم السلام ، فتشفع الأنبياء لمن ارتضى الله دينه من أممهم ويشفع الأئمة عليهم السلام لشيعتهم ويشفع شيعتهم لمن يشاؤون من المحبين ، والواجب اعتقاد ثبوت شفاعة محمد صلى الله عليه وآله للعصاة من أمته ، وأما التفصيل والترتيب فعلى حسب ما يصح من الدليل لأنه من متممات الإيمان ومكملات المعرفة .

فصل : ومما يجب اعتقاده وجود الجنة ، وما فيها من النعيم المقيم وهي جنان الخلد الثمانية كما دلت عليه الأخبار ونطق به القرآن المجيد وجنان الدنيا أيضاً موجودة [موجودة عند مغرب الشمس] ، وهي التي تأوي إليها أرواح المؤمنين إلى أن ينفخ إسرافيل في الصور نفخة الصعق وقد ذكرهما الله تعالى في كتابه فقال : ﴿ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَأۡتِيّٗا ٦١ لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوًا إِلَّا سَلَٰمٗاۖ وَلَهُمۡ رِزۡقُهُمۡ فِيهَا بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا ﴾ وهي جنان الدنيا لأن جنان الآخرة ليس فيها بكرة ولا عشي ثم قال : ﴿تِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِي نُورِثُ مِنۡ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيّٗا﴾ وهذه جنان الآخرة وجنان الآخرة ثمان :

الأولى : جنة الفردوس .

الثانية : الجنة العالية .

الثالثة : جنة النعيم .

الرابعة : جنة عدن .

الخامسة : جنة دار السلام .

السادسة : جنة دار الخلد .

السابعة : جنة المأوى .

الثامنة : جنة دار المقام [المقامة] ، وجنان الحظائر سبع كل حظيرة ظلّ لجنّة من جنان الأصل ، وأما جنة عدن فلا ظل لها ففي الآخرة خمسة عشرة جنة : ثمان هي الأصول المعروفة كل سماء فوقه جنة ، والثامنة فوق الكرسي وسبع جنان الحظائر وهي تحت الثمان ، وأقل منها وفي الحديث : (**أن جنان الحظائر يسكنها ثلاث طوائف من الخلائق [الخلق] مؤمن الجن وأولاد الزنى من المؤمنين ، وأولاد أولادهم إلى سبعة أبطن والمجانين الذين لم يجر عليهم التكليف الظاهر ولم يكن لهم من أقربائهم [قراباتهم] شفعاء ليلحقوا بهم**) ، وأسماء جنان الحظائر أسماء جنان الأصل مثل الشمس التي في السماء الرابعة فإن اسمها الشمس وإشراقها في الأرض اسمه الشمس والواجب اعتقاد وجود الجنة ونعيمها الآن ، وأما مثل هذا التفصيل ونحوه فلا يجب والدليل على وجودها القرآن والأخبار والإجماع .

فصل : ومما يجب اعتقاده وجود النار ، وما أعد فيها من العذاب الأليم وهي نيران الخلد السبع ، ونيران الدنيا سبع عند مطلع الشمس ، وقد نطق القرآن بذكر النار وأنها موجودة قال تعالى : ﴿ وَحَاقَ بِئَالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ﴾ وهي نيران الدنيا ، لأن الآخرة ليس فيها غدو وعشي، وقال : ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ ﴾ وهذه نيران الخلد لأن نيران الدنيا لا يوجد [لا توجد] يوم تقوم الساعة وليس المعروض عليه يوم تقوم الساعة غير المعروض عليها غدواً وعشياً ، وقد اتفق علماء التفسير والقراء على الوقف على الساعة والابتداء بـ ﴿ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ ﴾ فقد أخبر الله سبحانه بوجود نيران الآخرة ونيران الدنيا والسنة

النبوية صريحة في ذلك والإجماع من المسلمين واقع على وجود النار بقول مطلق ، والاختلاف إنما هو في الكيفية والصفة ، وهل هي موجودة بالفعل أو بالقوة أو أن الموجود منها كلياتها ، وأما جزئياتها فليست موجودة بالفعل وإنما توجد بالتدريج والخلاف ليس بصحيح بل الصحيح أنهما موجودتان نيران الدنيا ونيران الآخرة بالفعل ، كما دل عليه القرآن والأخبار خصوصاً أحاديث المعراج فإنه صلى الله عليه وآله دخلهما ليلة المعراج ورأى من يعذب فيهما ، والواجب اعتقاد وجودهما ووجود عذابهما ، واعلم أن الواجب اعتقاد التألم الدائم في نيران الآخرة بلا انقطاع ولا انتهاء ، بل كلما طال الزمان اشتد التألم على أهلها كما هو صريح القرآن وأخبار أهل العصمة عليهم السلام ، ودليل العقل حاكم بذلك كما هو مقرر في محله ونيران الآخرة أربعة عشرة [أربع عشرة] طبقة سبع نيران الأرض :

الأولى : أعلاها الجحيم .

والثانية : لظى .

والثالثة : سقر .

والرابعة : الحطمة .

والخامسة : الهاوية .

والسادسة : السعير .

والسابعة : جهنم [جهنم وجهنم] .

ثلاث طبقات الفلق وهو جب فيه التوابيت وصعود وهو جبل من سقر [صفر] من نار وسط جهنم ، وآثام وهو وادٍ من صفر مذاب

يجري [تجري] حول الجبل ، ونيران الحظائر ظل نيران الأصل وتسمى بأسماء الأصل ، كل نار تسمى باسم أصلها أو [و] نيران الحظائر يعذب فيها أهل الكبائر من الشيعة ممن استحق دخول النار .

فصل : ويجب أن يعتقد أن أهل الجنة خالدون فيها أبداً متنعمون [منعمون] أبداً ﴿ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾ دائمون بدوام أمر الله الذي لا غاية له ولا نهاية : ﴿ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾ شهد بذلك الكتاب والسنّة وإجماع المسلمين ، وأن أهل النار خالدون فيها أبداً معذبون لا يخفف عنهم العذاب [لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها ، كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب] شهد بذلك الكتاب والسنّة وإجماع المسلمين ، ومن خالف من الصوفية ، وبعض أهل الخلاف من أصحاب الآراء المنحرفة فلا عبرة بقولهم ، ولا يلتفت إليهم بعد نص الكتاب والسنّة المجمع على صحتها وقد أقمنا عليه الأدلة العقلية القطعية .

فصل : ويجب أن يعتقد أن ما نطق القرآن به [به القرآن] ، وجاء به محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله ، حق من علم الساعة ، وسؤال منكر ونكير لمن محض الإيمان محضاً و [واو] محض الكفر محضاً في القبر والحشر والنشر والمرصاد ، وهو كما قال الصادق عليه السلام ، (**المرصاد قنطرة على الصراط لا يجوز [لا يجوزها] عبد بمظلمة عبد**) ومن الختم على الأفواه وإنطاق الجوارح ومن الجنة وأحوال ما فيها من المآكل والمشارب والنكاح وصنوف النعيم ومن النار وأحوال ما فيها من العذاب والأغلال

والسلاسل والسرابيل ومقامع الحديد والجحيم الحميم] والزقوم والغسلين وغير ذلك ومن : ﴿ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي ٱلْقُبُورِ ﴾ .

خاتمة : ومما ينبغي اعتقاده رجعة محمد وأهل بيته أجمعين صلوات الله عليهم ، على نحو ما ذكرناه في جوابنا الموضوع للرجعة ومختصره ، أنه إذا كانت السنة التي يظهر فيها قائم آل محمد صلى الله عليه وآله ، عجل الله فرجه وقع قحط شديد ، فإذا كان العشرون من جمادى الأولى وقع مطر شديد لا يوجد مثله منذ هبط آدم عليه السلام إلى الأرض متصلاً إلى أول شهر رجب ، تنبت لحوم من يريد الله أن يرجع إلى الدنيا من الأموات وفي العشر الأول منه أيضاً يخرج الدجال من أصفهان ، ويخرج السفياني عثمان بن عنبسة أبوه من ذرية [ذرية عتبة بن] أبي سفيان وأمه من ذرية يزيد بن معاوية من الرملة من الوادي اليابس ، وفي شهر رجب يظهر في قرص الشمس جسد أمير المؤمنين عليه السلام يعرفه الخلائق وينادي في السماء منادٍ باسمه وفي أواخر [آخر] شهر رمضان ينخسف القمر [القمر أو في الليلة الخامسة منه] ، وفي الليلة الخامسة منه [وفي النصف] تنكسف الشمس ، وفي أول الفجر من اليوم الثالث والعشرين ينادي جبرئيل في السماء أن [إلا أن] الحق مع علي وشيعته ، وفي آخر النهار ينادي إبليس من الأرض ألا إن الحق مع عثمان الشهيد و [وشيعته] يسمع الخلائق كلا الندائين كلٌّ بلغته ، فعند ذلك يرتاب المبطلون فإذا كان يوم [اليوم] الخامس والعشرون من ذي الحجة يقتل النفس الزكية محمد بن الحسن بين الركن والمقام ظلماً ، وفي يوم الجمعة

العاشر من المحرم يخرج الحجة عليه السلام ويدخل المسجد الحرام يسوق أمامه عنيزات ثمانٍ عجافاً ويقتل خطيبهم .

فصل : فإذا قتل الخطيب غاب عن الناس في الكعبة فإذا جنّه الليل ليلة السبت صعد سطح الكعبة وتنادى أصحابه الثلاثمائة وثلاثة عشر ، فيجتمعون عنده من مشرق الأرض ومغربها فيصبح يوم السبت فيدعو الناس إلى بيعته فأول من يبايعه الطائر الأبيض جبرائيل عليه السلام ، ويبقى في مكة حتى يجتمع إليه عشرة آلاف ويبعث السفياني عسكرين عسكراً إلى الكوفة ، وعسكراً إلى المدينة ، ويخربونها ويهدمون القبر الشريف وتروث بغالهم في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله ويخرج العسكر إلى مكة ليهدموها فإذا وصلوا البيداء خسف لهم [خسفت بهم] لم ينج منهم إلا رجلان يمضي أحدهما نذيراً للسفياني والآخر بشير للقائم عليه السلام ، ثم يسير عليه السلام إلى المدينة ويخرج الجبت والطاغوت ويصلبهما في الشجرة ويسير في أرض الله ويقتل الدجال ، ويلتقي بالسفياني ويأتيه السفياني ويبايعه فيقول له أقوامه من أخواله : يا كلب ما صنعت فيقول : أسلمت وبايعت فيقولون : والله ما نوافقك على هذا فلا يزالون به حتى يخرج على القائم عليه السلام ، فيقاتله فيقتله الحجة عليه السلام ، ولا يزال يبعث أصحابه في أقطار الأرض حتى يستقيم له الأمر فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً .

فصل : ويستقر في الكوفة ، ويكون مسكن أهله مسجد السهلة ، ومحل قضائه مسجد الكوفة ، ومدة ملكه سبع سنين يطول الله الأيام والليالي حتى تكون السنة بقدر عشر سنين ، لأن الله سبحانه يأمر

الفلك باللبوث فتكون مدة ملكه سبعين سنة من هذه السنين فإذا مضى منها تسع وخمسون سنة ، خرج الحسين عليه السلام في أنصاره الاثنين والسبعين الذين استشهدوا معه في كربلاء ، وملائكة النصر والشعث الغبر الذين عند قبره ، فإذا تمت السبعون السنة أتى الحجة عليه السلام الموت فتقتله امرأة من بني تميم اسمها سعيدة ، ولها لحية كلحية الرجل بجاون صخر من فوق سطح وهو متجاوز في الطريق ، فإذا مات عليه السلام تولى تجهيزه الحسين عليه السلام ، ثم يقوم بالأمر ويحشر له يزيد بن معاوية وعبيد الله بن زياد وعمر بن سعد والشمر ومن معه يوم كربلاء ، ومن رضي بأفعالهم من الأولين والآخرين لعنة الله عليهم أجمعين فيقتلهم الحسين عليه السلام ويقتص منهم ويكثر القتل في كل من رضي بفعلهم أو أحبهم حتى تجتمع عليه أشرار الناس من كل ناحية ، ويلجئونه إلى البيت [بيت الله] الحرام فإذا اشتد به الأمر ، خرج السفاح أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام لنصرته مع الملائكة فيقتلون أعداء الدين ويمكث علي عليه السلام مع ابنه الحسين عليهما السلام ثلاثمائة سنة وتسع سنين كما لبث أصحاب الكهف ، ثم يضرب على قرنه ويقتل لعن الله قاتله ويبقى الحسن عليه السلام قائماً بدين الله ومدة ملكه خمسون ألف سنة ، حتى أنه ليربط حاجبيه بعصابة من شدة الكبر ويبقى أمير المؤمنين عليه السلام في موته أربعة آلاف سنة أو ستة آلاف سنة أو عشرة آلاف سنة على اختلاف الروايات .

فصل : ثم يكر علي عليه السلام في جميع شيعته لأنه عليه السلام يقتل مرتين ، ويحيى مرتين ، قال عليه السلام : **(أنا الذي أقتل**

مرتين وأحيى مرتين ولي الكرة بعد الكرة والرجعة بعد الرجعة) والأئمة عليهم السلام [السلام كلهم] يرجعون حتى القائم عليه السلام ، لأن لكل مؤمن موتة وقتلة ، فهو في أول خروجه قتل ، ولا بد أن يرجع حتى يموت ، ويجتمع إبليس مع جميع أتباعه ويقتتلون عند الروحاء قريباً من الفرات ، فيرجع المؤمنون القهقرى حتى تقع منهم رجال في الفرات وروي ثلاثون رجلاً فعند ذلك يأتي تأويل قوله تعالى : ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ﴾ رسول الله صلى الله عليه وآله ينزل من الغمام وبيده حربة من نار فإذا رآه إبليس هرب فيقول [فيقول له] أنصاره أين تذهب وقد آن لنا النصر ، فيقول : إني أرى ما لا ترون إني أخاف الله رب العالمين فيلحقه رسول الله صلى الله عليه وآله ، فيطعنه في ظهره ، فيخرج الحربة من صدره ويُقتلون أصحابه أجمعين ، وعند ذلك يُعبَد الله ولا يشرك به شيئاً ويعيش المؤمن لا يموت حتى يولد له ألف ولد ذكر وإذا كسى ولده ثوباً يطول معه كلما طال الثوب ، ويكون لونه على حسب ما يريد ، وتظهر الأرض بركاتها وتؤكل ثمرة الصيف في الشتاء ، وبالعكس ، وإذا أخذ الثمرة من الشجرة تنبت [نبت] مكانها حتى لا يفقد شيئاً وعند ذلك تظهر الجنتان المدهامتان عند مسجد الكوفة وما حوله بما شاء الله فإذا أراد الله تعالى نفاذ [إنفاذ] أمره في خراب العالمين [العالم] ، رفع محمداً وأله صلى الله عليه وآله إلى السماء وبقي الناس في هرج ومرج أربعين يوماً ثم ينفخ إسرافيل في الصور نفخة الصعق وما ذكرناه هنا ملتقط من روايات الأئمة الأطهار عليهم السلام ، والذي ينبغي للمؤمن اعتقاد رجعتهم عليهم السلام إلى الدنيا وهو في

أحاديثهم واجب لا يرتاب فيه المؤمنون بتلك الأخبار ، وإنما عبرت بلفظ ينبغي دون لفظ الواجب [الوجوب] اتقاء من خلاف بعض العلماء في ذلك من أن [وإنما] المراد بالرجعة قيام القائم عليه السلام والحق أن رجعتهم حق بنص الأخبار المتكثرة ودعوى أنها أخبار آحاد غير مسموعة بعد ظاهر القرآن ونص نحو خمسمائة حديث مروي عنهم عليهم السلام ولو لم يكن إلّا لإنكار [إنكار] المخالفين الذين يكون الرشد في خلافهم لكفى .

فصل : ومما يلحق بذلك الكلام في الآجال والأرزاق والأسعار ، الأجل هو وقت حدوث الشيء ، وأجل الموت هو انتهاء مدة كونه في الدنيا ، وانتهاء ما كتب له ، وهو يحصل بالموت والقتل ، أما الموت فما كان بالموت الطبيعي وهو مائة سنة أو ثمانون سنة أو مائة وعشرون سنة على احتمالات الفصول الإنسانية في الإنسان ، هل الفصل أي فصل الربيع عشرون أو خمسة [خمس] وعشرون أو ثلاثون ، وكذا الصيف والخريف والشتاء ، فهو عند انتهاء ما جرى به القلم في اللوح المحفوظ له من مدة [هذه] البقاء في هذه الدنيا ومن الأرزاق لجميع قوابله من أكل وشرب وملبوس وعلم وفهم وغير ذلك ، ثم إن كان من محض الإيمان محضاً أو محض الكفر محضاً بقي له من ذلك في اللوح المحفوظ ما قدر له مدة بقائه عند قيام القائم عليه السلام أو رجعة النبي والأئمة عليهم السلام ، وما كان بالموت الطبيعي فعلى حسب السبب المقتضي لموته ، فقد يعمل المعصية التي تمحو ما كتب له من الرزق و[أو] الأجل فيموت ، ولم يبق إلا ما كان له إن كان ماحضاً للإيمان أو الكفر ، وما كان بالقتل فقيل : يموت بأجله ،

وقيل : قبل أجله ، ثم اختلف القائلون الذين قالوا : بأن أجله مخترم وأنه قبل الأجل ولولا ذلك لما استحق الدية من القاتل فقالت [فقال] بعضهم : لو لم يقتل عاش أربعين يوماً وقيل : لا نعلم ولو لم يقتل هل يموت أو يعيش ؟ وقيل غير ذلك ، والذي فهمت من أخبار الأئمة عليهم السلام أنه يقتل قبل الأجل ، وأنه لو لم يقتل عاش سنتين ونصف سنة ، وأما الرزق فهو ما ينتفع به الحي وليس لغيره منعه منه ، والمراد بالغير غير الله سبحانه وغير رسوله وأهل بيته صلوات الله عليهم فعلى هذا لا يكون الحرام رزقاً خلافاً لأهل الخلاف والدليل على أن الحرام ليس برزق أخبار الأئمة عليهم السلام ومن القرآن مثل قوله تعالى : ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ فمدحهم على الإنفاق من الرزق ، ولو كان حراماً لذمهم على الإنفاق منه لأنه تصرف في مال الغير بغير إذنه ، وأما الأسعار فالرخص انحطاط السعر عما جرت به العادة في وقت مخصوص ، ومكان مخصوص وأما الغلاء فهو ارتفاع السعر عما جرت به العادة كذلك ، فقيل : قد يكونان من الله سبحانه بأن يقلل الأمتعة ويكثر رغبة الناس فتغلا الأسعار وقد يكثر الأمتعة ويقلل رغبة الطالبين فترخص الأسعار .

وقد يكونان من غير الله سبحانه بأن يمنع السلطان الناس من جلب الأمتعة فتغلو أو [و] يمنعهم من شرائها فترخص والعوض فيما يدخل على الناس من الآلام في ذلك على الظالم ، والحق في ذلك أن الغلاء والرخص يكونان بتقدير الله بأعمال الناس ، وذلك أن الله سبحانه قد يقلل الأمتعة أو أسباب وجودها ، إما عقوبة لأهل [لبعض أهل] المعاصي بما قدمت أيديهم فتصيب تلك العقوبة [العقوبة مع

من كان معهم] وإن لم يعص لأجل كونه معهم كما في قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ﴾ أو اختبار للعباد كما في قوله تعالى : ﴿ لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ﴾ وليذيقهم حلاوة الفرج كما في قوله تعالى : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾ أو ليرفع درجة الشاكرين على الرخاء الصابرين على البلاء ، فإن الدنيا سجن المؤمنين [المؤمن] [المؤمن أو ليميز الخبيث من الطيب] وغير ذلك ويكل المحتكرين إلى أنفسهم في الغلا وبالعكس في الرخص وقولي أو [و] أسباب وجودها أي يقلل أسباب [الأسباب] وجود الأمتعة أريد به أسباب قابلية وجودها ، مثل [مع] كثرة الطلب وإيجاد المحتكر ومنع الأمطار وخوف الطرق وكثرة قطاع الطريق وأمثال ذلك ، بأن يكل الذي يخالف محبة الله إلى نفسه حتى تقع منه أسباب المنع من المعاصي ومن ظلم العباد وغير ذلك فإن كل ما يكون سبباً للغلاء إنما هو لأنه تقصير [تقصيره] في حق المعبود أو مسبب لتقصير لأن مقتضى الكرم الرخاء والرخص ، وإنما يكون خلاف ذلك المقتضى لأجل موانع من تقصيرات قوابل المكلفين ، فإن قلت : إن الغلاء والرخص من الله عزّ وجلّ ، بمعنى أنه قدّر أسباب ذلك بتقصيرات المكلفين في الغلاء وبفضله في الرخص فقد أصبت ، وإن قلت : إن الغلاء والرخص بسبب أعمال العباد ، بمعنى أنه تعالى عاملهم بعدله في الغلاء وتجاوز عنهم في الرخص فقد أصبت ، والواجب على العباد شكره على نعمائه وحمده على كرم عدله وآلائه والرضا في كل حال بقدره وقضائه فإنه ولي كل خير وصلى الله على محمد وآله الطاهرين .

ترجمة رسالة حياة النفس

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أي مجيب دعوت مضطر ان وچاره ساز بيچار گان محرومان توئى كه جمله موجودات را از فيافى ليس بقصور مشيده مدينه طيبه ايس رسانيدى وهمگى ذرات وجود را از اشراف [اشراق] نور مشرق از صبح ازل بتلألؤ ولمعان در آورده ببيس جملگى بجملگى ناطق بوحدانيت وشاهد صدق بر الوهيت وقهاريتت ، يا رب اهل مجاز را از نقل وارتحال واشتراك خلاصى ده واز تصاريف حرفين [صرفيين] بماضى واستقبال وحال بنحو احسن بسوى اصل واحد راهى ده پس در سر منزل عموم ابواب اطلاق بر ايشان مفتوح فرموده در خلو تخانه تخصيص بمسند وما من عام الا وقد خص مأواى ايشان ده بحق سيد وسرور كه كرسى نشين بارگاه آستان يكه تاز ميدان مجاز راجح يعنى مثل اعلى ومضمر فاعليت فعل اول در حجاب ابيض اعلى در رتبه اصطفا وناقل ولايت اوليه الهيه : ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴾ وحامل عرش [فاتبعوني يحببكم الله ، من أطاع الرسول فقد أطاع الله] سيد الكونين وفخر العالمين أبو القاسم محمد بن عبد الله عليه وآله سلام الملك العلي .

أما بعد چنين گويد اين ذره بى مقدار وخاكسار بى اعتبار غريق درياى آمال واماني ومتشبث برحمت خداوندى محمد كاظم بن

محمد قاسم الحسيني الموسوي الرشتى مولدا والكربلائي مسكنا كه حق سبحانه وتعالى چون خلقت انسان وساير اكوان از قبضه نور وقبضه ظلمت از آب عذب فرات ومالح واجاج آفريده پس معسكر دو عسكر متباين ودو دشمن متخالف گرديده جهتى بتسخير عقل وباهفتاد ودو گروه از ملائكه مسخر وجهتى ديگر بتصرف نفس اماره باهفتاد ودو گروه از شياطين وانسان حامل لواء اين دو عسكر ورئيس وصاحب اختيار اين دو لشكر عنان ميل بجانب هر يك كه معطوف دارد آن لشكر ديگر تاب مقاومت نياورده فرار بر قرار اختيار نمايد پس معلوم شد كه هر حقى را باطل در مقابل وهر هادى را مضلى مماثل وجمعى را كه ميل بجانب نفس اماره غالب آمده دنيا را محل قرار ورو از آخرت بر تافته سراب بر آب اختيار نمودند بحسب اعراض باطله وشهوات زايله جهتى از باطل را شيوع دادند وركنى از ار كان ضلالت را مستحكم ساختند خصوصاً در حق خلافت خلفاى جور وسلاطين باطل واهل غرور وكبر وخفاى حق باختفاى اهل حق وانمحاء نور شمس هادى مطلق كه اهل باطل مستظهر گشته بواطن خبيثه خود كه مخزن عناد وطغيان وكفر وجحود وعدوان بافكار ميشومه وانظار كاذبه آبگينه اظهار نمودند چون باطل همان شجره خبيثه كه حق تعالى در قرآن از آن خبر داده : ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾ باصل ثابت قويم مستند ومستحكم نيست لا جرم هر آنى بجانبى مايل وتابع هوى وبهر سمت كه نسيم مخالفت وزيدن آغاز كند بآن جهت توجه مينمايد باين جهت آراء باطله واعتقادات فاسده واقوال كاسده واوهام كاذبه كمال شيوع وانتشار

بهم رسانيده واختلاف عظيم بآن سبب هويدا جمعى صوفى با اختلاف فرق ومذاهب وطايفه فلسفى ويونانى واعراض كننده از حكم قرآنى وبرخى به قياس واستحسان گرفتار وگروهى مبتلا بمتكلمين كج رفتار وبالكلية علوم عقلية ونقليه وأصولية وفروعيه را بحكم : ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ ﴾ مغشوش ومضطرب وآراء باطله خود را در هر مطلبى از مطالب دخل نموده تاسر آية شريفه : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ ﴾ ظاهر وپديد شود [فخذلهم الله وأصلاهم نار جهنم وبئس المصير] وگروهى ديگر كه خود را از راكبان سفينه نجات وصاحبان عزم وثبات ومتمسكان بحبل المتين ومتشبثان بذيل ولاى أئمة طاهرين سلام الله عليهم اجمعين ميدانستند چون ضرس قاطع كه حبال وعصى شكوك واوهام شجره اهل باطل را ازهم گسلند عادم ونور لامع كه كه ظلمات مدلهمه اصحاب غرور وعدوان مضمحل وزايل فرمايند غير متحقق وثابت لا جرم ظلمات بحر لجى متلاطم ومتراكم بأنواع شبهات سوفسطائيه وخيالات شعرية مصدوقه : ﴿ ظُلُمَٰتُۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ ﴾ نور جزئى عرضى كه بولايت مستودعى در قلوب ايشان مستعار بود مغلوب گشته غواسق مدلهمه بطلان وغرور واوهام باطله اصحاب مكر وزور باعتبار مناسبت ذاتية استحكام يافته آن اعتقادات باطله واوهام فاسده قبيحه را حق پنداشته از طريقه انيقه شرع شريف ومقتضاى اخبار اهل بيت عصمت وطهارت بود بحسب حقيقت اعراض نموده هر چند بحسب ظاهر متمسك به بعضى اخبار متشابهه واحاديث موضوعه غير معتبره گردد كه آن بجهت اغواى جهال واضلال ارباب جلال

میباشد وجمعی جهال این فرقه محقه بمدلول [همج رعاع أتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم فلم يلجؤوا إلى ركن وثيق] تابع گشته پس اختلاف عظیم وتزلزل واضطراب شدید در ذیل فرقه محقه پدیدار شده واین اختلاف هر چند مطلوب است بجهت حفظ آفات این طایفه شریفه لکن چون خلاف بسیار شود وباطل شیوع یابد ورکون این طایفه بسوی ظالمین ومخالفین معلوم گردد لا جرم واجب شود بر صاحب شریعت که از جانب خود شخصی از مؤمنین ممتحنین باعتبار کمال مناسبت بحکم تابعیت بحکم (**نحن العلماء وشيعتنا المتعلمون**) مؤید فرمایند بفهم مطالب حقه واستنباط احکام وجمیع مرادات الهیه از اصولیه وفروعیه عقلیه ونقلیه از کتاب الله وسنت رسول الله صلی الله علیه وآله که در آن تفاصیل جمیع اشیاء على اكمل ما ينبغي میباشد واو را بر ظواهر وبواطن شریعت نبویه على الصادع بها آلاف الثناء والتحية مطلع می فرمایند تا دردین خود راسخ ودر طریقه ایشان سلام الله علیهم ثابت كالجبل الشامخ بحيث لا تحركه العواصف ولا تزيله القواصف تا اینکه رفع تمامی اوهام فاسده اهل کفر وضلالت فرموده وقطع رفیع اساس باطل ایشان بقوت ایمان نموده ضعفای شیعه که ایتام آل محمد سلام الله علیهم اجمعین میباشند ببرکت ایشان از ظلمات جهل وشبهات مستخلص گشته بشاهراه نجات وجاده واضح عزم وثبات رسانیده شوند چنانچه از این معنی خبر داده : (**ان لنا في كل خلف عدو ولا ينفون عن ديننا تحريف الغالين وانتحال المبطلين**) ولا شك در هر عصر وزمان حجتی در میان خلق از جانب ایشان بجهت قطع اوهام اهل عدوان وطغیان بوده تا در این

زمان سعادت نشان وخيريت اقتران كه غلبه شكوك وشبهات منافقان در تزايد وتضاعف آمده تا اينكه منتحلين محبت آل محمد سلام الله عليهم ركون باعداى ايشان نموده از كتب وزبر ضلالت اثر ايشان جوياى حق ميباشند از ظلمت نور را طالب واز مرض شفاجويان واز زهر صحت وحيات را متوقع تا اينكه حق تعالى منيت گذاشت مسلمين بظهور نور آفتاب عالمتاب بيت الشرف علم ومعرفت وكرسى معارف اهل بيت عصمت وطهارت ومحدد جهات محبت ومكرمت آنكه طغراى غراى : ﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴾ باسم سامى گرامى آن حضرت از مصدر عز وكرامت صادر وحكم واجب الإذعان (**فارضوا به حكماً فإني قد جعلته عليكم حاكماً**) تا نزد آن جناب مستطاب مهبط اسرار ربانية ومخزن علوم معصوميه شايسته تشريف (**إن حديثنا صعب مستصعب لا يحتمله إلا ملك مقرب أو نبي مرسل أو مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان**) مخرب مذاهب اشراقيين مضيع قواعد مشايين ورواقيين ومخترعات صوفية ملا حده اعداء دين آنكه از نور علوم ومعارفش كلمات جهل وشبهات وهمية مضمحل وزايل واز ميزان صحيح المعيار مطالب حقه اش تمامي اوهام سوفسطائية فلاسفه ملاحده باطل واز كلمات حقه اش زلال معارف در جداول قلوب جارى واز اشارات لطيفه اش بحار حقايق وحكم وعلوم ظاهر وسارى محيى شريعت بيضاى مصطفوى صلى الله عليه وآله قيم موضح طريقه غريه مرتضوى آتش خر من ارباب ضلالت صاعقه اوهام اصحاب جهالت مرگ ناگهان صوفية خدانشناس سيف قاطع مكايد

وسواس خناس عماد الملة والدين عز الإسلام والمسلمين ركن المؤمنين الممتحنين خاتم المجتهدين وملاذ المتأخرين وقدوة المتقدمين آنكه شجره قلب شريفش بتمامى اثمار همچو اشجار جنت حامل وحديقه صدر منورش بأنواع ازهار ومعارف وحقايق وعلوم را شامل چه گويم در وصفش كه زبان از آن قاصر وچند شتابم كه عقل در آن متحير شاهباز بلند پر واز عقل هر چند در هواى وسيع الفضاى مقامات معرفتش وادراك منقبتش طيران نمايد جز بر منزل واماند گى نتواند رسيد وهماى همايون بال فكر هر گاه آغاز رسيدن بكنگره مجد ورفعتش نمايد جز باول درجه آن نتواند پريد شيعه با اخلاص امير المؤمنين ومحب صادق اهل بيت طاهرين سلام الله عليهم اجمعين أعني مولانا ومقتدانا وشيخنا وسيدنا (**الشيخ أحمد ابن الشيخ زين الدين**) اطال الله بقاه وأمد ظلاله على رؤوس رعاياه وجعل خير يوميه غداه وخير داريه عقباه كه لواى نصرت شرع شريف برا فراشته وجنود نامسعود خيلات شيطانيه را بسيوف قاطعه دلايل واضحه براهين ساطعه مأخوذة از مشكوة أنوا آل محمد صلى الله عليه وآله قلع وقمع وبشهب حجج ظاهره وسهام أدله قاطعه كه بينات وزبر اين امت مرحومه است منع اوهام شياطين باطله وآراء فاسده أهل طغيان را كه بجهت استراق سمع سماء حقيقت بأهل آسمان نزديك شده بودند فرمود جزاه الله عن الإيمان وأهله خير الجزاء وخصه بأفضل العطاء والحباء ، وچون آن جناب تمامى كمالات ظاهريه وباطنيه ومحسنات صوريه ومعنويه را حاوى وكامل بود لا جرم تشبه بكامل باحسن الوجوه براى ايشان حاصل در باطن چون بخلعت عربيت كه لباس اهل

جنت است مخلع بود همجو موالی وسادات خود صلی الله علیهم أجمعین در ظاهر بآن لباس متلبس وبآن صورت متصور وبآن دیار منتسب حسن باطن با حسن ظاهر موافق آمده کمال صوری با کمال معنوی مطابق افتاده بلی اینست ثمره صدق مع الله وانقطاع بسوی أئمة الهوی سلام الله علیهم لا جرم التفات بلسان عجمی نفر موده وکلام را بآن لسان در معرض بیان نیاورده چون منظور تبعیت کلام الله وائمه هدی علیهم السلام بود ظاهراً وباطناً باین جهت عوام عجم از استشمام روایح عنبرین ازهار معاني مسطورة در کتب ومصنفات ورسائل وأجوبة مسائل محروم ومأیوس وباین سبب بسیاری از ایشان دست بر دست افسوس میزدند تا اینکه بعضی از أهل صدق وصفا وسالك مسالك محبت ووفا نور حدقه معرفت ونور حدیقه عزت ومکرمت این معنی رانزد اولوا الأحباب در معرض عرض وإظهار آورده واستدعا کردند که هر گاه یکی از رسائل بلسان فارسی ترجمه شود نفعش عام وفیضش بخاص وعام خواهد رسید لا جرم این بنده نالایق رابااین خدمت مأمور وفقیر را هر چند لایق این معنی که کمیت فهم در میدان مطالب آن بزر گوار دوانم نبود واشتغال بسیار وموانع مانعه از استقامت حال از حد احصاء خارج لکن المأمور معذور وامتثال أمر ایشان بهترین أمور لا جرم بر سبیل اختصار واقتصار بجهت ضیق وقت وقوت اختلال رساله که در توحید وعدل ونبوت وامامت برای عوام بمقدار فهم ایشان تصنیف فرموده بودند ودر ترجمه آن بمقدار فهم عوام حسب الأمر مبادرت نمودم امید که حق تعالی نفعش را عام وقصد این حقیر را خالصا لوجهه الکریم گرداند والآن شروع میشود در ترجمه

كلمات شريفه وچون مقصود أصلى عوام است بنات ابكار معانى را بحلى وحلل كنايات واستعارات وأنواع تشبهات وتلويحات متحلى ننموده زيرا كه : حسن خداداد را حاجت مشاطه نيست ، وبعبارات نزديك بفهم مطالب ادا ميشود والله الموفق للصواب . اين است ترجمة كلمات شريفه اش :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين .

أما بعد چنين گويد بنده مسكين أحمد بن زين الدين أحسائي كه بعضى از برادران ايمانى كه برآوردن حاجت او را بر خود لازم گردانيده بودم بمن التماس نمود كه بنويسم براى ايشان رساله در بعض آنچه واجب است بر مكلفين از معرفت أصول دين كه عبارت از توحيد وعدل ونبوت وامامت ومعاد وآنچه ملحق باينهاست از احكام قيامت صغرى ورجعت وبيان شفاعت وامثال آنها از روى دليل معتبر هر چند اجمالى باشد نه از جهت تقليد صرف وبيان اعتقاد محض بلكه بدليلى از آن ادله كه ظاهر است از آنچه كه عقول عوام الناس ادراك بتوانند نمود پس اجابت نمودم سؤال او را با وجود كمال اختلال حواس از كثرت اشتغال وتوفر اعراض وزيادتى ودوام امراض لكن ميسور بمعسور ساقط نگردد وناميدم اين رساله را (**حياة النفس**) در حضرت قدس وترتيب دادم آنرا بريك مقدمه وپنج باب وخاتمه وهر بابى مشتمل است بر چند فصل :

مقدمه بدانكه حق تعالى خلايق را بر عبث نيافريده زيرا كه

حكيم است وحكيم كار بی فايده وعبث مرتكب نشود وچونكه حق تعالى غنى مطلق است وفقر واحتياج را بساحت جلالش بوجهى راه نيست زيرا كه محتاج مخلوقست نه قديم پس واجب شد كه فايده خلق عالم راجع شود بسوى خلق تا بر ساند ايشان را بسعادت ابديه وآن موقوف است براينكه تكليف كند ايشانر بآنچه سبب استحقاق ايشان براى سعادت أبديه گردد زيرا كه اگر تكليف نكند ايشانرا مستحق امرى نميشدند وهر گاه عطا ميكرد بايشان ثوابها وعطايا را بدون عمل وبدون طلب عبث وبيهود بود وثابت شده است كه حق تعالى حكيمست وعبث او را نشايد وخود در كلام شريف از اين معنى خبر داده وخود را از اين منزه فرموده ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ پس چون كه حق تعالى خواست كه خلق كند خلق را پس انعام كرد بايشان بمحض فضل وكرم خود نعمت وجود وحيات ورزق وخلق وموت را چون ممكن در هيچ حالى مستغنى از اين نيست بلكه هيغ چيزى نيست الا بنعمت وفضل حق تعالى پس چون انعام كرده به ايشان واجب شد بر ايشان شكر نعمت حق تعالى بآن قوت وقدرت كه بايشان عطا فرموده وشكر نعمت ممكن نباشد الا بعد از شناختن منعم تا در حقش نگويند آنچه را كه لا يق وسزاوار جلال عظمتش نباشد پس شكر نعمت موقوف است بر معرفت حق تعالى ومعرفت حق تعالى موقوف است بر نظر كردن وتفكر نمودن در آثار وصنع ونظر وتفكر موقوف است بر صمت يعنى اعراض بدل از تمامى خلق پس اول واجبات بر مكلفين سكوت وصمت است چنانكه از حضرت أمير المؤمنين عليه السلام مروى است پس چون اعراض

کرد بقلب از خلق قادر میشود بر نظر کردن وتفکر نمودن که آن واجب دویم است وبنظر وفکر قدرت بر معرفت حق تعالی که واجب است حاصل می کند پس هر یك از مکلفین که واجب اول را ترك نماید پس واجب دویم را ترك نموده است وهر که ترك واجب دویم کند ترك معرفة الله وتوحید وعدل ونبوت أنبیا وامامت خلفای أنبیاء ومعرفت معاد ورجوع أرواح بسوی أجساد خواهد نمود وهر که ترك این معرفت مذکوره نماید پس مؤمن نباشد بلکه مسلم نیست ومحشور با زمره کافران ومستحق عذاب أليم ودایم مقیم خواهد بود ومراد بمعرفة الله که اسلام بدون آن ثابت نمیشود اعتقاد بوجود صانعي است که مخلوق نباشد والا محتاج بصانع دیگر خواهد بود ومعرفت صفات کمالیه که ثابت برای ذات حق تعالی است واعتقاد آنکه این صفات عین ذات اوست بدون تعدد والا تعدد قدما لازم آید ومعرفت صفاتی که برای افعالش ثابت است ومعرفت صفاتیکه توصیف آن لایق جناب حق تعالی نباشد چه آنها صفات مخلوقات اوست پس فرق میانه خالق ومخلوق متصور نمی شود ومعرفت صفاتیکه آن لایق افعال حق نباشد زیرا که صفات افعال مخلوقات است ومعرفت عدالت حق سبحانه زیرا که غنی مطلق است پس محتاج بسوی چیزی نیست وعالم مطلق است وچیزی بر او پوشیده نیست تا خلاف عدل اتفاق افتد ومعرفت نبوت پیغمبر ما محمد صلی الله علیه وآله ونبوت جمیع پیغمبران زیرا که ایشان وسایطند در تبلیغ احکام الهیة میانه حق تعالی ومیانه مکلفین ومعرفت خلفای پیغمبران زیرا که ایشان حافظان شریعت پیغمبران وایشان حجتهای خداوند عالمیان در

میان خلق بعد از پیغمبران علیهم السلام می باشند ومعرفت زنده شدن مکلفین ومحشور شدن ایشان بسوی مالك یوم الدین وباید معرفت این مجموع بآن نهج که ذکر می کنم در این أوراق از تعلیم حق تعالی باشد ما را بر زبان حجج وخلفای خود چه حق را جز او نشناسند ومعرفت این امور همگی از روی دلیل قطعی باید باشد هر چند بر نهج اجمال نه تقلید محض چنانکه ذکر می شود إن شاء الله تعالی .

فصل : [باب أول] بدانکه واجب است بر هر مکلف که بشناسد که حق چگونه قدرت بر ایجاد غیر خود خواهد داشت وباید بداند که حق تعالی باقی است ابد الآبدین بعلت استمرار تجدد آثارش وبی شك اثر بنفسه حادث نمیشود بلکه محتاج است بمؤثری که او را موجود نماید پس اثر دلالت بر مؤثر میکند وآن حق تعالی است وجایز نیست که حق تعالی متغیر باشد بلکه باید پیوسته موجود وباقي ومؤثر در غیر خود باشد والا مثل سایر مخلوقات خواهد بود که متغیر وفانی میشوند پس وجودش بایجاد خواهد بود نه بذاته پس حادث خواهد بود وما چون نظر بآثار نمودیم دانستیم بعلم قطعی که این آثار محتاج بسوی مؤثر میباشند وآن مؤثر خالق عالمیان است ومثال استدلال بآنست که چون نظر کردیم باشعه سراج دیدیم که ما دامی که موجود است دلالت میکند بر وجود موجد خود که سراج است وهر گاه سراج موجود نبود هیچیك از اشعه موجود نمی شدند ودلیل بر انیکه سراج احداث اشعه میکند واشعه در جمیع احوال محتاج بسوی سراج میباشند ولحظة از او مستغنی نشوند اینست که اشعة بدون سراج موجود

نشوند ودر نزد وجود سراج مفقود نگردند پس سراج مؤثر ومقوم اشعة باشد همچنين است جميع خلق آثار حق تعالى ميباشند بالنسبة بسوى فعل الله تعالى وحق تعالى منزه است از ضرب امثال ولله المثل الأعلى .

فصل : بدا نكه واجب است بر هر مكلف كه اعتقاد كند كه حق تعالى قديم است بذاته عدم بر او روا نيست بوجهى من الوجوه ودر حالى از احوال ووجود غير بر او سبقت نگرفته زيرا كه اگر قديم نباشد حادث خواهد بود چه واسطه ميان حدوث وقدم نيست وبدرستى وتحقيق ثابت شده كه حق تعالى حادث نيست زيرا كه حادث مستلزم وجود محدث است وايضاً هر گاه قدم هستى او دائمى نباشد عدم ونيستى بر او در بعض احوال جارى شود پس احوالش مختلف گردد وهر كه احوالش مختلف است پس أو حادث است ومحتاج بسوى كسيكه او را ايجاد كند وايضاً هر گاه قديم نباشد پس غيرش بر او پيشى گرفته باشد در وجود پس او موجد ومحدث او خواهد بود تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وايضا هر گاه قديم نباشد وجودش مستفاد از غير او خواهد بود پس محتاج بآن غير باشد واحتياج مستلزم حدوث است وآن مستلزم محدث هر گاه او نيز قديم نباشد بعينه همين كلام وارد است .

فصل : واجب است بر هر مكلف كه اعتقاد كند كه حق تعالى دائمى ابديست بعلت اينكه واجب الوجود لذاته است به اين معنى كه وجودش عين ذات او است بدون مغايرت واختلاف پس وجوب وجود بالذات لازم دارد دوام ابد را پس هر گاه عدم شود وجود عين ذاتش نخواهد بود وخلاف آن ثابت است الآن وبدانكه قدم

وازل ودوام وابد واولیت بلا اول وآخریت بلا آخر یك چیزیست هیغ مغایرت میانه این معانی نیست بوجهی نه در ذات ونه در واقع ونه در مفهوم والا لازم میآید که حق تعالی در رتبه ذات متعدد ومختلف باشد پس حادث خواهد بود واما اختلاف این بحسب مفهوم لفظی پس آن مفهوم ظاهر است که استعمال شده بجهت تفهیم وتعریف از برای عوام مکلفین ومقصود از این ألفاظ مختلفة متعددة نیست مگر مفهوم واحد ومقصود از آن نیست مگر معنی واحد والا لازم می آید که حق تعالی معروف باشد به کثرت چه بمدلول این ألفاظ در مقام به غیر معروف شود وهر که به کثرت واختلاف معروف است حادث است وآنچه گفتیم سابقاً وجوب وجود مستلزم دوام ابد است عبارت لفظیة بجهت تفهیم است والا در مقام ازل لازم وملزوم وتلازم نیست ومقصود از وجوب وجود همان عین دوام ابد است بدون فرض مغایرت والا لازم میآید که موصوف شود به صفات متخالفة وهر که چنین است حادث است .

فصل : وواجب است که اعتقاد کند که حق تعالی حی است بعلت اینکه حیات در مخلوقات آفرید وزند گان را ایجاد نمود ودر نزد عقل وجملگی عقلا محال است که خلق کند حیات را کسی که میت باشد پس چون از بعض مصنوعات حق جل وعلا زند گانی وزند گان را مشاهده نمودیم دانستیم که صانع اینها حی است ووزنده پس از اینجا ثابت شد که حیاتش قدیم است زیرا که اگر حادث باشد پس قبل از حدوث میت بوده در این صورت محتاج باشد بسوی کسی که باو عطا کند پس حیاتش مستفاد از غیر خواهد بود واین حال مخلوق است نه خالق وبدانکه حیاتش عین

ذات او است بدون مغایرت وهر گاه حیوتش مغایر ذاتش باشد هر چند بالفرض والاعتبار تعدد قدما لازم آید وآن باطل است چنانکه در دلیل توحید ذکر خواهد شد إن شاء الله وواسطه میانه عین ذات وغیر ذات نیست .

فصل : وواجب است برهر مکلف که اعتقاد کند که حق عزّ وجلّ عالم است بدلیل اینکه خلق کرده است علم را در بعض مخلوقات خود وعالم متصف بعلم است وهر کس که عالم نباشد محال است که ایجاد کند کسی را که عالم است بسبب آنکه خود او را آفریده وأیضاً ایجاد کرده أفعال محکمه متقنه که جاری است بر مقتضای حکمت ونهایت استقامت وهر کس عالم نباشد چنین صفتی را محال است که ایجاد تواند کرد وبدانکه علم حق تعالی بر دو قسم است یکی علم قدیم وآن ذات واجب است جل جلاله ودویم علم حادث وآن ألواح مخلوقات است مثل لوح وقلم وذوات موجودات ونفوس خلایق ومکنونات اما علم قدیم پس آن ذات حق تعالی است بدون مغایرت نه حقیقی نه مجازی نه فرضی نه اعتباری چه اگر این علم حادث باشد لازم میآید که حق تعالی قبل از حدوثش خالی از علم باشد واین اعظم نقایص است پس واجب است که قدیم باشدوچون قدیم شد خالی ازاین نیست یا عین ذات حق تعالی است بدون مغایرت بوجهی من الوجوه یا نه بلکه غیر اواست پس هر گاه همان عین ذات باشد عین مطلوب ما است وهر گاه غیر ذات باشد تعدد قدما لازم میآید وآن باطل است واما علم حادث پس آن حادث است بحدوث معلوم پس هر گاه قبل از معلوم باشد علم نباشد چه شرط تحقق علم حادث وتعلقش

آنست كه مطابق معلوم باشد پس هر گاه معلوم موجود نباشد مطابقت محال خواهد بود با آنكه شرط او است وهمچنين شرط ديگر اقتران علم است بمعلوم وقبل از وجود معلوم اقتران محال است وشرط سيم آنكه واقع باشد بر معلوم وقبل از معلوم وقوع متحقق نباشد واين علم حادث فعل حق تعالى وناشى از فعل اواست وآن يكى از جمله مخلوقات او است وما او را بحسب اصطلاح علم ناميديم بجهت متابعت ائمة ما سلام الله عليهم واقتدا بكلام الله چنانكه فرموده ﴿عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ يعني علم حق تعالى بقرون أولى مسطور است در كتاب كه عبارت از لوح محفوظ است ودر مقام ديگر فرموده ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌ﴾ يعني دانستيم ما آنچه را كه زمين از مرد گان كم ميكند ودر نزد ما كتابى است محفوظ از تغيير وتبديل كه علم ما در آنها منقش است پس برميگر دانيم چنانچه اول مرتبه او را خلق كرده بوديم (**ومترجم**) گويد كه اين دو آيه صريح الدلاله بر مراد ما ميباشند واما اخبار وكلمات ائمة أطهار واستعمال اين علم حادث بيش از حد شمار است واز آن جمله فقره دعاى سحر است كه فرموده : (**اللهم إني أسألك من علمك بأنفذه وكل علمك نافذ اللهم إني أسألك بعلمك كله**) هرگاه گويى كه اين عين ذات واجب است لازم ميآيد تشكيك در رتبه ذات حق تعالى واختلاف علامت حدوث است چنانچه دانستى وواسطه ميانه حدوث وقديم نيست ومدعى آن مكابر است چون باطل شد قدم آن علم پس ثابت شد حدوثش وامثال اين در اخبار بسيار است وذكر آن بجهت دفع استبعاد بعضى از جهال است كه بأمثال اين

كلمات بجهت فريب عوام خبث باطنى خود را بروز داده گويند كه صاحب اين قول جهل براى خدا ثابت ميكند والسلام على من اتبع الهدى وخشي عواقب الردى .

فصل : وواجبست بر هر مكلف كه اعتقاد كند كه حق عزّ وجلّ قادر مختار است .

(**اما اينكه**) قادر است بجهت اينكه حق تعالى غني مطلق است وهر چه غير اوست محتاج است بسوى او و در هر حالى از احوال چه جميع ما سوى الله وجود ايشان موقوف است بفعل الله تعالى چه وجودى براى ايشان من ذاتها نيست والا مستغني بودند از حق تعالى ابدا دائماً او احتياج در بعضى احوال دليل است بر احتياج در كل احوال وچونكه قادر است بر هر چيزى عطا كرد هر چيزى را آنچه كه لسان استعداد او طالب آن بود اين است معنى احتياج كل بسوى او پس اگر قادر مطلق نبود هراينه عاجز بود از اعطاء هو چيزى را آنچه كه لازم قابليت آن بود وهر عاجزى محتاجست بسوى قادر وهر محتاجى حادث است پس لازم آيد حدوث حق تعالى تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً (**وأما**) اينكه مختار است بجهت آنكه خلق فرمود اختيار ومختار را پس هر گاه مختار نبودى خلق مختار واختيار از او محال بودى وايضا حق تعالى مؤخر كرد مصنوعات خود را بعضى از بعضى ديگر با آنكه قادر بود بر تقديم آنكه مؤخر نموده وتأخير آنكه مقدم داشته چه نسبت فعل حق تعالى بر تمامى موجودات على السواست وهر گاه فاعل موجب بود تخلف نمى كرد چيزى از آثارش از اوقات خود .

فصل : وواجب است بر هر مكلف كه اعتقاد كند كه حق تعالى

عالم بهر معلومی وقادر است بر هر مقدوری یعني چیزی نباشد که علم حق تعالی به آن تعلق نگرفته باشد یا در تحت قدرت أو نباشد بعلت اینکه نسبت جمیع معلومات ومقدورات در احتیاج بسوی حق تعالی مساویست وغنای ذات پاکش از کل موجودات علی السواست پس نخواهد بود که چیزی اولی باشد بتعلق علم وقدرت از دیگری وهر گاه عالم باشد به بعضی دون بعضی وقادر باشد به این طریق پس نسبتش بموجودات مختلف باشد وهر که احوالش مختلف است حادث است ومتغیر تعالی الله عن ذلك علواً کبیراً .

فصل : وواجب است بر هر مکلف که اعتقاد کند که حق تعالی سمیع است بدون آلت سمع بصیر است بدون جارحه اما اینکه سمیع است بجهت اینکه جمیع ما سوی الله متقومند بامر او وصادر ند از صنع او یا بالذات یا بتقدیر وقضا واز جمله مصنوعات مسموعات است پس همه مسموعات حاضر ند در نزد حق تعالی در ملکش نه در ذاتش اقامه کرده است موجودات را در مقامات خود بقیومیت امر وفعلش چنانجه فرموده ﴿ وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ ﴾ یعنی پنهان کنید اقوال شماها را در سینه های شما یا آشکارا کنید که حق تعالی عالم است بانچه در سینه ها مکنون ومکمون است عجیب است آیا آنکه خلق کرده است اسرار وآشکار شما را نمیداند ومطلع نیست بر خلق خود پس سمع حق تعالی مسموعات را عبارت است از حضور مسموعات نزد حق تعالی وعلمش بآن علی ما هی علیه واین علم واطلاع برایش بواسطه آلتی حاصل نیست چنانکه برای ما حاصل است والا محتاج خواهد بود وثابت شد که حق تعالی غنی

مطلق است وحصول أشياء براى أو عبارت از حضور آنهاست در نزد او در حالتى كه متقوم باشند بأمر الله وهيغ حالتى از براى موجود جز تقوم بأمر الله نيست والا در آن حالت متقوم بنفس خواهد بود وآن باطل است چنانكه مذكور شد واين حضور عبارت است از علم حضورى وسمع حضورى واما علم وسمع قديم ذاتي پس آن عين ذات او است محيط است به اشياء در اماكن وجودات ايشان نه در ذات حق تعالى والا لازم آيد كه محل جوادث باشد چون دانستى معنى سميع بر وجودش پس همين كلام بعينه در بصير جاريست در جميع احوال وسمع وبصرى كه هر دو قد يمند عين ذات حق تعالى ميباشند بدون تعدد وتغير واعتبار مگر در تعدد لفظى چنانچه در علم مذكور شد زيرا كه سمع وبصر وعلم يك چيزند ومتعلقات ايشان متعدد زيرا كه مسموع أصوات ومبصر ألوان وأعراض است ومعلوم همان موجود است .

فصل : وواجب است كه اعتقاد كند كه حق تعالى واحد است شريكى برايش نباشد زيرا كه كامل مطلق وغنى مطلق است وكل ما سوى الله باو محتاجند پس متفرد بالوهيت خواهد بود وهر گاه فرض شود با او خداى ديگر واجب است كه مستغنى از حق تعالى باشد والا خدا نباشد وبى شك هر گاه كسى فرض كند شريكى كه محتاج باشد بسوى حق تعالى هراينه اكمل واولى باشد براى كمال مطلق واجب الوجود از اينكه آن شريك مستغنى باشد از حق تعالى واتم است از براى غناى مطلق پس فرض شريكى كه بالكليه مستغنى باشد از حق تعالى نقص از براى كمال وغناى مطلق است ونقص مستلزم فقر است وفقر مستلزم حدوث پس شريك از براى

حق تعالی نباشد چه آن مستلزم تعدد است که مستلزم حصول نقص در کمال است که مستلزم حدوث است وایضاً هر گاه شریکی برای حق تعالی در ازلیتش باشد پس واجب است اینکه بوجه باشد در میان آنها فرجه قدیمه وجودیه تا اینکه اثنینیت محقق بشود پس سه تامی شو ند ولازم می آید فرجه های قدیمه در میان آنها پس پنج می شوند وهمچنین إلی غیر النهایه وایضا هر گاه شریکی برای او بوده باشد در ازلیت هراینه شریك میشوند در ازلیت ومخصوص میشود هر یکی به آنچه او را تمیز بدهد از دیگری چه در وجود وقدم هر دو شریك میباشند پس محتاج به تمیز باشند بجهت تحقق یعنی در بودن اثنینیت پس مرکب می شوند هر یك از ایشان از امر مشترك وامر ممیز وعبارة أخری مرکب می باشند از ما به الاشتراك وما به الامتیاز وهو مرکب حادث است بجهت احتیاج بسوی اجزاء وایضاً هر گاه با حق تعالی شریکی باشد هراینه جدا می شد خلق هر یك از خلق دیگری والا شرکت ثابت نمی شود وهراینه اقتضا می کرد ذات هر یك استیلا واستعلاء بر آن دیگری والا اله نباشد چه مقتضایش قهاریت است ووجود شریك غیر مقهور دلیل عجز است قطعا وحق تعالی از این دلیل در قرآن خبر داده : ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ﴾ وبدانکه حق تعالی واحد است در چهار مرتبه وشریکی برایش در هیغ مرتبه از مراتب نباشد اول واحد است در ذات وشریکی برایش در رتبه ذات نیست چنا نکه حق تعالی فرموده : ﴿لَا تَتَّخِذُوٓا۟ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌۖ﴾ ودویم شریك برایش در صفات نیست چنانکه فرموده : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ﴾

سيم شريك در افعال وايجاد برايش نيست گنانكه فرموده ﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ﴾ چهارم شريك در عبادت او نيست چنانكه فرموده : ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا ﴾ .

فصل : وواجب است كه اعتقاد كند كه حق تعالى مدرك است يعنى محيط است بهر چيزى ومسلط است بهر گيزى وآن عبارت از علم وقدرت است زيرا كه حق تعالى وصف فرموده خود را بآن چنانكه فرموده : ﴿ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ يعنى حق تعالى ادراك مى كند ديده هاى ظاهر وباطن كل خلق را وديده ها ادراك او نمى كنند واوست لطيف الصنع وخبير ومطلع بر احوال كل موجودات ولطيف اشاره به قدرت است وخبير اشاره به علم است پس ادراك قديم همان ذات ازلى است جل جلاله به آن نهج كه در علم مذكور شد وادراك مقارن بحوادث از صفات افعال است پس بدانكه حق تعالى چنانكه در ازل عالم است ولا معلوم همچنين او در ازل مدرك است ولا مدرك يعنى عالم است بدون معلوم ومدرك است بكسر راء بدون وجود مدرك واين حكم صفات ذات است چه آن صفات عين ذات مى باشند بدون مغايرت .

فصل : واجب است ايمان واعتقاد بآنكه حق تعالى مريد است بعلت اينكه خود را به آن وصف مرموده چون ديديم كه اراده بدون مراد تحقق پذير نيست دانستيم كه حق تعالى خود را وصف فرمود به اراده بواسطة فعلش نه از جهت ذات واين دلالت مى كند كه اراده از صفات افعال باشد نه از صفات ذات چه هر گاه از صفات ذات باشد عين ذات خواهد بود بجهت عدم تعدد در مقام

ذات وهر گاه چنین بود نفی اراده محال بودی همچو نفی علم وقدرت چه نفی آن هر گاه عین ذات باشد مستلزم نفی ذات است با اینکه حق تعالی نفی آن وصفت فرموده از خود در مواضع چند چنانکه فرموده : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْۚ ﴾ پس هر گاه اراده عین ذات بودی پس از نفی آن نفی ذات لازم آمدی واز نفی ذات کان یکون منفی وعدم شدی وایضاً صفت وهر گاه اثبات شود برای ذات ونفی شود از آن پس آن از صفات افعال است چه افعال را اضداد می باشد وبنفی واثبات موصوف شود هر گاه اثبات شود ونفی آن محال باشد پس آن از صفات ذات است چه اضداد ونفی واثبات در رتبه ذات جمع نشوند قسم اول مثل اراده وکراهت چه گویند مرید وکاره پس از صفات افعال خواهد بود وقسم دویم مثل علم وقدرت چه نتوان گفت عالم جاهل وقادر عاجز پس از صفات ذات خواهد بود پس قول بحدوث اراده همان مذهب اهل بیت می باشد وبر این قول اجماع واتفاق ایشان سلام الله علیهم وهمین قول حقی است وشکی در آن نیست پس اراده فعل الله تعالی خواهد بود وهمچنین کراهت چه آن صفت فعل است چنانکه حق تعالی فرموده : ﴿ وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ ﴾ .

فصل : وواجب است ایمان واعتقاد باینکه حق تعالی متکلم است بعلت اینکه وصف فرموده خود را بکلام چنانکه فرموده : ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ وچون دیدیم که حکیم خطاب نمیکند مخاطب را مگر بآنچه که میفهمد وما نمی فهمیم از کلام مگر اینکه آن حروف واصوات مسموعه منتظمه مرکبه است واجماع کرده اند اهل لغت باینکه همین معنی کلام است که عبارت است

از اصوات وحروف مؤلفه متجدده متفرقة وحال اینکه حق تعالی وصف فرموده خود را به آن پس قطع کردیم که حق تعالی اسناد داده است کلام را بسوی خود بواسطه فعل نه من حیث الذات پس خلق میکند کلام را در هر چه که میخواهد از سایر مخلوقات خود از حیوان ونبات وجماد وآن کلام حادث است زیرا که مرکب است ومؤلف وهر چه مرکب است حادث است وبدلیل قوله تعالی : ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ الآية ، يعني نمی آید کفار راهیغ آیه ای از قرآن محدثی وجدیدی مگر اینکه اعراض میکنند .

فصل : وواجب است برهر مکلف که اعتقاد کند که برای حق تعالی مثلی وشبیهی ومانندی نیست چنانکه حق تعالی فرموده : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ یعنی مثل حق تعالی هیغ چیزی نیست از سایر مخلوقات پس نه جسم است ونه عرض است ونه جوهر است ونه مرکب است ونه مختلف است ونه در حیز مکانست ونه در جهت است بعلت اینکه این صفات جمله صفات خلق است وصحیح نیست اتصاف خالق بآن اما اینکه شبیهی از برای حق تعالی نیست بعلت اینکه وجود مشابه مستلزم شریك خواهد بود در صفات ذاتية وآن مقتضی نقص است در ذات واجب سبحانه چه بي نظیر بودن اشرف واکمل است پس وجود نظیر نقص خواهد بود وهر که بر او نقص جایز باشد جایز است بر او زیاده وهر که زیاده ونقصان در او راه یابد متغیر میشود هر گاه بالفعل باشد یا ممکن التغیر است هر گاه زیاده ونقصان بالقوة باشد پس حادث خواهد بود وبطلانش معلوم شد واما اینکه جسم نیست پس باین جهت است که جسم مرکب است ومحتاج باجزایش وبمحلی که در آن جا

بگیرد وهر محتاجی حادث ومصنوع است واما اینکه عرض نیست بعلت اینکه عرض محتاج است در تحقق وقیام خود بسوی جوهر یا جسم وهر محتاج حادث است واما اینکه جوهر نیست بعلت اینکه جوهر خواه جوهر فرد باشد بنا بر مذهب کسی که او را جایز میداند واثبات وجود او نموده وآن جوهر است که قبول قسمت بوجهی نکند نه طولا ونه عرضا ونه عمقا یا اینکه جوهر خط باشد وآن جوهری است که قبول قسمت کند طولا نه عرضا وعمقا یا اینکه جوهر سطح باشد واو آن است که قبول قسمت کند در طول وعرض نه در عمیق یا اینکه جوهر جسم باشد واو آنست که قبول قسمت در طول وعرض وعمق کند مجموع این چهار قسم محتاج باشند بمکان ولازم افتاده هر يك از اینها را بانتقال از مکان وسکون بلبث وقرار گرفتن در مکان وهمگی حوادثی است که حلول نمیکنند الا در حوادث واما اینکه مرکب نیست بعلت اینکه مرکب محتاج بسوی أجزاء خود است ومحتاج حادث است واما اینکه مختلف نیست بعلت اینکه علت اختلاف تباین أجزاء یا تباین احوال ذاتیة است وهر دو امر موجب ترکیب است که مستلزم حدوث است واما اینکه در حیز نیست بعلت اینکه آنچه در حیز است مشابه است با حیز خود پس او از جنس حیز خواهد بود پس حادث است وایضاً متحیز یا اینکه مستقر است در حیز خود یا منتقل است از آن پس از اول سکون لازم آید واز دویم حرکت لازم آید وآن علامت حدوث است بعلت استلزام هر يك مسبوقیت بدیگری را واما اینکه در جهت نیست بعلت آنکه در جهت لازم افتاده است او را حرکت وسکون ولازم افتاده است او را که

محاط شود ومحدود ومحصور گردد در بعضی دون بعض وخلو او از جهات دیگر وهر چیزی که یکی از این صفات در او موجود باشد پس آن حادث خواهد بود .

فصل : وواجب است که اعتقاد کند اینکه حق تعالی راچیزی احاطه نکره است وهمچنین از چیزی صادر ومتولد نشده وچیزی از او متولد نشده ومستقر بر چیزی نیست وچیزی دیگر براو قرار نگرفته است وبالای چیزی نیست وچیزی بالای او نیست ونسبت به چیزی از مخلوقات خود ندارد وچیزی از مخلوقات نسبتی با ذاتش ندارد بعلت اینکه این صفات جملگی صفات خلق میباشد اما اینکه چیزی ظرف از برای وجودش نیست بعلت اینکه هر گاه چنین باشد لازم آید که محصور باشد بدو ظرف وهر محصوری حادث است وایضاً همان یا ماکث است در آن جزء یا منتقل است از آن در صورت اول لازم می آید سکون ودر صورت ثانی حرکت وهر دو علامت حدوث میباشند اما اینکه خود ظرف چیزی نیست بعلت اینکه هر گاه چنین باشد لازم میآید که محل حوادث باشد اعم از اینکه آن غیر قدیم باشد یا حادث بعلت اینکه غیر او را مشغول کرده است ومشغول بغیر حادث است واما اینکه متولد از چیزی نیست بعلت اینکه هر گاه چنین باشد لازم میآید که حق تعالی جزء آن شيء باشد پس مولود حادث خواهد بود واما اینکه چیزی از او متولد نشده بعلت اینکه هر گاه چنین باشد آن شيء جزء حق تعالی خواهد بود پس والد خواهد بود وتجزیه وتفریق علامت حدوث است واما اینکه قرار بر چیزی ندارد بعلت اینکه هر گاه چنین باشد آن شيء حامل خواهد بود پس اقوی باشد

وعاجز خداير انشايد واما اينكه چيزى بر او قرار نگرفته بعلت اينكه هر گاه چنين باشد هراينه اعلى از او خواهد بود واما منسوب ومنسوب اليه نيست بعلت اينكه مستلزم اقتران است وآن علامت حدوث است بعلت احتياج بسوى طرفين منسوب ومنسوب إليه .

فصل : وواجب است كه اعتقاد كند اينكه حق تعالى حلول نمى كند در چيزى ومتحد نمى شود بغير خود اما اينكه حق تعالى حلول نميكند در چيزى بعلت اينكحه حلول عبارت است از قيام موجودى بموجود ديگر بر سبيل تبعيت مثل قيام اعراض باجسام يا بر سبيل ظهور مثل قيام ارواح باجسام پس هر گاه فرض شود كه حق تعالى حلول كرده در چيزى لازم ميآيد كه محتاج باشد پس حادث خواهد بود واما اينكه متحد نميشود بغيرش بعلت اينكه اتحاد را هر گاه معنى كنند به چيزى كه عقل او را محال ميداند وآن اين است كه دو چيز موجود يك چيز شوند بدون زياد ونقصان وانفعال يكى از ديگرى واين بلا اشكال حصولش محال است چگونه قديم را باين وصف توان نمود وهر گاه تفسير كنند اتحاد را بانقلاب چيزى از حقيقتى بحقيقت ديگر پس آن انقلاب واستحاله باشد نه اتحاد واين هر چند در ممكن جايز است لكن در قديم سبحانه وتعالى محالست بعلت اينكه آن تغير از حالت بسوى حالت ديگر است وحق تعالى متحول نمى شود واحوال مختلفة برايش ثابت نباشد چه آن از علامات حدوث است .

فصل : وواجب است كه اعتقاد كند بر اينكه رؤيت بر حق تعالى ممتنع ومحال است وديده نشود نه در دنيا ونه در آخرت بعلت اينكه هر گاه رؤيت بدل باشد واز مرئي ذات حق تعالى را قصد كند پس

آن بلا شك باطل است بعلت اینکه ذات حق را دیده های ظاهر وباطن ادراك نمی توانند کرد چه قلوب را تاب مشاهده حجاب عظمت وحجاب قهاریت نیست پس چگونه ذات را ادراك توانند کرد وادراك ذات حق سبحانه وتعالی جز برای خود او برای احدی ممکن نیست وهر گاه از مرئی آیات وآثار افعال حق تعالی اراده کنند این نوع از رؤیت را قلوب ادراك می کنند زیرا که حق تعالی تجلی کرده برای قلوب بنور عظمت خود وایشان را مشاهده جلال وعظمت ممکن باشد باین جهت حضرت أمیر المؤمنین علیه السلام شفرمودند که : (**ولکن رأته القلوب بحقائق الإیمان**) وأما رؤیت ببصر حسي پس ادراك آن محال وممتنع باشد چنانکه حق تعالی فرموده : ﴿ لَا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ ﴾ یعني ذات حق جل وعلا را دیده های ظاهری وباطنی هیچیك ادراك نمیکند هر چند آثار عظمت او را قلوب ادراك کنند بجهت اینکه شرط ادراك بصر اشیاء را اینست که مرئی مقابل باشد یا در حکم مقابل باشد همچو رؤیت بآینه وشرط دیگر اینکه بسیار دور نباشد وبسیار نزدیك نباشد واینکه مستنیر باشد ودر تاریکی نباشد واینکه در جهتی باشد از جهات وحق سبحانه وتعالی منزه است از جمیع این صفات چه حق تعالی قریب وبعید نیست بلکه او ابعد از هر چیز واقرب از هر چیزی است وبعد وقربش غیر متناهی است پس از حد افراط گذشته پس یکی از شروط مفقود شده وهمچنین حق تعالی مستنیر از غیرش نیست تا بصر را طاقت نظر باشد وهمچنین در غیر خود نیست تا اینکه ذاتش بذاته مدرك شود بلکه ظهورش محو میکند ما سوی را پس اگر تجلی فرمود بظهور خود محو وفانی نمود غیر ظهور خود را

وهر گاه تجلی نفرمود احدی را قدرت مشاهده ظهورش نیست فضلا از ذاتش (**مترجم**) گوید واین تجلی خلقی است مثل آنچه حق تعالی فرموده «وتجلی ربه للجبل» ومعنیش اینکه ظهورش محو میکند ما سوی را ودر کلام أمير المؤمنين عليه السلام است (**جذب الأحدية لصفة التوحيد وهتك الستر لغلبة السر اطفئ السراج فقد طلع الصبح**) مراد بسراج قوا ومشاعر است که در ظلمات جسد بنور آنها نشان با ستاره مینمایند ومراد بسر وصبح همان ظهور حق است سبحانه وتعالی وآن خلقی است حادث وآیت معرفت حق تعالی تأمل کن تا ظن سوء بأصحاب حقیقت نبرده باشی که ممکن هر گز بمرتبه ازل نمیرسد واز لفظ تجلی وحشت مکن که مراد از آن ظهور حق است باثر وفعل خود نه بالذات مثل تجلی حق برای موسی وامثال اینها باز عود کنیم بترجمه وهمچنین حق تعالی در جهتی نیست تا بصر تواند او را ادراك کند زیرا که بصر محدود است وممکن نیست ادراکش الا در محدود پس هر گاه حق تعالی در جهتی از جهات باشد پس خالی از جهات دیگر باشد پس محصور باشد در آن جهت وآن علامت حدوث است پس رؤیت ببصر محال است بعلت اینکه شروط رؤیت بر حق تعالی جاری نشود وهر گاه یکی از شروط مفقود شود مشروط موجود نگردد فضلا از اینکه تمامی شروط مفقود باشد وایضا جملگی ما سوی الله در عالم امکان میباشد خواه در دنیا وخواه در عقبی وآنکه در امکانست ممتنع است برایش ادراك آنکه در ازل است بجهت عدم اتصال وعدم مناسبت مشروط در ادراك پس ثابت شد که حق تعالی مرئی نمیشود بذاته نه در دنیا ونه در آخرت .

فصل : وواجبست بر مكلف كه اعتقاد كند كه حق تعالى را ادراك نتوان كرد به هيغ حاسه از حواس ظاهره همچو سمع وبصر وذوق وشم ولمس وباطنه مثل حس مشترك وآن قوه ايست كه ادراك امور باطنه را بمعونت حس ظاهر ميكند همچو استداره شعله جواله وخيال وآن قوة ايست كه ادراك صور حسية ملايمه ميكند وواهمه وآن قوة ايست كه ادراك صور موحشه منافره مخوفه ومهوله نمايد ومتصرفه وآن قوة ايست كه ارتباط وافتراق بين اين دو قوه نمايد وحافظه وآن خزانه اين مدارك است وبالجملة حق تعالى را بچيزى از اين قوا ادراك نتوان كرد زيرا كه حق تعالى مشابه چيزى نيست وچيزى مانند او نيست وادراك يكديگر را نتوانند نمود الا دو چيز كه از جنس يكديگر باشند يا مشابه هم باشند چنانكه أمير المؤمنين عليه السلام فرمود (**إنما تحد الأدوات أنفسها وتشير الآلات إلى نظائرها**) يعنى آلات وأدوات تعيين وتشخيص درك نميكند الا مثل ومانند خود را وحق تعالى فرموده : ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ﴾ يعنى ديده هاى ظاهره وباطنه كه عبارت از حواس ظاهره وباطنه باشد ادراك ذات حق تعالى نتوان كرد وحق تعالى ادراك ميكند ذوات وقوا ومشاعر موجودات وآنچه را كه بآن ادراك ميكنند وايضا فرمود : ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴾ يعنى بعلم وادراك احاطه بذات وصفات حق تعالى نتوانند نمود وآن در وسع هيگ موجودى از موجودات نباشد واين وجهش اينست كه حواس ظاهره وباطنه ادراك نميكند مگر محدود ومصور ومكيف را وحق عزّ وجلّ را حدى وتركيبى نيست وكيفيتى وصورتى در حقش متصور نى پس چگونه مدرك شود به حواس ظاهره وباطنه تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

(**باب دویم**) در اصل دویم است وآن عدل است وعدل عبارتست از حکم اموری که راجع شود بافعال عامه حق تعالی بالنسبة بمکلفین در دار تکلیف از اوامر ونواهی ودر دار جزاء از ثواب وعقاب وعدل در لغت ضد جور وظلم است وآن عبارت است از تساوی پس افعال حق تعالی تعلق میگیرد بمکلفین در دنیا بجهت عدل باین معنی که تکلیف نمیکند ایشانرا مگر بآنچه طاقت دارند از اعمال وافعالی که در آن صلاح ایشان است باین طریق که جزای ایشان بر آن عمل زاید بر قدر تکلیف باشد در طاعات وجزاء ایشان زاید بقدر فعل مکلف باشد در معاصی یعنی آنچه مترتب میشود بالفعل از ثواب وعقاب أگر در اعظم وازید از نفس فعل مکلف به باشد یا منهی عنه باشد تا حاصل شود فایده تکلیف که عین منفعت بخلق است زیرا که حق تعالی غنی است وبی نیاز است از کل ما سوی پس فایده تکلیف راجع بسوی مکلفین خواهد بود یقینا وچونکه جاری نمیشود بر حق تعالی احوال ناقصه ضعیفه مخلوقات پس رضای حق تعالی از خلقش عبارت از تفعل واحسان اوست بالنسبة بسوی بنده وزاید بر جزای اعمال واستحقاق او از تزاید درجات واعطاء مثوبات ورفع عقوبات وامثال اینها وغضب حق تعالی عبارت است از عدل بالنسبة بسوی مکلفین زیرا که حق تعالی غضب نمیکند بر عاصی بعلت اینکه معصیت کرده او را تا اینکه عذاب وعقاب آن بنده استراحت قلبی برایش حاصل شود تعالی الله عن ذلك علواً كبيراً بلکه غضب حق تعالی في الحقیقة عبارت است از ایجاد مسببات در نزد وجود اسباب آنها پس معصیت علت تامه است از برای ایجاد عقوبت مخصوصه بآن

معصیت پس ایجاد میکند حق تعالی آن عقوبت را بمقتضای آن معصیت مگر اینکه هر گاه بخواهد عفو کند پس عفوش مانع آن مقتضی است پس حاجب وحایل میشود میانه آن معصیت ومیانه عقوبتی که متفرع ومترتب بر آن بود وهر گاه مانع عفو الهی حاصل نشود آن عقوبت لازم میشود بعلت وجود مقتضی ورفع مانع وغضب حق تعالی عبارتست از همین نه اینکه غضبش همچنان غضب مخلوقین از هیجان حرارت غریزیه واقعه در قلب پس از آن منبعث شود برای انتقام تا اینکه آن هیجان ساکن گردد وحق تعالی اجل واکرم است از اینکه صفات مخلوقین بر او وارد شود اما حکم افعال اختیاریه مکلفین در اصل ایجاد وآن افعالیست که ممکن است در حق ایشان وقدرت بر فعل وترك آن دارند پس بدانکه همه موجودات از ذوات وصفات وافعال موجود ومتحققند بامر حق سبحانه وتعالی ومتقومند بمدد الهی وهیچیك از اینها مستقل بنفسه در ذات وصفات وافعال خود نیستند چه اگرآنی مستغنی باشند در جمیع احوال خواهند بود پس فقیر نباشند وحال اینکه امکان وممکن عین فقر واحتیاج است وچونکه حق تعالی بند گان را فرمود بطاعت وامتثال اوامر واجتناب از نواهی واجب است که ایشان را قادر ومتمکن از ادای تکالیف سازد والا تکلیف محال خواهد بود وتمکن مطیع از فعل طاعت وقتی صورت بندد که قدرت بر ترك آن داشته باشد پس اختیار فعل را بجهت امتثال امر حق تعالی باختیار خود کند لا جرم خلق کرده حق تعالی تمامی مکلفین را از نور وظلمت وبآن قادر گردانید ایشان را از فعل طاعت ومعصیت پس قوام وجود عبد وافعالش بامر حق تعالی

ومدد وحفظ او است چه اگر مدد ندهد وحفظ وجود ایشان نکند موجود نخواهد بود لکن بنده خود فاعل فعل خویشتن است بدون مشارکت احدی در فعل او وحق تعالی حافظ فعل اوست وامداد میکند او را از معونت در طاعت وخذلان در معصیت پس هر کس که قایل شود که فاعل فعلی که از بنده صادر میشود از خیرات وشرور حق تعالی است وبنده را در هیچ فعلی از افعال خود مدخلیتی نیست بلکه حق سبحانه وتعالی فاعل فعل بند گان وسبب آن افعال است چنانکه او خالق ذوات بند گانست همچنین خالق افعال ایشانست چنانکه اشاعره بر این معتقده ند پس بتحقیق که نسبت داده بسوی خدای تعالی ظلم وقبح را چه لازم قول ایشان افتاده است که حق تعالی جبر کرده خلایق را بر معاصی پس عقاب وعذاب کرده ایشانرا بجهت آن افعال که خود مستقل در ایجادش بود وبند گان را در آن مدخلیتی بوجهی من الوجوه نبود وهر کس که قایل شود باینکه بنده خود فاعل فعل خود است بدون مدخلیت غیر بوجهی من الوجوه بلکه خود مستقل است بفعلش مانعی از آن فعل برایش نیست پس معزول کرده حق سبحانه وتعالی را از ملك وسلطانش چنانکه طایفه معتزله ومفوضه را اعتقاد این است وهر دو فرقه خارج از طریقه حق وبیرون از جاده صواب میباشند چه فرقة اولی افراط نمودند وآن یکی تفریط وحق در این است که قائل به حکم اوسط بشویم چنانکه حضرت جعفر بن محمد علیهما السلام از آن معنی خبر داده اند (**لا جبر ولا تفویض بل أمر بین الأمرین**) یعنی جبری نیست باینکه گفته شود که حق تعالی جبر کرده بند گان را بر طاعات ومعاصی چه هر گاه چنین

باشد هراینه جایز نبود که عقاب ایشان نماید بجهت معاصی ایشان والا ظالم خواهد بودو : ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ وتفویض نیست باینکه گفته شود که حق تعالی تفویض کرده امر را بسوی عباد واز برای حق تعالی امری وحکمی در افعال ایشان نیست پس اگر چنین باشد پس در ملك حق تعالی وارد وواقع خواهد شد چیزی را که تقدیر نکرده پس معزول از حکم وسلطنت خواهد بود بلکه امری بین این دو امر باین معنی که عبد خود فاعل فعل خوداست بروجه اختیار بدون اکراه واجبار لیکن بتقدیر حق سبحانه وتعالی که ساری وجاریست در فعل عبد پس بدون قدر تمام نمیشود فعل عبد وامضا نمیشود ومعنی این کلام آنست که حق سبحانه حافظ بنده خود وآنچه صادر میشود از او از افعال می باشد زیرا که بدون حفظ وحمایت حق تعالی وجود وتحققی برای عبد وفعلش ونخواهد بود پس ما دام که محفوظ است بامر الله پس موجود ومحقق است پس بنده محفوظ بفعل الله ومدد وعنایت او فاعل است مر افعال خود را بالاستقلال بلکه عبد فاعل است وحق تعالی حافظ ومعنی قول ما که عبد فاعل است مر افعال خود را بمدد خداوند نه با خداوند ونه بی خدا همانست که اشاره کردیم بسوی او ولکن طریق ادراکش مظلم وتاریك است بدون چراغ مشتعل از نور ولایت آل محمد صلی الله علیه وآله سیر این طریق مظلم محال وبحر عمیقی است که تا غواص کامل الصفة نباشد البته در این گرداب غرق خواهد شد پس غنیمت شمار آنچه را که برای تو ذکر کردیم از معنی امر بین امرین که دیگران این کلام را بلفظ میگویند وچون بیان کنند یا مجبره اند یا مفوضه والله الموفق

والمعين واينست عدل در افعال عباد پس اگر عصيان ورزند پس باختيار خودشان وبموافقت قدر است پس هر گاه ميخواستند كه طاعت كنند متمكن از آن بودند پس چون اختيار كردند معصيت را جارى كرد حق تعالى بر ايشان لازم عصيان را كه عقابست وظلم نكرد ايشانرا بعلت اقدام ايشان بر معصيت بدون اجبار واكراه واضطرار وهر گاه اطاعت كند پس آن نيز باختيار خود ايشان وموافقت قدر است وهر گاه خواسته باشند معصيت را متمكن از آن بودند پس چون اختيار كردند طاعت را جارى كرد بر ايشان لازمه طاعت را كه ادراك ثواب است ومستحق ثواب شدند بعلت اقدام ايشان بر طاعت بدون اضطرار وبودن افعال عباد موافق تقدير سبب اجبار نميشود بعلت تمكن ايشان در اين صورت از مخالفت بموافقت قدر پس اختيار ايشان هر فعلى را كه بخواهند واراده كنند مفارقت از تقدير الهى نخواهد كرد زيرا كه فعل تمام نميشود بدون قدر پس تمامى بند گان مستقلند بفعل خيرات وشرور كه از ايشان صادر ميشود با تقدير الهى هر فعلى را كه اختيار ميكنند وهيچ فعل را بدون تقدير نميكنند واين تقدير تقدير لزوم وحتم نيست بلكه تقدير اختيار است بفهم اين مطلب را ونيكو تأمل كن .

(**باب سيم**) در نبوت است بدانكه حق سبحانه وتعالى چون غنى مطلق است او را حاجتى بسوى هيچ چيز نباشد پس خلق كرد خلق را بمقتضاى كرم وفضل واحسان ودوست داشت كه برساند ايشان را بسوى آنچه خواسته است براى ايشان نعمتهاى غير متناهى وچون حق تعالى حكيم است واجبست كه آنچه را كه تفضل نمود بر بندگان خود جارى باشد بر مقتضاى كمال حكمت وصنع ربوبيت

پس تکلیف کرد خلق را بآن اموری که بسبب ارتکاب آنها میشود رسیدن آن کرامات ومثوبات را بر وجهی که تفضل او سبحانه از عبث خارج شود وچون سایر مخلوقات بعلت جهل وعجز ذاتی خود نمیدانند آنچه را که در او صلاح ایشانست چه علمش از مکنونات علوم الهیه است که غیر را در آن مقام راهی نیست وچون حق سبحانه وتعالی مدرك نمیشود ومحسوس نگردد وخلق را قدرت بر اخذ معالم دین خود بلا واسطه از حق تعالی بعلت کمال تقدس وتنزه او نمیباشد پس واجب شد در حکمت که اختیار فرماید از خلق خود قویی را که قادر باشد بمعونت حق تعالی از تلقی وحی از جناب حق تا اینکه بخلق برساند از جانب حق عزّ وجلّ معانی امور وتکالیفی که از بند گان خواسته از آنچه در او صلاح دنیا وآخرت ایشانست بعلت اینکه این تکلیف لطفی است بر ایشان که متوقف است بر آن صلاح ونظام نشأتین دنیا ونشأة عقبی پس واجب باشد آن لطف در حکمت وآن واسطه پیغمبر است صلی الله علیه وآله وعلی جمیع الأنبیاء والمرسلین وچونکه مقتضای حکمت در ایجاد آن بود که خلایق را در اوقات متعدده ومتعاقبه وبا احوال مختلفة آفرینش فرماید وجملگی مشترك بودند در علت غائیه که ایصال نفع بایشان باشد پس واجب شد در حکمت که مبعوث کند حق تعالی در هر امتی رسولی از جنس ایشان تا مناسب ایشان بوده تا برساند از جانب الهی بایشان آنچه صلاح نظام دنیا وآخرت ایشانست چه بند گان نمیدانند مگر آنچه حق تعالی بایشان تعلیم فرموده بفضل وکرم خود تا اینکه منتهی شد نبوت بسوی پیغمبر ما محمد بن عبد الله صلی الله علیه وآله خاتم النبیین .

فصل : بدانكه چون نبوت از مقتضيات عدل است واجبست اينكه بر اكمل وجه باشد تا فايده بعثت بر او مترتب شود بر كمال ما ينبغي وآن وجه كامل آنست كه حق تعالى ظاهر فرمايد بر دست آن پيغمبر كه براى هدايت مكلفين مبعوث فرموده امر معجزى كه از ابناى جنس او مثلش حاصل نشود وخارق عادت باشد ومطابق دعواى نبوتش باشد كه حق تعالى بجهت تصديق نبوتش آن امر را ظاهر كرده باشد وبايست كه صحيح النسب طاهر المولد باشد ومنزه از شبهه حرام وحيض وامثال اينها ومستقيم الخلقه باشد مشتمل بر زيادتى ونقصان نباشد مطهر باشد از جميع احوالى كه دلها از آن نفرت دارند از جهت خلق بحيثيتى كه أهل زمانش را مقام طعن بر او بوجهى نباشد وبايست كه صادق القول باشد وهر گز از او كذبى وخيانتى وطلب رياستى وميل زخارف دنيا از او مشاهده نشده باشد وبايست كه اعلم اهل زمان خود باشد وزاهدترين آنها باشد وعامل ترين آنها بآنچه امر ونهى ميكند وبايست كه مطهر باشد از جميع زوايد ونقايص ظاهره وباطنه بحيثيتى كه اهل زمانش كه مبعوث بر ايشان شده است بدانند كه برايش نظيرى نيست در هر صفت كمالى وبايست كه معصوم باشد از تمامى گناهان صغيره وكبيره قبل از بعثت وبعد از بعثت از اول عمرش تا آخر عمرش وبايست كه معصوم باشد از سهو ونسيان واز هر چيزى كه رعيت آنرا نقص ميدانند وعذرى بجهت عدم متابعت بياورند يا اينكه شكى براى ايشان حاصل شود در نبوتش يا توقف كنند در آن زيرا كه حجة الله واجبست كه بالغه باشد وقاطع عذر هر معتذر باشد وهر گاه جايز باشد كه احد مكلفين بيايد وخدشه در

نبوت پیغمبر کند پس حجة الله تام وبالغ نبوده باشد وآن باطلست چه اصل بعثت برغای قطع حجت است پس چگونه با بعثت حجت باقی میماند وبایست که مسدد باشد از جانب حق تعالی وموفق باشد برای صواب در اعتقاد وعلم وقول وعمل زیرا که حق تعالی مدد میدهد او را به الطاف والهام خود ووحی میکند بسوی او بالهامات بمقدار مقامش وقرار میدهد برایش ملکی از ملائکه که تأیید کنه او را بنور حق وتسدید نماید او را از خطا ولغزش حفظ کند وحق تعالی کل اینها را قرار داده وخواسته تا اینکه بعد از بعثت پیغمبر ان برای مردمان حجتی در ترك متابعت او نباشد بعلت اینکه پیغمبر عبارت از انسانی است که خبر دهنده باشد از جانب حق تعالی بدون واسطه انسان دیگر واین انسان حجة الله بر مکلف نباشد مگر وقتی که ثابت شود نزد مکلف که قول او قول خدا وامر ونهی او امر ونهی خداست وحق تعالی قادر است بر ایجاد امور واسبابی که حجتش تمام شود بر خلقش واحدی را قدرت دفع در آن نباشد وباقامه حجت بر خلق متحقق میشود لطفش بر خلقش از رسانیدن ایشان را بکمالات دنیا وآخرت وآن باعمال است واعمال موقوف است بر اثبات مبلغ وپیغمبر پس واجب است بر حق تعالی که موصوف کند آن پیغمبر را بصفاتی که ثابت شود بر مکلفین نبوتش اینکه قول او عین قول خداست جل وعلا وحق تعالی واجبی را ترك نمیکند چو آن قبیح است واو متعالی ست از فعل قبیح بعلت غنای ذاتی وعدم افتقار بوجهی من الوجوه .

فصل : چون دانستی این مذکورات را پس بدانکه پیغمبر این امت مرحومه محمد بن عبد الله بن عبد المطلق بن هاشم بن

عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن نضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان صلى الله عليه وآله الطاهرين است كه ادعاى نبوت كرده ومعجزه بردست شريفش ظاهر گشته وهر كس ادعاى نبوت كند ومطابق ادعاى خود معجزه ظاهر كند پس آن پيغمبر است بى شبهه وبتحقيق كه متواتر شد ميانه مسلمين وغير ايشان از تمامى اهل دنيا كه ظاهر شد مردى در مكه مشرفه اسم أو محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وادعاى نبوت نمود وحق تعالى بر دست مبارك او معجزه ظاهر فرمود كه مطابق دعوايش ومقرون به تحدى كه سعى كردند مثل آن بياورند از آن متمكن نشدند پس پيغمبر بحق وناطق بصدق مطلق باشد صلى الله عليه وآله واين تواتر موجب قطع است مگر براى كسى كه مسبوق باشد بشبهه وبلا اشكال اين امر متواتر است ميان جميع أهل الأرض بعلت اينكه آن حضرت صلى الله عليه وآله خاتم النبيين است پس بعد از او پيغمبر نباشد پس واجب است كه رسول باشد بر كافه خلق بعلت اينكه ايشان مكلف ميباشند وصحيح نيست تكليف ايشان بدون حجت وثابت نميشود حجت بر خلق الا بآن نهج كه مذكور شد پس ثابت شد نبوت آن حضرت بتواتر نزد جميع مكلفين واما آنكس كه مسبوق بشبهه باشد بر او نيز ثابت شده است هر چند طبيعت او عادت بانكار نموده است وايضا حق تعالى ميفرمايد ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ﴾ .

فصل : واما معجزات آن حضرت كه حق تعالى بآن تصديق

نبوت آن بزرگوار صلی الله علیه وآله را فرموده بسیار است وعلماء امت هزار معجزه را احصاء کرده اند از آن جمله انشقاق قمر است وظاهر شدن چشمه آب از میان انگشتان مبارکش وسیر کردن خلق بسیار را از طعام اندك وشکایت شتر بآن حضرت وکلام پاچه گوسفند که او را بزهر آمیخته بودند وآواز بواقعه وتنطق بی زبانان از انحاء شتی وناله جذع نخل وتسبیح سنگ ریزه در کف مبارك آن حضرت ومهر کردن برسنگ بمهر شریف مطهر خود صلی الله علیه وآله وغیر ذلك از معجزات که تعداد آن موجب تطویل کلام است ومعروف میانه خواص وعوام واز جمله معجزات عجیبه غریبه قرآن عزیز است که ناسخی برایش هرگز نخواهد بود وتحدی کرد بآن قرآن عربها را حتی راضی شد که یك سوره بیاورند مثل قرآن با قصر سوره که در قرآن است پس عاجز شدند ونتوانستند که مثل آن بیاورند وچون قبول نکردند اسلام را بعلت حمیت جاهلیت پس صبر کردند بانواع ایذا واذیت از قتل رجال ایشان واسیری اطفال وزنان ایشان ومتحمل شدن لبس عار ووقوع قلع وقمع از مساکن ودیار ونتوانستند که دفع کنند آنچه بر ایشان وارد شد بآوردن سوره مثل قرآن وقرآن باقی است تا فناء عالم کون ومکان وعجز عرب از اتیان بمثل این سهل است که کل خلق عالم از ما سوی الله را طاقت تعبیر بعبارتی مثل قرآن نیست واحدی را از اول آفرینش تا فناء عالم طاقت معارضه با قرآن نیست واز برای هیچ پیغمبری از پیغمبران بعد از ایشان معجزه باقی نمانده بعلت انقطاع نبوت ایشان الا معجز پیغمبر ما صلی الله علیه وآله که او باقی است تا تکلیف باقی است زیرا که نبوت

آن حضرت باقی است ببقاء تکلیف تا معجزه باهره اش قاطع حجج متعرضین باشد .

فصل : بدانکه آن حضرت صلی الله علیه وآله خاتم النبیین است وبعد از او پیغمبری نیست بعلت اینکه حق تعالی از آن در کتاب عزیز خبر داده که : ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ وحق سبحانه وتعالی از او کذب واقع نمیشود زیرا که کذب قبیح است وغنی مطلق فاعل قبیح نباشد وایضا در کتاب خود فرموده : ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ وخبر داد ما را آن حضرت صلی الله علیه وآله که پیغمبری بعد از خود نیست پس اخذ میکنیم قول أو را چه آن حق است از جانب خدا وبدانکه آن حضرت صلی الله علیه وآله أفضل واعلم از سایر پیغمبران واز تمامی خلق میباشد زیرا که فرمود (**أنا سيد ولد آدم**) یعنی من بهترین فرزندان آدم هستم وایضا فرموده است بفاطمه صلوات الله علیها که : (**أبوك خير الأنبياء وبعلك خير الأوصياء**) وآن حضرت معصوم است دروغ از او صادر نمیشود چنانچه ارشاد فرموده حق است از جانب خدا قال الله تعالی : ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ وأیضاً فرموده در قرآن مجید : ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ۝٤٤ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ۝٤٥ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ﴾ پس قول شریفش صدق خواهد بود پس افضل خلق بودنش حق باشد وهمچنین اجماع علماء اسلام است که آن حضرت سید کاینات است واز کلام الله در حدیث قدسی خطاب بآن بزرگوار است (**لولاك لما خلقت الأفلاك**) وما فیها بطفیل وجود او موجود شده اند صلی الله علیه وآله الطاهرین المعصومین .

(باب چهارم) در امامت است چون ثابت شد که وجود نبی لطف است که تمام نمیشود نظام عالم در دنیا وآخرت مگر باو تا روز قیامت بعلت اینکه آن حضرت مبلغ است از جانب حق تعالی واداکننده است آنچه بر او وارد می شود از احوال خلق از اموری که بآن بقای ایشان است ما دام تکلیف واموری که بآن سعادت ابدیه است بر ایشان ولا شك احوال مکلفین آنا فآنا متجدد می شود تا روز قیامت واحکام ایشان تابع احوال ایشان است پس احکام نیز بمقتضای احوال متجدد می شود وپیغمبر باقی نمی ماند تا آخر تکلیف وفناء عالم بلکه جاری می شود بر آن حضرت به علت امکانش تغییر وموت بعلت اینکه عبدی است مخلوق وجایز نیست در حکمت که به موتش رفع حکم نبوت او شود چه آن لطفی است واجب ما دام بقاء تکلیف پس واجب باشد در حکمت نصب خلیفه که قائم بشود مقام پیغمبر واداىکند از پیغمبر احکام خلق مکلفین بایشان وحافظ باشد شریعت آن پیغمبر را وقایم باشد سنت وطریقه او تا باطل نشود حجة الله بالغه بر خلق مکلفین ولا بد است که آن خلیفه جامع باشد جمیع آنچه مذکور شد در حق نبي صلی الله علیه وآله از اینکه اعلم اهل زمان خود باشد وازهد واتقی واعبد وانجب ایشان باشد وافضل ایشان در جمیع صفات وکمالات ومزایا وفواضل ومعصوم باشد از گناهان صغیره وکبیره از اول عمر خود تا آخر عمر خود ومعصوم باشد از کذب وخطا ونسیان وامثال اینها از تمامی آنچه معتبر بود در حق نبی مگر نبوت بعلت اینکه ثابت شد که نبوت منقطع شده تا پیغمبر صلی الله علیه وآله اما اینکه شرط شده وجود کل صفات نبي صلی الله علیه وآله

در وصی بعلت اینکه وصی قائم است مقام نبی را در جمیع آنچه محتاجند مکلفین از احکام وشریعت زیرا که وصی حافظ شریعت نبی است واین حفظ شریعت لطفی است از جانب حق جل وعلا وواجب است در حکمت همچنانکه واجب است در نبوت پس واجب شد که وصی متصف بصفات نبی خود باشد صلی الله علیه وآله بحیثیتی که برای مکلفین قطع حاصل شود که آن حضرت حجة الله است بر آن کسان که نبی حجت بود وبایست که قاطع باشد که قول او قول خدا است وحکم او حکم خدا ورسول او است وطاعتش واجب است وانقیاد امر او ورجوع در شداید احوال به سوی او لازم است وواجب است که مطهر ومنزه باشد از هر چه که مستلزم نفرت نفوس وطبایع وعدم اطمینان است در کل احوال وهر کس که به این صفات موصوف است مطلع نمی شود بر حقیقت احوالش مگر کسی که مطلع بر سرایر وضمایر است واوست خداوند عالم جل شأنه ونیست این حکم منصب احدی از خلق ودانسته نمی شود مگر بنص خاص از جانب خداوند عزّ وجلّ بر شخصی وآن لطف است به مقتضای عدل ولطف واجب است در حکمت وقادر حکیم عزّ وجلّ اخلال به واجب نمی کند زیرا که قبیح است پس واجب شد که امامت بنص خاص از جانب خدا باشد وبدان که در میان امت پیغمبر صلی الله علیه وآله کسیکه جامع باشد جمیع شرایط نبوت را غیر از نفس نبوت نبود مگر مولانا وسیدنا علي بن ابی طالب بن عبد المطلب تا آخر اجداد رسول الله صلی الله علیه وآله بعلت اینکه آن بزر گوار معصوم بود از هر بدی وزشتی که طبع سلیم را ناگوار باشد از اموری که

پیغمبر صلی الله علیه وآله از آن معصوم بود وشریك آن حضرت است در هر فضیلت مگر نبوت وحق تعالی در قرآن عزیز به آن تصریح فرموده در آیه : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴾ یعنی ولی وصاحب اختیار ومتولی امور شما منحصر است در سه وآن حق تعالی ورسول أو وگروهی که ایمان آورده اند به خدا وبه پا می دارند نماز را ومیدهند زکاة را در حالت رکوع ومتواتر شد روایات وکلام مفسرین از فریقین که این آیه نازل شد در حق أمیر المؤمنین علي بن أبي طالب علیه السلام در وقتی که تصدق به خاتم خود در حال رکوع نمود وانکار نمی کند مگر معاند ومنکر حق بعد از معرفت پس ثابت کرد حق تعالی برای علي بن أبي طالب علیه السلام به نص کلام عزیز خود آنچه را که ثابت کرد از برای خود ورسولش از ولایت عامه وریاست مطلقه ومعنی در این آیه شریفه نیست مگر اولویت به خلق از نفسهای ایشان در تمامی احوال از امور دنیای ایشان ودین ایشان وآخرت ایشان چه ولایت همان ولایت است که برای حق تعالی ثابت است وبرای رسولش واز این جهت است که رسول صلی الله علیه وآله در روز غدیر خم تنبیه فرموده به این معنی چنانچه فریقان روایت غدیر خم را از طرق متعدده که بر حد تواتر رسیده به اعتراف خصم مخالف روایت نموده اند چه آن حضرت در آن روز فرموده است (**ألست أولى بكم من أنفسكم**) آیا من أولی نیستم از شما به تصرف در جانهای شما ومالهای شما همگی به یك بار گفتند بلی یا رسول الله پس فرمود (**من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذ**

من خذله) پس تصريح فرمود رسول الله كه مراد از ولي در اين مقام اولى به تصرف است وحق تعالى در حق آن حضرت فرموده ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ پس ما را واجب شد امتثال بامر او وعمل بقول او ودر حق او حق تعالى فرموده ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ ودر حق آن حضرت فرموده ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾ وروايت كرده اند فريقان كه حضرت پيغمبر صلى الله عليه وآله : (**أقضاكم علي**) فرموده يعنى عالمترين امت باحكام فتوى واحوال متعلقه بخلق علي عليه السلام است وفرموده باقرار فريقين (**علي مع الحق والحق مع علي يدور معه حيث ما دار**) يعنى علي با حق است وحق با علي است دور مى زند حق با او بهر نهج كه او دور مى زند ثابت شد كه آن بزر گور عليه السلام هادى بسوى حق است ودليلى دلالت نكرد كه غير از آن حضرت احدى از صحابه باين مرتبه وجلالت باشند وادعا نكرد احدى از امت عصمت را از براى احدى از صحابه چنانچه ادعاء شد براى آن حضرت پس آن كس كه هادى است بسوى حق او احق وسزاوارتر است كه مردم اطاعت او كنند واو را امام واجب الاقتدا دانسته اقتدا بآن حضرت نمايند از كلى وجزئى امور واحوال خود زيرا كه آن حضرت هر گز بنص پيغمبر باقرار فريقين مفارقت نمى كند حق را وحق نيز از آن حضرت مفارقت نميكند واحدى انكار اين معنى نميكند كه امير المؤمنين عليه السلام هر گز در حالى از احوال با باطل بوده ومقصود از عصمت نيست مگر اين معنى پس ثابت شد نزد هر منصف طالب حقى بر جهت قطع ويقين

از مثل این حدیث واین آیه شریفه که علي بن أبي طالب علیه السلام خلیفة رسول الله است بلا فصل بعلت اینکه او هادی است بسوی حق زیرا که هر که مفارقت از حق نمیکنند وحق از او مفارقت نمی نماید پس آن بزر گوار احق والیق است که اطاعت کرده شود بحکم الله تعالی چنانکه در کتاب خود فرموده : ﴿ أَفَمَن يَهْدِيَ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيَ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ پس هر کس که مخالفت حکم خدا نماید داخل خواهد شد در قـولـه تـعـالـی : ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴾ ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴾ پس ثابت شد که آن حضرت علیه السلام از اشخاصی است که حق تعالی او را منزه ومطهر فرموده از انواع رجس پس معصوم باشد بنص کتاب الله وقول رسول الله صلی الله علیه وآله واو منصوص بخصوص از جانب خدا رسول او صلی الله علیه وآله است وادعا نکرد احدی از مسلمین این معنی را از برای احدی از اصحاب والحمد لله رب العالمین .

فصل : وسببی که باعث نصب علي بن أبي طالب علیه السلام شد از برای خلافت همان بعینها سبب نصب فرزند ار جمندش حسن است علیه السلام پس حضرت ابا عبد الله الحسین علیه السلام وبعد از آن حضرت علي بن الحسین وبعد از آن حضرت امام محمد باقر وبعد از آن حضرت صادق وبعد از آن حضرت امام موسی کاظم وبعد از آن حضرت امام رضا وبعد از آن حضرت امام محمد تقي وبعد از آن حضرت امام علي نقي وبعد از آن حضرت

امام حسن عسكري وبعد از آن خلف صالح حجة القائم محمد بن الحسن صاحب الزمان ومظهر الايمان وخليفة الرحمن صلى الله عليهم أجمعين وجميع آنچه معتبر بود در خلافت امير المؤمنين وقيامش مقام رسول الله وبودن او حجة الله بر خلق وغير ذلك از آنچه بكليات آن سابقا اشاره شده از كمالات وفضائل ومناقب معتبره در واسطه ميانه خدا وخلق معتبر است در هر يك از ايشان صلوات الله عليهم أجمعين وهمچنين خصوص نص بهريك از ايشان از جانب خداوند عالميان چنانچه صريح حديث لوح است كه جابر بن عبد الله أنصاري روايت كرده وغيرش از قرآن واحاديث قدسية ونص از جابر روايت مى كند در باب هريك از ايشان باسامى ايشان ونص هر سابقى بر لاحقى وكل اين نصوص واخبار به تواتر ثابت شده مگر آن كس كه مسبوق بشبهه باشد بعلت اينكه بيان واثبات حجت بر حق تعالى در حكمت واجب است وحق سبحانه وتعالى اخلالى به واجب نميكند از عموم علمش وغناى مطلق قدرت عامه شامله .

فصل : وواجب است بر هر مكلف كه اعتاقد كند كه قائم آل محمد محمد بن الحسن عسكري عليه وعلى آبائه الكرام السلام حى وموجود است اما نزد ما معاشر شيعه إثنا عشريه بجهت اجماع فرقه محقة بر وجود آن حضرت واينكه ظاهر خواهد شد وپر خواهد كرد زمين را از عدل وقسط بعد از آنكه پر شده باشد از ظلم وجور واو فرزند ارجمند حضرت امام حسن عسكري عليه السلام غائب مفتقد منتظر مترقب است واجماع فرقه محقه تابع اجماع ائمة ايشان است سلام الله عليهم أجمعين واجماع اهل بيت

حجت است بعلت اینکه حق تعالی پاك ومطهر فرموده ایشان را از رجس ودنس پس قول ایشان حجت است زیرا که نمی گویند الا حق واما اجماع شیعه پس آن نیز حجت است بجهت کشفش از قول امام ایشان که معصوم است واما نزد عامه پس بسیار از ایشان متفقند با ما وقائلند بقول ما وبعضی از ایشان را زعم آن است که الآن موجود نیست بعد از این موجود خواهد شد وبعضی از ایشان را گمان این است که آن عیسی ابن مریم علیه السلام است لکن حدیث مروی متفق علیه فریقین قبول پیغمبر صلی الله علیه وآله : **(من مات ولم یعرف إمام زمانه مات میتة الجاهلیة)** این دو قول را باطل می نماید چه این کلام عام است وصادق است بر زمان ما الآن که هر گاه کسی بمیرد وامام زمان خود را نشناسد مرده است مرده جاهلیت وشرك است واین دو قول در صورت عدم وجود امام لغو وعبث خواهد بود با اینکه سابق گفتیم که وجود امام لطف است از جانب حق تعالی بر بند گان ولطف ما دام تکلیف واجب است بحسب حکمت پس صحیح نخواهد بود تکلیف بدون لطفی موجود چه آن شرط تکلیف است ومشروط در نزد انتفاء شرط منتفی می شود وهر کس که قائل باشد باینکه آن حضرت متولد شده است قائل بوجودش الآن می باشد زیرا که احدی قائل نشده است که آن حضرت متولد شده است واز عالم ارتحال نموده است وآن کس که استبعاد وجودش وطول عمرش میکند به حقیقت حکمت در این باب بر نخورده با آنکه حق تعالی بجهت استبعاد این امر دلیل واضحی خلق فرموده که رد آن ممکن نیست وآن خضر علیه السلام است که جدش هود پیغمبر بوده است با اینکه متولد شد در زمان

إبراهيم عليه السلام بنا بر دو قول مشهور واو الى الآن باقى است بلكه تا نفخ صور حى است واو تعظم آيتى است بر وجود قائم عليه السلام وإبليس عدو الله باقى است تا يوم وقت معلوم پس هر گاه جايز باشد بقاء عدو الله وبقاء خضر كه دليل براى مصلحت جزئى است بالنسبة بسوى مصلحت بقاء غوث عالم كه محل نظر حق تعالى وقطب وجود است پس چگونه جايز نباشد بقاء كسيكه موقوف است جميع مصالح نظام دنيا ودين وآخرت بر بقاء او با اينكه متفق شده بروايات امت واقوال ايشان بر اينكه لا بد است از قيام قائم عليه السلام وبيان كرد او را رسول صلى الله عليه وآله كه هر گاه در دنيا باقى نماند مگريك روز حق تعالى آن روز را بلند خواهد نمود تا اينكه ظاهر شود از اهل بيت ما از ذريه من كسى كه اسم او اسم من باشد وكنيه او مثل كنيه من خواهد بود پر كند زمين را از قسط وعدل چنانكه پر شده باشد از ظلم وجور وآن جماعت از عامه كه قائل شده اند عيسى ابن مريم است اين حديث تكذيب ايشان مينمايد كه اتفاق بر صحتش دارند زيرا كه عيسى از اهل بيت وذريه حضرت پيغمبر نيست واسمش نيز مخالف وهمچنين كنيتش وهم چنين اين حديث تكذيب مى كند قول آنكه گفته كه آن قائم مهدي عباسى است چه آن از اولاد وذريتش نيست پس باقى نماند از براى منصف طالب حق مگر قول به اينكه آن امام دوازدهم از ائمه عليهم السلام است ونهم از ذريه مولانا الحسين عليه السلام عجل الله فرجهم وسهل مخرجهم .

فصل : وواجب است كه اعتقاد كند بوصايت اوصياء پيغمبران وايمان به ايشان واينكه ايشان وانبياء ايشان حق بوده اند وبصدق

تنطق نموده اند واز جانب خدا بودند زيرا كه حق تعالى مدح كرده ايشانرا وثنا بر ايشان فرستاده بود بجهت طاعت واجابت امر خداى تعالى وعبادت ودوام ذكر وشكر او سبحانه وتعالى وهر كه را حق تعالى ثنا گويد پس قول او حق است عملش وفعلش جمله حق است وواجب است بر مكلف كه ايمان بياورد جميع آنچه حق تعالى نازل كرده بر انبيا واوصياء ايشان از كتب ووحى وبه آنچه كه ملئكه به ايشان رسانيده زيرا كه حق تعالى به آن خبر داده پيغمبر خود را وخبر داده بآن پيغمبران واوصياء وحجج صادق القول صلوات الله عليهم أجمعين را وهر چه كه ايشان سلام الله عليهم اجمعين خبر دهند حق است وصدق ومن گواهى ميدهم براى ايشان كه ايشان اداى امانت به بند گان وتبليغ حجت بر عامه مكلفان نمودند وهل على الرسول إلا البلاغ المبين .

(باب پنجم) در معاد است واجب است كه اعتقاد كند مكلف وجوب معاد را يعنى عود ارواح بسوى اجساد ايشان روز قيامت وكيفيت آن آن است كه چون مردمان ميميرند ارواح برسه گونه مى باشند يكى از ايشان ما حض الا يمانند واين طايفه بعد از مرگ ارواح ايشان بجنت دنيا روند ودر آنجا در نعيم مى باشند وچون روز جمعه شود وروز عيد در نزد طلوع صبح صادق ملائكه براى ايشان ناقهائي از نور كه بر هر ناقه قبه اى از ياقوت وزمرد وزبرجد مى باشد حاضر كنند پس سوار آن ناقها ميشوند پس پرواز دهند آن ناقها ايشان را ميان آسمان وزمين تا بوادى السلام آيند به پشت كوفه مى باشند تا زوال شمس پس اذن مى گيرند از ملائكه براى زيارت قبور واهالى خود تا اينكه ظل هر چيزى مثل خودش مى

شود پس ملك ندا كند وايشان جمع شوند وسوار ناقها مى شوند ايشان را پرواز داده تا بغرفات جنان رسند ودر آنجا تنعم مى كنند بهمين طريق تا رجعت آل محمد صلى الله عليه وآله پس برمى گردند بسوى دنيا پس هر كه كشته شده باشد در دنيا زند گانى مى كند در رجعت بدو مقابل دنيا پس ميميرد وهر كه مرده باشد در دنيا برمى گردد تا اينكه كشته گردد پس چون حق تعالى محمد وآل طاهرين آن حضرت را از زمين بالا برد باقى مى مانند مردمان چهل روز پس إسرافيل نفخ ميكند نفخه صعق را پس باطل ميشود ارواح وساير حركات پس نه حس است ونه محسوس تا چهارصد سال واما اجساد آنها پس روح وريحان ميرسد بآنها از جنان دنيا واجساد اجزايش متفرق مى باشند وباقى مى ماند در قبور خود مستديره مثل سحاله طلا درد كان صايغ واما قسم دويم ما حض الكفرند واين طايفه چون بميرند محشور شوند ارواح ايشان در نزد مطلع شمس ودر آنجا ايشان را عذاب ميكنند بحرارت آفتاب پس ملائكه عذاب مى رانند ايشان را بسوى مطلع الشمس وبهمين طريق تا نفخه صعق پس باطل مى شوند ارواح ايشان واجساد ايشان در قبور خود مى باشند ودخانى وشراره از آتش جهنم كه در مشرق است باجساد آنها ميرسد وبهمين حالت باقيند تا نفخه صور واما قسم سيم كسانيند كه مستضعفند نه ماحض الا يمانند ونه ماحض الكفر واين جماعت ارواح ايشان باقى مى ماند با اجساد ايشان تا روز قيامت پس چهارصد سال بين نفختين بگذرد بارانى مى بارد از حق تعالى از زير عرش كه چشمه صاد است واو آبى است كه رايحه اش رايحه منى است تا اينكه جملگى درياشود پس مواج

گردد بر روی زمین تا اینکه مجتمع شوند اجزاء هر جسدی در قبر خودش پس گوشتها بروید در مقدار چهل روز پس مبعوث میکند حق تعالی اسرافیل را پس امر میکند او را بنفخه صور نفخه نشور وبعث پس پرواز کنند ارواح پس داخل میشود هر روحی در جسد خود در قبر پس بیرون می آیند از قبر وخاك از سر ایشان می ریزد پس در آن وقت قیامت بر پا می شود این است معنی معاد یعنی عود ارواح بسوی اجساد خود چنانکه در دنیا است وواجب است ایمان به این معاد چه ممکن است وحق تعالی بهر ممکنی قادر است وحال اینکه خدا ورسول وائمه صادقین سلام الله علیهم اجمعین از آن خبر داده اند پس حق می باشد وایضا این معاد وقت ثمره عدل وفضل است وروز جزاء اعمال است وعدم وجود آن منافی فضل در اعطاء ثواب وعدل در وقوع عقاب میباشد وایضا معاد لطفی است برای مکلفین که اعانت میکند ایشان را بطاعت وبازمیدارد ایشان را از معصیت پس واجب باشد در حکمت وایضا تمامی مسلمانان اجماع واتفاق بر وقوع آن نموده اند وبر اینکه اصلی است از اصول اسلام پس متحقق نمی شود اسلام بدون اعتقاد بوقوع آن واینکه منکر معاد کافر است پس وقوعش حق باشد وایضا حق تعالی تکلیف کرده بند گان خود را پس امر کرد ایشان را بطاعت ووعده داد ایشان را بر وفای بعهد حق وامتثال امرش حسن ثواب را ونهی کرد ایشان را از معصیت خود ووعده کرد ایشان را از نقض عهد ومخالفت نهی بعقاب وتکلیف واقع شد وواقع شد از بعض بند گان طاعت واز بعض دیگر معصیت وجزا ومکافات واقع نشد وحق سبحانه وتعالی خبر داد که تأخیر کرده

آنان را تا روز قیامت پس فرمود : ﴿ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴾ وأیضا فرمود : ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ وآیات در این معنی بسیار است پس وقوعش حق وثابت خواهد بود چه از آن خبر داده صادقی که قادر است بر آن .

فصل : چون حشر برای این است که تمام شود مقتضای عدل حق واجب است اعاده هر صاحب روحی را برای اینکه جزا داده شود بعمل خود از خیر وشر واخذ حق مظلوم از ظالم واین احوال ثلثه یعنی مجازات مکلف است بعمل خود از خیر وشر واخذ حق او از ظالمش واخذ حق از او از برای کسی که ظلمش کرده شامل هر صاحب روحی می باشد از جمیع حیوانات از انس وجن وسایر شیاطین وحیوانات بجمیع انواع آن الا اینکه در هر چیز بحسب خود از مقدار قابلیت واستعداد او بلکه در نوع واحد این حکم اختلاف مرعی است قال الله سبحانه : ﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا ﴾ ودلیل بر اینکه حساب وحشر عام است بر کل حیوانات ناطقه وصامته قوله تعالی : ﴿ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ یعنی هیگ جنبنده ای نیست در زمین وهیچ پرنده ای نیست که پرواز کند به دو بال خود مگر اینکه اینها امتهائی هستند مثل شما ای بنی نوع انسان وما کم نکردیم در کتاب ذکر چیزی را از احوالات موجودات پس این امم متخالفه محشور میشوند در قیامت بسوی پرورد گار خود وقول امام علیه السلام : **(لیقتص للجماء من القرناء)** یعنی هر گاه شاخ داری بر بی شاخی تعدی

نماید قصاص میکند ظالم را وقوله تعالی : ﴿ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ دلالت میکند بر تأویل که حق تعالی می گیرد حق برای صاحب حق هر چند از ناطقین برای صامتان واز صامتان برای ناطقین بلکه محشور می شود بعض جمادات مثل احجار معبوده بنا حق واشجار وغیر آنها وقصاص گرفته می شود از ایشان بجهت رضای ایشان بمعبودیت قال الله تعالی : ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴾ پس اگر بحث کنی چگونه راضی میشوند اشجار واحجار وحال اینکه عقول وشعوری برای ایشان نمیباشد جواب گوئیم که برای ایشان عقول وشعوری است بنسبت مقام ایشان در وجود چنانکه حق تعالی فرمود : ﴿ لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ﴾ یعنی هر گاه این بتها خدا میشدند وارد جهنم نمی شدند ومعذب نمی گشتند واستشهاد در صیغه [وردوها) که بجمع مذکر عاقل ادا فرموده هر گاه شعور نمی داشتند مناسب [ما وردتها) بودند نه [ما وردوها] ومثل این در ظهور دلالت بر شعور جمادات قوله تعالی : ﴿ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴾ ونگفت طائعات .

مترجم (**گوید**) که شعور نباتات وجمادات قریب بضرورت مذهب رسیده بلکه در این اوقات هر گاه کسی ادعای ضرورت کند تواند چه عرض ولایت آل محمد صلی الله علیه وآله بر اشجار واحجار وانهار وبحار وجبال واعراض وجواهر بر حد تواتر معنوی رسیده ومنکر آن مکابر ومباهت وحمل کل اینها را بر مجاز دور از طریقه عاقلان است بلکه مواضعی هست در اخبار که حمل مجاز باطل میکند مدعا را ومستلزم کذب است العیاذ بالله ودر سایر

رسايل واجوبه مسائل شرح این مطلب داده ام ودر این مقام اختصار منظور دارم والسلام .

فصل : اما قصاص از جمادات واشجار در دنیا میباشد چنانچه اخبار بسیار باین وارد شده مثل اینکه آب زمزم فخر کرد بآب فرات حق تعالی چشمه از صبر تلخ در آن جاری فرمود مثل قول امام علیه السلام که هر گاه کوهی بر کوهی طغیان ورزد حق تعالی او را منهدم سازد وامثال این از اخبار بسیار است واما وجه اینکه عقوبت جمادات ونباتات در دنیا است آنست که برای آنها اختیار کلی قوی نیست که انتظار کشیده شود تا آخرت بلکه اختیار اینها جزئیست که محسوس نشود وادراك جزئی را رتبه از نوع آخرت نیست واما عقوبات اصنام را در آخرت قرار داده هر چند جزئی بود بجهت خذلان وافتضاح آنان که ایشان را پر ستیدند .

فصل : از اموریکه اعتقاد آن واجبست بنطق آمدن جوارح است تا شهادت دهند برای صاحبان خود از مکلفین بآنچه کرده اند بجهت قوله تعالی : ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ وروایات بسیار وارد شده در باب اینکه بقاع زمین شهادت میدهند بآنچه عمل شده است در آن ومحشور میشود ایام ولیالی وساعات وشهور وسالها پس شهادت میدهند بآنچه عمل شده در آنها وعقل صحیح مؤید این مدعاست پس هر گاه تطابق کند عقل ونقل بر ثبوت امری واجب باشد اعتقاد بثبوت آن .

فصل : واز آنچه واجبست اعتقاد او تطایر کتب است وکیفیت آن آنست که چون انسان بمیرد ودر قبرش گذاشتند وخشت بر او

چیدند ملکی که اسمش رومان است داخل میشود بر او پیش از منکر ونکیر پس می نشاند ومیگوید که بنویس عمل خود را پس میت میگوید که فراموش کرده ام اعمال خود را پس ملك میگوید که من بخاطرت خواهم آورد پس گوید که کاغذ ندارم که بآن بنویسم ملك گوید بعض کفن تو پس میگوید که دوات ندارم میگوید آب دهن تو پس میگوید که قلم ندارم ملك گوید که انگشت تو پس ملك املا کند جمیع آنچه کرده بود از اعمال صغیره وکبیره پس میگیرد ملك از آن قطعه همچو قلاده دو گردنش میآویزد پس أثقل از کوه احد برایش خواهد بود واینست معنی قوله تعالی : ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴾ پس چون روز قیامت شود کتب پرواز کند پس هر کس که نیکو کار است کتاب أو از پیش روی او بدست راستش آید وهر گاه بد کار ومعصیت پناه باشد کتاب از طرف پشت آمده پشت او را سوراخ کرده از سینه او خارج میشود بدست چپ او میآید پس میایستند صفوف جمیع خلایق در مقابل وپیش روی کتاب الله ناطق صلوات الله علیه وآن کتاب کسی است که عرض میشود بر او اعمال ومیخواند که حرفی زیاده وکم ندارد وهر کس نظر کند به کتاب خود ومخالفت بوجهی متحقق نیست وآن قول واحد است چنانکه حق تعالی میفرماید : ﴿ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ مترجم گوید که مراد از این کتاب أمیر المؤمنین علیه السلام است واعمال خلایق در دنیا هر روز بر آن جناب بعد از رسول الله صلی الله علیه وآله القا میباشد پس تنطق

آن بزر گوار میکند بکلام واحد بإذن رسول الله صلی الله علیه .

فصل : از آن امور که اعتقاد آن واجبست اعتقاد بمیزان است برای اعمال خلایق ودر حقیقت آن اختلاف است حسب اختلافات روایات واقوال علماء در بعضی روایات مروی است که آن میزان صاحب دو کفه است همچو میزان معروف در این دنیا ودر بعض روایات نفی معنی اول واثبات آنکه آن ولایت آل محمد است سلام الله علیهم أجمعین وبعضی گفته اند که آن عدل حق تعالی است چه حق تعالی عالم است بمقادیر اعمال واستحقاقات راجحه ومرجوحه وحق این است که تنافی میان این اقوال ثلثه نیست چه میزان صاحب دو کفه است کفه حسنات وکفه سیئات وهمان بعینه ولایت ائمه وهمان عدل حق تعالی است ووجه جمیع ودلیلش در این رساله محلش نیست وأنچه واجبست اینست که اعتقاد کند که در قیامت نصب میشود موازین بجهت امتیاز اعمال خلایق واما تعین آن واجب نیست وآن راجع است بسوی کمال معرفت ودلیل بر وجود میزان قول حق تعالی است (**ونضع الموازين القسط ليوم القيامة والوزن يومئذٍ الحق فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون**) .

فصل : واز اموری که اعتقاد آن واجب است صراط است وآن جسری است که کشیده شده بر جهنم اول عقبه از اول محشر است صعود میکند وبالا میرود از آن بسوی بهشت در اول مقام صعود میکند هزار سال وهزار سال دیگر نزول میکند ومیانه این صعود ونزول هزار سال مکان هموار است ودر آن همواری پنجاه عقبه

است وهر عقبه میایستند در آن خلایق هزار سال وآن تیزتر از شمشیر وباریکتر از مو متسع میشود از برای مطیع وتنگ میشود از برای عاصی وخلایق بر صراط بمقدار اعمال خود متفاوت المراتب میباشند پس بعضی از ایشان میگذرند بر او مثل برق خاطف وبعضی از ایشان میگذرند بر او مثل اسب بسیار تیزرو وبعضی میگذرند همچو پیاد گان وبعضی از ایشان میگذرند بزانو در آمده کشان کشان خود را میکشند وبعضی از ایشان معلقند وآتش بعضی از او را گرفته وبعضی را ترك كرده وآنچه واجبست اعتقاد وجود صراط است در روز قیامت واینکه آن از شمشیر تیزتر است واز مو باریکتر واینکه او جسری است ممدود بر جهنم واینکه تمامی خلق مکلف می باشند ودلیل آنچه مذکور شد اخبار متواتره است بحسب معنی از فریقین واجماع مسلمین بر آن منعقد است .

فصل : از آن امور که واجب است اعتقاد آن حوض است وآن را حوض کوثر می گویند بعلت اینکه آب ریخته می شود در آن حوض از نهر کوثر وحوض در عرصه قیامت خواهد بود وساقی آن أمیر المؤمنین است علیه السلام تشنگان مؤمنین را در روز قیامت وبدانکه از آن اموری که واجب است اعتقاد آن شفاعت است وآن شفاعت پیغمبر صلی الله علیه وآله است از برای اهل گناهان کبیره از امت خود چنانکه فرموده که من شفاعت خود را ذخیره کرده ام برای اهل کبایر از امت من واخبار در این معنی متواتر ومتظافر ومتکاثر است باینکه آن حضرت شفاعت می کند برای اهل بیت خود وبرای أنبیاء علیهم السلام پس شفاعت می کنند انبیا بر کسیکه حق تعالی دینش را پسند یده وقبول کرده باشد از امتهای خودشان وشفاعت می کنند

شیعیان برای هر که می خواهند از محبین وواجب است اعتقاد بثبوت شفاعت محمد صلی الله علیه وآله برای عاصیان از امت خود واما تفصیل وترتیب پس بنا بر نهجی که دلیل بر آن قائم شده زیرا که اقامه دلیل از متممات ایمان است ومکملات معرفت .

فصل : واز اموری که واجب است اعتقاد آن وجود بهشت است وآنچه در اوست از نعیم مقیم وآن جنان خلد هشتگانه است چنانکه دلالت کرد بر او اخبار وناطق شد بر آن قرآن مجید وجنان دنیا نیز موجود است وآن همان بهشت است که ارواح مؤمنین بعد از مفارقت از ابدان در آنجا قرار دارند تا نفخ صور وحق سبحانه وتعالی ذکر هر دو بهشت را در کلام مجید فرموده : ﴿ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَأۡتِيّٗا ﴿٦١﴾ لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوًا إِلَّا سَلَٰمٗاۖ وَلَهُمۡ رِزۡقُهُمۡ فِيهَا بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا ﴾ وحاصل مفهومش اینست که حق تعالی بهشتی که وعده کرده است بند گان خود را در غیب براستی ودرستی که خواهد شد وعده حق تعالی وایشان را در بهشت جای خواهد داد که در آنجا نشنوند کلماتی ناملایم ولغو ونبینند در آنجا مگر سلامتی از جمیع مکاره وآلام وشداید واسقام ورزق ایشان نعمتهای الوان است که خداوند منان بجهت ایشان قرار داده هر صبح وشام بایشان میرسد واین بهشت بهشت دنیا است زیرا که در بهشت آخرت صبح وشام نمی باشد پس از این آیه شریفه ذکر بهشت آخرت است وباینکه از برای بهشت هشت طبقه است اول جنة الفردوس دویم جنة عالیة سیم جنة نعیم چهارم جنة عدم پنجم جنة دار السلام ششم جنة دار الخلد هفتم جنة المأوی هشتم جنة دار المقام وهر بهشتی حظیره دارد یعنی بهشت از این

هشت بهشت اصلی ظلی دارد مثل آفتاب که نور دارد ونسبتش به بهشت اصلی مثل اشعه اوست بسراج یا بآفتاب ونعیم هر حظیره از بهشت اصل منسوب بسوی اوست وحظایر بهشت هفت است زیرا که جنة عدن ظل ندارد بعلت منتهای صفا ولطافت نمیبینی که آفتاب چون بآینه می تابد نور از آنجا متشعشع ومنعکس می گردد اما هر گاه جسمی باشد از آینه لطیف تر در آنجا نور ظاهر نمیشود پس در آخرت پانزده طبقه بهشت است هشت اصل می باشند واز ایشان بجنة حظایر تعبیر شده وآن در تحت هشت بهشت است ونعیم او کمتر است از نعیم بهشت اصل ودر حدیث است که حظایر جنان را سه طایفه ساکن می باشند از خلایق یکی مؤمنین جن ودویم اولاد زنا که عمل صالح کرده باشند وایمان خالص آورده باشند واولاد اولاد ایشان تاهفت بطن سیم دیوانگانی که در دنیا بر ایشان تکلیف جاری نشده واز اقاربش نباشد کسی که شفاعت کند برای او تا ملحق شود بایشان واسماء حظایر بعینه مثل اسماء بهشت اصل است مثل آفتابی که در آسمان چهارم باشد اسمش شمس است ونورش که در زمین است ایضا اسمش شمس است وآنچه واجب است بر مکلف اعتقاد بوجود بهشت ونعیم او است الآن واما مثل این تفصیل پس واجب نیست ودلیل بر وجود جنت قرآن واخبار متواتره واجماع مسلمین است .

فصل : واز آنکه اعتقادش واجب است بر مکلفین وجود جهنم است وآنچه آماده کرده است حق تعالی در آنجا از عذاب الیم وآن هفت طبقه است در آخرت وهفت طبقه است در دنیا وجهنم دنیا نزد مطلع شمس است وقرآن بآن در مواضع عدیده ناطق است

چنانکه فرموده : ﴿ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ﴾ یعنی وارد شد بر آل فرعون عذابهای بسیار بد وهر صبح وشام جدید میکند عذاب آتش را بر ایشان وشکی نیست که این جهنم واین آتش در دنیا است زیرا که در آخرت صبح وشام نمی باشد بعد از این آیة فرموده : ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ ﴾ یعنی ایشان معذب می باشند در آتش صبح وشام پس معلوم شد که عذاب روز قیامت غیر از عذاب دنیا است واحادیث اهل بیت علیهم السلام واجماع مسلمین متفقند بر وجود جهنم بقول مطلق واختلاف کرده اند در کیفیت وجودش که آیا

موجود است بالفعل یا بالقوة یا اینکه کلیات عذاب وجهنم موجود شده واما جزئیاتش بالفعل موجود نیست وبتدریج موجود می شود وحق اینست که این اختلافات باطل است واعتقاد صحیح آنست که آتش دنیا وآخرت الآن وبالفعل موجود می باشند چنانچه قرآن واخبار خصوصا احادیث معراج بآن دلالت صریحه دارد وپیغمبر داخل شد وآنانکه در آنجا معذب بودند مشاهده فرمود واجب است اعتقاد وجود جهنم وعذاب اینها وبدانکه واجب است که اعتقاد کنی که عذاب جهنم آخرت ابدی ودائمی هرگز انقطاع وفنا وانتها برایش نیست بوجهی من الوجوه بلکه هر چه زمان مکث ایشان بطول انجامد عذاب ایشان زیاد میگردد وتألم ایشان شدید تر گردد چنانکه صریح قرآن واخبار اهل بیت عصمت علیهم السلام است ودلیل عقل بر آن حاکم است چنانکه در محلش مذکور است وبدانکه جهنم آخرت چهارده طبقه است هفت طبقه نیران اصل است اول جحیم است وآن اعلی مراتب است ودویم لظی است

وسيم سقر وچهارم حطمة وپنجم هاويه وششم سعير وهفتم جهنم وجهنم سه طبقه دارد اول فلق است وآن چاهی است که در آن چان تابوتها است ودويم صعود است وآن كوهی است از صفر از آتش در وسط جهنم وسيم اثام است وآن وادی است از آهن گداخته كه جاری می باشد در اطراف كوه واما جهنم حظاير پس آن ظل نيران اصل است بضد بهشت حظاير واسامی ايشان همان اسامی اصل است ودر آنجا عذاب می شوند آنانكه مرتكب شده اند گناهان كبيره را از شيعه از اشخاصی كه شفاعت ايشان را درك نكرده مستحق جهنم شده اند .

فصل : وواجب است اعتقاد اينكه اهل بهشت هميشه مخلد در بهشت می باشند وهميشه متنعم می باشند وحق تعالی كرامت فرموده بايشان عطائی وكرامتی كه مقطوع نيست ودائم است نعمتهای بهشت بدوام امر الله سبحانه وغايتی ونهايتی برايش نيست واهل جنت از بهشت اخراج نميشوند وابد الآبدين در نعمت وسرور وراحت وعزت وكرامت شاهد هستند بر اين معنی كتاب وسنت واجماع مسلمين وشاك در اين كافر است وواجب است اعتقاد به اينكه اهل جهنم هميشه مخلدند در آتش ودائما معذب می باشند وهر گز عذاب از ايشان مخفف نميشود ودر آنجا نمی ميرند تا استراحت كنند چنانچه حق تعالی فرموده : ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ ﴾ وفرمود : ﴿ لَا يُقۡضَىٰ عَلَيۡهِمۡ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُم مِّنۡ عَذَابِهَاۚ ﴾ يعنی أهل جهنم هميشه مخلدند در آتش وهر گز عذاب ايشان تخفيف نمی يابد ونميميرند وعذاب ايشان مخفف نميشود وايضاً فرموده : ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ

ٱلْعَذَابَ﴾ وشاهد است بر اين معنى كلام الله وسنت رسول الله صلى الله عليه وآله وائمه طاهرين سلام الله عليهم أجمعين واجماع مسلمين ومخالفت بعضى از صوفيه وبعضى از اصحاب آراء منحرفه را اعتبارى نيست والتفات بأقوال باطله ايشان نبايد نمود بعد از آن كه كتاب الله وسنت مجمع عليها نص صريح بر آن داشته باشند وما ادله قطعيه عقليه بر اين مدعا اقامه نموده ايم در بعض أجوبة مسائل .

فصل : وواجب است اعتقاد آنكه جميع آنچه قرآن بآن ناطق است وآنچه را كه خاتم النبيين وسيد المرسلين محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله براى خلق آورده است از علم قيامت وسؤال منكر ونكير از كسى كه ماحض الايمان وماحض الكفر باشد در قبر وحشر ونشر ومرصاد وآن قنطره اى است بر صراط كه مظالم عباد در آنجا ادا ميشود وهمچنين مهر زدن بر دهنها وگويا شدن جوارح وبهشت واحوال آنچه در بهشت است از خوردن وآشاميدن ونكاح كردن واقسام نعيم واز احوال جهنم وعذاب وغلهاى گران وزنجيرها وسرابيل ومقامع حديد وحميم از زقوم وغسلين وغير ذلك واينكه قيامت يقين خواهد آمد وهيگ شكى در آن نيست وحق تعالى زنده ميكند آنانكه در قبور است .

فصل : واز اموريكه مؤمن متدين بايد اعتقاد كند رجعت محمد وأهل بيت طاهرين آن بزر گوار است صلى الله عليه وآله بآن نهج كه ما در جواب سؤال از رجعت بيان نموديم ومختصرش اين است كه چون آن سال آيد كه حضرت قائم عليه السلام در آن سال ظاهر ميشود وخروج ميكند عجل الله فرجه قحطى شديد واقع خواهد شد

وچون بیستم جمادی الأولی شود باران شدیدی ببارد که هر گز مثل آن باران از روزی که آدم علیه السلام بزمین آمده دیده نشده باشد وآن باران متصل می باشداز بیستم جمادی الأولی تا اول ماه رجب پس گوشتهای کسانیکه حق تعالی خواهد ایشان را بدنیا بر گرداند از مرد گان جمع شوند وباهم متصل گردد وبدن تمام شود ودر دهه اول از ماه رجب دجال خروج میکند از اصفهان وسفیانی عثمان بن عنبثه پدرش از ذریه عتبة بن أبي سفیان ومادرش از ذریه یزید بن معاویه علیه الهاویة خروج میکند از رمله از وادی یابس ودر ماه رجب ظاهر میشود در قرص آفتاب جسد امیر المؤمنین علیه السلام همگی خلایق او رامی شناسند ومنادی ندا می کند در آسمان باسم مبارك مطهر آن حضرت علیه السلام ودر اواخر ماه رمضان ماه منخسف شود ودر نیمه اش آفتاب منکسف گردد ودر اول صبح از روز بیست وسیم ماه رمضان ندا میکند جبرئیل در آسمان (**إلا أن الحق مع علي وشيعته**) ودر آخر روز ندا میکند ابلیس در زمین که : (**إلا أن الحق مع عثمان الشهيد لا رحمه الله وشيعته**) وهر دو صوت را کل خلایق میشنوند هر کس بلغت خود پس در این وقت شبهه اهل باطل قوت میگیرد وچون بیست وپنجم ذي الحجة شود کشته میشود نفس زکی محمد بن الحسن میانه رکن ومقام از روی ظلم وجور ودر روز جمعه دهم محرم ظاهر میشود نور الله الأکبر صاحب الزمان عجل الله فرجه وداخل میشود در مسجد الحرام واز پیش روی مبارکش هشت بز می باشد که حضرت ایشان را می راند وداخل مسجد الحرام میکند وخطیب را می کشد .

فصل : پس چون خطیب را بکشد غایب شود از مردم وداخل

کعبه شود چون بر آید بالای بام کعبه ندا کند سیصد وسیزده نفر اصحاب خود را پس همگی جمع میشوند در نزدش از مشرق ومغرب زمین پس چون صبح روز شنبه شود مردم را بدعوت خود خواند پس اول کسی که با او بیعت کند طایر ابیض جبرائیل علیه السلام خواهد بود وباقی می ماند در مکه تا اینکه ده هزار نفر بخیل لشکر آن جناب جمع شوند وسفیانی دو لشکر می فرستد یکی بجانب کوفه ولشکر دیگری بجانب مدینه پس عساکر مشئومش داخل مدینه شوند وقبر شریف مطهر را خراب میکنند وچهارپایان ایشان در مسجد رسول صلی الله علیه وآله پشکل اندازند وعسکر دیگر بجانب مکه فرستد تا مکه را خراب کنند چون به بیداء که قریب بمکه است رسند زمین ایشان را فرو گیرد وکلا هلاك شوند ونجات نمی یابد از ایشان مگر دو نفر یکی بجانب سفیانی رود تا او را خبر کند ودویمی بجانب قائم علیه السلام شتابد تا بشارت دهد آن بزر گوار را از واقعه عسکر پس آن حضرت بجانب مدينة روان شود وجبت وطاغوت این امت را از قبر نحس ایشان بیرون آورد وایشان را بدار کشد پس عنان عزیمت بجانب بلدان دیگر معطوف دارد ودجال را بکشد وبا سفیانی ملاقات کند پس سفیانی آمده با آن بزر گوار بیعت نماید پس اقوامش باو گویند که چه کردی گوید که بیعت کردم واسلام آوردم پس قومش گویند که ماهر گز موافقت باتو نخواهیم کرد پس همیشه اغوا می کنند او را تا اینکه بر حضرت قائم خروج کند پس آن حضرت آن ملعون را بجهنم واصل کند پس عساکر باقطار واطراف زمین فرستد تا اینکه پر کنند زمین را از عدل وداد وقسط چنانکه پر شده بود از ظلم وجور .

فصل : پس مستقر می شود در کوفه ومسکن عیال واهلش مسجد سهله خواهد بود ومحل حکم وقضا وفتوایش مسجد کوفه خواهد بود مدت ملکش هفت سال باشد لکن حق تعالی بلند کند روز وشب را تا اینکه یك سال بقدر ده سال شود زیرا که حق تعالی امر می کند فلك را که سرعت نکند وبطئ میشود حرکت فلك در آن سالها تا اینکه مدت ملکش هفتاد سال از سالهای معروف در زمان ما شود پس چون پنجاه ونه سال از حکومت حضرت قائم علیه السلام بگذرد خروج میکند سیدنا ومولانا الحسین علیه السلام باهفتاد ودو نفر از شهدای کربلا وبا ملائکة نصر شعث وغبر که در نزد قبر مطهر آن حضرت میباشند پس چون هفتاد سال بگذرد شهید می کند حضرت قائم علیه السلام را زنی از بنی تمیم که اسم او سعیده است وبرای آن خبیثه ریش است مثل ریش مردان بهاون از سنگ بر بالای بام می ایسند چون آن بزر گوار از آن کوچه عبور می کند آن ملعونه سنگ را فرو می آورد پس چون آن بزر گوار از عالم فنا ارتحال فرماید حضرت امام حسین علیه السلام او را تجهیز فرموده پس قائم بامر شود ویزید بن معاویه وعبیدالله بن زیاد وعمر بن سعد وشمر بن ذي الجوشن وکسانی که با ایشان در صحرای کربلا بودند وکسانی که بافعال قبیحه ایشان راضی شدند از اولین وآخرین لعنة الله علیهم أجمعین پس همگی ایشان را حضرت امام حسین علیه السلام بقتل رساند واز جملگی قصاص کند وبسیار میکند کشتن را درمیان مخالفین ودوستان ایشان تا اینکه مجتمع شوند بر آن حضرت جماعت اشرار وبقیه کفارتا اینکه غالب میشوند وآن بزر گوار را محاصره میکنند

در بيت الله الحرام پس چون امر بآن حضرت شديد شود خروج میکند سفاح امير المؤمنين عليه السلام با ملائكة براى نصرت فرزند گرامی خود پس می کشند اعداء دين ورؤساى منافقين را ومكث می کند آن بزر گوار بافرزند عاليمقدار خود مدت سيصد و نه سال چنانكه اصحاب كهف مكث نمودند پس آن حضرت را شهيد نمايند لعن الله قاتليه وباقى مى ماند حضرت امام حسين عليه السلام قائم بدين الله ومدت ملك آن حضرت پنجاه هزار سال است تا اينكه مى بندد ابروى خود را بدستمالى از شدت كبر سن وباقى مى ماند حضرت امير المؤمنين عليه السلام بعد از موت چهار هزار سال يا شش هزار سال يا ده هزار سال بنا بر اختلاف روايات پس برمى گردد بدنيا حضرت أمير المؤمنين عليه السلام با جميع شيعه زيرا كه آن حضرت دو بار كشته شود وباز زنده گردد چنانكه فرموده : **(أنا الذي أقتل مرتين واحيى مرتين ولي الكرة بعد الكرة والرجعة بعد الرجعة)** وائمه عليهم السلام جملگى بدار دنيا رجوع مى كنند حتى حضرت قائم عليه السلام بجهت اينكه براى هر مؤمنى يك كشته شدن است است ويك مردن وآن حضرت چون در دنيا شهيد شد پس لا بد بايست كه رجوع كند تا اينكه حكم مردن جارى شود ومجتمع ميشود ابليس واتباع آن نزد روحاء نزديك فرات پس مؤمنين از اصحاب امير المؤمنين عقب مى نشينند تا اينكه مردم بسيار در فرات غرق شوند پس در اين وقت ظاهر ميشود تأويل قوله تعالى : ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ پس فرود آيد رسول الله صلى الله عليه وآله در پارچه ابرى وبدست مباركش حربه اى است از نور پس ابليس

چون آن بزرگوار را ببیند فرار کند پس انصارش گویند که کجامی روی وحال اینکه نصرت ما نزدیك شده پس می گوید من می بینم آنچه را که شما نمی بینید ومن می ترسم از خداوند عالمیان پس رسول الله صلی الله علیه وآله بآن ملحق شده پس آن حربه را بر پشتش زده از سینه اش در آمده بجهنم واصل شود پس تمامی اصحابش را بقتل آورند پس در آنوقت در روی زمین حق تعالی را عبادت می کنند وهیچ شریکی برایش احدی قرار نمی دهد ومؤمن زندگانی می کند ونمی میرد تا اینکه هزار پسر برایش متولد شود پس چون جامه بولدش بپوشد در او ان طفولیت آن جامه با آن طفل نو می کند هر قدر که آن طفل بزرگ میشود آن جامه نیز بلند میشود ورنگ آن جامه بهر رنگ که میخواهد در آن ساعت میشود وبرکات زمین ظاهر میشود ومیوه زمستان را در تابستان ومیوه تابستان را در زمستان میخورند وهر گاه میوه از درخت بر زمین افتد همان دم در محلش در ختی میروید ودر آنوقت ظاهر میشود جنتان مدهامتان در نزد مسجد کوفه وحول او بما شاء الله پس حق تعالی میخواهد که حکم خود را نافذ فرماید در خرابی عالم بالا می برد رسول الله صلی الله علیه وآله را با اولاد طاهرین آن بزرگوار وخلایق بعد از رفع ایشان سلام الله علیهم چهل روز باقی می مانند در هرج ومرج تا اینکه اسرافیل نفخه در صور دمد وآنچه ما در اینجا ذکر کردیم از احوال رجعت جمله را از احادیث ایشان استفاده نموده ایم ومؤمن را لا بد است اعتقاد کند رجعت ایشان را سلام الله علیهم اجمعین بسوی دنیا وآن نظر باحادیث ایشان واجب است شك نمی کنند کسانی که ایمان بآن اخبار آورده اند

واما وجه اینکه نگفتیم واجب است بجهت خلاف بعضی از علما که حکم کرده اند که مراد از رجعت رجوع دولت وقیام قائم علیه السلام است نه رجوع اشخاص بعد از موت ایشان وحق واقع آن است که رجعت ایشان حق است بنص اخبار متکثره وقول باینکه این اخبار اخبار آحاد می باشد التفات نباید کرد بعد از حکم ظاهر قرآن ونص مقدار پانصد حدیث مروی از ایشان سلام الله علیهم وهر گاه دلیلی در این مقام نبود غیر از انکار مخالفین هراینه همین انکار ایشان به تنهائی کفایت می کرد در حقیقت مراد زیرا که رشد وهدایت در مخالفت ایشان است .

خاتمه : وآنچه ملحق می شود بباب اصول دین کلام در آجال وارزاق واسعار است اما اجل بدانکه آن عبارت از وقت حدوث شيء است واجل موت عبارت است از انتهاء مدت بقایش در دنیا وانتهاء آنچه حق تعالی برایش قرار داده از رزق وحیات وسایر تقدیرات واني اجل حاصل میشود بموت وبقتل اما موت پس آن بر دو قسم است موت طبیعی وغیر طبیعی است اما موت طبیعی پس آن صد سال است یا هشتاد سال است یا صد وبیست سال بنا بر اختلاف واختلال در فصول انسانیه فصل ربیع بهار است وتابستان وپائیز وزمستان چه احتمال دارد که فصل ربیع در انسان بیست سال باشد یا بیست وپنج سال یا سی سال وهر کدام قائل دارد همچنین است سایر فصول پس اجل ظاهر شود نزد انتهاء آنچه قلم اعلی بآن در لوح محفوظ جاری شده از مدت بقایش در این دنیا واز مدت ارزاق وامدادات دنیاویه بالنسبة بشخص از انواع رزق مختلف بحسب قابلیات مثل اکل وشرب ولبس وعلم وفهم وغیر

ذلك پس هر گاه شخص از ماحض الایمان است یا ماحض الکفر باقی می ماند از آنچه مقدر شده بود برایش در دنیا در لوح محفوظ بقدر آنچه مقدر شده است از برای بقایش در نزد قیام قائم علیه السلام یا رجعت پیغمبر واهل بیت طاهرین سلام الله علیهم وآن اجل که حاصل میشود بموت طبیعی بنا بر حسب سببی است که مقتضی موتش گشته زیرا که معصیت گاه هست محو می کند آنچه را که مکتوب شده است از برای انسان از رزق واجل پس می میرد وباقی نمیماند از آن امور که برایش تقدیر شده بود مگر آنچه که مقدر شده است بقاء برایش نزد قیام قائم علیه السلام هر گاه ماحض الایمان یا ماحض الکفر باشد واما آن اجل که باعتبار قتل حاصل میشود پس خلاف کرده اند در آن (**بعضی**) بر آنند که باجلش میمیرد وقتل مطابق افتاد با اجلش (**وبعضی**) گفته اند پیش از اجل خود میمیرد واین طایفه اختلاف کرده اند پس بعضی بر آن رفته اند که قبل از اجل خود بچهل روز می میرد که هر گاه قتل نبود هراینه چهل روز زند گانی مینمود (**وبعضی**) گفته اند که امر بر ما مجهول است نمیدانیم که زند گانی میکرد یا نه : (**وبعضی**) کلمات دیگر نیز گفته اند وآنچه فهمیدم از احادیث ائمة علیهم السلام که کشته میشود پیش از اجل خود وهر گاه کشته نمیشد زند گانی میکرد در دنیا مقدار دو سال ونیم که عبارت از سی ماه باشد واما رزق پس آن عبارت از چیزی است که منتفع شود از او صاحب حیات در حال حیاة خود واز برای غیر خدا ورسول صلی الله علیه وآله نیست که منع کند رزق را از شخص صاحب حیاة پس بنا بر این ظاهر میشود که حرام رزق نیست ودلیل بر اینکه حرام

رزق نیست اخبار ائمه علیهم السلام است وقرآن نیز بر آن دلالت دارد چه میفرماید : ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ پس مدح کرد حق تعالی ایشان را بر انفاق ارزاق وهر گاه حرام رزق می بود هراینه مذمت می کرد ایشان را بر انفاق او زیرا که او تصرف در مال غیر است بدون اذنش واما اسعار پس ارزانی عبارتست از پائین آمدن قیمت شيء از آنچه عادت بآن جاری شده بود در وقت مخصوص ومکان مخصوص بعضی گفته اند که این گرانی وارزانی گاهی از جانب حق تعالی میشود باین طریق که کم میکند امتعه را وبسیار میکند رغبت مردمان را بسوی آن پس گران میشود قیمتها وگاهی بعکس رفتار میکند پس ارزان میشود وگاهی از غیر جانب حق تعالی است باینکه منع میکند سلطان مردمان را از آوردن امتعه پس گران می شود ومنع می کند ایشان را از خریدن پس ارزان می شود وبآن آنچه وارد می شود بر مردمان از آلام وهموم بر ظالم است وحق در این مسئله اینست که گرانی وارزانی بتقدیر حق سبحانه وتعالی است واعمال مردمان وبیانش آنست که حق سبحانه گاهی کم میکند امتعه را با اسباب وجودش مثل قلت امطار وسبب این تقلیل یکی از سه امر است .

(اول) اینکه عقوبت است برای بعضی از اهل معاصی بآنچه که کرده بودند پس میرسد آن عقوبت بایشان وبکسانی که با ایشان بودند هر چند خود عاصی نباشد پس بایشان عقوبت میرسد بجهت اینکه با ایشان بودند چنانچه حق تعالی میفرماید : ﴿ فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ﴾ یعنی منشینید با عاصیان ومنافقان در حال معصیت ایشان تا اینکه از آنحال بحال

دیگر انتقال نمایند والا شما نیز مثل آنها خواهید بود (**ودویم**) اختبار وامتحان عباد است چنانچه فرمود حکایت از سلیمان : ﴿ لِيَبْلُوَنِيٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ﴾ تا بچشاند بایشان حلاوت فرح چنانکه فرمود ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ یعنی ما می آزمائیم مردمان را باینکه مبتلا می کنیم ایشان را بخوف وگرسنگی وکمی مال واولاد وخشکی مزارع وبساتین پس بشارت باد صبرکنند گان را بانواع ثواب .

(**سیم**) آنکه رفع کند درجه شاکرین را بر رخا وارزانی ودرجه صابران را بر بلا وگرانی زیرا که دنیا برای مؤمن همچو زندان است وآنچه گفتیم سابقا کم میکند اسباب وجود متاع را مراد من اسباب قابلیت وجود اوست مثل بسیاری طالب وایجاد کسانی که متاع را میخرند ونگاه میدارند تا گران شود که بفروشند ومنع امطار وخوف راهها وزیادتی قطاع الطریق وامثال اینها از اموریکه حق تعالی وامیگذارد آنکه مخالفت میکند محبة الله را بنفس خود تا صادر میشود از آن اسباب منع از معاصی واز ظلم بند گان وغیر ذلك چه هر چه که سبب گرانی شود آن بعلت تقصیر است در حق معبود زیرا که مقتضای کرم رخا وارزانی وخلاف مقتضی بعلت وجود موانع است از تقصیرات قوابل مکلفین وهر گاه ادا کنی کلام را باین طریق که گرانی وارزانی از جانب حق تعالی است باین معنی که تقدیر کرده اسباب آنرا بتقصیرات مکلفین در گرانی وباعمال عباد در ارزانی باین معنی که معامله کرده بایشان بعدل خود در گرانی وتفضل کرده وتجاوز کرده از تقصیرات ایشان در ارزانی پس حق گفته باشی وطریق صواب اختیار نموده باشی

وواجب است برندگان شكر حق تعالى بر نعمتهايش وحمدش بر كرم وآلايش ورضا در هر حالى بقدرش وقضايش پس بدرستى كه او تعالى ولى هر خيرى است وصلى الله على محمد وآله الطاهرين وفارغ شد از نوشتن وسياه كردن اين اوراق عبد مسكين احمد بن زين الدين الأحسائي .

تا اينجا تمام شد ترجمه كلام شريف ايشان وحقير نظر بوفور اشغال در دو روز ترجمه اش بانجام رسانيده لكن فرصت مراجعت وتأمل در بسط بعضى مقامات وتادية كلام بوجه احسن وزين نشده والميسور لا يسقط بالمعسور والى الله ترجع الامور والسلام على من اتبع الهدى .



الرسالة الخاقانية في جواب سؤالات السلطان فتح علي شاه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين .

أما بعد ، فيقول العبد المسكين أحمد بن زين الدين الأحسائي : إن حضرة الجناب العالي الشأن الوثيق الأركان حاوي السلطنتين ، سلطنة العقل والفهم وسلطنة الملك والسلطان زينة الزمان وفخر ملوك الرئاسة والسلطان ، وفجر النور إذا استبان معز المؤمنين ببسط الإحسان ، ومذل كل متمرد فتان ، ظل الله على عباده المؤمنين بالأمان وحصنه المنيع البنيان الحائط لحوزة هذا الدين عن استيلاء أهل الأديان ، وحافظ الإسلام والإيمان المحفوظ بعين الملك الديان من شر كل جبار وشيطان من مردة الإنس والجان ، السلطان ابن السلطان ابن السلطان والخاقان بن الخاقان ابن الخاقان بن الخاقان السلطان ، فتح علي شاه الممدود بالنصر من مدد الرحمن ، أدام الله دولته وخلد سلطنته وحفظ مهجته وألقى في قلوب العباد محبته ورفع على ملوك أهل الأرض رتبته . اللهم فكما وهبت له الحكمتين ، حكمة الفطنة ، وحكمة السلطنة ، فهب له من فضلك في هذه الدنيا طول البقاء ومكّنه في أرضك كما يشاء واجعل له عندك حسن اللقاء وتوجّه بتاج النصر من مدد قوتك القاهرة وألبسه جمال هيبتك الباهرة ، واجعل عاقبة أمره إلى نعيم جنة الدنيا ،

ونعيم جنة الآخرة ، فإن ذلك عليك سهل يسير وأنت على كل شيء قدير ، وبالإجابة جدير ، آمين رب العالمين . قد ألقى إلى داعيه الفقير المقر بالقصور والتقصير مسائل عظيمة تشتمل على فروع كثيرة ومطالب دقيقة منيرة تشهد لذلك الجناب المحترم بدقة النظر واستقامة الفكر وقوة المعتبر ، وتدل من حضر ونظر على صحة المثال الذي اشتهر كلام الملوك ملوك الكلام ، فهذا العيان لذاك الخبر طلب حرسه الله من الداعي له بحسن الهداية والتوفيق إلى سواء الطريق والسلامة من التعويق بيانها على جهة التحقيق ، وشرحها على طور التعمق والتدقيق ، فقمت على ساق الامتثال على سبيل الاستعجال مع ما في القلب من دواعي الإشغال والاشتغال بمعاناة الحل والارتحال بما يضيق به المجال ، سائلاً من الله المدد في الأقوال والأفعال . إنه سميع الدعاء لطيف لما يشاء .

قال أدام الله دولته وخلد سلطنته ـ : إذا فارق الإنسان هذه الدار وقد كان من المؤمنين الأخيار ، لحقت روحه بالجنة كما تدل عليه ظواهر الأخبار ، يتنعم فيها ، فما الذي يلحق بالجنة هل هي صورة الروح وحدها ، أم هي مع مثاله ؟ أم هما مع جسمه أيضاً ؟ فإن كانت الروح وحدها كانت لذتها معنوية كلذة التصور ، وهذه لذة ناقصة ومثل ذلك لا يكون فيه ترغيب للمكلفين وإن كانت مع المثال فكذلك لأن المثال صورة برزخية لا تتقوّم إلا بغيرها ، وتقوّمها بغير الأجسام محال ، لأنها تحت رتبة الأرواح فإذا لم تكن في جسم لم تُفِد الروح زيادة إحساس ، وإن كان ذلك مع الجسم تم النعيم وحسن به ترغيب المكلفين ، ولكن المعروف أن الأجسام تبقى في قبورها رهينة إلى أن ينفخ في الصور ، فيبعث من

في القبور ، ثم التنعم هل هو مشابه لتنعم الدنيا أم طور آخر وهل فيها نكاح أم لا وهل نكاح أهل الجنة كنكاح أهل الدنيا أم لا ؟

أقول : إن المؤمن إذا حضره الموت ، حضره محمد وعلي والأئمة عليهم السلام ، وملك الموت وجبريل فيقول جبريل : يا محمد إن هذا من محبيكم فارفق به فيقول محمد صلى الله عليه وآله : يا علي إن هذا من محبيك فارفق به ، فيقول علي : يا ملك الموت إن هذا من محبينا فارفق به ، فيقول ملك الموت : إني لأشفق عليه من آلام الشفيقة ثم تأتي المؤمن ريح من الجنة يقال لها المنسية تنسيه الدنيا وأهله وماله ، ثم تأتيه ريح من الجنة أخرى يقال لها المسخية تسخيه ببذل روحه وتشوقه إلى لقاء الله ، ثم يكشف له ملك الموت : عن بصره فيقول له ملك الموت : هذا قصرك في الجنة فيصعد محمد وأهل بيته فيقعدون في ظل القصر فيقول له ملك الموت هؤلاء أولياؤك في ظل قصرك ، أتحب أن أنقلك إليهم ، فيقول : عجل بذلك ، فيظهر له ملك الموت بصورة جميلة لا يرى مثلها فيراه المؤمن فتنجذب إليه روحه تعشقاً كانجذاب الحديد للمغناطيس . وورد عن أهل العصمة عليهم السلام ، (**إن روح المؤمن حال قبض ملك الموت لها تخر ساجدة تحت العرش لله تعالى ، ثم يأذن لها فتأتي إلى جسده فتحضره عند التغسيل والتكفين وإنها لترى من يبكي عليه فإذا نقل إلى قبره سارت أمام حامليه**) ، وفي رواية (**ترفرف على الجنازة**) ، ومعنى أنها تخر ساجدة أنها حال قبض ملك الموت لها لا تحس بنفسها ولا تشعر ونظيره أن الإنسان حال الدخول في النوم لا تحس ولا تشعر وحال الخروج منه ، كذلك الإنسان حال الموت وحال البعث .

قال صلى الله عليه وآله : (**كما تنامون تموتون وكما تستيقظون تبعثون**) فإذا وضع في قبره وشرج عليه اللبن والطين أتاه رومان فتان القبور فيقعده وترد روحه فيه إلى صدره فيقول له : اكتب أعمالك ، فيقول : ليس عندي قرطاس ، فيقول : خذ قطعة من كفنك ، فيقول : ليس عندي دواة ، فيقول : ريقك ، فيقول : ما عندي قلم ، فيقول : إصبعك ، فيقول : ما أعرف أعمالي ، فيقول : أنا أذكرك بها ، قلت : كذا وفعلت كذا في اليوم الفلاني والساعة الفلانية فلا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا ذكرها وهو قوله تعالى : ﴿ يَٰوَيۡلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ ﴾ ثم يأخذ ذلك الكتاب ويضعه في عنقه فيكون عليه كجبل أُحد وإن كان مؤمناً يستر به لأنه مملوء حسنات وذلك قوله تعالى : ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلۡزَمۡنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦۖ وَنُخۡرِجُ لَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ كِتَٰبٗا يَلۡقَىٰهُ مَنشُورًا ﴾ ، فإذا فرغ رومان فتان القبور ، أتى منكر ونكير وهما العبدان الأسودان الأزرقان رأساهما في السماء السابعة وأرجلهما في الأرض السابعة ، يطآن في شعورهما يخطان الأرض خطًّا بيد كل واحد مدية من نار ، فإن كان الميت مؤمناً حضر عنده علي بن أبي طالب عليه السلام ، ويسألانه عن جميع ما أريد منه وعلي يلقنه فيقولان له : نم نومة العروس نومة لا حلم فيها .

واعلم ، أن العبدين منكراً ونكيراً يأتيان الميت بهذه الصورة الهائلة فإن كان مؤمناً كانت روعته منهما آخر ما يكره وكفارة لجميع ذنوبه وإن كان منافقاً كان ذلك أوّل عذابه ، فإذا فرغ من الحساب لحقت روحه بالجنة جنة الدنيا ، فإذا قدم اجتمعت الأرواح ، فيقولون لبعضهم بعضاً : دعوه يستريح فإنه خرج من هول فإذا

استراح سألوه عن أهل الدنيا ما حال فلان وما حال فلانة ؟ فإن قال : قد خرج من هولٍ فإذا استراح سألوه عن أهل الدنيا ما حال فلان وما حَال فلانة فإن قال قد خرج من الدنيا فيقولون : هوى هوى لأنهم لم يروه ، وإن قال : تركته في الدنيا ترجوه ، فإذا كان يوم الجمعة ويوم العيد عند طلوع الفجر أتتهم الملائكة لكل واحد بناقة من نوق الجنة وعليها قبة زمرد يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها ويركب فيصيح بهم جبرائيل عليه السلام ، فيطيرون في الهواء ما بين الأرض والسماء حتى يأتوا النجف الأشرف عند قبر أمير المؤمنين عليه السلام فيبقون هناك إلى الزوال ، وعند الزوال يستأذنون جبريل عليه السلام في زيارة أهاليهم ومواضع حفرهم ومعهم ملائكة يسترون عنهم من أهاليهم وأحوالهم كلّ ما يكرهون حتى لا يروا إلا ما يحبون ، ويبقون إلى أن يصير ظل كل شيء مثله ، ثم يصيح بهم جبريل فيركبون مطاياهم ، فيطيرون إلى روضات الجنان يتنعمون فيها .

ومنهم من يأتي وادي السلام ويزور قبره وأهله كل يوم لقوة إيمانه .

ومنهم من لا يزورهم إلا في الأعياد وذلك على حسب إيمانهم من القوة والضعف وذلك قوله تعالى : ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا ﴿٦٠﴾ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَأۡتِيّٗا ﴿٦١﴾ لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوًا إِلَّا سَلَٰمٗاۖ وَلَهُمۡ رِزۡقُهُمۡ فِيهَا بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا ﴾ وهذه جنة الدنيا عند مغرب الشمس ولهذا قال : ﴿ بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا ﴾ لأن جنات الآخرة ليس فيها عشيّ ، ولا غدو ، ولا بكرة وإنما هي نور موجود ، وظل ممدود ولا

يزالون كذلك يقولون : ربنا عجل قيام الساعة لما ظهر لهم مما أعدّ لهم من النعيم المقيم ، ولا يزالون كذلك إلى رجعة آل محمد صلى الله عليه وآله ، فيكرّون معهم لأنهم محضوا الإيمان محضاً ، ومعنى أنهم محضوا الإيمان محضاً أنهم عرفوا أمير المؤمنين عليه السلام بالمعرفة النورانية ، وأقروا بجميع فضائله عليه السلام ، ومعنى معرفته النورانية أنهم يعرفون أنه الصراط المستقيم وسبيل الله ورحمته ووجه الله وعينه الناظرة وأذنه الواعية ، ويعلمون أن من مات عارفاً بذلك ممتثلاً لأمر الله ونهيه أنه يموت شهيداً وإن مات مريض فراشه سنّة وهو معنى ما روى عن الباقر عليه السلام ، (**أن ما من مؤمن يؤمن بتأويل قوله تعالى : ولئن قتلتم في سبيل الله ، أو متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون ، ولئن متم أو قتلتم لإلى الله تحشرون إلا وله ميتة وقتلة إنه من مات قتل ومن قتل بعث حتى يموت**) ، وقد سئل عن تأويلها فقال ما معناه : (**إن سبيل الله هو علي عليه السلام والقتل في سبيل الله هو القتل في سبيل علي** [ع] **وأصحاب الشمال وهم المنافقون على العكس من كل ما سمعت ، وأن ملك الموت يتصور للمنافق بأخوف صورة تكون بعد أن يحضره محمد وأهل بيته صلى الله عليه وآله ، فيوصون ملك الموت بأن هذا عدونا فشدد عليه فيظهر له ملك الموت بأشوَه صورة ، فإذا رآه انجذبت روحه إليه كانجذاب الفريسة إلى الأسد من شدة الخوف ، وبعد الحساب يضربه منكر ونكير بمرزبة من حديد قد حمّيت في النار سبعين سنة ثلاث مرات ، كل مرة يتطاير جسده كالهباء فيعيده الله ثم يضربه ثانية وثالثة وتلحق روحه بنار الدنيا عند مطلع الشمس ، يعذبون عند طلوعهم وعند غروب**

الشمس تأتي بهم ملائكة العذاب يسحبونهم بسلاسل من نار إلى عند بئر برهوت في حضرموت من اليمن يعذبون ، ولقد رأيت في الطيف أن بعض المنافقين[١] ورئيسهم أنه أتى به في عيون بقر يعذب فيه ، وكنت سمعت ذلك الاسم ولا أعلم موضعه ، فكنت في اليقظة قاعداً مع جماعة ومعنا رجل كبير من العرب فذكر شخص منا عيون بقر ، فقال الرجل : هل تعرفون عيون بقر ؟ فقلنا : لا نعرف ذلك ، فقال : هو وادٍ في ناحية الشام وكنا نقرب منه من بعيد وهو منخفض لا يمكن أن ينظر إليه ، وله دوي شديد ودخان يصعد منه ، ولا شك أنه من أودية جهنم وأن لكل وادٍ منهم سكاناً والمثل عندنا بذلك مشهور فإنهم إذا غضبوا على شخص قد ولى عنهم قيل له : في سقر وعيون بقر ، ولا كنا نعرف ذلك إلا من هذا الطيف أنه يعذب فيه ذلك المنافق لعنه الله ، ومن هذا الرجل الذي وصفه ابتداء منه بما تدل القرائن الحالية على صدقه وكان ذلك الطيف في زمان المكاشفات والمبشرات التي ترد عليّ ، ولا يزالون يقولون : يا ربنا أخّر قيام الساعة لما ظهر لهم مما أعد لهم فيها من العذاب الأليم ولا يزالون كذلك إلى رجعة آل محمد صلى الله عليه وآله فيرجعون معهم لأنهم محضوا الكفر محضاً . هذا صورة الموت وما بعد الموت قبل القيامة على سبيل التعداد ليبتنى عليه المراد ، وبالله الهداية إلى سبيل الرشاد .

فأقول قوله : أدام سلطنته ، ورفع على جميع الملوك رتبته ، فما الذي يلحق بالجنة إلخ ، اعلم أن الذي يلحق بالجنة جنة الدنيا هو

(١) هو الثاني منه (أعلى الله مقامه).

الذي يقبضه الملك وهو الإنسان الحقيقي وأصل وجوده مركب من خمسة أشياء : عقل ونفس وطبيعة ومادة ومثال فالعقل في النفس ، والنفس بما فيها في الطبيعة ، والكل في المادة ، والمادة بما فيها إذا تعلق بها المثال تحقق الجسم الأصلي ، وهو الغائب في العنصري المركب من العناصر الأربعة النار والهواء والماء والتراب ، وهذا العنصري هو الذي يبقى في الأرض ويفنى ظاهره فيها ، وهو ينمو من لطائف الأغذية وإنما قلت : يفنى ظاهره في الأرض لأن باطنه يبقى ، وهو الجسد الثاني وهو من عناصر هورقليا الأربعة وهي أشرف من عناصر الدنيا سبعين مرة ، وهذا هو الذي يتنعم ، لأن المؤمن بعد الحساب في قبره يخدّ له خداً من قبره إلى الجنة التي في المغرب يدخل عليها منها الروح والريحان وهو قوله تعالى : ﴿ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴾ والذي يتنعم بهذا الروح هو الجسد الثاني الذي هو العنصري في هورقليا وهو في باطن الجسد الأول الظاهري الذي هو من العناصر المعروفة .

وأما الذي يخرج مع الروح ، فهو الجسم الحقيقي المركب من الهيولى والمثال وهو الحامل للطبيعة المجردة والنفس والعقل ، وهو الإنسان الحقيقي ، وهذا الجسم من جنس جسم الكل ، ورتبته في رتبة محدب محدد الجهات وقوة لذته في الأكل والشرب والملبس والنكاح بقدر قوة لذة الجسد العنصري سبعين مرة ، وهذا الجسم الحقيقي لا تفارقه الروح ولا يفارقها إلا بين النفختين ، فإنه إذا نفخ إسرافيل في الصور نفخة الصعق ، وهي نفخة الجذب ، انجذبت كلّ روح إلى ثقبها من الصور وله ست مخازن ، فأول

دخولها تلقى في المخزن الأول مثالها ، وفي الثاني هيولاها ، وفي الثالث طبيعتها ، وفي الرابع النفس ، وفي الخامس الروح ، وفي السادس العقل ، فإذا تفككت بطلت وبطل فعلها فهي ليست بفانية إلا بهذا المعنى ، ولا ممازجة لأن الممازجة إنما هي في النفوس النباتية والحيوانية ، أما النباتية فلأنها من نار وهواء وماء وتراب فإذا فارقت عادت إلى ما منه بدئت عود ممازجة لا عود مجاورة ، فتعود الأجزاء النارية إلى النار وتمازجها ، والهوائية إلى الهواء ، والمائية إلى الماء ، والترابية إلى التراب .

وكل واحد يمازج ما منه أخذ وكذلك النفس الحيوانية ، فإنها أخذت من حركات الأفلاك ، فإذا فارقت عادت إلى ما منه بُدئت عود ممازجة لا عود مجاورة ، لأنها قوى أُلّفت من قوى الأفلاك بتقدير حركاتها تعلقت بالطبائع التي في الدم الأصفر تعلق ارتباط والدم الأصفر في العلقة التي في تجاويف القلب ، والدم الذي هو في البدن تقوّم بالعلقة والبدن تقوّم بالدم ، ومعنى تعلقها بالطبائع أن الطبائع البسائط لمّا تألفت على هذا الترتيب حرارة ويبوسة وبرودة ورطوبة وكانت معتدلة في الوزن الطبيعي ، بأن تكون الأربعة خمسة أجزاء لأن البرودة جزآن حصل منها بخار معتدل فكرت عليه الأفلاك ، فاعتدل في نضجه ، فناسبها ، فاكتسب من قواها قوة الحياة بواسطة حركاتها وأشعة كواكبها ، فذلك البخار المعتدل نضجه بمنزلة الأجزاء الدخانية من الأجزاء الدهنية في السراج إذا قاربت في الاحتراق الدخان ، والروح الحيوانية بمنزلة استنارة تلك الأجزاء الدخانية عن النار ، فكما أن الاستنارة إنما هي من الكثافة المنفعلة بالضوء عن النار كذلك ذلك البخار المعتدل نضجه انفعل

بالحركة والحياة الحيوانية عن نفوس الأفلاك من طبائعها السارية بواسطة حركاتها وأشعة كواكبها ، فإذا فارقت عادت إلى ما منه بدأت ، عود ممازجة لا عود مجاورة لأنها في الحقيقة تألفت من طبائعها التي هي صفات نفوسها ، فمع المفارقة يرجع كل إلى أصله ممتزجاً معه كالقطرة في الماء فافهم وهاتين النفسين بعد الموت وتلحقان بأصلهما .

هذا حكم ظاهرهما وأما حكم باطن النباتية فإنها تبقى في القبر وهي عناصر هورقليا ويأتيها الروح والريحان من الجنة ، وأما باطن الروح الحيواني فإنها من طبائع نفوس أفلاك هورقليا وهي تلحق بالجنة جنة الدنيا كما مرّ ، والحاصل ، أن الروح لا تنفك عن الجسم الأصلي إلا بين النفختين نفخة الصعق ونفخة البعث ، فجواب قوله : أدام الله تأييده ونصره ، الروح وحدها أم مع المثال أم مع الجسم هو أن الذي يمضي إلى جنة الدنيا الروح مع الجسم الأصلي ، لأن الروح فيها العقل وهي في الطبيعة والجسم هو الهيولى والمثال ، ولهذا كان إحساسه ولذته أقوى من الدنيا سبعين مرة لأن لذته حسية معنوية وعلى هذا يحسن به ترغيب المكلفين .

وأما الذي يبقى في القبر ، فهو الجسد الثاني الذي من عناصر هورقليا ، وأما الذي من هذه العناصر فإنه يفنى ولذلك أمثلة كثيرة نذكر بعضاً منها ، مثاله الزجاج فإنه من الصخر والقلى وهما كثيفان بمنزلة الجسد العنصري المعروف عند العوام فلمّا أذيب ذهبت منه الكدورة فكان هو بنفسه زجاجاً شفافاً يرى ظاهره من باطنه وباطنه من ظاهره ، وهو نظير الجسد الثاني الذي يبقى في القبر ، يدخل عليه من الجنة روح وريحان والكثافة نظير الجسد العنصري ، انظر

كيف خرج من الصخر والقلى الكثيفين جسداً شفافاً لطيفاً وهو ذلك الصخر وهو غيره .

وهذا الزجاج إذا أذيب وألقي عليه دواء يجمع لجسمه في الطبع كان بلوراً ، كما لو أُلقي عليه دواء الحكماء الذي هو إكسير البياض فيكون بلوراً يحرق في الشمس ، لأنه يجمع الأشعة التي تقع عليه من الشمس ، وهذا من الزجاج بل هو غيره بل هو هو وإنما أتاه شيء صفاه حتى كان أعلى رتبة من الأول .

وهذا نظير الجسم الذي يخرج مع الروح ويدخل جنة المغرب جنة الدنيا .

وهذا البلور ، إذا أذيب وألقي عليه الإكسير الأبيض مرة أخرى كان ألماساً ، هو من البلور بل هو غيره بل هو هو وقد كان صخراً كثيفاً ، فلما أذيب كان زجاجاً شفافاً ، فلما أذيب وألقي عليه الدواء الأبيض ، كان بلوراً محرقاً ولما أذيب ثانياً وألقي عليه الدواء ثانياً كان ألماساً إذا وضع على السندان وضرب بالمطرقة غاص فيهما ولم ينكسر ، وإذا ضرب بالأُسرب وهو الرصاص الأسود انكسر أجساماً مثلثة مكعبة ، وكل مكعب إذا كسر بالأُسرب انكسر مثلثاً مكعباً ، وهذا علامة صحة كونه ألماساً وكونه ألماساً دليل على أنه كان غائباً في حقيقة الصخر لأنه قد تركب من الأصلين المعروفين وهما الزيبق والكبريت على ما قرر في الطبيعي ، وهذا الألماس المتخلص من البلور المتخلص من الزجاج المتخلص من الصخر نظير أجسام المؤمنين في جنة الآخرة .

ومثاله أيضاً القلعي مثلاً فإنه بمنزلة الجسد العنصري الأول المعروف في الدنيا ، وإذا ألقي عليه الإكسير الأبيض كان فضة

صافية وكان بمنزلة الجسد الثاني الذي يبقى في القبر يدخل عليه من جنة الدنيا الروح والريحان ، وإذا ألقي عليه الإكسير الأحمر كان ذهباً خالصاً وكان بمنزلة الجسم الذي يخرج من الجسد مع الروح الذي يلحق بعد الموت بجنة الدنيا ، يتنعم فيها ، وإذا ألقي عليه الإكسير الأحمر مرة ثانية كان إكسيراً وكان بمنزلة الجسم الذي يدخل جنة الآخرة وكونه إكسيراً علامة ودليل على أنه كان غائباً في حقيقة القلعي لأنه قد تركب من الأصلين المعروفين ، وهذا الإكسير المتخلص من الذهب المتخلص من الفضة المتخلص من القلعي نظير جسم الآجُرّة ولذلك أمثال كثيرة يعرفها أهل البصيرة .

وقوله أعلى الله شأنه وشد أركانه : ثم التنعم هل هو مشابه لتنعم الدنيا أم طَورٌ آخر ؟

جوابه : أن نعيم جنة الدنيا مشابه لنعيم الدنيا بمعنى أن جميع ما في الدنيا من الفواكه والمطاعم والملابس والسلطنة والعزة مشابه لما في جنة الدنيا لأن تلك هي الأصل ، وإنما هذه مثال وتذكرة وذكرى للذاكرين ، وكذلك ما في جنة الدنيا مثال وتذكرة لجنة الآخرة وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى : ﴿ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَـٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَـٰبِهًا ۖ ﴾ وقوله صلى الله عليه وآله : (**الدنيا مزرعة الآخرة**) ، فلا يكون شيء هناك إلا وله مثل آية يستدل بها عليه في الدنيا ، ولهذا لما سئل الحبر النصراني محمد بن علي الباقر عليه السلام عن أهل الجنة كيف يأكلون ولا يتغوطون فأجابه عليه السلام فقال له فما نظيره في هذه الدنيا فقال : (**الجنين في بطن أمه يغتذي ولا يتغوط**) ، حتى أنه لما ثبت أن في الجنة أشجاراً تنبت بنساء معلقات بشعورهن خلق

الله لذلك مثلاً وهو ما في جزائر الواق واق فإن هنالك أشجاراً تحمل بنساء أجمل ما وجد في الدنيا ، ولقد نقل المؤرخون أن بعض المسافرين إلى تلك النواحي دخل هذه الجزيرة وقطف منها نساء وواقعها ووجد لذة لم يجدها في نساء أهل الدنيا ، وذكروا أنها إذا رأت الرجل أومأت إليه بيدها أن أقبل ، وتقول في كلامها : واق واق ولهذا سميت جزيرتهم جزائر الواقواق .

وقوله ـ أدام الله جميل بقاءه وأمده بتأييده من نصره وعطائه ـ : وهل فيها نكاح أم لا ؟ **جوابه** : إن تلك الجنة مظهر لجنة الآخرة والدنيا مثال لها فكما يوجد في الدنيا يوجد في جنة الدنيا ، وما يوجد في جنة الدنيا يوجد في جنة الآخرة ، فكما في الدنيا والآخرة نكاح ، ففي جنة الدنيا نكاح ، لكن بعض العلماء سئل عن ذلك فقال : الأدلة خالية من ذلك وتوقف في الجواب ، ولكن أقول : إن الأدلة مصرحة بذلك منها ما أشار إليه صلى الله عليه وآله ، بقوله صلى الله عليه وآله : (**الدنيا مزرعة الآخرة**) وقوله تعالى : ﴿ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًاۙ قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًاۖ ﴾ وكذلك من الأدلة أن آدم وحوى خلقا في الجنة وسكنا فيها ونكح فيها ، وكذلك في رواية المفضل بن عمر الطويل في الرجعة قال في آخره بعد ذكر أن المؤمنين يكونون في نعيم بعد قتل إبليس وجنده ولا يموت الرجل حتى يرى من نسله ألف ولد ذكر ، قال عليه السلام : (**وعند ذلك تظهر الجنتان المدهامتان عند مسجد الكوفة وما وراء ذلك بما شاء الله**) والجنتان المدهامتان هي جنة الدنيا لا جنة الآخرة .

وقوله عليه السلام : (**عند مسجد الكوفة**) يريد به النجف

الأشرف لأنه هو الذي يأوي إليه الأرواح من جنة الدنيا ، فالنجف قطعة من تلك الجنة في الظاهر ، وأما في الباطن ، فالجنة التي في المغرب التي تأوي إليها الأرواح قطعة من النجف الأشرف ، فتظهر الجنة في آخر الرجعات في النجف الأشرف وهي الجنتان المدهامتان اللتان ذكرتا في القرآن وفيه : ﴿ فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٧٤﴾ ﴾ إلخ ، وإلى أن هذه الجنتين المدهامتين من جنان الدنيا الإشارة بقوله تعالى : ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾ يعني في الآخرة ثم عطف على الكلام فقال : ﴿ مِن دُونِهِمَا ﴾ أي من دون جنتي الآخرة أي لمن خاف مقام ربه جنتان ﴿ مُدْهَآمَّتَانِ ﴾ بعد الموت من دون جنتي الخلد ، أي من قبلهما ، فمعنى دون قبل باعتبار وأقل باعتبار لأن جنتي الدنيا أقل من جنتي الآخرة في الرتبة والشرف وغير ذلك . وهذا المعنى وإن لم يذكره المفسرون إلا أن أهل العصمة عليهم السلام نبهوا على ذلك من كان حياً ، وهو من ألقى السمع وهو شهيد ، نعم جنة الدنيا هي ظاهر جنة الآخرة ونار الدنيا هي ظاهر نار الآخرة وإلى ذلك أشار سبحانه في كتابه العزيز قال في حكم الجنة إلى أن قال : ﴿ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ يعني جنة الدنيا ثم قال تعالى : ﴿ تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴾ يعني في الآخرة فدل على أن جنة الدنيا هي التي نورث في الآخرة وقال في حكم النار : ﴿ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ ﴾ أجمع القراء على الوقف على الساعة ، وعلى عدم الوقف على عشياً ، فقال : ﴿ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ ﴾

يعني في الدنيا وقوله تعالى : ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ﴾ يعني في الآخرة ، فكانوا يعرضون على النار في الدنيا غدواً وعشياً وفي الآخرة يوم تقوم الساعة وهذا ظاهر لمن تدبر وقوله تعالى : ﴿أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ كلام مستأنف .

وقوله : أطال دوام دولته وبقاء سلطنته ـ : وهل نكاح أهل الجنة كنكاح أهل الدنيا أم لا ؟

جوابه : أن الأدلة السابقة تدل على أن نكاح أهل الجنة كنكاح أهل الدنيا بهيئته المعروفة ، إلا أن اللذة في جنة الدنيا بقدر لذة نكاح الدنيا سبعين مرة ، ولذة نكاح أهل جنة الآخرة بقدر لذة نكاح أهل الدنيا أربعة آلاف مرة وتسعمائة مرة ، وسئل الصادق عليه السلام عن نساء أهل الجنة كيف يبقين أبكاراً ؟ فقال عليه السلام ما معناه : (**أنهن إذا أتاهن المؤمن لم يكن لفروجهن فرجة إلا مولد الذكر خاصة ولم تكن زيادة فيدخل الهواء في الفرج بخلاف نساء أهل الدنيا فإنه إذا دخل فيهن الهواء فسدت البكارة**) . وهذا المعنى عنه عليه السلام صريح في أن نكاح أهل الجنة كنكاح أهل الدنيا (**ووجه** آخر أنهن لما كانت أبدانهن في كمال اللطافة كان فرج الحورية إذا أخرج ذكره زوجها اجتمع فرجها كالماء إذا أدخل إصبعه فيه ثم أخرجه اجتمع كمثله قبل الإدخال وليس ذلك لأن أجسامهن ذائبة ولكن لأن أجسامهن حية لا موت فيها ، ولشدة صفائها فقد روي عنهم عليهم السلام : (**أن المؤمن إذا جامع حوريته يرى وجهه في صدرها وترى وجهها في صدره**) وروي عنهم عليهم السلام : (**أنه يُرى مخ ساقها من خلف سبعين حلة**) .

بقي سؤال ينبغي التنبيه عليه ، وهو أنه قد روي عنهم عليهم

السلام ، (**أن الحورية عرض عجزها ألف ذراع والرجل في الجنة يكون بقدر أبينا آدم عليه السلام**) وهو سبعون ذراعاً ، بل قيل : ثلاثون ذراعاً ، فكيف يتوصل إلى نكاح الحورية التي عجزها ألف ذراع ؟ **الجواب** : أنه قد علم من ضرورة الدين أن أهل الجنة (**لهم فيها ما يشاؤون**) وأن الأشياء تجري على حسب ما يخطر ببالهم فإذا أراد مواقعة مثل هذه تطول آلته على قدرها حال الفعل ، وإذا فرغ رجع على حالته الأولى عند الفراغ : ﴿ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾ وهو تأويل قوله تعالى : ﴿ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴾ ، وإذا أراد أن يكون هو بقدر الحورية كان كما يشاء وإذا أراد أن تكون الحورية بقدره كانت كما يشاء .

وبقي تنبيه آخر يتعلق بهذا الفرع ، هو أنه قد ورد عن أهل العصمة عليهم السلام ، (**بينما المؤمن في قصره في الجنة ، إذ رأى النور يسطع في قصره ، فينظر وإذا قد أشرفت صورة يراها كما يرى أحدكم النجم فيقول : من أنت فإني ما رأيت أحسن منك ؟ فتقول : أنا من الذي قال الله تعالى ولدينا مزيد فتنزل إليه فيجامعها أربعمائة سنة ثم يفترقان لا عن ملالة**) قال : (**وبينما المؤمن في قصره إذ رأى نوراً يتلألأ في قصره فيظن أنه نور الرب قد تجلى عليه ، فينظر وإذا قد أشرفت عليه صورة يراها كما يرى أحدكم النجم فيضطرب ويقول : من أنت فإني ما رأيت أحسن منك ؟ فيقول : أنا من الذي قال الله سبحانه فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين فيهم أن يقوم إليها فتقول : لا تقم يا ولي الله إنما أنا لك فتنزل إليه**) قال : (**فيعتنقها أربعمائة سنة في قوة مائة شاب ثم يفترقان لا عن ملالة**) وفي هذا سؤالات كثيرة :

منها : أنه كيف يجامعها أربعمائة وقد خلق الله ابن آدم أجوف لا

يستغني عن الطعام والشراب كما هو معلوم بالوجدان والأخبار .

الجواب : أنه في حال جماع الحورية يأكل منها كل فاكهة وكل طعام ويتعلم منها كل علم ويحصل له منها كل قوة لأنه يقتطف من خدها إذا قبلها كل ورد وريحان وكل فاكهة من فواكه الجنان ، ومن فمها إذا قبله كل شراب وكل طعام ومن موضع الجماع كل قوة ونشاط وجدة كما يغتذي الطفل من أمه من سرته النشاط والقوة والجدة كما ذكره صاحب عين الحياة ، وهو كتاب في الحكمة ذكر فيه الاشياء التي تطيل العمر وتُقوي الحرارة الغريزية .

قال : ومنها جماع الشابة الجميلة المحبوبة ، فإنه يقوي الحرارة الغريزية ويزيد في العمر وإلي ذلك الإشارة بتأويل قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ﴾ فهو في حال الجماع أبلغ في تحصيل ما ذكر من جميع أحواله ، إلّا حالة الزيارة عند مليك مقتدر وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى : ﴿ إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴾ فقال تعالى : ﴿ فَٰكِهُونَ ﴾ بألطف إشارة إلى ما ذكرنا فروي عنهم عليهم السلام : (**في شغل بافتضاض الأبكار**) وبالجملة فهذا الجواب بالتلويح وهذا الدليل بالإشارة .

ومنها : أنه كيف يكون معها وقد ورد أن قصور أهل الجنة من ياقوتة حمراء وزمردة خضراء وزبرجدة زرقاء ودر أبيض ، وكل ذلك يُرى ظاهره من باطنه وباطنه من ظاهره ، وإن كان من ذهب وفضة فكذلك لأن ذهب الجنة وفضتها شفافة كذلك وإليه الإشارة بقوله تعالى : ﴿ قَوَارِيرَا۟ مِن فِضَّةٍ ﴾ فإذا كانت قصورهم كذلك كيف يمكنه الجماع ، فإن أهل الجنة يرونهم لعدم الحجاب .

والجواب : أنه روي عنهم عليهم السلام ، (**أنه إذا أراد المؤمن**

الجماع نزل عليه مع الحورية نور يغشيهما ويحجب عنهما بصر كل ناظر إلا أنفسهما حتى يفرغا) وهذا ظاهر .

ومنها : أنه قد ورد أن أهل الجنة **(اخوان على سرر متقابلين)** ، لا ينظر أحدهم في خلف صاحبه ، وظاهر ذلك أنه في جميع الأحوال فأين وقت الجماع ؟

والجواب : أما في الظاهر فإن المراد بتلك المقابلة للإخوان غير حال الجماع لأن ذلك مستثنى .

أما في الباطن فلأن المؤمن في الجنة أحواله تجمع بين أفعال الروح وأفعال الجسم ، فكما أنك في الدنيا تأكل وقلبك متوجه إلى شيء آخر غير الأكل ، وكذلك في الجماع فهذه الحالتان تحصل لروحه ولجسده معاً وتكون هذه الحالتان له ، فهو مع الحورية ومع إخوانه لأنه إذا شاء ظهر لهم بصورته وهو مع الحورية بحقيقته ، كما كان علي عليه السلام والأئمة عليهم السلام يفعلون يكونون في أمكنة متعددة لا يُفقد أحدهم منها لأنهم الآن في الجنة .

ومنها : إذا كان المؤمن كذلك فكيف الجمع بين هذا وبين ما ورد في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴾ ، فإنه ورد ما معناه : **(أن الملائكة المقربين يأتون إلى قصر ولي الله بنجب من نور يستأذنون عليه بأن الرب يدعوه للزيارة ، فيضربون حلقة باب القصر فتطنّ ، ويقول : يا علي فيقول البواب : من بالباب فتقول الملائكة : نحن رسل الرب إلى ولي الله نستأذنه في الزيارة فيقول : قفوا حتى أستأذن عليه ، فيضرب حلقة الباب فتطنّ ويقول : يا علي فيقول البواب الآخر : من بالباب ، فيقول له البواب الأول : إن الملائكة المقربين بالباب يستأذنون على ولي الله**

للزيارة فيقول : قل لهم يقفوا وهكذا حتى ينتهوا إلى الأخير فيقول : إن ولي الله مع زوجته الحورية فتقف الملائكة ما شاء الله حتى يفرغ فيأذن لهم فيدخلون عليه من أبواب غرفته ويسلمون عليه ويقولون له : إن ربك يدعوك للزيارة) إلخ وهو قوله تعالى : ﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾ فإذا كان المؤمن كذلك فكيف يشتغل عن الملائكة بالحورية لم لا يكون معهم وهو معها ؟

قلت : لو شاء الجمع بين ذلك أنه لو شاء لأمكنه وهو سهل عليه ولكن في ذلك إظهار السلطنة الكبرى والملك العظيم بأن الملائكة المقربين يقفون على بابه أربعمائة سنة حتى يفرغ من جماع زوجته وذلك قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴾ قد روي ما معناه : **(إن الملائكة تأتي ولي الله كل جمعة بركائب من نور وتقول للمؤمن : يا ولي الله إن ربك يدعوك لزيارته فيركب وتطير به تلك الركائب حتى يأتي ربه فيعطيه ضعف ما عنده ولا يزال كذلك في كل جمعة يركب للزيارة ويعطى ضعف ما عنده ، حتى أنه ليقول : يا رب لا حاجة لي بالممالك فيقول : بلى رضاي عنك ولا يزال كل جمعة يركب ويعطى ضعف ما أعطي من الرضى عنه ولا انقطاع لذلك ولا نهاية وهو ألذ ما في الجنة من النعيم)** .

والرب هو الصاحب والولي والمربي والمراد محمد أو علي عليهما الصلوات والسلام ويجوز أن المراد بالرب هو المعبود سبحانه ومعنى زيارته زيارة محمد وآله صلى الله عليه وآله فإن من زارهم فقد زار الله ومن أطاعهم فقد أطاع الله ومن عصاهم فقد عصى الله فالرب بهذا المعنى ويقال : رب الدار أي صاحب

الدار ، فإذا كان في كل جمعة يركب المؤمن للزيارة فكيف يكون مع الحورية في مرة واحدة أربعمائة سنة ؟

والجواب : أن المراد بالجمعة مقدار ما بين الجمعة إلى الجمعة من جُمَع الآخرة وهي سبعة أيام بقدر سبعة آلاف سنة من سني الدنيا ، كما دل عليه القرآن ووردت به الروايات عنهم عليهم السلام لأن اليوم كألف سنة من سني الدنيا والساعة منه قدر ثلاث وثمانين سنة وخمسة أشهر والحالة التي تكون فيها من الحورية خمسي يوم من أيام الآخرة وهي قدر أربعمائة سنة من سني الدنيا ، فالسنة في الآخرة ثلاثمائة وستون ألف سنة من سني الدنيا ، والشهر ثلاثون ألف سنة وهكذا وليس في الجنة ليل ولا نهار قال الله تعالى : ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ وإنما هو نور موجود وظل ممدود ، نعم مراتب أهل الجنة تزيد في الحسن والجمال والجدة والشباب بعكس الدنيا كل وقت على سبيل التدريج سيالاً وهكذا ، فإذا مضى عليهم قدر اثنا عشر ألف ألف سنة من سني الدنيا صعدوا عن الرفرف الأخضر إلى الكثيب الأحمر ويمكثون فيه قدر اثني عشر ألف ألف سنة من سني الدنيا ويصعدون إلى الأعراف ويمكثون فيه قدر اثني عشر ألف ألف سنة من سني الدنيا ويصعدون إلى مقام الرضوان فلا يزالون فيه أبد الآبدين بلا غاية ولا نهاية يزدادون شباباً وجدة وجمالاً وملكاً وحوراً عيناً وكل مقام صعدوا إليه كان أعلى من الأول بمثل الفرق بين نعيم الدنيا والآخرة : ﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا

تَأۡثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلٗا سَلَٰمٗا سَلَٰمٗا﴾ ، اللّهم لا تحرمنا الجنة يا كريم .

قال أدام الله دولته ورفع رتبته : ما السبب في الأحوال المختلفة التي تتعاقب على الإنسان فمرة يسرّ ولا يعلم سبب السرور ، وتارة يحزن ولا يعلم السبب ، وتارة يُقبل على الطاعات ، وتارة يُقبل على المعاصي ، وقد يقف فلا سرور ولا حزن ولا إقبال على طاعة أو معصية ، وأيضاً هذه الطاعة التي يُقبل عليها إن كانت من ذاته فما باله في بعض الأحوال يُقبل على المعصية وكذلك المعصية ، وإن كانت من غيره فلا ثواب له في طاعة ولا عقاب عليه على معصية لأنه ليس بمقصّر .

أقول : أما السبب في أن الإنسان يحصل له سرور ولا يعلم السبب أو يحصل له حزن ولا يعلم السبب فقد أشارت الأخبار عن الأئمة الأطهار عليهم السلام إلى ذلك : منها أنه روي ما معناه : (**أن الإمام عليه السلام يدخل عليه السرور لأعمال صالحة وقعت من بعض شيعته ، فإذا دخل عليه ذلك دخل على كثير من شيعته في مشرق الأرض ومغربها**) ، وبيان ذلك أن الشيعة إنما سموا الشيعة لأنهم من شعاع أئمتهم عليهم السلام أو من مشايعتهم لهم .

فعلى الأول : يكون الإمام عليه السلام بمنزلة المنير ولا ريب أن كل ما يدخل على المنير من صفاء ذاتي كقوة نوره ، أو عرضي كصفاء الهواء ، فإنه يزيد في نور الأشعة وكذلك ما يدخل عليه من ظلمة أو كدورة فإنها تدخل على الأشعة .

وكذلك إذا قلنا : إنه من المشايعة ولا ريب فيه وإنما قلنا على كثير من شيعته لأن بعض شيعته قد لا يحسون بذلك ، وإلا فإنه يدخل على الكل الاستنارة وعدمها .

ثم لهذا وجهان : **أحدهما** : دخول السرور على الإمامِ عليه السلام من عمل المؤمن ، الطاعة والحزن من عمل المعصية هل ذلك بواسطة أم بلا واسطة ؟

أما رجوع أثر الطاعة والمعصية ، فلا يتحقق إلا من العامل بعد العمل مع العمل ويرجع السرور إلى الإمام حينئذٍ قبل العمل إذا عمل العامل لا قبله .

وأما الواسطة فمنهم من يكون ذلك بالواسطة ومنهم بغير الواسطة والواسطة كالأنبياء عليهم السلام فإنهم وسائط بين الأمة وبين الإمام عليه السلام .

ثانيهما : هل مبادئ أسباب السرور والسرور من الإمام ومبادئ أسباب الحزن والحزن من تخلية الإمام أم لا ؟ الظاهر أن ذلك منه عليه السلام ، السرور مبدأ سببه ومبدأه من جهة عقل الإمام عليه السلام وأن الحزن وسببه بتخلية الإمام عليه السلام للعبد في المعصية وعدم تكملته وإعانته حتى واقع ذلك العبد المعصية ، ولولا أن ذلك عنه لما عاد إليه فافهم .

ومنها : أنه ما من مؤمن في مشرق الأرض أو مغربها إلا وله أخ مؤمن يعمل كعمله ، ويفعل كفعله ، حتى أنه ليختار من أعمال الدنيا ما يختاره أخوه لشدة المشابهة بينهما ، وإن كان أحدهما من أهل الجنة كان الآخر معه في درجته لأنه خلق من الطينة التي خلق منها الآخر ، وإذا دخل على أحدهما فرح أو حزن ، دخل على الآخر ، وإن كان بينهما بعد المشرقين لأن المؤمنين كالجسد الواحد إذا تألم منه عضو تألم منه العضو الذي يقرب منه ، أو تتصل مادته به وهذا ظاهر .

ومنها : أنه روي عنهم عليهم السلام : (**أن الإنسان إذا فتحت صحائف حسناته في وجه نفسه ، دخل عليه السرور وهو لا يعلم ، وإذا فتحت صحائف سيئاته في وجه نفسه ، دخل عليه الحزن وهو لا يعلم**) ، والسر فيه أن الحسنات إذا شاهدتها النفس انبسطت لأن الحسنات نور ووجود وحياة فتقوى بذلك النفس وتنبسط وهو السرور ومحله جلدة البطن ، وإذا شاهدت السيئات انقبضت ، لأن السيئات ظلمة وعدم وضعف وممات فتضعف بذلك النفس وتنقبض في القلب فإن كان لما مضى سمي غماً وهو ضغط القلب لاجتماع النفس الحيوانية في القلب عن الأمر الذي تصورته فيما مضى وإن كان لما يستقبل سمي هماً وهو عصر القلب ، وهو أضر من الغم لأنه ربّما قتل لشدة اجتماع النفس الحيوانية في القلب بقوة عن الأمر المتصور فيما يستقل وإشفاقها منه ، والغم والهم هما الحزن وذلك للمعصية .

وأما وجه إقباله على الطاعات في بعض الأحيان ، فاعلم أن الإنسان خلق من وجود وماهية ، والوجود قبل اجتماعه بالماهية صورته صورة ملك وهو ملك من الملائكة العلويين والماهية قبل اجتماعها بالوجود صورتها صورة شيطان وهي شيطان من سكان سجين فنزلت تلك الصورة العالية وصعدت تلك الصورة السافلة ، واجتمع مظهراهما لما بينهما من حاجة كل واحد منهما إلى الآخر في الظهور ولتشابه كل واحد منهما بالآخر في تعاكس الجهات والأطوار والشؤون ، مثلاً إذا ارتفع الوجود عشر درجات ، انحطت الماهية عشر درجات ، وإذا مال الوجود للأكل الحلال ، مالت الماهية للأكل الحرام ، وكل شيء منه يقابل ضده منها فلما اجتمعا

كان الإنسان منهما أي من المظهرين ، والوجود هو السلطان الحاكم على الخيرات والعقل وزيره ، والماهية هو السلطان الحاكم على الشرور والنفس الأمارة وزيره ، ومعنى كون الوجود سلطان الخيرات أن الخيرات من جنسه واستمدادها منه وجنودها منه ومعنى كون الماهية سلطان الشرور كذلك أنها من جنس الماهية واستمدادها منها وجنودها منها .

فلما كان الإنسان مركباً من الوجود الذي هو النور والماهية التي هي الظلمة كان له ميل إلى الطاعات والخيرات من جهة الوجود وله ميل إلى المعاصي والشرور من جهة الماهية وأصل هذا الوجود في الملأ الأعلى صورة ملك مع الملائكة وأصل هذه الماهية في الملأ الأسفل صورة شيطان مع الشياطين .

فإذا عرض له الفعل طلبه العقل لسلطانه من جهة الطاعة ومعه ملائكة تعينه ، وطلبته النفس لسلطانها من جهة المعصية ومعها شياطين تعينها ، فإن مال الوجود وأصله مع العقل قوي على النفس وجندها وغلب فعمل العبد الطاعة ، وإن مالت الماهية وأصلها مع النفس قويت على العقل وجندها وغلبت ، فعمل العبد المعصية فمعنى إقبال العبد على الطاعة أن عقله يستعين بالوجود الذي هو السلطان ويغلب النفس الأمارة ، وكذلك معنى إقبال العبد على المعصية أن نفسه الأمارة تستعين بسلطانها وتغلب العقل .

وقد قلنا : إن الإنسان مركب في أصل خلقته من الوجود والماهية فإذا قلنا السبب في ميل الإنسان إلى الطاعة أن صورته التي مع الملائكة تعمل ذلك العمل وهي موجودة مع الملائكة وتلك الصورة هي أصل الوجود الذي في الإنسان بل هو هو نريد به

معنى أن الوجود أعان العقل وجنوده على فعل الطاعة فغلب عدوه .

وإذا قلنا السبب في ميل الإنسان إلى المعصية أن صورته التي مع الشياطين تعمل ذلك العمل وهي موجودة مع الشياطين ، وهي أصل الماهية التي في الإنسان بل هي هو نريد به معنى أن الماهية أعانت النفس وجنودها على فعل المعصية ومعنى أن عمل الوجود لذلك العمل في عالم الأسرار هو إعانة العقل في عالم الأنوار على الطاعة ، وفعلها في عالم الملك أن الوجود إذا لم يعمل لم يقدر العقل على العمل لأنه أصل العقل ، والعقل إنما تقوّم به ، وعمله هو إمداده بالألطاف الربانية للعقل لأن كل شيء عمله بحسبه ومعنى قولنا : إن الوجود إذا لم يعمل فقدته الملائكة ، لأنه لا إتية له إلا بالعمل وكذلك الماهية في مقامها فافهم ، فقد رددت في العبارة كثيراً لأجل الإفهام فإن صعب عليك ذلك فاعلم أنه ليس لنقص في التفهيم ، ولا لضعف في فهم الناظر ولكن لصعوبة هذا المطلب فعليك بالتأمل والتردد فيه حتى يفتح الله عليك وهو خير الفاتحين . وهذه الإشارة كافية لما تطلب لاشتمالها على كل معنى إلا حرفاً واحداً وهو الذي أمر بكتمانه وهو سر الخليقة وحقيقة الكون لا من شيء .

وقوله ـ أدام الله بقاءه وأسبغ عليه عطاءه : إن كان الإقبال على الطاعة من ذاته فما باله يقبل في بعض الأحيان على المعصية ، وإن كان من غيره فلا ثواب له ولا عقاب عليه .

جوابه : أن ذلك الإقبال والميل من ذاته في الحالين لأن ذاته مركبة من وجود يميل إلى الطاعة بطبعه وهواه ، ومن ماهية تميل

إلى المعصية بطبعها وهواها ، فالميل إلى الطاعة وإلى المعصية من ذاته لا من غيره ، فالثواب له والعقاب عليه لأنه مقصّر .

قال أبقى الله مهجته وأدام سلطنته : هل لأهل الجنة التزويج بأكثر من أربع نساء ، أم ليس لهم إلا الأربع كما هو حال أهل الدنيا .

أقول : إن الأربع إنما هو لهذه الأمة بالعقد الدائم ولهم ما يشاؤون بالمنقطع وبملك اليمين ، ولم يكن هذا التقدير في الأمم الماضية لشدة الاعتناء من الله بهم لأنهم خير الأمم فأقامهم على الاستقامة والعدل ففرض عليهم القسمة بين الزوجات بالعقد الدائم رحمة بهم ، يريد بهم اليسر ولا يريد بهم العسر ، فقلل عدد ما تجب فيه العدل لأن كل ما زاد صعب العدل فيه ، وإنما حصره في الأربع لمراعاة الكمال بمطابقة الظاهر للباطن والصفات للذوات وذلك لأن أدوار الوجود وأكواره أربعة ولا تتم رتبة من مراتبه إلا في أربعة ، فحصر الزيادة فيها لتلك المطابقة تسهيلاً لتناولهم لمراتب الكمال ولهذا قال تعالى : ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾ لعدم الجور فيها في القسمة أو ما ملكت أيمانكم لعدم القسمة فيهن وأحل لهم ما شاؤوا بالمنقطع لعدم اشتراط القسمة والعدل في ذلك لأنهن مستأجرات .

وأما الأمم الماضية فلم يكونوا أهلاً لشدة الاعتناء بهم لعدم قابلية ذواتهم وأما الأنبياء عليهم السلام فلا يجري عليهم للأمن من جورهم .

وأما نبينا محمد صلى الله عليه وآله فلأنه على سنة النبيين صلى الله عليه وآله قال الله تعالى في حقه : ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ﴾

وقال تعالى : ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ﴾ وللوثوق بعدله لو أريد منه ولعدم إرادة ذلك منه قال تعالى : ﴿ تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ۚ ﴾ ولما كانت هذه الدار دار التكليف لمقتضى الأخلاط الاعوجاج وعدم الاستقامة جرى عليهم ما فيه صلاحهم لا ما يشتهون والآخرة : ﴿ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ ۚ ﴾ [النحل : ٣١] لعدم الأخلاط المقتضية للاعوجاج بل جميع ما يشتهون موافق للحق لاستقامة طباعهم فلهم أن ينكحوا ما شاؤوا من هذه الأمة ، ومن الأمم الماضية .

وأما رجال الأمم الماضية غير الأنبياء والأوصياء والأولياء ، فالذي يخطر ببالي أنهم ليس لهم أن يأخذوا من هذه الأمة لأن هذه الأمة أشرف من الأمم الماضية .

فإن قيل : إذا كان إنما نهوا عن الزيادة على الأربع لمصلحتهم فلعل ذلك جارٍ في الآخرة وإن كان لهم ما يشاؤون لكنهم لا يشاؤون إلا الأصلح .

قلنا : ليس كل أصلح في الدنيا أصلح في الآخرة ، بل قد ينعكس فإن الأصلح في الدنيا المنع من شرب الخمر وتحريم لبس الحرير والذهب للرجال وفي الآخرة بالعكس مع أنه لا مانع من الزيادة على الأربع إلا خوف عدم العدل ، ولهذا يأخذ أربعة آلاف بالمنقطع والملك ، وهذه العلة تزول في الآخرة من جهة الرجل لعدم الجور هناك ، وعدم إرادة المساواة منه لعدم الغلّ والحسد والغيرة من جهتهن ، فجميع الموانع الدنياوية منتفية في الآخرة

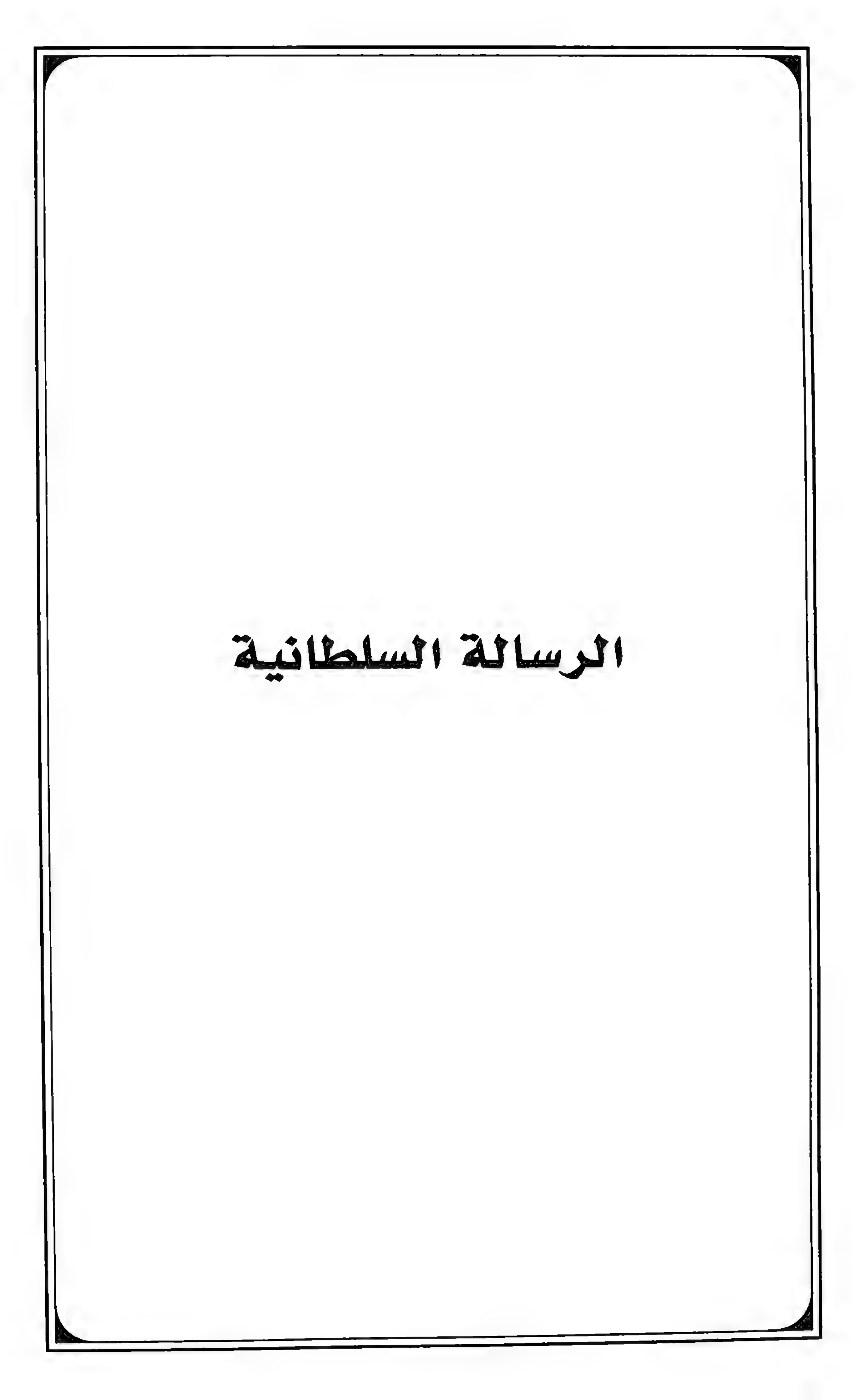
فتجوز لهم الزيادة لوجود المقتضى وعدم المانع ، ولو سلمنا المنع بالدائم قياساً على الدنيا أجزناه بالمنقطع ، وما ورد بـ (**أن أقل ما يعطى أدنى المؤمنين حوريتين غير النابتات من الأشجار**) ، فالمراد به أقل مراتب المؤمنين ولعل ذلك لضعف إيمانه لا يشتهي أكثر من اثنتين من عليين وإن اشتهى من النباتيات كثيراً وإلى ذلك الإشارة بقوله عليه السلام : (**ما ازداد أحد حباً في ولايتنا إلا ازداد حباً في النساء**) ، والمفهوم أن من لم يزدد حباً في الولاية لم يزدد حباً في النساء والولاية هي الجنة .

ولهذا قال الصادق عليه السلام لمن سمعه يقول : اللهم أدخلنا الجنة قال عليه السلام : (**لا تقل هكذا أنتم في الجنة ولكن اسألوا الله ألا يخرجكم منها إن الجنة هي ولايتنا**) فيرجع المعنى المفهوم إلى أن من لم يزدد حباً في الجنة لم يزدد حباً في النساء فتقنع نفسه بالأقل بحيث لا تريد الزيادة وليس لحبس إرادته بل لأن ذلك غاية ميل ذاته وقابليته ، وهذا ظاهر فإن اختلاف الخلق إنما كان لنقص القابلية لا لقلة المقبول ، مثاله الشمس إذا أشرقت على الأرض كان الشعاع المنعكس عن المرآة أشد من انعكاسه عن الجدار مع أن الشمس لم تعط المرآة أكثر مما أعطت الجدار ، ولكن اختلفت لاختلاف القابلية والعلة في قلة اشتهاء أخذ النساء وكثرته أن المرأة خلقت من بقية طينة الرجل فمن خلق من بقية طينته واحدة أخذها وإن كان اثنتين أخذهما ، وإن كان أكثر أخذهن ، وأما النباتيات فإن الأشجار التي تحمل بالنساء مخلوقة من بقية البقية أي من فاضل طينة النساء ، والنساء من فاضل طينة الرجل ، فتكثرت الأشجار وإن كانت من واحد لأن الصفات تكون كثيرة لذات

واحدة وهذه الأشجار تحمل بنساء معلقات بشعورهن في تلك الأشجار ، فإذا مر بهن المؤمن كل واحدة تدعوه إلى نفسها ، فإذا أخذ واحدة نبت محلها أخرى ، سبحان من لا تفنى خزائنه ولا ينقص فضله ولا يقل عطاؤه لا إله إلا هو إليه المصير .

إلى هنا انتهى الجواب لخدمة الحضرة المحترمة السلطانية مد الله ذلك الظل الظليل على البلاد ورحم ببقائه العباد على يد الداعي للحضرة السلطانية بالدوام أقل الأنام العبد المسكين أحمد بن زين الدين بن ابراهيم الأحسائي في أوائل شهر رمضان سنة ثلاث وعشرين بعد المائتين والألف من الهجرة النبوية على مهاجرها أفضل الصلاة وأزكى السلام والحمد لله رب العالمين ، تمت .

* * *



الرسالة السلطانية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أما بعد ، فيقول العبد المسكين أحمد بن زين الدين الأحسائي : إنه وردت عليّ من ناحية الرفيعة السامية والجهة المنيعة العالية ، ناحية الجناب المكين عز المؤمنين وحامي الملة والدين ، وطالب الحق واليقين مسفِر المَلَوَين وقرة العين ، وجامع كل زين ، سلطان البرين وخاقان البحرين ، حافظ الأمان وحارس أهل الإيمان عالي القدر والشأن وسامي الرتبة والمكان ، السلطان ابن السلطان ابن السلطان والخاقان ابن الخاقان ابن الخاقان السلطان فتح علي شاه ، شد الله عضده بالتمكين وهزم الله به جنود الكافرين والمنافقين ، وشرد الله بما يمده من النصر جيوش المعتدين ، وشيد بنيان سلطنته بالإمداد والتحصين ومد ظلال عزه ونصره على جميع المؤمنين بحرمة الميامين وخيرة الخلق أجمعين ، محمد وآله الطاهرين أمين رب العالمين أمين رب العالمين ، مسألة جرت على الخاطر العاطر ، والفكر المستنير الزاهر ، والفهم الباهر ، قد شرف داعيه ببيانها وكشف ما أورد من الاعتراضات على برهانها ، وحيث وردت علي بلسان اللغة الفارسية طلبت تعريبها ليتبين لي ناصّها من مريبها فجعلت ما ترجم لي متناً ليخص كل شيء منها بما يناسبه من الجواب . وإلى الله المرجع والمآب .

قال المترجم : لمّا كان السلطان العالم الفاهم خلد الله ظلال

جلاله على مفارق العرب والعجم ، مائلاً إلى الاعتبار وشائقاً إلى مطالعة الأحاديث والأخبار ، وأكثر أوقاته الشريفة وأحواله السامية المنيفة مصروف إلى التدبر والتفكر في معانيها ، والبحث عن وجوهها ونكاتها وخفاياها ، فلذا عرض للجناب المستطاب من مضامين بعض الأحاديث وتقرير بعض العلماء ما صار معلوماً لديه ، بأن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام ، كان أفضل من الحسنين عليهما السلام ، والحسنين أفضل من التسعة الباقية عليهم السلام ، وأما الحجة القائم ، عجل الله فرجه وسهل مخرجه ، فإنه أفضل من الأئمة الثمانية غير أمير المؤمنين والحسنين عليهم السلام .

أقول : أمّا ما ذكر المترجم من وصف الجناب المحترم ومالك رقاب العرب والعجم بكثرة تفكره وإقباله واعتباره واحتماله فهو ـ خلد الله سلطنته وسيد [شيد] ملكه ودولته ـ فوق ذلك ، ولقد حضرت ذلك الجناب ورأيت من كثير من التفاتاته لدقائق الأشياء العجب العجاب .

وأمّا ما ذكروا من أن مولانا وإمامنا أمير المؤمنين صلوات الله عليه ، كان أفضل من الحسن والحسين عليه وعليهما السلام ، فهو مما لا شك فيه ، ولا ريب يعتريه ، وأخبار أئمتنا عليهم السلام بذلك مشحونة ، وأنه بعد رسول الله صلى الله عليه وآله خير خلق الله وسيد ما دخل في ملك الله ، وهذا ظاهر ومختصر الدليل على ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وآله خير خلق الله بالكتاب والسنّة والإجماع من المسلمين ، وعلي بن أبي طالب عليه السلام نفسه بنص القرآن في قوله : ﴿ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ﴾ ، فإذا كان هو نفس

رسول الله صلى الله عليه وآله والاتحاد ممتنع فلم يبق إلا المساواة والمماثلة ، والمساواة خرجت بالنصوص وبالكتاب والإجماع ، بقيت المماثلة ، ومماثل الأفضل أفضل ، وقال صلى الله عليه وآله : (**يا علي لا يعرفني إلا الله وأنت ولا يعرفك إلا الله وأنا ولا يعرف الله إلا أنا وأنت**) ، وهذا صريح بأنه عليه السلام لا يعرفه إلا الله ورسوله فيكون الحسنان عليهما السلام قاصرين عن رتبة ذاته المقدسة ، وقال صلى الله عليه وآله : (**أنت نفسي التي بين جنبيّ**) ، تبعاً للآية الشريفة ، وقال صلى الله عليه وآله : (**أنت مني بمنزلة الروح من الجسد**) .

ولما كانت الروح أشرف من الجسد ورسول الله أشرف من علي حصل التنافي فلم يرد الحقيقة ، وإنّما أراد المجاز ، يعني ولايتك من نبوتي بمنزلة الروح من الجسد فحصل أيضاً اعتراض آخر بأن ذلك يستلزم أفضلية علي على محمد صلى الله عليهما وآلهما . **والجواب**: أن الولاية لمحمد والخارج بها علي ، أنه آية نبوته قال صلى الله عليه وآله : (**أُعطيت لواء الحمد وعلي حامله**) الحديث ، ولواء الحمد هو الولاية وعلى مختصر الجواب (**والحسن** أفضل من الحسين عليهما السلام ومن الأدلة على ذلك ما رواه الصدوق ـ رحمه الله ـ في كتابه إكمال الدين بإسناده إلى هشام بن سالم ، قال : قلت للصادق جعفر بن محمد عليهما السلام : الحسن أفضل أم الحسين ؟ فقال : (**الحسن أفضل من الحسين**) ، قلت : فكيف صارت الإمامة من بعد الحسين في عقبه دون ولد الحسن ، فقال : (**إن الله تبارك وتعالى لم يرد ذلك إلا أن يجعل سنّة موسى وهارون جارية في الحسن والحسين عليهما السلام ألا ترى أنهما كانا**

شريكين في النبوة كما كان الحسن والحسين شريكين في الإمامة وأن الله عزّ وجلّ جعل النبوة في ولد هارون ولم يجعلها في ولد موسى وإن كان موسى أفضل من هارون) انتهى .

وأما فضل الحسن والحسين على الأئمة التسعة فبحديث (**سيدا شباب أهل الجنة**) خرج رسول الله صلى الله عليه وآله ، وعلي عليه السلام بالنص ، بقي كل ما سواهما ، وهذا مما عليه الإجماع المنقول .

وأما أفضلية القائم عليه السلام ـ عجل الله فرجه ـ وسهل مخرجه فمن تتبع الأخبار والأدعية مثل دعاء الندبة عن الصادق عليه السلام لم يشك في أنه أفضل التسعة من ذرية الحسين عليهم السلام ، ومما صرح به من الأحاديث ما رواه المقداد بن عبد الله السيوري في شرح الباب الحادي عشر وفيه : (**تسعة من ذرية الحسين تاسعهم قائمهم أعلمهم**) ، وفي رواية أخرى (**تاسعهم قائمهم أعلمهم أفضلهم**) انتهى ، وفي حديث الوصية في قول النبي صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام في أمر الوصية (**وأنا أدفعها إليك يا علي ، وأنت تدفعها إلى وصيك ، ويدفعها وصيك إلى أوصيائك من ولدك واحداً بعد واحد حتى تدفع إلى خير أهل الأرض بعدك**) . الحديث خرج من عموم قوله بعدك تفضيل الحسن والحسين عليهما السلام عليه ، عليه السلام ، بحديث (**سيدا شباب أهل الجنة**) والإجماع المنقول بقي ما سواهما ، (**ورسول الله وعلي**) صلى الله عليهما وآلهما أمرهما معلوم .

وأمّا فاطمة عليها السلام فاختلف العلماء في شأنها فقال قوم : إنها بعد علي عليه السلام أفضل من بنيها الأحد عشر عليهم السلام

وقال قوم : إنها بعد الحسن والحسين أفضل من التسعة .

وقال آخرون : إن الأئمة الإثني عشر كلهم أفضل منها ، وسبب الاختلاف اختلاف الروايات والذي يترجح عندي أن فضلها بعد الأئمة الاثني عشر ، وهو القول الأخير لعموم آية ﴿ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ﴾ ، ولما ورد عن أبيها وبعلها وبنيها صلى الله عليهم أجمعين أنها (**أفضل نساء العالمين**) ، ولم يرد أفضل الرجال من العالمين ولما رواه الصدوق في الفقيه فيما أوصى محمد علياً عليهما وآلهما السلام ، (**يا علي ، إن الله عزّ وجلّ أشرف على الدنيا فاختارني منها على رجال العالمين ، ثم اطلع ثانية فاختارك على رجال العالمين ، ثم اطلع ثالثة فاختار الأئمة من ولدك على رجال العالمين ، ثم اطلع رابعة فاختار فاطمة على نساء العالمين**) انتهى ، وهو يشعر بتفضيلهم عليها عليهم وعليها السلام ، ومثل حديث الأنوار التي تزهر بها لعلي عليه السلام في كل يوم ثلاث مرات ، فلما ولدت الحسين عليه السلام ارتفع ذلك وهذا ظاهر لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

قال : فالحضرة السلطانية بملاحظة قواعد المذهب الحقة للإمامية بأنهم صلوات الله عليهم كانوا من نور واحد ، سأل العلماء عن أفضلية بعضهم على بعض ، فمنهم من أنكر الأفضلية مطلقاً ، وآخرون أجابوا بأجوبة لم يصح السكوت عليها .

أقول : إن الجناب العالي والحضرة السامية قد تنبه لأمر دقيق لم يعثر عليه إلا الأقلون ، وهو أنّا سلمنا واعتقدنا أن بعضهم عليهم السلام أفضل من بعض فما وجه ذلك ، فإن كان من جهة الأخبار ، فهي مختلفة ، فكما ورد التفضيل لبعضهم على بعض ، ورد أنهم

قالوا : (**إنّا كلنا خلقنا من نور واحدة وطينة واحدة**) ، وورد (**إنّا كلنا سواء أولنا محمد وأوسطنا محمد وآخرنا محمد وكلنا محمد فلا تفرقوا بيننا**) ، وأمثال ذلك .

والجواب ، أنهم عليهم السلام متساوون فيما يحتاج إليه جميع الخلق ويتفاضلون في درجات أنفسهم وفيما يختصون به من معرفة الله سبحانه ألا تسمع قول النبي صلى الله عليه وآله المتقدم ، (**ولا يعرف الله إلا أنا وأنت**) ، فإذا سمعتم يقولون : نحن كلنا سواء فالمراد به في جميع ما يحتاج إليه الخلق من أركان الوجود الأربعة ، وإذا سمعتم يقولون : بعضنا أعلم من بعض وأفضل من بعض ، فالمراد به فيما يختصون به من معرفة ذواتهم وفي درجات قربهم ، مثلاً رسول الله صلى الله عليه وآله ، يتلقى المدد من الله بلا واسطة ، وعليّ عليه السلام بواسطة رسول الله صلى الله عليه وآله ، والأئمة بواسطة علي عليهم السلام ، فبهذا تفاضلوا في درجات أنفسهم وروى الحسن بن سليمان الحي في مختصر كتاب سعد بن عبد الله الأشعري بإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام ، قال : قلنا له : الأئمة بعضهم أعلم من بعض ؟ فقال : (**نعم ، وعلمهم بالحلال والحرام وتفسير القرآن واحد**) انتهى ، فبعضهم أعلم من بعض بالله وصفاته وبمراتب ذواتهم وهم كلهم الأربعة عشر المعصوم عليهم السلام فيما يحتاج إليه جميع من سواهم في العلم سواء .

قال : وهو أيده الله ، **قال** : الأنسب في هذا المقام أن يقال بأن الحجة عليه السلام أفضل من سائر الأئمة عليهم السلام كلاً ، وبلغ بخاطره الشريف نكات مرغوبة :

فمنها : أن النبي صلى الله عليه وآله ، كان أفضل من سائر

الأنبياء عليهم السلام ، والدليل العمدة من سائر الأدلة في أفضليته خاتميته فكما أن خاتم الأنبياء أفضل من سائر الأنبياء ، كذلك خاتم الأوصياء أيضاً ينبغي أن يكون أفضل من سائر الأوصياء سلفاً وخلفاً ، حتى الأئمة الهادين صلوات الله عليهم أجمعين .

أقول : أمّا ما يرد على جناب الخاطر الزاهر خلد الله ملكه فهو من الأدلة الدقيقة والاحتمالات العميقة وهذا من جنابه إيراد لطلب الدليل ورفع الشبهات عن هذا السبيل ، وإن كان لا يعتقد ذلك بدليل أنه ـ أيده الله بنصره وإمداده ـ قال سلمه الله : وأما الحجة القائم فكان أفضل من الأئمة الثمانية غير أمير المؤمنين والحسنين عليهم السلام ، وإنما أورد هذا طلباً للدليل وتحصيلاً لرفع الشبهة عن التفضيل .

والجواب : أما كون النبي صلى الله عليه وآله خاتم الأنبياء هو العمدة في تفضيله عليهم ، فاعلم ، أن هذا من جملة أدلة ذلك لا أنه هو العمدة لأنه صلى الله عليه وآله كما أنه آخر النبيين بعثة وولادة ، فهو أول النبيين في إيجاد الأنوار وفي نبوته كما قال صلى الله عليه وآله : (**كنت نبياً وآدم بين الماء والطين**) وإن سلمنا هذا الدليل قلنا : لا يكون القائم عليه السلام أفضل من أمير المؤمنين عليه السلام لأن أمير المؤمنين هو سيد الوصيين وخاتم الوصيين وأما القائم عليه السلام فهو خاتم الوصيين من أوصياء أمير المؤمنين فهو خاتم وصية أمير المؤمنين عليهم السلام ، لأن هذه الوصية هي الولاية وهي ولاية عليّ عليه السلام مع أن الموافق أن محمداً صلى الله عليه وآله خاتم النبيين وعلياً هو وصيّه فهو خاتم الوصيين ، وهو المروي عنهم عليهم السلام لأن خاتم الأنبياء

وصيه خاتم الأوصياء ولو لم يكن خاتم الأولياء لما كان محمد صلى الله عليه وآله خاتم الأنبياء والقائم عليه السلام خاتم أوصياء خاتم الأوصياء ، ولما كانت وصاية القائم عليه السلام خلافة عن وصاية علي عليه السلام من رسول الله صلى الله عليه وآله صح أن يكون القائم عليه السلام من خلفاء رسول الله صلى الله عليه وآله وأوصيائه ، فلا يكون أفضل من أمير المؤمنين والحسنين عليهم السلام ، مع أن علياً عليه السلام لقب بأمير المؤمنين ولا يجوز هذا اللقب لغيره من جميع الخلق لأن معناه أن علياً يُمير العلم للمؤمنين ، والمؤمنون هنا الأئمة عليهم السلام ولا يُميرهم العلم إلا هو كما في قوله تعالى : ﴿ وَنَمِيرُ أَهْلَنَا ﴾ .

قال أيده الله تعالى : ومنها أيضاً أنه عند ظهور الخلافة الظاهرة يكون حاكماً على الثقلين من الجن والإنس والوحوش والطيور وغيرها من الموجودات ظاهراً وباطناً .

أقول : إن القائم عليه السلام لا يزيد ملكه وحكمه على حكم آبائه عليهم السلام ، لأنهم أيضاً حاكمون على الثقلين من الجن والإنس والوحوش والطيور وغيرها من الموجودات ، فلا يوجد شيء من خلق الله حقير أو جليل يتسلط عليه القائم عليه السلام ولا يتسلط عليه أحد من الأئمة عليهم السلام لأنهم كلهم على نمط واحد لا يزيد أحدهم على الآخر بشيء حقير ولا جليل فيما يتعلق بالخلق كله من الملائكة والمرسلين والأنبياء والأولياء والمؤمنين والكافرين والجن والشياطين وسائر الحيوانات وجميع النباتات والمعادن والجمادات ، فتصرّفهم وحكمهم على هذه المذكورين على السواء في حال ظهور خلافتهم وخفائها ، إذ لا يمتنع عليهم شيء يريدونه فإنهم يحكمون على كل

شيء فيمتثل أمرهم وفي كتاب الآميرزا في الرجال في ترجمة عبد الله بن شداد بن الهادي الليثي عنهم عليهم السلام ، **(أن رجلاً كان من شيعة أمير المؤمنين عليه السلام مريضاً شديد الحمى فعاده الحسين بن علي عليهما السلام ، فلما دخل من باب الدار طارت الحمى عن الرجل فقال : قد رضيت بما أوتيتم به حقاً حقاً ، والحمى تهرب منكم فقال له : والله ما خلق الله شيئاً إلا وقد أمره بالطاعة لنا ، يا كبّاسة ، قال : فإذا نحن نسمع الصوت ولا نرى الشخص يقول لبيك ، قال : أليس أمرك أمير المؤمنين عليه السلام ألا تقربي إلا عدواً أو مذنباً لكي يكون كفارة لذنوبه فما بال هذا ؟ وكان الرجل المريض عبد الله بن شداد بن الهادي الليثي)** انتهى ، فإذا تدبرت هذا الحديث ورأيت حين نادى الحسين عليه السلام الحمى تقول لبيك سمعها الحاضرون وهي أمر عرضي معنوي وقوله عليه السلام : **(أليس أمرك أمير المؤمنين عليه السلام)** إلخ ، عرفت أنهم عليهم السلام حاكمون على كل شيء ، ومتصرفون في كل شيء كما أرادوا بلا مانع لأن إرادتهم إرادة الله عزّ وجلّ .

قال رفع الله شأنه وأعلى مكانه : وهناك المسيح يقتدى به ولم يكن لسليمان مع نص : ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ﴾ ذلك السلطنة والخلافة وسائر الأئمة عليهم السلام وإن كانت خلافتهم كذلك ، ولكن بسبب غلبة العدوان ووفور الطغيان كانت خلافتهم الظاهرة كامنة ولم تظهر بين الأمم كخلافة الحجة عليه السلام ، ولأجل هذا أكثر الخلق سلكوا مسلك الغواية وعدلوا عن منهج الهداية ، وهو عليه السلام يملأها قسطاً وعدلاً بعد ما ملئت ظلماً وجوراً .

أقول : إن المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام وإن كان من أولي العزم إلا أنه من شيعة آل محمد صلى الله عليه وآله ، ولعيسى عليه السلام بكونه تابعاً لهم ومن شيعتهم الفخر فإن إبراهيم الخليل عليه السلام أفضل من عيسى ، وهو من شيعة علي عليه السلام فصلاة عيسى عليه السلام خلف القائم عليه السلام لا تزيد القائم فضلاً على غيره من الأئمة عليهم السلام لأنه يجب عليه إذا حضر أحد من الأئمة عليهم السلام أن يقتدي به لا فرق في اقتداء عيسى بالإمام من آل محمد صلى الله عليه وآله بين القائم عليه السلام وغيره منهم لأن عيسى واحد من شيعتهم ورعيتهم .

وقوله أعلى مكانه وأشاد سلطانه : ولم يكن لسليمان مع نص : ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ﴾ ، ليس كلام النبي سليمان عليه السلام نصاً في الظاهر لأن هذا ينافي مقام النبوة وإنما معنى كلامه غير الظاهر وهو ما رواه الصدوق في علل الشرائع بسنده إلى علي بن يقطين ، قال : قلت لأبي الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام ، أيجوز أن يكون نبي الله عزّ وجلّ بخيلاً ؟ فقال : (**لا**) ، فقلت له : فقول سليمان عليه السلام : ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ﴾ ، ما وجهه وما معناه؟ فقال عليه السلام : (**الملك ملكان ، ملك مأخوذ بالغلبة والجور وإجبار الناس ، وملك مأخوذ من قبل الله تعالى ذكره كملك آل ابراهيم وملك طالوت وذي القرنين ، فقال سليمان : هب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي أن يقول إنه مأخوذ بالغلبة والجور وإجبار الناس ، فسخر الله عزّ وجلّ له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب وجعل غدوها شهراً ورواحها شهراً وسخر الله عزّ وجلّ له الشياطين كل**

بناء وغواص ، وعلمه منطق الطير ومكّن له في الأرض فعلم الناس في وقته وبعده أن ملكه لا يشبه ملك الملوك الجبارين من قبل الناس والمالكين بالغلبة والجور) .

قال : فقلت له : فقول رسول الله صلى الله عليه وآله : **(رحم الله أخي سليمان بن داود عليهما السلام ما كان أبخله)** فقال عليه السلام : **(لقوله صلى الله عليه وآله وجهان : أحدهما ما كان أبخله بعرضه وسوء القول فيه ، والوجه الآخر يقول : ما كان أبخله إن أراد ما يذهب إليه الجهال)** ثم قال عليه السلام : **(قد والله أوتينا مثل ما أوتي سليمان وما لم يؤت سليمان وما لم يؤت أحد من الأنبياء ، قال الله عزّ وجلّ في قصة سليمان : هذا عطاؤنا فأمنن أو أمسك بغير حساب ، وقال عزّ وجلّ في قصة محمد صلى الله عليه وآله : ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا)** انتهى ، ولا يقال : إن ظاهر الآية غير ما يدل عليه الحديث لأن الله سبحانه علم أن رجالاً من أمة نبيه صلى الله عليه وآله لا يقبلون وصيته ولا يرضون بوصيه وأنهم يدعون منصبه وأنهم لا يحتاجون إلى علمه لأنهم عرب يعرفون ألفاظ القرآن فيستغنون عن وصيه ، فخاطب نبيه صلى الله عليه وآله بأسرار لا يفهمها إلا هو وأهل بيته عليه وعليهم السلام ليحتاجوا إليهم فيهدونهم سبيل الرشاد وأكثر القرآن هكذا حتى قال تعالى : ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ وهم محمد وأهل بيته الطاهرين فالحق ما قالوا .

وقوله خلد الله سلطانه : ما كان لسليمان ما كان للقائم عليه السلام من الخلافة والسلطنة .

فأقول : نعم ، ولا ما كان لأحد من الأئمة عليهم السلام لأن

سليمان عليه السلام إنما نال ذلك بخاتمه ، وإنما كان خاتمه سبباً لما أوتي لأنه مكتوب عليه أسماؤهم سلام الله عليهم .

وأمّا أن الأئمة عليهم السلام وإن كانت لهم تلك الخلافة والسلطنة إلا أن خلافتهم الظاهرة كامنة بخلاف خلافة القائم فإنها ظاهرة حتى أنه يملأ الأرض قسطاً وعدلاً .

فاعلم ، أن الأئمة عليهم السلام إنما كانت خلافتهم الظاهرة كامنة في مدة قليلة ظهر فيها الجور والظلم بحيث كانوا مغلوبين قدرها مائتان وستون سنة مع زمان النبي صلى الله عليه وآله من يوم هاجر ، وخلافة القائم عليه السلام كانت كامنة أيضاً في مدة وجوده إلى الآن سنة أربع وثلاثين ومائتين بعد الألف وهي تسعمائة سنة وأربع وسبعون سنة والدنيا مملوءة بالجور والظلم ، وهو عليه السلام موجود عجل الله فرجه ، وكل ما أتى من السنين يشتد الظلم والجور والفساد العظيم في البر والبحر حتى يخرج ويتمكن ويملأها قسطاً وعدلاً وذلك في مدة سبعين سنة والأئمة عليهم السلام أيضاً يخرجون بعد القائم عليه السلام فيملؤونها قسطاً وعدلاً في مدة أطول من مدة القائم عليه السلام ، وذلك لأنه عجل الله فرجه مدة ملكه سبعون سنة فإذا مضى من مدة ملكه تسع وخمسون سنة خرج الحسين عليه السلام فيصمت حتى تنقضي مدة القائم فإذا قتل الحجة عليه السلام تقتله امرأة من بني تميم لها لحية كلحية الرجل اسمها سعيدة ـ لعنها الله ـ وذلك أنه عليه السلام كان ماراً متجاوزاً في الطريق وكانت لعنها الله فوق السطح فترميه بجاون صخر على أم رأسه فتقتله ، فإذا غسّله الحسين عليه السلام وكفنه ودفنه قام بأمر الخلافة ، ويبعث الله تعالى له معاوية ويزيد بن معاوية

وأتباعهم فيقاتلهم وتجتمع عليه الأعراب وأعداء الدين فتضيق عليه الأرض فيلتجئ إلى الكعبة وذلك على رأس ثمان سنين من موت القائم عليه السلام ، فيخرج السفاح وهو علي بن أبي طالب عليه السلام لنصرة ولده فيقتلون جميع أعدائهم والحاكم هو الحسين عليه السلام ويعيش معه أبوه علي عليهما السلام ثلاثمائة سنة وتسع سنين مدة أصحاب الكهف .

ثم يقتل علي عليه السلام يضرب على قرنه كضربة ابن ملجم لعن الله قاتله من الأولين والآخرين ، إذ كل إمام له ميتة وقتلة إلا أمير المؤمنين عليه السلام فإنه يقتل مرتين ويرجع مرتين قال عليه السلام : (**أنا الذي أقتل مرتين وأحيى مرتين ولي الكرة بعد الكرة والرجعة بعد الرجعة**) ، ويبقى الحسين عليه السلام حاكماً ومدة ملكه إلى أن يرفعه الله خمسين ألف سنة حتى أنه يشد حاجبيه بعصابة عن عينيه من شدة الكبر ، ويمكث علي عليه السلام في قبره أربعة آلاف سنة أو ستة آلاف أو عشرة آلاف على اختلاف الروايات والحسين حي حاكم والأئمة عليهم السلام يخرجون واحداً بعد واحد ولا أعلم ترتيب خروجهم إلا أنهم يخرجون والقائم عليه السلام أيضاً يخرج معهم ثم يخرج علي عليه السلام مع جميع شيعته ويجتمع إبليس ـ لعنه الله ـ مع جميع شيعته وأتباعه فيقتتلون في بابل قريباً من الحلة ويضيقون جنود إبليس على المؤمنين ويتأخر المؤمنون إلى وراء حتى يقع منهم نحو ثلاثين رجلاً في شط الفرات فحينئذٍ يأتي تأويل قوله تعالى : ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ﴾ رسول الله صلى الله عليه وآله ينزل من السحاب مع جنود الملائكة وبيده

حربة من نور ، فإذا رآه إبليس ولى هارباً فيقول له أصحابه : أين تذهب وقد آن لنا النصر ، فيقول : إني أرى ما لا ترون فيتبعه رسول الله صلى الله عليه وآله ، فيقول إبليس : أين ما وعدتموني بالإنظار إلى يوم يبعثون فيقول صلى الله عليه وآله : هذا هو يومك يا لعين فيطعنه بالحربة في ظهره تخرج من صدره ويقتلون جميع شيعته وتابعيه ، ويكون الحكم لرسول الله صلى الله عليه وآله يظهر به علي عليه السلام بأمره وباقي الأئمة عليهم السلام كل واحد حاكم في جهة من أقطار الدنيا فيبعث أمير المؤمنين عليه السلام ابنه الحسين عليه السلام مع جنود من الإنس والجن المؤمنين والملائكة .

فلا يترك على وجه الأرض حيوان من إنسان أو غيره في البر والبحر إلا قتله إلا المؤمن والحيوان المأكول اللحم ، وعند ذلك تظهر الجنتان المدهامتان عند مسجد الكوفة وما وراء ذلك بما شاء الله ويعيش المؤمنون في أنعم حال حتى أن الرجل إذا أخذ الرمانة من الشجرة نبتت مكانها رمانة بحيث لا يخلو غصنها وهكذا جميع الأشجار ، وتظهر الكنوز والبركات حتى أن المولود إذا كسي ثوباً يشب الثوب ويطول على قدر المولود إلى أن يكون رجلاً يطول بطوله ويتلون في صبغه بما يشتهيه صاحبه ، ولا يموت الرجل من المؤمنين حتى يرى ألف ولد ذكر من صلبه فإذا أراد الله إفناء الخلق رفع فاطمة عليها السلام من الأرض إلى السماء ، ثم الأئمة الثمانية ، ثم القائم ، ثم الحسين ، ثم الحسن ، ثم علي ، ثم رسول الله صلى الله عليه وعليهم أجمعين ، وبعد رفع رسول الله صلى الله عليه وآله تبقى الناس الموجودون في هرج ومرج يهيمون

كالحيوانات أربعين يوماً ثم ينفخ إسرافيل في الصور نفخة الصعق : ﴿ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ ويمكث العالم خراباً خامداً أربعمائة سنة ثم يبعث الله إسرافيل فينفخ في الصور : ﴿ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾ انتهى .

نقلت هذه الكلمات من الروايات على سبيل الاختصار والاقتصار تذكرة لأولي الأبصار فمن أراد التطويل والتفصيل فليرجع إلى كتابنا الموضوع في الرجعة (**فأنت إذا نظرت**) إلى وجود الجور والظلم والفساد وجدته في زمن القائم عليه السلام أقوى وأشد وأكثر من الظلم والجور في زمان الأئمة عليهم السلام ، لأن مجموع زمان الأئمة عليهم السلام من الهجرة إلى زمان موت الحسن العسكري مائتان وستون سنة لعدم تمكنهم عليهم السلام من إقامة الدين وزمن القائم عليه السلام الذي لم يتمكن فيه من إقامة الدين إلى زماننا هذا وهو تاريخ كتابة هذا الجواب تسعمائة وأربع وسبعون سنة وإلى زمن قيامه الذي لا يعلمه إلا الله كله مملوء ظلماً وجوراً ، فإذا تمكن ـ عجل الله فرجه ـ رفع الظلم وإذا تمكنوا أيضاً رفعوا الظلم ، فخلافتهم كانت كامنة مدة قليلة وخلافته كانت كامنة مدة طويلة ومع التمكن كل منهم قائم بالقسط بأمر الله عجل الله فرجهم وسهل مخرجهم فليس ذلك موجباً لفضله عليهم ، نعم لو قلت : إن طول مدة صبره على شدة الجور والظلم وقصر مدة صبرهم مما يوجب زيادة الفضل لم يكن بعيداً إلا أن ما أصابهم أصابه وما أصابه أصابهم ، ولو كان كثرة البلايا وشدتها موجبة للتفضيل ، لكان الحسين عليه السلام أفضل من أخيه الحسن عليه السلام ، ولكن مناط التفضيل هو منازل قربهم من المبدأ

والفيض الإلهي كما أشرنا إليه سابقاً ، ولو رجع الأمر إلى عقولنا لقلنا : بالتساوي لأن كل واحد منهم عليهم السلام لا تدرك كنهه عقولنا ولكن الأمر في التفضيل مستفاد من كلامهم وهم أعلم بحقائقهم والله بكل شيء عليم .

قال : وما ينبغي أن نعتقد في حقهم عليهم السلام من الأفضلية أو التساوي ومراتب النبوة والولاية ودرجاتها على التفصيل والبسط امتثالاً لأمره الأشرف وعلى الله أجركم .

أقول : إلى هنا انتهى المأمور به ، والذي ينبغي أن تعتقدوا أن الحق معهم ومنهم وفيهم وبهم ، فإذا قالوا فقولوا ، وإذا سكتوا أو فاسكتوا ، ومما قالوا : إن محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله خير خلق الله من كل ما صدق عليه اسم الشيء من المخلوقات من الغيب وغيب الغيب والشهادة وشهادة الشهادة إلى سبع مراتب في الطرفين ، وأن نبوته تبليغ ما في الوجود من أحكام الخلق والرزق والحياة والممات ، فهو الولي الأفخر والسيد الأكبر ومن دونه في جميع ما أشرنا إليه بواسطته صلى الله عليه وآله علي بن أبي طالب عليهم السلام ثم الحسن ثم الحسين ثم القائم ثم الأئمة الثمانية ثم فاطمة صلى الله عليهم أجمعين . وهؤلاء من نور واحد أول ما خلق نور محمد صلى الله عليه وآله ، ثم خلق منه نور علي عليه السلام ، مثاله أن عندك سراجاً واحداً ثم أشعلت منه سراجاً فكان مثله إلا أن الأول سابق والثاني مشتق منه . قال علي عليه السلام : (**أنا من محمد كالضوء من الضوء**) ، والحسن ثم الحسين من علي وهكذا وكل سابق أفضل من لاحقه بحرف من العلم لا يقدر أن يحتمله اللاحق ولهذا لم يطق علي حمل رسول الله صلى الله عليه

وآله لتكسير الأصنام لأجل الحرف الزائد ، فإنه لا يحتمله علي عليه السلام ولو قعد الحسن وصعد على كتفه أبوه علي لم يقدر على حمله ، وهكذا وكل ذلك لأجل الحرف الزائد من العلم ناله بسبقه في أصل التكوين . فمن نظر في هذه المطالب فإن فهم فما أسعده بها ، وإن لم يفهم فلا يكذب بما لم يحط به علماً ولما يأته وتأويله .

وأما أنا (**فإن افتريته فعلي إجرامي**) ، لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وصلى الله على محمد وآله الطاهرين .

وقع الفراغ من تسويد هذه الأجوبة بما وفق الله سبحانه من التشرف بجواب سؤال الملك الأعظم ، خلد الله مدة دولته ، وشد أركان سلطنته ، وشيد أعلام مملكته بحرمة محمد وعترته ، آمين رب العالمين ، ليلة الإثنين غرة شهر صفر بدار الأمان والإيمان محروسة كرمان شاهان ، حرس الله حاميها من حوادث الزمان وطوارق الحدثان بحرمة محمد وآله أمناء الرحمن ، آمين رب العالمين ، بقلم منشئها العبد المسكين أحمد بن زين الدين حامداً مصلياً مستغفراً تمت .

* * *



رسالة في جواب السيد شريف

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين .

أما بعد ، فيقول العبد المسكين أحمد بن زين الدين الأحسائي : أنه قد أنهى إلي السيد العفيف والسند المنيف السيد شريف ابن الطاهر الفاخر المرحوم السيد جابر أحسن الله إليه وأزلف درجته ، لديه مسألة نقلت إليه قد تعصبت على الأفكار وتمنعت على أولي الأبصار طلب من محبه الجواب عنها لأنها من مهمات الدين وركن من أركان اليقين ، فكتبت ما سنح على البال المتشوش بالحل والارتحال وذكرت ما يتفرع عليها من السؤال بشهادة الحال تتميماً للمقال وحسماً للداء العضال ليأتي الجواب مبيناً لأولي الألباب وهي :

ما حاجة المكلفين إلى عصمة المعصوم عليه السلام ؟ ويتفرع عليه أنه إن كانت الحاجة إلى ذلك للأمن من الخطأ في التبليغ إلى المكلفين ليعبدوا ربهم باليقين لأنه لا يعبد بالشك والتخمين ، لأنه إذا أمكن عبادته بالصرف ولا يقبلها على حرف ، لزم عدم جواز خلو الزمان في كل آن من معصوم ظاهر يتلقون عنه النواهي والأوامر لأن ذلك لطف في التكليف ورأفة عند التعريف ولزم عدم جواز الأخذ عن غير المعصوم للعلة المذكورة ، وهذا خلاف الواقع

في هذا الزمان ، ووقوع ذلك مع اعتقاد أنه تعالى لا يخل بواجب في الحكمة دليل على عدم احتياجهم إلى متصف بالعصمة وثبوت ذلك دليل على جواز الخطأ والغفلة على الوسائط بين الله وبين خلقه المستلزم لهدم بنيان مثبتيها وتزعزع أركان مدّعيها .

الجواب : اعلم أن جواب هذه المسألة المشكلة مع جميع ما يتفرع عليها يتوقف على تقديم إشارة إلى كلمات ينكشف بها لأولي الألباب صريح الجواب .

فأقول : ومن الله إلهام الصواب ، وإليه المرجع والمآب ، اعلم أن الله سبحانه لما كان كنهه تفريقاً بينه وبين خلقه وغيوره تحديداً لما سواه كان لا يعلم أحد كيف هو في سر ولا علانية إلّا بما دل على ذاته بذاته ، ولا يعرفه أحد إلا بما تعرف به إليه فهو الدليل والمدلول عليه ، وكل ما وصلت إليه الأفهام وحامت حوله الأوهام ، فهو مثلها مردود عليها وحيث أحب من عباده أن يعرفوه وطلب منهم أن يعبدوه تأصيلاً للرحمة وإسباغاً للنعمة ، وكانوا لا يعرفون ما يليق بعز جلاله ، وإنما يعرفون ما يليق بهم وجب في الحكمة أن يبعث إليهم روحاً خميصة من أمره وأن يلبسه قالباً من بشريتهم ليجانسهم ويوانسهم بظاهره كاملاً قوياً في باطنه يقدر على التلقي والتعريف الإلهي تاماً قوياً في ظاهره يقدر على ترجمة التعريف بلسانهم قال تعالى : ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا ﴾ وقال تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ والمراد بوجوب ذلك في الحكمة وجوبه في عالم الإمكان والحدوث ، ومعناه أنه لا يجري الإمكان إلا على مقتضى الحكمة ، ولا يخرج الموجود الحادث في كل رتبة من تطوراته إلا

مبيناً مشروحاً على أكمل وجه في البيان في كل رتبة بحسبها ، فما بطن خفي ظاهراً بيانه ، وما ظهر استعلن برهانه وحيث كان ذلك التعريف الذي هو مبدأ التكليف سبباً وسبيلاً بين مختلفين في كل جهة من كل جهة لما لوّحنا لك أن الوجوب بخلاف الحدوث ، ولا نريد أنه بعكسه فيعرف بضده إذ لا ضد له ، فإن الحرارة تعرف بالبرودة والرطوبة باليبوسة ، على أنه لو كان كذلك لم يكن عنه شيء منه ، بل نريد أنها ليست كمثله إذ لا ندّ له ، فيكون في عزه وغناه مشاركاً ، وفي ذاته وصفاته وأفعاله مماثلاً : ﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ .

وكان الترجمان الواسطة بين المختلفين موافقاً بجهته العليا للتكليف ومبدئه وتلقيه ، وبجهته السفلى للتبليغ والتعريف ، وكان ذلك التكليف علل ما هم عليه ومذكورون به في المشيئة فجرى هناك بذكرهم على ما لا يعرفونه من أنفسهم هنا لأنه في الحقيقة ثناء على من لا يعرفونه إلا بما وصف لهم نفسه على لسان الترجمان ، وجب في الحكمة أن تعتبر عصمة الترجمان في التبليغ إذ لو جاز عليه الخطأ لجاز أن يكون فيما بلّغ غير ما أمر به ، وهو غير ما يراد منهم ، فلا يجب قبول شيء من قوله ، لأنه إذا جاز في مسألة جاز في أخرى ، فأما أن يلزم من ذلك قول البراهمة أو يرتفع التكليف ، إذ لا فرق حينئذٍ بينهم وبينه وقد ثبت بطلان مذهب البراهمة وثبت [ثبت] بقاء التكليف وبه دار الفلك فثبتت الحاجة إلى عصمة الترجمان عن الله تعالى ، ثم لما كان مقتضى القدر والقضاء الإلهيين الجاريين على مقتضى الحكمة في إيجاد الموجودات عدم بقاء هذا الترجمان إلى انقضاء وقت التكليف لسبب يطول ببيانه الكلام ،

وكانت الأوامر والنواهي المتعلقان بأفعال المكلفين غير محصورة لكثرتها لتجدد الحوادث والوقائع ما دام التكليف باقياً وجب في الحكمة أن يكون لها حافظ عن التغيير والتبديل والتلف بسهو أو نسيان أو جهل أو موت أو غير ذلك ، ومن كان كذلك وجب أن يعتبر فيه ما يعتبر في الترجمان من الحفظ والفهم وقوة الباطن في التحمل والتلقي عنه ، لأنه يأخذ عنه بالجهة التي أخذ بها الترجمان عن الله تعالى وقوة الظاهر في الأداء والعصمة للأمن من الخطأ والإخلال بالواجب كما ذكر في الترجمان ، وذلك لأن الترجمان لمّا وجب عليه أن يلقيها إلى الحافظ لئلا يضيّع من في الأصلاب والأرحام ، ويرتفع التكليف ، وكانت لا تنحصر بالعد ولا يضبطها حدّ ، وجب عليه أن يلقيها أصولاً وقواعد كما ألقيت إليه كذلك في جوامع الكلم إلى الحافظ وقد فعل ولهذا قال الحافظ لمّا سئل عما أوعز إليه حين ناجاه طويلاً ، قال : (**علمني ألف باب من العلم ينفتح لي من كل باب ألف باب**) .

وكذلك ما اشتمل عليه الجفر والجامعة والغابر والمزبور ومصحف فاطمة عليها السلام ونور ليلة القدر والعمود النور والاسم الأكبر والرجم وغير ذلك مما كتب عنه بإملائه ، وكلها أصول وضوابط تنطبق على أفراد من المسائل لا تكاد تتناهى وإخراجها من أكمام غيوب الضوابط والكليات على طبق الواقع لا يمكن إلا بتلك القوة الإلهية مع العصمة وتسديد الملك المحدث وإلا جاز عليه التغيير والتبديل ، فلا يكون حافظاً ولا يجب الأخذ عنه كما مر في الترجمان حرفاً بحرف ، لأن تفصيل تلك الجمل على طبق مراد الله الذي هو حكم الله في نفس الأمر ليس في وسع

البشر ليستغنى عن الكشف الرباني الملابس للعصمة ، وهكذا حكم كل مستحفظ بعد مستحفظ وهذه سنّة الله التي قد خلت في عباده : ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ وفيما رواه أبو ليث الواقدي عن النبي في غزوة أوطاس ، قال صلى الله عليه وآله : (**لتركبن سنن من كان قبلكم حذو النعل بالنعل حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه**) ، الحديث ، وكان الأنبياء مع أوصيائهم على هذا السنن منذ أهبط الله آدم إلى زمن نبينا صلى الله عليه وآله فكان كذلك حتى أمر الله أن يخبر عن نفسه بجريه على ذلك السنن فقال : ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ فكانت الحجة لله على عباده قائمة من العقول والرسل قبل الخلق ومع الخلق وبعد الخلق . إذ في كل وقت لا يخلو العالم من غوث هو محل نظر الله من العالم ، وهو المستحفظ المشار إليه ، وأمّا في هذا الزمان فإنّا إنما لم نشترط العصمة في كل واحد من العلماء الذين هم وسائط بين الرعية والداعين كما أشار إليه تعالى بقوله : ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً﴾ والقرى الظاهرة هم العلماء على أحد التأويلين ، لأنهم لا يراد منهم التلقي عن الله وتفصيل الجمل على طبق مراد الله في نفس الأمر كما في الترجمان والحافظ وإنما يراد منهم نقل ما فصّل لهم وحمل ما وصل إليهم وإن كانوا يستنبطون الأحكام من كلام الترجمان والحافظ المنقول إليهم بالنقل المعتبر .

لأن أفهامهم تدور مدار مرادهما وتحوم حول كلامهما لتحصيل ما قصداه فأفهامهم محبوسة على ما هو مرادهما بحسب ما يفهمون لم يطلبوا غير ما أرادا بكل ما يقدرون عليه قد قصروا نظرهم في

اتّباعهما ، فأغنى وجود العصمة في المتبوع والأصل عن وجودها في التابع والفرع ، فإن ذلك إذا كان محفوظاً مفصّلاً عند المتبوع لا يضر تجويز خطأ التابع لأنه إذا أخطأ واحد منهم لم يخطئ غيره ، فلم يخرج الحق عن مستقره ، نعم نشترط حصول أثرها أعني إصابة الواقع في المجموع وهو قطعي الحصول لأنهم قد حصروا بعقولهم جميع ما يحتمله كلامهما على ما ضبطاه لهم من الأصول فلم يخرج مرادهما عن أقوالهم وقد نص الترجمان صلى الله عليه وآله على هذا بقوله : (**لا تزال طائفة من أمتي على الحق حتى تقوم الساعة**) ، كما نشترط حصولها في المستحفظ لاتحاده والأصل في ذلك أعني الاكتفاء بالتكليف المنقول المفصل من دون اعتبار العصمة في هذا الحامل أنه وإن كان مفصلاً ومفرعاً إلا أنه طالب لمراد المستحفظ من الجهة الجامعة بينهما ، وهي الجهة البشرية التي قلنا : إنها جهة المجانسة والموانسة ، لأنهم يعرفون أحكامها بخلاف الجهة العليا من المستحفظ التي لا يعرفون أحكامها فإن شرط قبول التكليف بما لا يعرفون وجود العصمة ليلتزموا بأحكامها ، فلما قررنا ، اشترطنا وجود العصمة في التلقي من جهة الوحي لئلا يجوز عليه تلقي ما لا يفهم وما لا يراد منه . وفي الأداء والتبليغ لئلا يجوز عليه تبليغ ما لا يراد منه من تفصيل تلك الجمل إذ لا يعرف تفصيلها غيره فيريد غير المراد ، ولو كنا نعرف تفصيلها لم نشترط فيه ، لها العصمة لأنا نقوّمه إذا اعوج ، ونسدده إذا زاغ ولم نشترط ذلك في تلقي ما فصّله الحافظ لما قلنا : من أنّا نعرف أحكام جهتنا وهو إنما فصّلها لنا على ما نفهم ، ولأنه مسدد لنا كما قال الصادق عليه السلام ، (**إن الأرض لا تخلو من حجة**

كيما إن زاد المؤمنون ردهم وإن نقّصوا أتمّه لهم) انتهى .

هذا مع حفظ أصله على أن الدليل القاطع قد قام على وجود المستحفظ في هذا الزمان لما قلنا : إن العالم لا يجوز أن يخلو عن قطب وغوث هو محل نظر الله من العالم وللأخبار المتواترة معنى بذلك ، وإن كان مستتراً بعينه عنهم فإن نور وجوده في قلوبهم ، ولقد ورد في الأثر المعتبر أنهم ينتفعون في غيبته بوجوده كما ينتفع الناس بضوء الشمس إذا غيبها السحاب ، يعني أنه في غيبته كالشمس إذا غيبها السحاب فإن النهار موجود لوجود ضيائها ولو لم تكن موجودة لم يوجد ضياء النهار عادة ، فعلى هذا لم يستغن عن العصمة إمّا بعينها وضيائها كما في الترجمان والمستحفظ ، وإمّا بضيائها كما في العلماء الآخذين عنه ، ولو فُقدت أصلاً فُقد الإدراك المجزى لعدم النور أصلاً ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور .

وكتب العبد المسكين أحمد بن زين الدين والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين وصحبه الميامين ، وسلم تسليماً كثيراً .

* * *

رسالة في جواب الشيخ
عبد الحسين ابن الشيخ يوسف
البحراني

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين .

وبعد ، فيقول العبد المسكين أحمد بن زين الدين الأحسائي : أنه قد أرسل إلى الشيخ عبد الحسين ابن المرحوم الشيخ يوسف البحراني مسألة أراد كشف نقابها ، ورفع حجابها ، وإنها من أغمض المسائل ، وجعلت عبارة سؤاله [عبارته] متناً ، والجواب شرحاً ، كما هي عادتي سائلاً من الله التسديد عن الخطأ والخلل والتوفيق للعلم والعمل ، إنه سميع الدعاء لطيف لما يشاء .

قال : أقسام الكفّار تفصيلها أنهم مع تشيعهم وتفرقهم يجمعهم أربعة أقسام ، قسم غير معترف بالقادر المختار ، وهم الدهرية على اختلاف فرقها .

أقول : الكفر لغة الستر والتغطية ، ومنه تسمية الزارع كافراً قال تعالى : ﴿ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ﴾ أي الزراع وإنما سمي الكافر كافراً لأنه يستر الحق .

قال ابن جمهور في المجلى : وفي الشرع يقابل الإيمان فهو إنكار شيء مما علم بالضرورة مجيء الرسول صلى الله عليه وآله به انتهى .

وبيان ما في هذا الكلام نشير إليه في مطاوي كلامنا ، وإنما قسّم

الكفار على أربعة أقسام مع أن فيهم في الجملة من اختلف [اختلفت] فيه ، كالذين اختلفوا في الولاية والإمامة ، ويأتي تمام الكلام في محله وفيهم من ليس كونه كافراً من الجهة التي جرى به التقسيم ، وسوف ننبه عليه لأن مراده بيان الفرق بين مأخذ واحد بمدرك واحد كيف يكون موصلاً قوماً إلى الكفر ، وآخرين إلى الإيمان ، كما هو الذي عليه معنى هذه المسألة ، وإن استلزم بيان ذلك بيان أصول الكفر والإيمان في الجملة المستلزم لبطلان هذا التقسيم ، إذ ليس هو بصدد بيان التقسيم فلا فائدة لبيانه وتشييد بنيانه ونحن نقتصر على المراد ونشير إلى ما يلزم من ذلك مما يتوقف عليه بيان المطلوب تتميماً للبيان وإيصالاً إلى المشاهدة والعيان ، فقوله : غير معترف بالقادر [بالقادر المختار] إلخ إشارة إلى ما ذكره الصادق عليه السلام في حديث الاهليلجة للدهري ، فإنهم [لأنهم] يزعمون أن الصانع هو الطبيعة ويثبتون لها قدرة لكنها ليست اختيارية ولا عن علم وأما ما ذكره في الدهرية فلا فائدة فيه ، وهؤلاء لا إشكال في كفرهم لأنهم أنكروا الصانع سبحانه بعد البيان لأنهم أقروا بأنهم مصنوعون وأثبتوا الصنع [الصانع] والإيجاد لمصنوع مثلهم قد شاركهم في الأين والمتى والوضع والكيف والكم والإضافة والاقتران والافتراق وغير ذلك من أحوال المصنوعين ، وهي دالة على أن من وجدت فيه مصنوع لا بد له من صانع ، فكفرهم على الحقيقة ذاتي أصلي لأن أصل الكفر إمّا ذاتي أصلي ، وإمّا لازم فرعي ، وأما من كان منهم قائلاً بالتعليل [بالتعطيل] وعدم الصانع بالكلية فظاهر ، وأما من قال بالطبيعة وأمثالها فكذلك لأنهم وإن أثبتوا صانعاً في الجملة لكنه

غير الصانع الحق تعالى فقد جحدوا الحق وأثبتوا الباطل فكفرهم أصلي ويدخل في هذا القسم من [من الأقسام] الآخرين من أثبت صانعاً ثبتت [ثبتت فيه] صفة من صفات الخلق بحسب طاقته في إدراكه بما أوتي [أول] ، نعم لو ثبت [أثبت] للصانع صفة من صفات الخلق إلا أنها عنده صفة كمال ولا يعلم أنها صفة الخلق لقصور وجوده ، لم يكن من هؤلاء ويجري عليه حكم المسلمين ، وتأتي الإشارة إلى بيان ذلك إن شاء الله تعالى في ذكر أصول الإيمان وأصول الكفر .

قال : الثاني قسم معترف بالقادر المختار غير معترف بالنبوة أصلاً وهم البراهمة .

أقول : وهم طائفة في الهند ، أنكروا نبوة الأنبياء بعد الإقرار بوجود صانع للعالم ، واعتمدوا في ذلك على ما توهموه ، فقالوا : كلّ ما يعرف بالعقل فلا يحتاج فيه إلى شيء [نبي] وكل ما لا يكون للعقل إليه طريق فهو غير معقول ولا يكون مراداً ودعوى النبوة غير معقولة أصلاً ، وهؤلاء كافرون أيضاً كفر جحود لأنه يلزم من إنكار الواسطة إنكار المبدأ والأصل في ذلك أن الواسطة في الحقيقة فعل المبدأ في كل مقام من مراتب الوجود من الدرة إلى الذرة ، فمنكر الواسطة منكر للصنع ، ومنكر الصنع منكر للصانع تعالى ، وهو كافر أيضاً كفر جحود كما مرّ .

قال : الثالث قسم معترف بالنبوة في الجملة لكنهم ينفون نبوة محمد صلى الله عليه وآله كاليهود والنصارى وغيرهم كالمجوس [المجوس وغيره] .

أقول : وهؤلاء كالذين قبلهم باعتبار المآل لأن إنكار البعض

يستلزم إنكار الكل ، وذلك لأن الموجب للإقرار بالبعض المقر به كظهور المعجزات الثابتة بالمشاهدة أو بالتواتر موجب للإقرار بذلك البعض المذكور لوجود الموجب بنفسه ، وزيادة نص السابق وبشارته باللاحق والحث على اتّباع اللاحق ، ولأن المقرر به لا يصح الإقرار به إلا بتصديقه في كل ما جاء به عن ربه ، ومما جاء به مما لا ينكر تصديق النبي اللاحق فإنكار البعض إنكار الكل وهؤلاء كافرون كفر يهود .

قال : الرابع قسم معترف بنبوته ونبوة من تقدمه من الأنبياء لكنهم يختلفون في الخليفة بعده .

أقول : هذا القسم الرابع الذي جعله من أقسام الكافر فيه تفصيل ، فلا يحكم عليهم بالكفر بجميع أقسامهم بل نقول . إن تفصيل الاختلاف في الجملة الذي يتبين فيه من كفر ومن لم يكفر يحتاج إلى بيان كلمات وتقدم [تقديم] مقدمات وهي على سبيل الإشارة والاختصار هذه ، اعلم أن الإمامة رأس النبوة ونفسها وروحها كما قال صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام ، (**أنت مني بمنزلة الرأس من الجسد**) كذا رواه الجمهور قال تعالى : ﴿ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ﴾ وأجمع المفسرون أن المراد بنفس رسول الله صلى الله عليه وآله هو علي عليه السلام ، ولا يمكن الاتحاد وأقربها إلى الحقيقة هو أن المراد به أن الإمامة نفس النبوة وقد حققناه في بعض رسائلنا ومباحثاتنا وإليه الإشارة بقوله تعالى : ﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ الآية ، قال صلى الله عليه وآله لعلي : (**أنت نفسي التي بين جنبي**) وقال صلى الله عليه وآله : (**أنت مني بمنزلة الروح من الجسد**) ، وقال علي بن الحسين عليهما السلام :

(والجسد بغير روح صورة لا حراك بها) ، الحديث ، كما رواه الصدوق في توحيده .

ثم أقول : وهو ما ذكرته في مثل هذا المقام في شرحي لتبصرة العلامة الحلي رحمه الله وقلت فيه : اعلم أن [أن المعنى] الغائب أي المعقول له ثلاث مراتب أي مواضع : أولها العلم ومقره الصدر يعني صور النفس وهو صور المعلومات المجردة عن المواد والمدد .

والثاني اليقين ومقره القلب أي العقل هنا ، وهو معاني المعلومات المجردة عن المادة والمدة والصورة . والثالث المعرفة ومقرها الفؤاد المعبر عنه بلسان الشرع أيضاً بالنور الذي خلق منه ، أي نور الله في قولهم عليهم السلام : **(اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله)** وبلسان الإشراقيين بالسر وهو الفيض الإلهي اللائح أثره على هيكل العبد وشكله ، وأنزلها العلم وضده الجهل وهو عدم الصورة وفوق العلم اليقين ، وهو لا يكون مع الشك وقد يكون عن عدم الإنكار وضده الريب والشك ولو عن جهل وفوق اليقين المعرفة ، وهي الصحو ولا تكون عن شك ولا عن غفلة ، وضدها العام الإنكار وهو يكون بعدها عن شك وغفلة ولا يتحقق قبلها إذ الإنكار بعد التعريف وقد يطلق بعض الثلاثة على الآخر لجهة جامعة ، ولكن لا ينافي ما قلناه لأن تقسيمنا تزييل بالحقيقة وتحقق ما قلناه ، يطلب من مواضعه ، [انتهى كلامي] .

إذا تقرر ذلك فاعلم أن المختلفين للإمامة أي التاركون لها قسمان : تارك عن معرفة ، وتارك عن عدم معرفة ، فمن عادى أحداً من الأئمة عليهم السلام أو عادى محبيهم لمحبتهم أو لاتّباعهم لهم لا مطلقاً أو قدح في الأئمة عليهم السلام ، بقول أو

فعل أو قدم عليهم من أخّره الله عنهم وفضّل عليهم غيرهم من الناس ، أو سمع النص عليهم مشافهة أو تواتراً أو لم يقبل أو أنكر فضائلهم الظاهرة ، أو أحب هؤلاء لأجل ما ذكرنا [ذكرناه] من فعلهم ، أو مال إليهم لأجل ذلك لا مطلقاً ، أو زعم أن لهم في الإسلام نصيباً مع ذلك وما أشبه ما ذكرنا [ذكرناه] وكان ذلك منه عن معرفة بضد معتقده هذا بأن ظهر له الحق في نفسه ثم عدل عنه إلى شيء مما ذكرنا [ذكرناه] لا مطلقاً فقد كفر كفر الجاهلية الأولى ، وعلى هذا دلت الأخبار وصح الاعتبار ، لأن مطلق حصول هذه الأشياء مع عدم العلم في نفسه لا يكفره ولا يخرجه عن الإسلام ومن الأخبار الدالة على ذلك ما رواه الكليني في روضة الكافي عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام : (**إن الناس صنعوا ما صنعوا إذ بايعوا أبا بكر لم يمنع أمير المؤمنين عليه السلام من أن يدعو إلى نفسه إلا نظراً للناس وتخوفاً عليهم أن يرتدوا عن الإسلام ، فيعبدوا الأوثان ولا يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وكان الأحب إليه أن يقرهم على ما صنعوا من أن يرتدوا عن جميع الإسلام ، وإنما هلك الذين ركبوا ما ركبوا ، فأما من يصنع ذلك ودخل فيما دخل فيه الناس على غير علم ولا عداوة لأمير المؤمنين عليه السلام ، فإن ذلك لا يكفره ولا يخرجه من [عن] الإسلام فلذلك كتم علي عليه السلام أمره وبايع مكرهاً حيث لم يجد أعواناً**) انتهى .

فانظر إلى صراحة هذه الرواية في أن من لم يعلم لا يكفر بما فعل وسماهم مسلمين ، بل قد ورد ما يدل على أن منهم من يحتمل أن يدخل الجنة بل يدخلون بدون احتمال كما رواه القمي في

تفسيره في سورة المؤمن لقوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴾ يعني من الفرح قال : حدثني أبي عن الحسن بن محبوب ، عن علي بن رياب ، عن ضريس الكناسي ، عن أبي جعفر عليه السلام ، قال : قلت : جعلت فداك ما حال الموحدين المقربين بنبوة رسول الله صلى الله عليه وآله من المسلمين المذنبين الذين يموتون وليس لهم إمام ولا يعرفون ولايتكم فقال عليه السلام : (**أمّا هؤلاء فإنهم في حفرهم ، فمن كان له عمل صالح ولم تظهر منه عداوة فإنه يخد له خدًّا إلى الجنة التي خلقها الله بالمغرب فيدخل عليه الروح في حفرته إلى يوم القيامة حتى يلقى الله فيحاسبه بحسناته وسيئاته فإما إلى الجنة ، وإما إلى النار فهؤلاء من الموقوفين لأمر الله قال : وكذلك يفعل بالمستضعفين والبله والأطفال وأولاد المسلمين الذين لم يبلغوا الحلم**) ، الحديث .

أقول : فقوله ولا يعرفون ولايتكم المراد هم الولاية فيه الجهل لأن المراد بها هنا العلم كما أشرنا إليه سابقاً وأما المعرفة الحقيقة [الحقيقية] التي نفيها الإنكار فكما في قوله صلى الله عليه وآله : (**من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية**) انتهى .

فإن المراد بنفي المعرفة هنا الإنكار كما في قوله تعالى : ﴿ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا۟ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴾ فهذه هي المعرفة الخاصة ، وتلك عامة مجازية ، ويعرف كل بالقرينة ، وإذا فقدت القرينة فارجع إلى الحقيقة ، ورعاة الدين عليهم السلام ، وضعوا كل شيء موضعه من تصريح وإبهام وإيهام ووضعوا العلامات لأهل الاستيضاح من شيعتهم لأنهم يعرفون لغتهم عليهم السلام فلا يضرهم اختلاف

الآثار لأن الرعاة عليهم السلام إنما خالفوا بين الآثار ستراً للأسرار عن الأغيار ، وحفظاً للأخيار عن الأشرار ، كما رواه الكشي في كتابه عن عبيد بن زرارة في حديث إعابته لأبيه زرارة ، وأن ذلك لغاية قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : إلى أن قال عليه السلام : (**ولكل ذلك عندنا تصاريف ومعانٍ توافق الحق ولو أُذن لنا لعلمتم أن الحق في الذي أمرناكم [أمرناكم به] فردوا الأمر إلينا وسلموا لنا واصبروا لأحكامنا وارضوا بها ، والذي فرق بينكم هو راعيكم الذي استرعاه الله أمر خلقه وهو أعرف بمصلحة غنمه في فساد أمرها ، فإن شاء فرق بينها لتسلم ثم يجمع بينها لتسلم من فسادها وخوف عدوها**) . الحديث ، فأخبر عليه السلام أن له مصاريف في ذلك الاختلاف والتفريق ومعاني توافق الحق أنه هو الذي فرق بينها لتسلم ولكل شيء حد وعلى كل حد دليل ، فهمه من فهمه ، ومما هو أعمّ الأدلة (**العرض على الكتاب المجمع على تأويله وسنّة النبي صلى الله عليه وآله المجمع عليها والقياس الذي تعرف العقول عدله**) كما قال الكاظم عليه السلام في حديث محمد بن الزبرقان على ما رواه المفيد في الاختصاص والأخبار متواترة معنى على تصديق هذا الحديث والاعتبار الصحيح شاهد فإذا أردنا التميز [التمييز] بين المعرفتين المذكورين [المذكورتين] لنضع مدلول كل في موضعه ، إذ ورد كما مر أن من لم يعرف الولاية كافر .

وورد أن من لم يعرف الولاية ليس بكافر واستيضاح ذلك من كتاب الله قال الله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ﴾ ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ

رَسُولًا﴾ ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ﴾ وأمثال ذلك من الآيات المحكمات المجمع على مدلولها ومن السنّة أيضاً كثير مثل : (**الناس في سعة ما لم يعلموا ، ليس على العباد أن يعلموا حتى يعلمهم الله**) ، إلى غير ذلك من الأخبار [الروايات] وهذا ظاهر فقد ثبت أن المختلفين في الإمامة لا يكفرون أجمعون بل من لم يقبل [لم يقل] بها بعد أن عرف في نفسه وجوب ذلك عليه ، فإن قيل : كيف كفر من أنكر الصانع والنبوة والمعاد ولو بما يؤدي إلى ذلك بمجرد قوله : وإن لم يكن عن معرفة منه ، ويكون مسلماً بمجرد إقراره كذلك ولم يكفر من أنكر الولاية إلا إذا كان بعد أن وصل إليه البيان وهو أصل بمنزلة تلك الأصول بل هو شرط فيها في مقام القبول قلنا : لما كان التكليف بها حكماً ظاهرياً كفى في تحقق حصول امتثالها الأمر الظاهر لأن هذه مبادئ وسبيل [سبل] إلى الولاية التي هي ولاية الله التي حمل لواءها الولي عليه السلام ، ولهذا [لذا] كان الرد إليه رداً إلى الله حقيقة بل لا مغايرة ولا كثرة قال تعالى : ﴿إِنَّ إِلَيۡنَآ إِيَابَهُمۡ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا حِسَابَهُم﴾ ﴿إِنَّ عَلَيۡنَا جَمۡعَهُۥ وَقُرۡءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأۡنَٰهُ فَٱتَّبِعۡ قُرۡءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا بَيَانَهُۥ﴾ ﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۚ أَلَا لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَهُوَ أَسۡرَعُ ٱلۡحَٰسِبِينَ﴾ ومثل قوله تعالى : ﴿وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖ﴾ وكقوله تعالى : ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ ٱشۡمَأَزَّتۡ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ﴾ إلى غير ذلك ، والأصل فيه أن الولي ليس له من نفسه عند نفسه اعتبار ، وإنما هي صفات الله وشؤونه في خلقه يظهرها فيمن يشاء ألا ترى إلى قوله تعالى : ﴿إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ

وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا ﴾ الآية ، وتلك الأمانة هي الولاية وهي جميع التكاليف من الأعمال والأقوال والاعتقادات ، فافهم ، وإذا أردت ضربت لك مثلاً في نفسك وفي العالم اللذين أشار إليهما سبحانه بأنهما آياته في قوله تعالى : ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْأَفَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ الآية .

وبيان ذلك في نفسك أن كل ما يعمله زيد لجسدك وما تنسبه إليه ، فإنما هو عمل لنفسك ونسبته إليها حقيقة بل ليس الجسد مقصوراً بذلك العمل والنسبة إلا من جهة أنه وصلة إلى نفسك ودال عليها وجه لها ، فانظر في مثل هذه المرآة الصافية لترى وجه الأمر فيها علانية ، وأيضاً أن الملوك يضعون لبعض [بعض] عبيدهم لإنفاذ أوامرهم ونواهيهم [أمرهم ونهيهم] وإصلاح شؤونهم تكرماً منهم عن مباشرة ما لا يليق بمقام الملك وتعظيماً باحتجاب العزة ، فيلبس العبد في جميع ما هو مأمور به وموكل عليه لباس سيده وتاج هيبته ، فتمتثل الرعية أمر العبد لأنه أمر سيده ولو عثروا في خلال ذلك الأمر على أقل قليل ليس عن سيده إما بتخصيص أو بتفويض عارضوه وسقطت هيبته في ذلك الأمر القليل واستخفوا به وضعفت في ذلك عزيمته وسطوته ، والأصل في ذلك أن ما كان فيه من الهيبة والتسلط [السلطنة] ليس من نفسه وإنما هي هيبة الملك وتسلطه فليس له إذ ذاك اعتبار من نفسه ، ولهذا [لذا] إذا اعتبر نفسه لم يكن له شيء من ذلك لأن ذلك هي صفة الملك وولايته وبمثل ذلك جارٍ قوله تعالى : ﴿ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴾ لأن ولاية الولي عليه السلام هي ولاية الله القديمة ظهر بتعلقها بالخلق الولي الحق وقد أشار إلى ذلك علي عليه السلام في

خطبته : (**أنا صاحب الأزلية الأولية**) وقد ذكر السيد قطب الدين قدس سره في قصيدته الطويلة التائية المشهورة فقال شعراً :

ففي أزل الآزال نور الولاية
الإلهية العظمى على نعت وحدة
إلى أبد الآباد ليس لنورها
تعدد أوهام العقول الضعيفة
ولكن لها مجلى وذلك واحد
لدى أول الإبداع عند الإفاضة

ولكن أمير المؤمنين هو نور الذي كان مجلى ذات الصمدية ، فقد ظهر لك أنه إنما يكفر من أنكره ما يلزم من إنكاره الكفر من الأصول كما يأتي إنكاره إذا كان ذلك الأصل مبنياً على حكم الظاهر لسهولة إدراكه على كل من أنصف بأدنى عقل ولظهور براهينه وشواهده إذ برهان كل شيء بنسبته في الظهور والخفاء بخلاف أمر الولاية ، ويأتي تتميمات لهذا المعنى في مواضعها إن شاء الله تعالى فتفقدها تجدها .

قال : وكل واحد من هذه الأقسام الأربعة في اعتقاداتها الأربعة بلغت ستة عشر قسماً .

أقول : يعني أن هذه الأقسام الأربعة كل واحد منها أصحابه على أربعة أقسام ظان ، وواهم ، وشاك ، وعالم كالدهرية مثلاً منهم من هو ظان بأن الصانع هو الدهر كما حكى الله عنهم في قوله [بقوله] تعالى ﴿ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ [الجاثية : ٢٤] والمراد أنهم قاسوا الصانع بالمصنوع فأثبتوا له صفات المصنوع ثم نظروا فلم يجدوا

مصنوعاً إلا متغيراً فانياً ، فأحالوا أمرهم على الدهر لأنه موهوم ولم يفن عندهم فحصلت لهم أمارة بذلك ، وأما أهل الوهم منهم فحيث حصل لهم [لهم ذلك حصل لهم] من الفطرة ما هو أرجح منه فعملوا بحكم الطبيعة المرجوحة أو تساوي حكم الفطرة أو [و] حكم الطبيعة عند بعض [بعضهم] منهم ، فحصل لهم الشك فعملوا بحكم الطبيعة من غير ترجيح ، وأما أهل العلم منهم فإن فسرنا العلم هنا بالاعتقاد وهو المانع من النقيض عند الذاكر لا في الواقع ، قلنا : إنهم بعد أن ظنوا أو توهموا أو شكوا كما مر لأن الاعتقاد قد يكون منها كلها وأعرضوا بالكلية من النظر ومقتضاه واكبوا على مقتضى العصبية وتكبروا واستنكفوا عن قبول هدى من الدعاة إلى الله حسداً وبغياً ، ورسخت فيهم دواعي تلك الأفعال والأحوال بلوازمها ملكة وجبلة حتى أنهم لم يجوزوا غير ما هم عليه ، وأما إن فسرنا العلم بمانع من النقيض في نفس الأمر وفي الاعتقاد فلا يجري في غير أهل الحق ، إذ نفس الأمر هو الحق الواقع وهذا ظاهر ومنشأ عدول من عدل عن الحق من أهل الفرق كلها أن الإنسان أولاً تكون منه جسده ، ثم النفس الحيوانية بجميع قواها على الترتيب مثل نفس الشهوة ثم الغضبية ثم التميز [التمييز] ولا يكون له عقل يتوجه بسببه إليه التكليف إلا بعد رسوخ النفوس فيه ، كنفس الحياة والشهوة والقوة والمدرج والغضبية وكنفس العادات ونفس الأكوان والإضافات إلى غير ذلك مما هو يقتضي خلاف الحق والعقل الذي يقتضي الحق ويأمر به مخالف لها كلها في جميع ميولاته ومقتضياته ، وهو لا يأتي إلا بالتدريج شيئاً فشيئاً فإن حصل له أعوان من الميل إلى الدعاة والإصغاء إليهم والتخلق

بأخلاقهم وربي بالغذاء الصالح له من الأعمال الصالحة قوي على قتل تلك النفوس وإحالتها إلى حالاته ، وإدخالها تحت طاعته فتكون مطمئنة راجعة إليه راضية بحكم مرضية لديه ، واهتدى صاحبه إلى الحق القويم والصراط المستقيم ، وإلّا كان من الإنسان ما يغلب عليه من النفوس حتى ينزل في الدركات ويستولي عليه الشبهات : ﴿ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَاۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ فتكون الدواعي الأربعة في الفرق الأربعة ست عشرة صورة كما ذكره إلا أن المختلفين في الولاية يلحظون في ذلك ما قلناه آنفاً .

قال : ثم إن مادة هذه الاعتقادات الأربع تمكن أن تكون من البرهان المؤلف من اليقينيات أو من الجدل المؤلف من المسلمات أو من الشعر المؤلف من المخيلات أو من الخطابة المؤلف من المقبولات والظنونات [المظنونات] أو من السفسطة المؤلفة من الوهميات والمشبهات ، فإذا ضربت هذه الخمسة في الستة عشر قسماً الحاصلة من الضرب الأول تبلغ ثمانين قسماً .

أقول : إن البرهان الصحيح يفيد حصول الاعتقاد الجازم العلمي كما قرر [برهن] في محله والجدل الصحيح يفيد قطع الخصم لتركبه من المقدمات المسلمات عنده أي [أو] من المشهورات التي يحصل بها الاستظهار عليه ، وإن لم تكن مسلمة عنده ولا يستلزم الأول لجواز بطلان لازمه عند الذي أقامه ، وإنما يفيد إسكات الخصم والشعر الصحيح فائدته بسط النفس أو قبضها بمدح أو ذم ، فقد يؤثر أخلاقاً حميدة أو ذميمة ، والخطابة الصحيحة فائدتها جذب القاصرين إلى الاعتقادات لتركب هذا المقام من المقبولات

عند الخصم فيستلزم قبول الحجة أو من المظنونات فلا يسعه المصير إلى الموهوم ، وهذا لا يكون كالأول وإن كان طريقاً إليه لأن البرهان لأهل البيان . وأما الخطابة فلمن لم يقدر على البرهان ابتداءً والسفسطة تفيد المغالطة لتركيبها من المقدمات الباطلة التي تشبه الحقة ، إمّا في الصورة أو في المعنى إذا رتبت على وجهها وبالجملة فقوله : إن الأقسام تبلغ ثمانين يريد به في صورة الضرب والتقسيم لا أنها تحصل في الواقع لتنافي بعضها لبعض ، كما لا يخفى على من له أدنى أنس بالعلم وهو لا يجهل ذلك وإنما أراد ما ذكرنا ولسنا بصدد بيان هذا .

قال : فما حقيقة الإيمان الكاشفة عن أصوله ، وما حقيقة الكفر الكاشفة عن أصوله ، وما الواسطة بينهما إن فرضت ، وما الأصل من أصول الإيمان هل هو ما يمتنع دخول الجنة بعدمه أم غير ذلك ، وما معنى الأصل من أصول الكفر ، هل هو ما يوجب دخول النار بوجوده أم غير ذلك ، وما الدليل على ذلك .

أقول : اعلم أن الإيمان لغة التصديق ، وكذلك في الشرع ، إلا أنه مخصوص بالتصديق بالله وبالرسول [برسوله] وبجميع ما جاء به صلى الله عليه وآله مما علم مجيئه به ضرورة وهل الأعمال الصالحة جزء منه أم لا ، قالت المعتزلة : نعم ، فهو (**تصديق بالجنان وإقرار باللسان وعمل بالأركان** والأخبار دالة عليه كما رواه في الكافي في حسنة حمران بن أعين عن أبي جعفر عليه السلام ، قال : سمعته يقول : (**الإيمان ما استقر في القلب واتقى به إلى الله عزّ وجلّ وصدقه العمل بالطاعة لله والتسليم لأمر الله**) ، الحديث ، وفيه في صحيح محمد بن مسلم عن أحدهما عليهما السلام ،

قال : (**الإيمان إقرار وعمل**) ، الحديث ، وفيه في حكاية عبد الرحيم القصير ، قال : كتبت مع عبد الملك بن أعين إلى أبي عبد الله عليه السلام سألته عن الإيمان ما هو ؟ فكتب إلي مع عبد الملك بن أعين : (**سألت ـ رحمك الله ـ عن الإيمان والإيمان هو الإقرار باللسان وعقد بالقلب وعمل بالأركان والإيمان بعضه من بعض وهو دار**) الحديث ، إلى غير ذلك قال ابن أبي جمهور في المجلى وحمله يعني هذا القسم من الإيمان الذي جعل العمل جزء منه على الإيمان الكامل أحق لعطف الأعمال الصالحة عليه والعطف يقتضي المغايرة انتهى ، وقيل : إن الإيمان تصديق الرسول صلى الله عليه وآله في كل ما علم بالضرورة أنه أتى به . وهذا التعريف يناسب مذهب الأشعري لحصرهم طرق المعارف في السمع فلا يعلم العقل شيئاً إلا من الشرع ، وقيل : إنه المعرفة مع الإقرار والعلم بما جاء به النبي صلى الله عليه وآله ، وقيل : إنه مجموع الطاعات وهو مذهب كافة المعتزلة وجماعة من الإمامية ولهم قول علي عليه السلام : (**لو كان الإيمان كلاماً لم ينزل فيه صوم ولا صلاة ولا حلال ولا حرام**) .

وقول أبي جعفر عليه السلام : (**قيل لأمير المؤمنين عليه السلام : من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله كان مؤمناً ؟ قال عليه السلام : فأين فرائض الله**) انتهى ، وأنت إذا تدبرت الآثار وجدت الإيمان له إطلاقات فمرة يطلق على الإسلام العام الذي هو قبول قول الرسول صلى الله عليه وآله في الجملة ، مع إنكار لذلك في باطنه كما قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا

لَا تَفۡعَلُونَ ﴾ فإنها نزلت في منافق كناه بعض الصادقين عليهم السلام بأبي الملاهي وسماه الله مؤمناً بظاهر إقراره مع أنه [أنه من] أهل قوله تعالى : ﴿ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗاۚ ﴾ وهو عند الله كافر كما في رواية محمد بن جعفر بن خارجة عن أبي عبد الله عليه السلام ، وفيها قال عليه السلام ، (**وتجري عليه أحكام المؤمنين وهو عند الله كافر**) انتهى ، ومرة يطلق عليه مع عدم إنكار ذلك [لذلك] كما أشار سبحانه إلى بعض هذا الإيمان بقوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ ﴾ فوصفهم بهذا الإيمان ، وأمرهم بالإيمان المقرون بالتصديق ، ومرة يطلق على المقرون بالتصديق مطلقاً كما في رواية محمد بن مسلم عن أبي عبد الله عليه السلام قال : سألته عن الإيمان فقال : (**شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله ، والإقرار بما جاء به من عند الله وما استقر في القلوب من التصديق بذلك**) قال : قلت : الشهادة ليست عملاً ، قال : (**بلى**) ، قلت : العمل من الإيمان قال : (**نعم الإيمان لا يكون إلا بالعمل والعمل منه ولا يثبت الإيمان إلا بعمل**) انتهى ، فأبان عليه السلام ظاهراً ، أن الشهادة عمل وأن ذلك يكفي في ثبات الإيمان ثم قرر مرتبة ثانية للإيمان ضمناً بقوله الإيمان لا يكون إلا بعمل وإن كان الإقرار بالشهادتين عملاً وهو كافٍ في المرتبة الأولى كما هو في صحيحة جميل أيضاً ، إلا أن كل ما شفع بالعمل والأوامر كان أكمل وأتم كما هو صريح مرسلة ابن مسكان عن أبي عبد الله عليه السلام قال : (**ومن عمل بما أمر الله [الله به] تعالى فهو مؤمن**) انتهى ، ومرة يطلق على الإقرار بالمعارف وبما جاء به الرسول صلى الله

عليه وآله كما في رواية سفيان السمط ، قال : سأل رجل أبا عبد الله عليه السلام عن الإسلام والإيمان ما الفرق بينهما إلى أن قال : فقال : (**الإسلام هو الظاهر الذي عليه الناس شهادة ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصيام شهر رمضان فهذا الإسلام ، وقال : الإيمان معرفة هذا الأمر مع هذا**) الحديث ، ومرة يطلق ويراد به جميع ما ذكر من [مع] الاجتهاد والورع وموالاة ولي ولاة الأمر عليهم السلام ومعاداة عدوهم [أعدائهم] والتسليم لأمرهم والاحتمال لسرهم والاحتجاب بذمتهم وانتظار دولتهم كما دلت عليه الروايات والأدعية والزيارات خصوصاً الجامعة ، وهذه أعلى درجة مراتب الإيمان الست ليس ورائها مرتبة إلا مرتبة إيمان أهل المرتبة السابعة .

وأمّا أهل المرتبة الأولى ، فإنهم عند الله كفار ، بل هم أشد عذاباً من الكفار ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ وإن كان في الظاهر يجري عليه [عليهم] أحكام المسلمين ما لم يظهر منهم مقتضى ما أبطنوه ولو بالقول بل يطلق عليهم اسم الإيمان ظاهراً كما مر في آية الصف ، وقد أشار الصادق عليه السلام إلى هذا المعنى كما رواه في الكافي عن محمد بن حفص [حفص بن] خارجة قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول و[وقد] سأله رجل عن قول المرجئة في الكفر والإيمان ؟ وقال : إنهم يحتجون علينا ويقولون كما أن الكافر عندنا هو الكافر عند الله فكذلك [فكذلك نجد] المؤمن إذا أقر بإيمانه أنه عند الله مؤمن فقال : (**سبحان الله وكيف يستوي هذان والكفر إقرار**

من العبد فلا يكلف [فلا تكليف] بعد إقرار بنيته [بنبيه] والإيمان دعوى لا تجوز إلا بنية وعمله فإذا اتفقا فالعبد عند الله مؤمن والكفر موجود بكل جهة من هذه الجهات الثلاث من نية أو قول أو عمل والأحكام تجري على القول والعمل فما أكثر من يشهد له المؤمنون بالإيمان وتجري عليه أحكام المؤمنين ، وهو عند الله كافر وقد أصاب من أجري عليه أحكام المؤمنين بظاهر قوله وعمله) انتهى .

أقول : وهؤلاء يسلب عنهم اسم الإيمان في غير مرتبة ظاهر القول ، قال الله تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾ الآيات ، فهم في الحقيقة كافرون كفر نفاق ، وبالجملة فالإيمان الظاهر يكون ثوابه في الدنيا ينالهم نصيبهم من الكتاب ويحقن به الدم ويستحل به الفرج وتؤدى به الأمانة وهذا هو الإسلام الذي هو قسيم الإيمان ، ومن دونه فإنه مسلم أيضاً كما قال الصادق عليه السلام في رواية سفيان بن سمط ، قال عليه السلام : (**فإن أقر بها ولم يعرف هذا الأمر كان مسلماً وكان ضالاً**) وهو إنما سمي مؤمناً لإضافته إلى الإيمان كما قال الصادق عليه السلام في حسنة حمران ، قال : قلت : أرأيت من دخل في الإسلام أليس هو داخلاً في الإيمان ؟ فقال : [قال] (**لا ، ولكنه قد أضيف إلى الإيمان وخرج من الكفر**) .

إلا أن هذين قسمان فإن حصل له تصديق قلبي كان إيمانه برزخيًّا فإن عمل بما لا يختلف فيه ورد ما اختلف فيه إلى الله ، ولم ينكر الولاية ولم يعرف أولي الأمر عليهم السلام ولم يعادهم ولم يعرف حقهم ولم يأتم بهم فهذا كما قال حسن بن علي عليه السلام كما

رواه الطبرسي رحمه الله في احتجاجه [الاحتجاج] قال : (**فنحن نرجو أن يغفر الله له ويدخله الجنة فهذا مسلم ضعيف**) انتهى ، هذا حاله في الآخرة ، وأما في القبر فيخد له خد يدخل عليه روح الجنان إلى يوم القيامة ، فيحاسب بعمله كما مر في حسنة ضريس ، وإن لم يكن له عمل صالح كان في قبره ممن يلهى عنه وفي آخرته يجدد له التكليف كما مر ويتخوف عليه ذنوبه كما قال علي عليه السلام في حديث أشعث بن قيس ، ويدخل في الثانية الثالثة على تفصيل يطول ذكره إلا أنه يعرف مما ذكرنا [ذكرناه] وما سنذكره ، وأما الثلث الآخر فهم من نور واحد إلا أنهم متفاوتون في الكم والكيف والوضع كأضواء السراج كلما قرب منه كان أضوء وأشد .

ثم نقول : أما حقيقة الإيمان فهي معرفة الله على ما هو عليه في ذاته مما وجه تعرف به ومعرفة صفاته على ما هي عليه كذلك مما عرف به ومعرفة أفعاله كذلك مما رغب وخوف به ، ومعرفة عبادته كذلك مما كلف به ، وذلك سبيل الله إلى عباده وسبيل عباده إليه تعالى والعبارة عن ذلك في الظاهر شهادة ألّا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وأن علياً والأئمة من ذريته حجج الله ، وأوصياء رسول الله ، [رسوله] وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصيام شهر رمضان وحج البيت والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وجميع مرادات الله من الخلق . والعبارة عن ذلك في الحقيقة أن يقال : إنه يدخل في شهادة أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله ، التوحيد وما يدخل فيه لكون ذلك من فروعها ، لأن التوحيد في الخليقة إنما هو توحيد الرسم ، لا الحقيقة ، وذلك فرع الواسطة وباب الفيض والنعم وذلك الجميع عبارة عن الولاية ، قال علي

عليه السلام : (**نحن الأعراف الذين لا يعرف الله إلا بسبيل معرفتنا**) ، وأشار عليه السلام في جوابه لكميل عن الحقيقة فقال : (**نور أشرق من صبح الأزل فيلوح على هياكل التوحيد آثاره**) فأعمالنا صفاتنا ونحن تلك الآثار ونفوسنا هياكل التوحيد ، قال عليه السلام : (**من عرف نفسه فقد عرف ربه**) ولاحت أظلتنا وأشباحنا على هيئة أشباح التوحيد وإليه الإشارة بقوله تعالى : ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ والنور المشرق أنوارهم وصبح الأزل أسرارهم وهو سر الكاف المستديرة على نفسها والسر المجلل بالسر .

وقال الصادق عليه السلام : (**إن أمرنا سر مستسر وسر لا يفيده إلا سر وسر على سر مقنع بالسر**) انتهى .

وعنه عليه السلام : (**إن أمرنا هو الحق وحق الحق وهو الظاهر وباطن الظاهر وباطن الباطن وهو السر وسر السر وسر المستسر وسر مقنع بالسر**) انتهى .

فالتوحيد في الحقيقة توحيد الولاية في المقامات الأربعة توحيد الذات قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ وتوحيد الصفات قال تعالى ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ﴾ وتوحيد الأفعال قال تعالى : ﴿ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴾ وتوحيد العبادة قال تعالى : ﴿ وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا ﴾ والأصل في هذا أنه سبحانه خالق كل شيء منه بدؤه ، وبه قوامه ، وله ملكه ، وإليه مرجعه [عوده] قال تعالى : ﴿ خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ﴾ وهذه الأربعة الأركان هي أركان الوجود كله ولله الولاية على ذلك كله وحده قال تعالى : ﴿ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ﴾ فالتوحيد هو

التسليم ، والتفويض ونفي ما سوى الله من كل شيء ، فمن لم يفوض لم يوجد ، لأنه أثبت غير الله والتفويض هو التسليم والتسليم هو التسليم لولي الأمر ، وهو في الحقيقة هو الإسلام ، والإسلام هو التسليم ، كما رواه في الكافي عن أمير المؤمنين عليه السلام ، قال عليه السلام : (**لأنسبن الإسلام نسبة لم ينسبه أحد قبلي ولا ينسبه أحد بعدي إلا بمثل ذلك أن الإسلام هو التسليم والتسليم هو اليقين واليقين هو التصديق والتصديق هو الإقرار والإقرار هو العمل والعمل هو الأداء**) الحديث ، وفي رواية حمران عن الصادق عليه السلام : (**إن صبغة الله هي الإسلام**) ، وكذا في غيرها وفي رواية عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى : ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ﴾ قال : (**هي الإسلام**) وقال في قوله تعالى : ﴿ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ﴾ قال : (**هي الإيمان بالله وحده لا شريك له**) ، ولا ريب أن المراد به الولاية ، وهي الإسلام حقيقة ، وهي الإيمان حقيقة ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله : (**والذي بعثني بالحق ما آمن بي من كفر بك ولا أقر بالله من جحدك**) انتهى .

والأخبار الدالة على هذا الاعتبار بالصريح الذي ليس عليه غبار كثيرة ، فظهر أن التوحيد هو الإيمان ، والإيمان هو التوحيد ، وأن الإسلام هو التسليم ، والتسليم هو اليقين ، واليقين هو التصديق ، وثبت أن التصديق هو الإقرار . وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله كما مر : (**ما أقر بالله من جحدك**) لأنه قد دلت النصوص على الخصوص على أن الولاية هي الأمانة وهي جميع ما يريد الله من العباد من الشهادتين وجميع أصول الدين وفروعه وآثارها تظهر في

أركان الوجود الأربعة : الخلق والرزق والحياة والممات وهي ولاية الله الأزلية وحامل لوائها وهو لواء الحمد علي عليه السلام وأهل بيته المعصومين عليه وعليهم السلام ، وهذا أصل أصل الإيمان وحقيقة حقيقته ، لأن حقيقة الإيمان هي التصديق والعمل بما أمروا [أمر] والاستقامة كما أمر ففي رواية غذافر بن عيسى عن أبي جعفر عليه السلام قال : **(بينا رسول الله صلى الله عليه وآله في بعض أسفاره إذ ركبه [لقيه] ركب فقالوا : السلام عليك يا رسول الله فقال : ما أنتم فقالوا : نحن قوم مؤمنون قال : فما حقيقة إيمانكم قالوا : الرضا بقضاء الله والتفويض إلى الله والتسليم لأمر الله فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : علماء حكماء كادوا أن يكونوا من الحكمة أنبياء فإن كنتم صادقين فلا تبنوا ما لا تسكنون ولا تجمعوا ما لا تأكلون واتقوا الله الذي إليه ترجعون)** انتهى .

ولا ريب أن هذه الحقيقة فرع لمعرفة الولي واتّباع أمره والتسليم له كما دل عليه حديث المفضل بن عمر الطويل الذي رواه الشيخ حسن بن سليمان الحلي في كتابه مختصر بصائر سعد [سعد بن عبد الله] الأشعري عن الصادق عليه السلام .

واعلم أن كل شيء له حقيقة في كل مرتبة [رتبة] من مراتب وجوده [وجوداته] ونزول تلك الحقيقة [الحقيقة إلى رتبة الحقيقة] التي تحتها مجازها وطريقها إليها وصعودها إلى ما فوقها من الحقائق هو سر تلك الحقيقة الصاعدة وفناؤها فيها ، فهذه الحقيقة التي في رواية غذافر حقيقة الإيمان في الأداء ، وهي بالنسبة إلى حقيقة التوحيد الظاهر مجاز له لأنه أصلها ، وهي فرعه وذلك بالنسبة إلى

حقيقة التوحيد الحقيقي الباطن وهي الولاية الكبرى مجازاً بالنسبة إليه ، ولقد كررت العبارات ورددت الإشارات ليفهم من يفهم (**إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد**) ، فثبت أن حقيقة الإيمان وأصله هو الإقرار بالشهادتين والعمل بالتصديق بما جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله من أحوال النشأتين وأن أصل هذا وحقيقته معرفة هذا الأمر ومعرفته أن لا تكليف بغيره وأنه لا يراد من العباد سواه فمن ثبت له المقام الأول كان مؤمناً ويكفيه في هذه المرتبة من معرفة هذا الأمر وصفته [ووصفه] بما ظهر ، ولهذا المقام مراتب لا تكاد تحصى ، فمنهم من يشهد الشهادتين ويعمل بعض العمل ولا ينفي هذا الأمر وهو أدنى معرفته ، ومنهم من يقول به ولا يدري ما يقول ومنهم من يدري بلا دليل ومنهم من له دليل غير معقول ومنهم من له دليل معقول بلا معرفة وهكذا وأما المقام الثاني فشرطه معرفة هذا الأمر كما قلنا إن فهم قوله تعالى : ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ وقال عليه السلام في الزيارة الجامعة الصغيرة : [يسبح الله بأسمائه جميع خلقه] وهم أسماؤه الحسنى وأمثاله [صفاته] العليا ونعمه التي لا تحصى كما دلت عليه الأخبار وشهد له صحيح الاعتبار ، ولا يعرف الشيء إلا بأسمائه وصفاته وأمثاله ونعمه إلا أن يكون مصنوعاً فيعرف بحقيقته إذ كل معروف بنفسه مصنوع .

فإذا ثبت بما أشرنا إليه أنهم أسماء الله ، وقد ثبت أنه يسبح بأسمائه جميع خلقه ، لأنه إنما يعرف ويدعى بأسمائه بل لا يتوصل إليه في حال من الأحوال لا بعبارة ولا بإشارة لا في العقل ولا في السر إلا بهم ، وسبيل وصلهم فهم في الحقيقة المدلجون بين يدي

المدلج من جميع المخلوقات في كل نحو من أنحاء الوجود ، بل هم الحجب وهو سبحانه المحتجب بهم عن خلقه ، وهم الأسماء وهم [هو] المعنى كما قال الصادق عليه السلام في حديث المفضل بن عمر ، وقد ثبت أنهم صراط الله وطريقه إلى خلقه في جميع ما أفاض من خزائنه ، من الخلق والرزق والحياة والممات وما يترتب على ذلك من الأوامر والنواهي إلى غير ذلك ما [مما] به قوام النشأتين وملاك النظامين ، فإذا ثبت ذلك كان معرفتهم والكون معهم وسلوك طريقتهم هو أصل الإيمان وحقيقته ، فمن عرف ما أشرت إليه وآمن عالماً بذلك [بذلك عن مشاهدة فذلك الذي أشار إليه بقوله صلى الله عليه وآله : (**علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل**) ومن آمن بذلك] غير عالم فهو من المخبتين المبشرين ، ومن اتبع غيره على ذلك من غير علم ولا بصيرة وإنما هو للكون بين المؤمنين واتباعاً للوالدين فهم قسمان :

الأول : من عرف هذا الأمر مجملاً بأن علم في الجملة حسن اتباع آل محمد صلى الله عليه وآله ، من غير تفصيل ، بل لأنهم ذرية الرسول صلى الله عليه وآله وقد سمع لهم فضائل عن الموالين لهم وعن خصمائهم بحيث لم يشتهر عند الخصم طعن على أحد منهم كما اشتهر عند الموالين الطعن على غيرهم ، ورسخ ذلك في نفسه مع ما تخلق عليه وثبت من أهله وأهل فرقته حتى كانت تلك الأمور الملفقة ملكة وطبيعة لا يحول عنها إلى غيرها ، ولم تختلجه الشكوك الاختيارية في ذلك ، بل لو جرت عليه وسوسة في شيء من ذلك تألم بها لأنه ليس بميت ولو كان ميتاً لم يتألم بلهب النار ، وهؤلاء يلحقون بالمخبتين ولكلٍّ درجات مما عملوا .

والقسم الثاني : من لم يعرف من الأمور المجملة شيئاً إلا ما اعتاده من سماع أهل مذهبه ومن أهله وهؤلاء يسألون يوم القيامة عما خلقوا لأجله وهو الولاية ويلحق كل منهم بمن خلق من فاضل طينته ، والفرق بينهم وبين القسم الأول حيث لم يحكم عليهم ، أعني أصحاب القسم الأول بالاختيار يوم القيامة أنهم كانوا مطمئنين في هذه الدنيا لموافقة ما كسبوا من المعتقدات لطينتهم وفطرتهم ، ولا يكون ذلك إلا بعناية ربانية لا بالاتفاق إذ لو خالفتها لما حصل لهم الاضطراب ، ولما مالوا مع كل ريح ، فافهم . وأما هؤلاء فإنما سكتوا [فما سكنوا] لعدم شعورهم بما حصل لهم من الاعتقاد فلا تحصل [يحصل] منافاة بين ذلك وبين طينتهم عاجلاً ، فإذا مسهم طائف من الشيطان يشك في ذلك لم يتألموا منه لعدم حياتهم بل منهم من يقبله ويستحسنه لموافقته لطينته على أنه ما بهم شيء عن حسن الحسن وقبح القبيح في الجملة ، وما من شيء إلا والله دليله ، ولا دلالة أوضح من دلالته فمن حصل له نوع عذر فالله الذي لا يخاف الفوت يجمعه يوم لا تنفع الأعذار عند كشف الأستار وإبداء الأسرار فيستنطقه بقسطاس الاختبار ، فيلحق بأحد الأقسام لحقيقة الاعتبار ، فظهر أن متمسك هذه الفرقة المحقة [الحقة] وهم الشيعة عروة وثقى ووجود ، وهو خير محض يفضي إلى الله تعالى حيث يحب ، وأن التوفيق له سلوك إلى الجنة على أي نوع وبأي طريق وإنما لم نثبت ذلك بالشك لعدم تحققه بالشك ، لأن (**الشك كفر**) كما ورد عنه صلى الله عليه وآله ، وإن كان الشك ممن لم يعرف بالكلية فلا أثر حتى يعرف وعلى الله الهداية والتوفيق وعليه البيان والمعونة قال تعالى : ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ ﴾ فهذه حقيقة الإيمان

الكاشفة عن أصوله وأما حقيقة الكفر الكاشفة عن أصوله فانظر إلى ضد ما سبق في حقيقة الإيمان وهو حقيقة الكفر الكاشفة عن أصوله حرفاً بحرف ، واعرف كل مرتبة بضدها فإن الأولى معارج لا تتناهى في الدرجات ، والثانية مهابط لا تتناهى في الدركات ، وما ورد في الأخبار من : (**أن الإيمان وحدوده شهادة ألا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، صلى الله عليه وآله ، والإقرار بجميع ما جاء به من عند الله ، وصلوات الخمس ، وأداء الزكاة ، وصوم شهر رمضان ، وحج البيت وولاية وليهم ومعاداة عدوهم والدخول مع الصادقين**) انتهى .

وأمثال ذلك مما يشابه هذا الحديث في معناه ، فالمراد به ما ذكرنا لك وإن كان جرى على الظاهر من أن حدود الإيمان أشياء متعددة لأن هذه الأمور المتعددة هي وأمثالها فروع الولاية ، بل أحكامها ومقتضياتها .

تأمل ما ورد في تفسير قوله تعالى : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ ﴾ الآية ، فإنها قد فسرت بالولاية تارة وبجميع التكاليف [التكاليف مرة] أخرى ومن المعلوم عند أصحاب الشهود والعيان اتحاد معنى التفسيرين ، وإذا أردت البيان من القرآن بأن هذا الأمر هو أصل الإيمان بأي نوع كان كل بحسبه ، وإن إنكاره هو أصل الكفر بأي نوع كان [كان في] كل بحسبه وإن ما ظهر مما يوهم مخالفة ما ذكرنا [ذكرناه] بعدم انحصار الإيمان والكفر في الإقرار بهذا الأمر والإنكار له فالمراد منه ما ذكرنا وأنه منحصر فيه إلا أن [أن معرفة] ذلك ليس مشرعة لكل وارد ، فانظر إلى ما ورد في قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ

يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ وقوله تعالى : ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ وقوله تعالى : ﴿هُنَالِكَ ٱلْوَلَـٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ۚ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾ وأمثال ذلك ، حيث حذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه بحيث يطلق عليه الحكم بالإسناد بعد حذف المضاف ، والمحذوف في الآيات وأمثالها في الأولى [الأول] من دون ولي الله ، وفي الثانية وجهان مرادان :

أحدهما : وإذا ذكر ولي الله وحده في الولاية ، ونفي عنه من تقدمه اشمأزت الآية .

وثانيهما : وإذا ذكر الله بحصر الولاية في الولي الحق اشمأزت الآية ، فإن حصل الولاية في الولي الحق هو ذكر الله الخالص ومفتخر الخلّص من المقربين والأبرار .

وفي الأولى الآية الثانية وكذلك ما رواه القمي في تفسيره في قوله تعالى : ﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَـٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ﴾ قال : من زعم أنه إمام وليس بإمام وغير ذلك ، والسر في [في ذلك أعني في] حذف المضاف إرادة حقيقة الأمر في المجاز بالإسناد [الإسنادي] والحكم لأن الحق سبحانه لا يكون معه حكم ، وليس معه غيره ولا يساوقه في أزله شيء ، ومقام جميع الأحكام [مقام الأحكام بجميعها] في الخلق لا في الحق جلّ وعزّ فمرادنا بحقيقة الأمر هنا ، الحقيقة الحقيقية لا الحقيقة الحقية ، إذ ليس ثم إلا ذات ساذج ، ووجود بحت ، ووحدة صرفة مقدسة عن التقييد والإطلاق [الإطلاق والتقييد] . وأمّا التعين الأول الذي يصح معه الحكم والإسناد ، فهو الولي لكن لما كان الولي صفة

الظاهر به سبحانه لم يذكر عند ذكر الظاهر لانمحاق الصفة [الصفات] في الموصوف ، والظهور في الظاهر ، كقولك : يا قاعد فإن الدعاء للقعود وتعني به الذات وبعبارة أخرى فإن الدعاء بالقعود للذات ولعل هذه العبارة أظهر ، وإن كان المعنى عند أهل العرفان سواء بل الأولى أولى [الأولى هو الأولى] وعلى كل تقدير فقد خفي ما له الحكم العنواني لغنائه [لفنائه] للظاهر [الظاهر] به بحيث لو قام لم يصدق عليه ذلك الاسم ، ودعي بالمظهر الذي ظهر به ، ولو كان الإسناد والحكم لمحض الذات ، لم تتغير العبارة لعدم تغيرها بتغيير المظاهر والصفات ، وإلى هذا المعنى الإشارة بما رواه الصدوق في توحيده [التوحيد] عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ ﴾ قال : (**إن الله تبارك وتعالى لا يأسف كأسفنا ، ولكنه خلق أولياء لنفسه يأسفون ويرضون وهم مخلوقون مدبرون ، فجعل رضاهم لنفسه رضاً وسخطهم لنفسه سخطاً ، وذلك لأنه جعلهم الدعاة إليه والأدلاء عليه ، فلذلك صاروا كذلك وليس ذلك يصل إلى الله كما يصل إلى خلقه ولكن هذا معنى ما قال من ذلك . وقال أيضاً من أهان لي ولياً فقد بارزني بالمجادلة [بالمحاربة] ودعاني إليها ، وقال أيضاً : من يطع الرسول فقد أطاع الله . وقال أيضاً : إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله وكل هذا وشبهه على ما ذكرت لك وهكذا الرضا والغضب وغيرهما من الأشياء مما يشاكل ذلك ، ولو كان يصل إلى المكون الأسف والضجر وهو الذي أحدثهما وأنشأهما لجاز لقائل أن يقول : إن المكون يبيد يوماً ما لأنه إذا دخله الضجر والغضب دخله التغير [التغير فإذا دخله التغير] لم**

يؤمن عليه الإبادة ولو كان ذلك كذلك لم يعرف المكون من المكون ولا القادر من المقدور، ولا الخالق من المخلوق. تعالى الله عن هذا القول علواً كبيراً هو الخالق للأشياء لا لحاجة استحال الحد والكيف فيه. فافهم ذلك إن شاء الله)، انتهى الحديث الشريف.

وأنا أقول: فافهم الحديث بما ذكرت لك إن شاء الله، لتشرب شربة لن تظمأ بعدها أبداً، وأما الواسطة بين الإيمان والكفر فهي الإسلام بالمعنى الأعم وهو ما ظهر من الشهادتين والصلاة والزكاة والصوم والحج، أما هذه مع الولاية فهو إيمان وإن كان يسمى إسلاماً بنحو آخر ويسمى وساطة إضافية إلا أن السلطة بالقول هو ما ذكرنا [ذكرناه] وهو الذي عليه عامة الناس، والأخبار في ذلك كثيرة ظاهرة الدلالة، وأظهرها دلالة على إثبات الواسطة وبيان حكمها ما رواه في الكافي عن عبد الرحيم القصير قال: كتبت مع عبد الملك بن أعين إلى أبي عبد الله عليه السلام أسأله عن الإيمان ما هو؟ فكتب عليه السلام إلي مع عبد الملك بن أعين: **(سألت - رحمك الله - عن الإيمان، [الإيمان والإيمان] هو الإقرار باللسان، وعقد بالقلب، وعمل بالأركان، والإيمان بعضه من بعض، وهو دار وكذلك الإسلام دار، والكفر دار، فقد يكون العبد مسلماً قبل أن يكون مؤمناً، حتى يكون مسلماً فالإسلام قبل الإيمان وهو يشارك الإيمان فإذا أتى العبد كبيرة من كبائر المعاصي أو صغيرة من صغائر المعاصي التي نهى الله تعالى عنها، كان خارجاً من الإيمان، ساقطاً عند اسم الإيمان وثابتاً عليه اسم الإسلام، فإن تاب واستغفر عاد إلى دار الإيمان ولا يخرجه إلى الكفر إلا الجحود والاستحلال، أن يقول للحلال: هذا حرام**

وللحرام [للحرام هذا] حلال ودان بذلك ، فعندها يكون خارجاً من الإسلام والإيمان داخلاً في الكفر ، وكان بمنزلة من دخل الحرم ثم دخل الكعبة وأحدث في الكعبة حدثاً فأخرج عن الحرم فضربت عنقه وصار إلى النار) انتهى .

وفي رواية سفيان بن السمط عن الصادق عليه السلام ، فقال عليه السلام : (**الإسلام هو الظاهر الذي عليه الناس شهادة ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصيام شهر رمضان فهذا الإسلام**) وقال عليه السلام : (**الإيمان معرفة هذا الأمر مع هذا فإن أقر بها ولم يعرف هذا الأمر كان مسلماً وكان ضالاً**) انتهى .

ومن قال بنفي الواسطة وإن ما ظهر من الأمر إسلام ، وما وقر في القلب إيمان ، ولا فرق بينهما إلا بالثبات فيحضره [فيحصر] الإسلام والإيمان في هذه الدار في الفرقة المحقة عملاً بمثل حسنة فضل بن يسار قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام : (**إن الإيمان ما وقر في القلوب والإسلام ما عليه المناكح والمواريث وحقن الدماء ، والإيمان يشارك الإسلام والإسلام لا يشارك الإيمان**) انتهى ، وكذلك [كذلك ما] في موثقة سماعة في قول الصادق عليه السلام : (**إن الإيمان يشارك الإسلام في الظاهر والإسلام لا يشارك الإيمان في الباطن وإن اجتمعا في القول والصفة**) انتهى ، إنهم لا يقولون بهذا الأمر فقوله عليه السلام في موثقة سماعة : (**وإن اجتمعا في القول والصفة**) ، المراد بأنهما يجتمعان فيهما من الأمور المذكورة وفي صفاتها لا مطلقاً بل يختص الإيمان بقول ووقر وصفات ، وهذا ظاهر ومن تدبر الأخبار زال عنه الغبار ، ولا

مزية في إيرادها ولا زيادة تحقيقي في إثبات الواسطة ولا التفات إلى قول من نفاها بعد تحقق ثبوتها وليس في قوله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ﴾ دليل له لأن المراد به [منه] بيان بدئهم وبيان مردهم ولا نزاع في ذلك ، وإنما الكلام في هذه الدار على أن القرآن صريح في إثبات الواسطة في قوله تعالى : ﴿ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ﴾ وهذا نص محكم وتلك من المجمل المتشابه القابل للتأويل على أن مدلولها ثبوت الإيمان والكفر ، ولا دلالة في ذلك على نفي الإسلام ، إذ إثبات الشيء لا ينفي ما عداه .

وبالجملة فاصل الإيمان هو معرفة هذا الأمر مع فروعه من ظاهر القول ومن حدود الإسلام وهو ما يوجب دخول الجنة على نحو ما سبق . وأصل الكفر هو جحود هذا الأمر مع فروع ذلك الجحود من جميع الفواحش ما ظهر منها وما بطن . وهو ما يوجب دخول النار ، والقرآن مشحون ببيان هذا البيان من تدبره بعينه البصيرة الشرعية الذوقية شاهد العيان ، وأما أهل الواسطة فأغلبهم يلهى عنه في البرزخ كما دلت عليه الأخبار ، ويوم القيامة يميز الله الخبيث من الطيب والدليل على جميع ما ذكرنا [ذكرناه] محكمات القرآن والأخبار وصحيح الاعتبار والحمد لله رب العالمين .

قال : وأيضاً إذا تساوت هذه الفرق الأربع في نوع الاعتقاد وفي مادته ، فما الوجه في ترجيح بعضها على بعض في الحكم ، بكفره باعتقاده ، أو بإيمانه باعتقاده دون البعض الآخر حتى يصح أن يقال : كل من اعتقد دين الإمامية بأي نوع من أنواع الاعتقاد من أي مادة كانت ، فهو ناجٍ دون غيره فإنه لا نسب بين الله وبين أحد

من خلقه ، فهو أعدل العادلين وما الدليل على هذا الوجه أيضاً علمونا مما علمكم الله مأجورين .

أقول : إنّ من حكم بنجاة أهل هذا الاعتقاد دون غيرهم وإن كان في الظاهر نوع الاعتقاد ومادته سواء ، فترجيح قوم دون آخرين [قوم] ترجيح بلا مرجح هو الذي عرف حقيقة الطريق وعرف المقصود بالاعتقاد والعمل ، وعرف أن ذلك هو سبيل الله إلى خلقه لا غير ، وسبيل خلقه إليه لا غير ، فإذا نحا المكلف نحوه على كل حال وبكل نحو فإنما ذلك لسبق عناية من الله تعالى به بحقيقة ما هو أهله فإنه سبحانه قبض قبضة بيمينه وتلك اليمين هو المقصود المذكور وهو السبيل المشار إليه فقال سبحانه : «إلى الجنة ولا أبالي» يعني بعد أن دعوت أصحاب اليمين وأصحاب الشمال إلى الخير الذي خلقتهم لأجله ، فمال باختياره كل إلى ما منه بدئ ورجع إلى أصله بعد إيلاء الأعذار والتقدم بالوعيد والتلطف في الترغيب ، لا أبالي فلأجل تلك العناية مال بطبعه وبأسباب التوفيق وقبولها إذا سلك طريق النجاة علم أو جهل وكذلك موافقة ذلك الفطرة ، فإن كل مكلف إنما فطر على قبول الخير ومحبة [محبته] الخير ، فالحكم بنجاة من سلك هذا الطريق إنما هو من العالم بذلك ، وهو الإمام عليه السلام ، أو تابعه الذي يأخذ عنه إما بالبصيرة والذوق أو بالتقليد والتسليم ، وإنما حكم بذلك من حكم عن بصيرة لأجل معرفته بأن سلوك طريق الحق لا يكون من غير توفيق وتسديد وعناية من الله تعالى ، لأنه لا يصح في الوجود إهمال ولأنه موافق للفطرة إذ الفطرة التي فطر الله الخلق عليها [عليها الخلق] إنما هي على الحق الذي أحب ورضي .

كما أشرنا إليه سابقاً في قول علي عليه السلام لكميل : (**نور أشرق من صبح الأزل فيلوح على هياكل التوحيد آثاره**) ، فراجع وتفهّم بخلاف سلوك طريق أهل الضلال ، فإنه بالترك والخذلان لأنه عدم فيصح فيه الإهمال الذي هو العناية العرضية لا أن الحاكم في حكمه ناظر إلى مجرد أنواع معتقداتهم وموادها لأنه على ذلك لا فرق بين أحد منهم ، بل لما قلنا : [قلنا أما الحاكم العارف فظاهر وأما غيره فإنما يحكم بما يشاهد في المنقول ولا يدري ما يقول] وأما أنه لا نسب بين الله وبين أحد من خلقه إلخ فنعم كل نسب منقطع إلا نسبه الذي أشرنا إليه ، وهو سبيله ووجهه الذي لا يفنى وهو النسب الذي لا ينقطع وإليه الإشارة بقوله تعالى : ﴿ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ﴾ فإن أصحاب اليمين آخذون بحجزة الله عزّ وجلّ . والحجزة هي النسب كما في الأخبار فأي نسب بين الله وبين عباده المؤمنين أعظم من سلوك سبيله الذي حصر طاعته ورضاه ودخول جنة [جنته] في سلوكه وقد علم الكل من الفريقين أنه ليس بين الله وبين أحد قرابة ولا نسب إلا العمل الصالح . ولا شك أن العمل الصالح هو الولاية والمحبة والأدلة في ذلك لا تحصى ، إلا أن الذي ذكرنا كافٍ في كل مدرك عند الاستبصار فلاحظ ما مر وهو سبحانه أعدل العادلين ، لأن من قابل النور استنار قصد ذلك أو لم يقصد ، ومن ولج في الظلمة أظلم ، قصد أو [أم] لم يقصد وبيان ذلك أنه قد تقرر في محله أن الفطرة وجود ، وأن الوجود خير محض وخير كله وكذلك الأعمال الصالحة ، وتقرر أن الأعمال الطالحة كلها في الحقيقة إعدام لأن أصلها مجتث وهو الماهية التي ما شمت رائحة الوجود : ﴿ إِنْ هِيَ

إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ ﴾ وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً ﴾ يعني أن الكافر يظن أنها شيء ووجود كالظمآن الذي يظن أن السراب ماء : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا ﴾ فأنت إذا عرفت ما ذكرنا [ذكرناه] عرفت أنه إذا قال شخص بالحق عن غير بصيرة من أي مادة كانت ودان به فقد أصاب الحق ، وإن لم يكن من وجه الإصابة ، ولا يقال : إنه ظمآن وقع على سراب ، بل ظمآن وقع على ماء فإذا كان مطمئناً على ظواهر حدود الحق ، دل ذلك على موافقته للفطرة وسبق العناية بالسعادة وإلا فمرجو لأمر الله كما مر ، وإذا قال شخص : بالباطل من غير بصيرة من أي مادة كانت ودان به فقد أخطأ فإنه يقال : إنه ظمآن وقع على سراب والحكم بكون العدم عدماً والوجود وجوداً هو العدل ، فلو ساوى من لم يكن في وجود في الوجود وفي العدم لم يكن من العدل ، والدليل على ذلك الجزم من العقول بصحة هذا القول والإخبار والاعتبار . وصلى الله على محمد وآله الأطهار والحمد لله رب العالمين فرغ من تسويدها مؤلفها الليلة الخامسة عشرة من جمادى الثانية السنة الثانية عشرة بعد المائتين والألف .

* * *

الفائدة في كيفية تنعّم أهل الجنة وتألم أهل النار

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الفائدة : اعلم أنه قد ثبت كما قررنا في بعض أجوبتنا أن أهل النار متألمون أبداً وكلما طال المداء ازدادوا تألماً بعكس أهل الجنة كلما طال عليهم المداء ازدادوا تنعماً وذلك بأدلة قاطعة من الكتاب والسنّة ومن أدلة العقل ومنها دليل الحكمة ، وهو أن النار ضد الجنة وتألم أهل النار ضد تنعم أهل الجنة لما ثبت من مضادتها لها في كل شيء ، وأُورد على هذا الأخير اعتراض بإشكالات وهو أنه كان أناس من أهل الجنة عليهم ذنوب يستوجبون بها دخول النار ثم يخرجون منها بعد تطهيرهم ويغسلون في عين الحيوان بعد دخول الجنة ، ومقتضى المقابلة والضدية أن يكون أناس من أهل النار لهم حسنات لم يوفّوا جزاءها في الدنيا فيدخلون الجنة بقدر حسناتهم ثم يخرجون منها ويغسلون في الماء الأجاج ويدخلون النار .

ثم إذا قلتم بذلك فأنتم أيضاً قائلون : بأن من يدخل النار من المؤمنين لا يدخلون إحدى النيران السبع وإنما يعذبون في ضحضاح من النار وهي حظائر النيران ، فيلزم أن يدخلوا أهل النار حظائر الجنان ، وأيضاً أنتم قائلون للنص : بأن حظائر الجنان تسكنها ثلاث طوائف مخلدون فيها مؤمنوا الجن والمؤمنون من أولاد الزنى والمجانين الذين عاشوا في الدنيا ولم يجر عليهم

التكليف وليس لهم من يدخلون الجنة بشفاعته فيلزم من حكم المقابلة أن تكون حظائر النار يسكنها ثلاث طوائف مخلدون كما في ضدها وهذا مقتضى حكم التعاند .

والجواب أنا نقول : بموجب ذلك كله على تفصيل بمعنى أن حكم الاقتضاء ذلك وهو كذلك إلا مع حصول المانع فإنه مقتض أقوى من المقتضى وتأتي الإشارة إلى حكم المانع فيما نحن فيه .

فنقول : اعلم أن المحصل من الأدلة العقلية المبنية على النقلية أن الدُّور يوم القيامة تسع وعشرون داراً وتفصيلها أن الجنان ثمانٍ أعلاها على ما دلت عليه بعض الروايات جنة عدن وليس لها حظيرة لما تشير إليه أدلة العقل والنقل ، وأما باقي الجنان وهي السبع فلكل جنة حظيرة تختص بها خلقت من فاضل تلك الجنة المختصة هي بها ومددها من النعيم منها فكانت الجنان وحظائرها خمس عشرة ، وأن النيران سبع ولكل نار حظيرة تختص بها خلقت من فاضلها وأليمها من فاضل أليمها فكانت النيران وحظائرها أربع عشرة ، فالدور تسع وعشرون داراً لكل دار سكان خالدون فيها أبداً مخصوصون بها لا يسكنها غيرهم ولا يخرجون منها قال الله تعالى : ﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ ﴾ ، فأما الجنان الثمان فهي للأنبياء والمرسلين والصديقين والشهداء والصالحين والملائكة المقربين والولدان والحور العين .

وأما النيران فهي للكافرين والمنافقين والمشركين وأعداء الدين المغضوب عليهم وهم الذين تبين لهم الحق في الدنيا ولم يقبلوه وأعرضوا عن الهدى بعد إذ جاءهم ، ولما كان الوجود باعتبار مراتبه وذراته له مراتب ولكل منها له مرتبة ومقام لا يتجاوز شيء

مقامه لا في صعود ولا في نزول لأن تلك الرتبة التي فيها ذلك الشيء هي من شروط وجوده لتوقف وجوده على المشخصات كالرتبة والجهة والكم والكيف والمكان والوقت والوضع وغير ذلك والفرق بين المكان والرتبة أن المكان هو الحيز الذي يشغله ذلك الشيء بالكون فيه ، والرتبة هي آخر المسافة التي بينه وبين الفعل وأول مسافة بينه وبين ما بعده كان متناسقاً متشابهاً في الأوضاع والاتصالات في الأسباب والمسببات وفي متممات الأسباب في الإيجادات والمسببات في القابليات للإيجادات فكان ما فقد في الأسفل ، وجد في الأعلى وما خفي في الأعلى أصيب في الأسفل ولهذا امتنعت الطفرة فيه بين بعض أفراده وبين بعض فلزم مما قررنا أن تكون حظائر النار في جميع ما فيها ولها من الاستعدادات ومن السكان بعكس حظائر الجنة في جميع ما فيها ، ولها من الإعدادات ومن السكان لأن ذلك مثال حال النار وأهلها من حال الجنة وأهلها .

فإذا عرفت هذا الكلام فقولكم : إنه على هذا يكون لحظائر النار سكان خالدون فيها أبداً ، وسكان يخرجون منها فيدخلون جنة الخلد خالدين ، ومنهم من يدخل جنة الحظائر خالدين ويلزم مما قررتم من تمام المقابلات والتضاد أن يكون لحظائر الجنة سكان منهم خالدون فيها أبداً ، ومنهم من يخرج منها ويدخل النار الأصلية خالداً فيها ، ومنهم من يدخل حظائر النار خالداً فيها وهذا شيء لا يعرف من كتاب ولا في جواب جوابه يظهر بعد فهم ما نذكره مكرراً مشروحاً وهو أن حظائر الجنة منها وحظائر النار منها كشعاع الشمس منها ، وذلك أن أول ما خلق الله الرحمة فخلق عنها

الغضب فخلق من الرحمة الجنان الثمان وخلق من كل جنة أهلها وخلق من سبع جنان منها من فاضل كل جنة حظيرة تنسب إليها ويستمد نعيمها من نعيمها وخلق من فاضل أهل كل جنة سكان حظيرتها .

وأما الجنة العليا فلا حظيرة لها وقيل في أسماء الجنان وترتيبها هكذا :

الأولى : جنة الفردوس .

الثانية : جنة العالية .

الثالثة : جنة النعيم .

الرابعة : جنة عدن وهي التي لا حظيرة لها على ما تومئ إشارات بعض الأخبار عن الأئمة الأطهار .

الخامسة : جنة المقام .

السادسة : جنة الخلد .

السابعة : جنة المأوى .

الثامنة : جنة دار السلام ، وخلق من الغضب النيران السبع ، وخلق من كل نار أهلها وخلق من فاضل كل نار حظيرة تنسب إليها ويستمد عذابها من عذابها ، وخلق من فاضل أهل كل نار سكان حظيرتها .

وقيل في أسماء النيران وترتيبها هكذا :

الأولى : جهنم .

الثانية : لظى .

الثالثة : الحطمة .

الرابعة : السعير .

الخامسة : سقر .

السادسة : الجحيم .

السابعة : الهاوية ، وقيل : أعلاها الجحيم وأسفلها جهنم وكل شيء بُدئ من شيء فإليه يعود سواء من جنة أو نار أو الحظيرتين ، وكل دار من هذه التسع والعشرين الدار المشار إليها فلها مبدأ تتميز فيه عن غيرها في الإعداد والاستعداد معنى هو وجهها من الرحمة أو الغضب ولا نهاية لذلك المبدأ ، ودونه منزل تتعين فيه دقيقة أظلتهم من ورق الآس ودونه رفرف تتشخص فيه صورة أعيانهم ولا نهاية لشيء مما ذكر فكان المخلوقون منها في مقام المبادئ غير متمايزين إلا بالمعنى فكان فيهم أول مراتب اللطخ وأشده دخلاً وأصعبه مفارقة فتلوثت أمكنتهم وأوقاتهم هنالك بعضهم من بعض مع تباين ذواتهم وخلوص كلٍّ من كلٍّ .

وفي مقام المنازل تلونت جهاتهم وكيفهم وهو دون الأول في اللطخ .

وفي مقام الرفارف اعتدلت باللطخ صفاتهم وذواتهم أو تلوت واعوجت فكان ما في شخص من لطخ آخر من سنخ ذلك الملوِّث بكسر الواو ومن الطبع الغالب عليه وذلك من جنته التي هو ساكنها ولا يكون ذلك اللطخ من نفس ذات الملوث وإنما هو من لطخ صفاته كما ذكرنا فما كان من لطخ أهل الجنة يصيب أهل النار فمرتبته وسنخه من حظيرة تلك الجنة وطبع أهلها ، وما أصاب أهل

الجنة من لطخ أهل النار فمرتبته وسنخه من حظيرة تلك النار وطبع أهلها ، فإذا أصاب شخصاً من أهل جنة المأوى لطخ من شخص من أهل الجحيم مثلاً ولم يصبه ما يطهره من مكاره الدنيا أو عند الموت أو في القبر أو البرزخ أو أهوال القيامة أو شفاعة شفيع وضع في حظيرة الجحيم لأنها منها وصفتها حتى تأخذ منه ما كان من سنخها ، فإذا صفا منه ذلك اللطخ أخرج منها وغمس في عين الحيوان وأدخل جنة المأوى وإن كان ما أصابه من لطخ أهل الحظائر كفّرته محن الدنيا أو الموت أو البرزخ أو أهوال يوم القيامة فلا يدخل تلك الحظيرة لأن اللطخ الذي من سنخها هو من صفات أهلها فلا يوصل إليها لأن مقامه دونه وما ورد وقيل : من أن الشعاع يرجع إلى المنير فالمراد برجوعه اتباعه في جهته واتصاله به في رتبة الشعاع لا في رتبة المنير وهنا كذلك حرفاً بحرف ، فإن كان اللطخ الذي أصابه من أهل نارٍ تقابل جنة أعلى من جنته طهر بحظيرة هذه النار لا بحظيرة النار المقابلة لجنته ، وإن كان من أهل نارٍ تقابل أسفل من جنته طهر بحظيرة هذه النار السافلة وهكذا ، ويختلف بقاء ذلك الشخص في نار الحظيرة للتطهير باختلاف كم اللطخ وكيفه ورتبته وسنّ ذلك الشخص وغير ذلك من جهات العدل ولا يظلم ربك أحداً ، وظاهر ما أشرنا إليه يعرف وأما تفصيله وبيان أسبابه فمن المكنون الذي لا يشار إليه في كتاب ولا يذكر في جواب نعم مفصل في الكتاب والسنّة يعرفه من عرفه .

وأما أمر العكس وهو ما إذا أصاب شخصاً من أهل النار لطخ من أهل الجنة فإنه يكون مقتضياً لبعض الأعمال الصالحة البرزخية فيصل إليه ثوابها من سنخ حظيرة تلك الجنة التي أصابها من لطخ

أهلها ، فإما أن يصل إليه ثوابها في الدنيا كأن تُقضى حوائجه أو يمد له في عمره أو يشافى مريضه أو يرزق أموالاً وبنين أو تدفع عنه أشياء من البلايا والمكاره وما أشبه ذلك ، أو عند خروج نفسه بأن يخفف عليه النزع أو يصل إليه من حظيرة تلك الجنة الرَوح بفتح الراء ، أو في القبر وعند السؤال بتخفيف العذاب وتهوين هيئة منكر ونكير وضرب المرزبة وما أشبه ذلك ، أو في البرزخ بتخفيف العذاب عند مطلع الشمس وفي بلهوت بئر برهوت بحضرموت أو إيصال الريحان إلى قبره من حظيرة تلك الجنة أو عند الحشر في القيامة بتهوين بعض أهوالها وشدائدها وما أشبه ذلك ، وكل ذلك من نعيم تلك الحظيرة لأن هذه المواطن المذكورة من درجات تلك الحظيرة كالعكس فإنها من دركات حظيرة النار إلى ذلك الإشارة بقول النبي صلى الله عليه وآله : (**الحمّى رائد الموت وحرّها من فيح جهنم وهي حظ كل مؤمن ومؤمنة من النار**) فإن بقي شيء من آثار ذلك عليه لم يصل إليه جزاؤه في هذه المواضع المذكورة إما لمانع من الإيصال إليه فيها أو في بعض منها أو لكثرة اللطخ أو لكونه من أهل جنة أعلى من الجنة التي تقابل نار ذلك الشخص بحيث كان كالطبيعة الثانية له أوصل إليه ثواب تلك الأعمال الناشئة عن ذلك اللطخ وهو في النار عند أول دخوله في النار لئلا يحس بالتخفيف ليصدق قوله تعالى :﴿ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ وقوله تعالى : ﴿ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ مع أنه يعرف أن ذلك التخفيف جزاء لتلك الأعمال وبيان ذلك أنه عند دخوله يعرف أنه يستحق مائة طبقة من العذاب وأن بثواب أعمال اللطخ يستحق إسقاط عشرين طبقة مثلاً ، فإذا أدخل في النار جعل عليه ثمانين

فيتألم بها كمال التألم ويعلم أنه سقط عنه عشرون ولكنه لا يحس بالتخفيف إلا بعد إذا أدخل في المائة ثم كان في الثمانين وهذا على العكس فيعذب بالثمانين أول دخوله ، فإذا انتهى حكم عمله زاد عذابه بعشرين فهم أبداً في الزيادة نعوذ بالله من سخط الله وإنما كان أثر اللطخ على الفريقين سابقاً لأنه لاحق عند البدء فيكون سابقاً في العود ، وسنشير إلى بيان أن أهل كل حظيرة من حظائر الجنة والنار خلقوا من فاضل أهل جنتها أو نارها فيما بعد .

بقي هنا إشكالان يردان على ظاهر ما قررناه :

أحدهما : أن الأخبار قد تواترت معنًى أن حسنات أعداء الدين ترجع إلى المؤمنين لأنها مقتضى اللطخ الذي هو من سنخهم وسيئاتهم ترجع إلى الأعداء لأنها مقتضى اللطخ الذي هو من سنخهم كما دلت عليه أحاديث الطينة وأنتم تقولون بذلك .

وثانيهما : مقتضى ما قررتم من التقابل والعكس أن الشخص الذي من أهل النار إذا أصابه لطخ من أهل الجنة أن يوضع في حظيرة تلك الجنة مدة مقتضى ذلك اللطخ ثم يخرج منها ويدخل النار بعد أن يغسل في ماء الأجاج وهذا خلاف المعروف من الأخبار ، لأن المعروف منها خلاف مقتضى المقابلة .

والجواب عن الأول : يعرف من ملاحظة أصل وهو أن الشيء إذا ضم إلى آخر كان عنه أثران أحدهما : ذاتي هو مقتضى ذاته ، والثاني : عرضي يحدث عنه بالانضمام إلى الآخر وأثر ذلك اللطخ لأهل الجنة ولأهل النار من هذا القبيل ، فالأثر الذاتي من لطخ أهل الجنة في أهل النار يرجع إلى أهل الجنة لأنه أثر سنخهم

والأثر العرضي منه يلزم أهل النار لأن ما كان بالانضمام ليس من أهل الجنة لأنه عارض لسنخهم من أهل النار ، وإن كان لا يكون بدونه وكذلك الأثر الذاتي من لطخ أهل النار في أهل الجنة يرجع إلى أهل النار لأنه أثر سنخهم والعرضي هو يلزم أهل الجنة فيعذبون به في الحظيرة حتى يطهروا .

فإذا قيل : إن أهل الجنة يعذبون في الحظائر بمعاصيهم فالمراد بها عرضية لطخ أهل النار وإذا قيل : إن سيئاتهم ترد على أهل النار لأنها منهم من سنخهم فالمراد بها ذاتية اللطخ وهكذا حكم أهل النار في العكس فافهم .

وعن الثاني : هو أنه إما كان فعل الله سبحانه جارياً في إيجاد الموجودات على مقتضى الحكمة في اعتبار المناسبات والموافقات والملائمات والأولويات وما ينبغي أن يكون كما ينبغي لأن ذلك من متممات قابلية الوجود للإيجاد وهو مفاد قوله تعالى : ﴿ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ ﴾ يعني خلقهم على ما هم عليه وكلفهم بما يليق بهم وأراد منهم ما طلبوا منه باستعداداتهم وكانت الجنة وما ينسب إليها من جنس الوجود والوجدان والملائمات والأولويات ، وكانت النار وما ينسب إليها من جنس الإعدام والفقدان والمنافرات وعدم الأولويات من جهة وجوداتها صح أن يدخل أهل الجنة نار الحظائر بسيئاتهم حتى يطهروا لأن تطهيرهم إزالة نجاسات الذنوب وهي إعدام وفقدان لما لزمهم وذلك من جنس النار ، ولم يصح أن يدخل أهل النار جنة الحظائر بحسناتهم لأن حسناتهم ليست ثابتة إذ لا أصل لها فيهم بل هي مجتثة من فوق الأرض ما لها من قرار ﴿ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا ﴾ فلا

يقتضي أن يكون ثوابها وجدانياً بإيصال مدد من الوجود ليلزم أن يكون ذلك في جنة الحظائر التي هي من جنس الوجود بل يكون ثوابها من جنس الإعدام لأن تلك الحسنات ليست حقيقة بل هي من جهة عدم الثبات أشبه بالسيئات ، ولهذا قلنا : إن النور من جهة نفسه ظلمة وإنما هو نور من جهة المنير وصح أن يأتيهم ذلك الثواب وهم في النار لأجل مناسبته للنار لأنه في الحقيقة عرضي فهو صورة الثواب فهو مجانس للإعدام كالنار إلا أنه يأتيهم عند دخولهم لالتحاقه بوجهه الأعلى بالخير ولئلا يحسوا بالفتور كما مرّ .

ثم اعلم أن أهل الجنة إذا أخرجوا من النار وأدخلوا الجنة يدخلونها وهم كالحمم فيعيّرونهم أهل الجنة ويقولون : يا جهنميون فيقولون : يا ربنا لا صبر لنا على العار فيأمر بهم فيغمسون في عين الحيوان فيكونون كالشموس وكالأقمار ، وأما أهل النار بعد انقطاع ما لهم من الثواب الصوري يضعف عذابهم الزائد بعد التخفيف فيغمسون في الماء الأجاج والحميم ليشتد عذابهم بعكس أهل الجنة ، وإليه الإشارة بتأويل قوله تعالى : وهو من تفسير ظاهر الظاهر ، ﴿ مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ أُغْرِقُواْ فَأُدْخِلُواْ نَارًا ﴾ وماء الخطيئات هو الماء الأجاج فافهم .

وأما جواب ما سئل عنه من أن لحظائر الجنة سكاناً خالدين فيها أبداً وسكاناً يخرجون منها ويدخلون النار أو حظائرها ، وأن لحظائر النار سكاناً خالدين فيها أبداً وسكاناً يخرجون منها ويدخلون الجنة أو حظائرها فاعلم أن الأمر كما ذكر ولكن على تفصيل سنذكره لك ، أما سكان حظائر الجنان الخالدون فيها أبداً

فقد دلت الأخبار على أنها يسكنها ثلاث طوائف خالدون فيها أبداً ولا يدخلون جنات المؤمنين وهم مؤمنوا الجن والمؤمنون من أولاد الزنى وأولاد أولادهم إلى سبعة أبطن والمجانين الذين لم يعقلوا في الدنيا وليس لهم أقرباء صالحون من أهل الشفاعة من المؤمنين ليستحقوا الإلحاق الذي تكرم به سبحانه على عباده المؤمنين لذرياتهم وأتباعهم لتطيب بهم نفوسهم فيدخل أولئك المجانين جنة الحظائر بتفضل الله عليهم وهذه الثلاث الطوائف خلقوا من تلك الحظائر وإليها يعودون ، وقد قلنا : إنهم خلقوا من فاضل أهل الجنة وذلك الفاضل هو تراب تلك الحظائر ، فأما مؤمنوا الجن فإنهم خلقوا من نار الشجر الأخضر وتلك الشجر خلقت من فاضل الطينة التي خلق منها الإنسان لأن الإنسان خلق من سلالة من صفوة التراب ولطيفه وذلك اللطيف متفاوت المراتب إلى اللوح المحفوظ الذي هو أطراف الأرض ونهاياتها قال تعالى : ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ يعني بموت العلماء وخلق ذلك الشجر من فاضل تلك الصفوة ، وإليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وآله : (**أكرموا عماتكم النخل**) وقول علي عليه السلام : (**إنما سميت النخلة نخلة لأنها من نخالة طينة آدم عليه السلام**) ، والمراد من النخالة والفاضل ظاهر الشيء كالشعاع ، فإنه فاضل المنير ونخالته وظاهره فافهم ، والجان خلق من النار التي من الشجر الأخضر الذي هو من فاضل طينة الإنسان كما قلنا : إن الحظيرة خلقت من فاضل الجنة وتعلق الأنوار القدسية التي هي لوازم الوجودات التشريعية على حسب خلوص الطينة وصفائها وامتزاجها وكدورتها فيختلف الانعكاس عن النور الواحد

باختلاف القابليات كانعكاس الشمس فإنه يقع على الأرض بقدر ما يقع على المرآة ، وينعكس عن المرآة أنور وأشد مع أنها لم تعطها أكثر من الأرض فتكون استنارة طينة الإنسان التي هي الصفوة أشد وأقوى من استنارة طينة الجن التي هي من نار الشجر الأخضر .

فلما كانت الحظيرة خلقت من فاضل جنتها كانت الجن خلقت من فاضل طينة الإنسان وكانوا مخلوقين من الجنة وحظيرتها وجب أن يخلق الإنسان من الجنة ويعود إليها وأن تخلق الجن من حظيرتها ويعودون إليها إذ كل شيء يعود إلى ما منه بدئ فكانت الجن هم سكان حظائر الجنان السبع على اختلاف مراتبهم كما أن مؤمني الإنس هم سكان الجنان : ﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ ﴾ وأما قوله تعالى : ﴿ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴾ فالمراد منه لم يطمث الإنسيات من أهل الجنة قبلهم إنس ولا الجنيات منهم جان وذلك إخبار عن سكان الجنان وسكان حظائرها بحكم جامع أو إشارة إلى ما في مؤمني الإنس من لطخ منزلة زوجة يافث بن آدم عليه السلام وما في مؤمني الجن من لطخ منزلة زوجة شيث بن آدم عليه السلام .

وأما علة كون أولاد الزنى المؤمنين من سكان الحظائر بعد النص فهو أن الزاني وإن كان مؤمناً يكون باعث نطفته شهوة النفس الأمارة بالسوء وناكح الحلال داعي نطفته شهوة النفس التي هي من العقل وهي مركبه وتلك ضده فتكون نطفة الزاني أكثف وأكدر لقلة نوريتها لأنها من دواعي الماهية بخلاف تلك فإنها من دواعي الوجود فلما فارقت نطفة الزاني في خروجها وقرارها وتكوينها النور الوجودي التشريعي لم تكتسب نوراً يلحقها بمراتب المؤمنين ولم

يبق فيها إلا نور التشريعي الوجودي وشأنه اقتضاء الأكوان الصورية والوجودي التشريعي يقتضي الأكوان النورية والصورية من فاضل النورية فوجب أن تكون النطفة الحلال إذا طهرت تكون من الجنة وإليها تعود والنطفة الزنى إذا طهرت تكون من الحظائر وإليها تعود .

ثم إن هنا سراً أشارت إلى لوازمه الأخبار عن الأئمة الأطهار عليهم السلام في مثل قولهم : (**إن ابن الزنى لا ينجب إلى سبعة أبطن**) فدل ذلك ومثله بمفهومه أنه بعد سبعة أبطن ينجب ومعنى ذلك مضافاً إلى ما دل عليه دليل الحكمة ، وأشارت إليه الأخبار أن ابن الزنى الصالح يسكن أسفل حظائر الجنان وابنه الصالح بالنكاح الحلال يسكن الحظيرة التي فوقها وابن ابنه الصالح بالنكاح الحلال يسكن الحظيرة التي هي أعلى من حظيرة أبيه وهكذا ، والسابع من نسل ابن الزنى على نحو هذا التفصيل يلحق بالمؤمنين ويسكن معهم لأنه نجيب مثلهم لاستكمال النور الوجودي التشريعي فيه والسر في خصوص عدد المراتب أن ابن الزنى لما نكح بالحلال كان في ابنه من النور الوجودي التشريعي سبع ظهر فيه عند ظهور العقل التكليفي عليه وهذا الابن إذا نكح بالحلال ظهر في ابنه سُبعان من ذلك النور سبع عند عقله وسبع [عند] ولوج روحه فيه ، وإذا نكح هذا الابن بالحلال ظهر في ابنه من ذلك النور ثلاثة أسباع عند عقله وعند روحه وعند اكتساء عظامه لحماً ، وإذا نكح هذا الابن حلالاً ظهر في ابنه من ذلك النور أربعة أسباع في عقله وروحه ولحمه وعظامه ، وإذا نكح هذا الابن حلالاً ظهر في ابنه من ذلك النور خمسة أسباع في عقله وروحه ولحمه وعظامه

ومضغته ، وإذا نكح هذا الابن حلالاً ظهر في ابنه من ذلك النور ستة أسباع في عقله وروحه ولحمه وعظامه ومضغته وعلقته ، وإذا نكح هذا الابن حلالاً ظهر في ابنه ذلك النور بتمامه السبعة الأجزاء في عقله وروحه ولحمه وعظامه ومضغته وعلقته ونطفته فنجب هذا الابن فلحق بالمؤمنين في مراتبهم في الجنان لاستكمال النور الوجودي التشريعي فيه ، وإنما كانت الأجزاء سبعة لأن متعلق النور الوجودي التشريعي الذي فيه سبع مراتب هي مطارح أشعة نفوس السماوات السبع على نظائرها كل على فرعه من تلك المطارح ، ولهذا كان الشخص إذا قارف سيئة انتظر سبع ساعات فإن تاب لم تكتب عليه لعدم استقرارها في مياسر تلك المطارح وإن مضت سبع ساعات ولم يتب استقرت في تلك المياسر فكتبت عليه سيئة .

وأما العلة في حكم المجانين المذكورين وسكونهم في الحظائر فلعدم حصول هذا النور الوجودي التشريعي لا بالأصالة لعدم إعمالهم ولا بفاضل حسنات الشفعاء ولهم مراتب كأولاد الزنى لاختلاف مراتب زوال العقل فافهم .

وأما قولك : إن لحظائر الجنة سكاناً يخرجون منها فمنهم من يدخل النار ومنهم من يدخل حظائر النار فهو حق ولكن لبيانه وجهان :

أحدهما : أن يكون دخول أهل النار حظائر الجنة عبارة عما يصل إليهم من ثواب حسناتهم العرضية المجتثة في النار عند أول دخولهم النار من تخفيف ما اقتضته ذواتهم وأعمالهم الخبيثة بقدر حسناتهم العرضية ، فإن ذلك التخفيف والتقليل من نعيم تلك الحظائر كما تقدم ذكره وهذا جارٍ في أهل النيران وأهل حظائرها

وبعد انقطاع التخفيف يغسل أهل النيران في الماء الأجاج ماء خطيئاتهم الذاتية لذواتهم أي وجودها العرضي وهو ما عجنت به طينتهم من البحر الأجاج في الذر الأول حين قال لهم : ألست بربكم ؟ فقالوا بألسنتهم : بلى وبقلوبهم نعم لإنكارهم واستكبارهم عن ولاية الولي قال تعالى : ﴿ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴾ ثم يزادون من العذاب ما يقتضيه بدءُ شأنهم في علم الغيب ، وكذلك أهل الحظائر بعد انقطاع التخفيف كذلك يغمسون في الماء الأجاج ماء خطيئاتهم الذاتية لذواتهم وهو ما عجنت به طينتهم في الذر البرزخي لأن ذواتهم ومساكنهم في الآخرة التي خلقوا منها وهي حظائر النيران برزخية خلقوا من بين الظلمة والنور كما تأتي إليه الإشارة وذلك الذر البرزخي وراء الإقليم الثامن من هورقليا حين قال لهم : ألست بربكم ؟ قالوا : بلى بألسنتهم وقالوا : نعم بصدورهم ثم يزادون من العذاب ما اقتضاه بدءُ شأنهم في علم الغيب وعلته عدم دخولهم نفس حظيرة الجنة وإنما يصل إليهم نعيمها في النيران وحظائرها كما أشرنا إليها سابقاً فراجع .

وثانيهما : أن يكون أهل النار وأهل حظائرها يدخلون جنة الحظائر بحسناتهم العرضية البرزخية في البرزخ لا بمعنى أنهم يدخلون فيها في البرزخ وإلا لساووا المؤمنين في استحقاقهم وإنما دخولهم فيها هو ما يصل إليهم من روحها وريحانها في قبورهم كما روى ضريس الكناسي عن أبي جعفر عليه السلام قال : قلت له : جعلت فداءك ما حال الموحدين المقرين بنبوة رسول الله صلى الله عليه وآله من المسلمين المذنبين الذين يموتون وليس لهم إمام ولا يعرفون ولايتكم ؟ فقال : **(أما هؤلاء فإنهم في حفرهم لا يخرجون**

منها فمن كان له عمل صالح ولم تظهر منه عداوة فإنه يخد له خداً إلى الجنة التي خلقها الله بالمغرب فيدخل عليه الروح في حفرته إلى يوم القيامة حتى يلقى الله فيحاسبه بحسناته وسيئاته ، فإما إلى الجنة وإما إلى النار فهؤلاء من الموقوفين لأمر الله) قال : (**وكذلك يفعل بالمستضعفين والبله والأطفال وأولاد المسلمين الذين لم يبلغوا الحلم ، وأما النصاب فإنهم يخد لهم خداً إلى النار التي خلقها الله بالمشرق ودخل عليهم منها الشرر والدخان وفورة الحميم إلى يوم القيامة ثم بعد ذلك مصيرهم إلى الجحيم وفي النار يسجرون ثم قيل لهم أينما كنتم تشركون من دون الله ؟ أي أين إمامكم الذي اتخذتموه دون الإمام الذي جعله الله للناس إماماً ؟**) انتهى ، رواه القمي في تفسير قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴾ وإنما أوردته بتمامه لما فيه من الاستدلال على كثير من شقوق المسألة التي نحن بصددها فقوله عليه السلام : (**فإما إلى الجنة وإما إلى النار**) يشير به إلى أن هؤلاء الذين تنعموا في قبورهم منهم من يؤول أمرهم إلى الجنة وذلك بأن ، يكلف يوم القيامة ويطيع ، ومنهم من يؤول أمرهم إلى النار لأنه يجدد له التكليف يوم القيامة ويعصي ، فالذاتي يرجع إلى النيران والبرزخي يرجع إلى الحظائر وهؤلاء هم المقصودون من هذا الكلام ، فبيّن عليه السلام بأن ممن يدخل النار من يأتيه الروح في قبره من الجنة التي في المغرب وهي جنة الدنيا وهي جنة الحظائر وهي المدهامتان ، وإنما قلنا : إنهم دخلوا الجنة بوصول الروح إليهم في قبورهم لأن قبورهم حينئذٍ روضة من رياض الجنة كما في العكس لو أصاب بعض المؤمنين لطخ من أهل النار وعذب

به في قبره أن قبره حينئذٍ حفرة من حفر النار وبيان العدل والاستحقاق يعلم مما سبق .

وأما أن لحظائر النيران سكاناً خالدين فيها فلأن المقتضى لوجود ساكنين لحظائر الجنان خالدين فيها هو المقتضى لوجود ساكنين لحظائر النيران خالدين وذلك لأن أهل النيران إنما استحقوا الخلود فيها لأنهم جانبوا أولياء الله وعادوهم لما بينهم من المضادة الذاتية المقتضية للشرك بالله ظاهراً وباطناً عن علم وبصيرة كما قال تعالى : ﴿ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ ﴾ وقال تعالى : ﴿ مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡحَقُّۖ ﴾ .

وأما أهل حظائر النيران فإنهم لم يجانبوا أولياء الله بالذات لعدم المضادة الذاتية بينهم من كل وجه وإنما التباين بينهم من وجه ولولا أنهم من فاضل طينة أهل النيران ولا بدّ أن يكونوا معهم وأتباعاً لهم في طريقهم وإن لم يكونوا معهم في رتبتهم لأن ذلك من لوازم التساوي في رتبة البدء لأمكن أن تستولي عليهم أنوار مجاورة أولياء الله في جهة التوافق فيكونوا في حظائر الجنان ، ولكنهم تركوا أولياء الله لأجل مخالفتهم لأئمتهم فصارت المجانبة بينهم ليست ذاتية وإنما هي تبعية لأنهم خلقوا من فاضل طينة المجانبين بالذات فيجانبوا بالتبع ، فإذا عمل هؤلاء حسنات من لطخ أهل الجنان جرى لهم من الثواب العرضي المجتث ما ذكرنا سابقاً ثم يردون إلى نيران الحظائر لأنهم عادوا للمتابعة لا بالذات وإليهم الإشارة بقوله تعالى : حكاية عن قولهم في حق أئمتهم : ﴿ قَالُواْ وَهُمۡ فِيهَا يَخۡتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذۡ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٖ ﴾ الآيات .

فإن قلت : قوله تعالى : ﴿ قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴾ يدل على أنهم معهم في دار واحدة .

قلت : ليس كذلك لأن الضمير يعود إلى مطلق النيران الشامل للنيران ولحظائرها المسماة في بعض الروايات (**بضحضاح من نار**) وذلك لأنهم في حال العتاب والمخاصمة يجتمعون وهم متباعدون كما حكى سبحانه عن عتاب تمليخا وتأنيبه لأخيه قوطش الكافر المذكورة قصتهم في الدنيا في الكهف ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ ﴾ الآيات وفي الآخرة في سورة الصافات قال تعالى حكاية عنهم : ﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّى كَانَ لِى قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴾ الآيات ، هذا الخطاب والمؤمن في الجنة والكافر في النار وبينهما مسيرة خمسمائة سنة والقرب بينهما كالقرب بين الشمس والظل .

فلما كانوا مخلوقين من فاضل طينة أهل النار وجب أن يكون مسكنهم في ما خلق من فاضل النار وهو نفس تلك الحظيرة فطينتهم منها كما أن أهل النار طينتهم منها ومن خُلق من شيء فإليه يعود ومما ذكرنا يظهر لك أن من أصابه لطخ من أهل النيران أو من أهل حظائر النيران إذا خرج من الحظائر بعد تطهيره إن كان من أهل الجنة غمس في عين الحيوان الجارية سكن الجنة وإن كان من أهل الحظائر غمس في العين النضاحة وأدخل جنة الحظائر على نحو ما تقدم .

وأما أن لحظائر النيران سكاناً يخرجون منها فيسكنون الجنان أو

حظائر الجنان فقد تقدم بيان حال من يخرج منها ويسكن الجنة ، وأما من يخرج منها ويسكن حظائر الجنان فلأن من كان من الطوائف الثلاث التي تسكن الحظائر إذا أصابه لطخ من أهل النيران وضع في حظائر النيران حتى يطهر ، ثم يخرج منها ويغسل في العين النضاحة ثم يدخل حظائر الجنان وذلك اللطخ إن كان من أهل النيران صعب تخلصه منه وطال مكثه في نار الحظائر ، وإن كان من أهل الحظائر سهل التخلص منه وقلّ مكثه في الضحضاح من نار .

ثم اعلم أن الذي أصابه اللطخ منهم إن كان من الجن المؤمنين فظاهر لعدم الخلاف في ذلك ظاهراً وإن كان من المجانين المخصوصين أو من أولاد الزنى فالأمر فيه خفي مشكل ، والإشارة إلى ذلك حال مثل هذا المجنون المشار إليه بعد ما دل الدليل أنه كلف في عالم الذر في دار الدنيا رفع عنه التكليف وهو عندنا نوع من النسخ ومن المحو لما ثبت من الدليل على أن النسخ محو تشريعي والمحو نسخ وجودي والدنيا هي وسطي دور التكليف الأولى في الذر وهي محل التقرير ، والثانية في الدنيا وهي محل القرار ، والثالثة يوم الحشر وهي محل الاستقرار ، فإذا ورد المحو على التكليف في محل التقرير ارتفع اعتباره بالكلية ووجود المكلف موقوف على ثبوت التكليف فلا يكون المكلف موجوداً .

وإذا ورد على محل القرار كالذي نحن فيه ارتفع عنه حكم الاستحقاق بالاكتساب ولزمه حكم الاستحقاق بالفضل والعدل لأن الحجة تقوم لله على خلقه في تكليف الذر غير قارةٍ ، فإذا قامت في الدنيا قرّت وإذا لم تقم كان ما سبق أن كان إجابة طاعة كان مقتضياً

لاستحقاق الفضل المحض وهو الثواب على النية والقول بدون العمل والعزم على الخير وعمل الحال وذلك سبعة عشر فيدخل في جنة الحظائر بفضل الله وإن كان ما سبق إجابة إنكار ومعصية كان مقتضياً لاستحقاق العدل المحض وهو العقاب على النية والقول بدون العمل وعلى العزم على الشر وعلى عمل الحال وذلك سبعة عشر فيدخل نار الحظائر بعدل الله .

فإن قلت : إن صح هذا في الأول لما ورد أن (**من عزم على الحسنة كتبت له حسنة وإن لم يفعلها لم يصح في الثاني لما ورد أن من عزم على فعل السيئة لم تكتب عليه حتى يفعلها وإذا فعلها انتظر سبع ساعات فإن تاب لم تكتب عليه وإلا كتبت عليه سيئة واحدة**) وهذا ينافي ما قررت في الثاني .

قلت : بين ما ذكرت وبين هذا المجنون الذي نبحث عنه فرق فإن ما ذكرت لأولئك حكم دار قرار التكليف وفيها أحكام وضعية تناط بالأعمال الفعلية كالأحكام المترتبة على الثلج فإن الماء قبل جموده لا تناط به أحكام الثلج كالانكسار مثلاً ، فإنه للثلج لا للماء فهنا يكلف من فعل المعصية التوبة منها وهي مانعة لوجود المعصية وينتظر في وجودها الاستنساخي انقضاء مدة المانع منه وهو التوبة بخلاف ما نحن فيه ، فإن له حكم دار التقرير وهو هناك قد جف القلم ، ولهذا قال سبحانه للجنة : ولا أبالي وللنار ولا أبالي .

وفي دليل المجادلة بالتي هي أحسن أن يقال : إن هذا المجنون إما أن يكون في عالم الذر غير مكلف أم لا ، فإن كان غير مكلف لم يكن موجوداً لما أشرنا إليه قبل وإن كان مكلفاً وعصى هناك فإما أن يدخل الجنة بمعصيته ولا مقتضٍ غيرها وهو باطل لاستلزامه

تبديل المقتضيات بلا مقتضٍ أو لا يدخل جنة ولا ناراً وهو باطل لما قلنا من استلزام التبديل بلا مقتضٍ ومنافاة أن كل شيء يعود إلى ما خلق منه ولا دار إلا جنة أو نار أو يدخل النار فإن أريد النار الأصلية لم يصح أيضاً لأن هذا لم يخلق منها وذلك لأن الله سبحانه قال : ﴿يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ ولم يكن في الدنيا منهم وليست موجودة فيه ولا محيطة به ، بل خارج عنها وإن أريد نار الحظائر صح ما قلنا لأنه خلق منها وإليها يعود وهي فيه في الدنيا ومحيطة به .

وأما ابن الزنى فقد أشرنا إلى ساكني حظائر الجنان منهم إذا كانوا مؤمنين وهؤلاء كأولئك إلا أنهم غير مؤمنين فيسكنوا حظائر النيران لأن أصل وجودهم بالتشريعي الوجودي وهو صنم وصورة للوجودي التشريعي في المخلوق المكلف فإذا اجتمع الوجودان كان الإنسان الطاهر ، وإذا فقد الوجودي التشريعي فإن اقترن بالعمل الشرعي الذي هو أثمان النعيم دخل حظائر الجنان والسر فيه أن الشرعي العملي وإن كان أثمان النعيم إلا أنه يظهر نوره في الشخص على حسب معدن قابليته فإن كان فيها التشريعي الوجودي وحده انطبع فيها نور العملي ظلياً صورياً لا ذاتياً فيكون ضعيفاً لأنه في الحقيقة تابعية بحت .

وإن كان فيها مع التشريعي الوجوديِّ الوجوديُّ التشريعي طاب المعدن ولطف وصفاً فانطبع فيها نور العملي ذاتياً نورياً لا عرضياً فكان قوياً لأنه في الحقيقة متبوعية بحت ، فلهذا كان مقامه جنة الخلد ومقام الظلي جنة الحظائر ، وقولنا في الظلي : إنه تابعية بحت ، وفي الأصلي متبوعية بحت نريد بالبحت فيهما بالنسبة إلى

مقامهما وإلى كل منهما .

فإن قلتُ : إن كلامك يدل أولاً وآخراً أن ابن الزنى مقامه برزخي وهذا يخالف ما علم بالضرورة أن من أبناء الزنى من هو في أسفل درك من الجحيم .

قلتُ : لو كان الكلام على إجماله وإطلاقه لتم اعتراضك ولكن ابن الزنى الذي نشير إليه هو الذي خلق من فاضل طينة أهل النار فهو في وجوده يدور عليهم كسائر الفواضل والذي يشير إليه أصل الوجود الصوري المعبر عنه بالظلمة التي لا نور فيها كما في الأخبار فهو يدور على نفسه وذلك إنما خلق من فاضل طينة هذا المشوبة بشيء من النور ، فلهذا كان الأصل من الأصل وإليه يعود ، والفرع من الفرع وإليه يعود وتفصيل ذلك أن الله سبحانه لما أجرى حكمته أنه لا يخلق شيئاً إلا ويخلق ضده وكان أول خلقه النور خلق ضده الظلمة ثم خلق من صافي النور خلقاً لا ظلمة فيهم أقامهم في حجاب الزبرجد فهؤلاء المصطفون الذين : ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ وخلق من فاضل طينتهم شيعتهم وأتباعهم خلقوا من نورهم ومثال ذلك أن السراج يفيض عنه النور وأول جزء منه أقوى أجزائه نوراً فهو نور فيه ظلمة ضعيفة تقيمه ولأنه لا يتقوم نور من غيره لا ظلمة فيه لأجل الضدية المذكورة ولهذا قلنا في المصطفين : أقامهم في حجاب الزبرجد وكلما بعد النور ضعف وقويت الظلمة وهكذا على هيئة مخروطين متقابلين ينتهي رأس أحدهما إلى قاعدة الآخر وهما كرتان متقابلتا السطوح ولا يزال النور يبعد حتى يتساوى النور والظلمة ثم يبعد فتقوى الظلمة ويضعف النور حتى ينعدم النور وتتمحض الظلمة ولم يبق

فيها من النور شيء إلا ما به كونها لا غير ، وهذه هي الظلمة المشار إليها بأنها خلقت ضداً للنور الذي لا ظلمة فيه إلا ما أقيم به في حجاب الزبرجد والوسط الذي يتساوى فيه النور والظلمة هو وسط الفيض وله حدان الأعلى يلحق بالأول الغالب عليه النور ولو بعد حين ، والحد الأسفل يلحق بالثاني الغالب عليه الظلمة وطرف الأعلى من الفيض هو المراد من النور الذي لا ظلمة فيه والطرف الأسفل منه هو المراد من الظلمة التي لا نور فيها ، والطرف الأعلى هو المعبر عنه أحياناً بالمنير لأنه عالم برأسه وإنما جعلنا الكل شيئاً واحداً لأنّا عبرنا عنه بالفيض لإطلاقه في الاصطلاح وفي الواقع على الفائض من الفعل وعلى شعاعه الفائض من المفاض الأول عن الفعل وعلى شعاع الشعاع وهكذا ، والكل في الحقيقة فيض فخلق سبحانه من الطرف الأعلى المصطفون الذين ﴿ لَا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ لأنهم نور لا ظلمة فيه كما ذكرنا وخلق من أنوارهم وهو ما غلب النور فيه على الظلمة وهو فاضل طينة المصطفين شيعتهم وأتباعهم وهؤلاء أصابهم لطخ الظلمة ويطهّرون على حسب اللطخ في الدنيا أو في البرزخ أو في القيامة أو في نار الحظائر كما مرّ ، وهكذا إلى الحد الأعلى من وسط الفيض فخلق منه الذين : ﴿ خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْۚ ﴾ وعسى من الله موجبة وأكثر من يدخل نيران الحظائر منهم ويلحقون بالمؤمنين وخلق من فاضل طينة شيعتهم وأتباعهم حتى من أصحاب الحد الأعلى من وسط الفيض أصحاب حظائر الجنة ، وهذا الفاضل هو شعاع الشعاع وحكمهم على ما تقدم الإشارة إليه وخلق من الطرف الأسفل وهو الظلمة التي لا نور

فيها أصحاب الدرك الأسفل وهم أصل النفاق قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ وهؤلاء يعصون الله ولا يطيعونه طرفة عين وخلق من فاضل طينتهم أي من انعكاسها وهو ما غلبت فيه الظلمة على النور وشيعتهم وأتباعهم وهؤلاء أصابهم لطخ النور فيؤتون أجر أعمالهم العرضية به كما مر في الدنيا أو في البرزخ أو في القيامة أو في نعيم حظائر الجنان على نحو ما ذكرنا سابقاً ويرجعون إلى النار قال تعالى : ﴿ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ ﴾ وهكذا إلى الحد الأسفل من وسط الفيض فخلق منه الذين كانت لهم حسنات وسيئات تعادلتا وأكثر هؤلاء ممن يقال لهم : إنهم يصل إليهم أجر حسناتهم العرضية على حسب ما فصّل سابقاً وفصّل في أضدادهم ، ويلحقون بالنار لأنهم خلقوا منها وإليها يعودون وخلق من فاضل طينة أهل النار الذين أصابهم لطخ من أهل الجنة سكان حظائر النار الخالدين فيها خلقوا من انعكاسهم وشعاعهم ، وهذا الفاضل هو شعاع الشعاع كما فصّل وهو معنى قولنا سابقاً : إن طينتهم برزخية خلقوا من بين الظلمة والنور وهؤلاء المخلوقون من فاضل الفاضل تختلف مراتبهم في أصل إيجادهم فمن قصرت المسافة بينه وبين الظلمة كان ما خلق من شعاعه في حظيرة نار أصله القريبة من الدرك الأسفل لقلة النورية فيه ، ومن طالت بينهما المسافة كان ما خلق من شعاعه في حظيرة نار أصله البعيدة من الدرك الأسفل لكثرة النورية فيه بالنسبة إلى الأول وبينهما مراتب خمس ﴿ لِكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴾ وهذه الحظائر أيضاً مترتبة لهذه العلة وإنما تسمى ضحاضيح النيران بالحظائر إما مجازاً لاشتمالها على صور أنواع العذاب وأصنافه

وهيئاتها المترتبة في تضامها وأوضاعها فإن ذلك كالشجرة المشتملة على الأصل والأغصان والورق مترتب كهيئة الحظائر ، أو لأنها ظل للحظائر وهيئتها من هيئتها أو لأن الحظيرة لغة البقعة التي تأوي إليها المواشي وسميت ضحاضيح النيران والجنان بذلك لأنهن بقع من نار أو جنة تأوي الأتباع .

[إلى هنا انتهت النسخة المخطوطة بخطه الشريف أعلى الله مقامه] .

* * *

فائدة رمزية في ولادة القائم عليه السلام وظهوره

كتبها [اع] حسب سؤال الشيخ موسى بن محمد الصائغ
جواباً لبعض أهل الخلاف

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أقول : كان في زماننا رجل من أهل الخلاف يدعي معرفة الحقيقة والرمز فاجتمع ببعض إخواننا المعاصرين لنا وهو شيخنا الشيخ موسى بن محمد الصائغ فكان بينهما كلام في بعض المسائل فأخبرني بمجلسهما وأنه كثير الدعوى وهو على مذهب أهل الخلاف في أن الصاحب عليه السلام في الأصلاب ، فأشار إلى أن أكتب له مسألة فيها رمز لا يفهمها حتى ينكسر وإن فهمها انكسر لأنها تلزمه مذهب الحق ضرورة وعياناً ومشاهدة وكشفاً وإشارة ودلالة وحساً وجفراً وشرعاً وغير ذلك حتى لا يكون له ولمنكر سبيل في أرض أو سماء إلا إلى الإقرار أو الانكسار وهي :

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أقول : روي أنه : (**بعد انقضاء المص بالمر يقوم المهدي عليه السلام**) والألف قد أتى على آخر الصاد والصاد عندكم أوسع من الفخذين فكيف يكون إحداهما [أحدهما] وأيضاً الواو ثلاثة أحرف ستة وألف وستة وقد مضت ستة الأيام والألف هو التمام ولا كلام فكيف الستة والأيام الأُخر وإلا لما حصل العود لأنه سر التنكيس لرمز الرئيس ، فإن حصل من الغير الإقرار بالستة الباقية تم الأمر بالحجة وظهر الاسم الأعظم بالألفين القائمتين [القائمين] بالحرف

الذي هو حرفان من الله إذ هما أحد عشر وبهما ثلاثة عشر فظهر واو الذي هو هاء فأين الفصل ؟ ولكن الواحد ما بين الستة والستة مقدر بانقضاء المص بألمر فظهر [سر] الستة والستين في سدسها الذي هو ربعها وتمام السدس الذي هو الربع بالألف المندمجين فيه وسره تنزل الألف من النقطة الواسعة بالستة ، والستة نزل الثاني في الليلة المباركة بالأحد عشر وهي هو الذي هو السر والاسم المستسر الأول الظاهر في سر يوم الخميس فيستتم السر يوم الجمعة ويجري الماء المعين ﴿يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾ هذا والكل في الواو المنكوسة من الهاء المهموسة فأين الوصل عند مثبت الفصل ليس في الواحد ولا بينه غير وإلا لكان غير واحد وتلك الأمثال نضربها للناس ولكن لا يعقلها إلا العالمون وكتبه [كتب] أحمد بن زين الدين بن إبراهيم بن صقر بن إبراهيم الأحسائي في السنة السابعة والتسعين والمائة والألف من هجرة النبي صلى الله عليه وآله الطاهرين .

* * *

الرسالة القدرية في جواب الشيخ عبد اللّٰه بن دندن

في مسألة القدر في أفعال العباد في شرح كلام للمير سيد شريف الجرجاني

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الهادين إلى نهج اليقين بواضح التبيين وعلى التابعين المقتدين بهداهم في الدين .

وبعد ، فيقول العبد المسكين أحمد بن زين الدين : هذه كلمات ذات تبيين وسداد في بيان القدر في أفعال العباد وضعتها على تقرير السيد شريف وفيما [وفيها] لكلامه تزييف متمماً لكل قول من الثلاثة ما نقص من احتجاجه غير مبين لاستقامته واعوجاجه ، ثم أرفع للحق أعلام منهاجه ، وأورد على مذهب من خالف الحق بعض النقص [النقص] لأنه لنصرة الحق على فرض كتبتها إذا [إذ] أمرني بذلك شيخي الحكيم [الحليم] الأواه حسن السمت والديدن الشيخ عبد الله بن دندن أنار الله أيامنا ببقائه وجعل همّه في الاستعداد للقائه إنه على كل شيء قدير .

قال السيد شريف : اعلم أن مسألة القدر في الأفعال الاختيارية للعباد من الغوامض التي تحيرت فيها الأوهام واضطربت فيها آراء الأنام .

أقول : اعلم أن الله سبحانه لم يظهر شيئاً مما في خزائنه [خزانته] إلا مبيناً مشروحاً على أكمل إملاء تحتمل [تحتمله]

العبارة وأجمل إيماء تعتمله الإشارة ويكون شرحه وبيانه في كل بحسبه ، ما ظهر ظهر بيانه وما بطن خفي برهانه وذلك بحسب احتمال الأشياء عنه سبحانه وإليه الإشارة بقوله تعالى : ﴿ فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا ﴾ وتنبيه [تبيينه] سبحانه لذلك في القرآن وفي العالم وفي أنفس الخلق وهو معنى أسرار الله في خلقه ، ثم لما كان المخاطب والمكلف والمعرف إنما هو الإنسان لأنه أكمل أصناف الخلق ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِيٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ فيلزم كماله أن يكون جامعاً وأن يكون مملكاً قال تعالى : ﴿ خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ فيكون مختاراً وإلا لم يكن جامعاً مملكاً ولكن على وجه نبيّنه إن شاء الله تعالى وكونه مختاراً لأنه صنع المختار قال الله تعالى : ﴿ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾ فوجب لكونه مملكاً أن يكون له من نفسه داعيان متضادان وهما العقل والنفس ، فالعقل عن يمينه يدعوه إلى الله أبداً ويدعوه الله منه قال تعالى : ﴿ وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ ﴾ والنفس عن شماله تدعوه إلى خلاف العقل بما يقتضيه طبعها أن النفس لأمارة بالسوء ومعناهما أن المخلوق له اعتباران اعتبار من ربه وهو العقل ، واعتبار من نفسه وهو النفس وكل منهما يصلح أن يسكنه الإنسان وهما جناحاه ، فقد ينظر الإنسان في آية من آية [آيات] الله إما في الكتاب التكويني وهو العالم أو التدويني وهو القرآن أو في عالم [العالم] الصغير الذي هو الأنموذج منهما والمثل لهما وهو الإنسان نفسه فيشبه [فيشتبه] عليه الداعيان لشدة تشابه كلٍّ منهما بالآخر وتشابه [لتشابه] مقتضى كل منهما بالآخر ، وبيان هذا البيان كثير في القرآن كقوله تعالى : ﴿ فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ

﴿ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ﴾ فجعل الحق زبداً رابياً والباطل زبداً مجتثاً وكذلك قوله تعالى : ﴿كَشَجَرَةٍ﴾ [طيبة وكشجرة] خبيثة فإذا نظر في آية من إحدى الكتب الثلاثة قد يلتبس عليه الداعيان البادران منه داعي العقل وداعي النفس فلا يهتدي إلى الحق فأكمل الله عليه الحجية [الحجة] بالأنبياء والحفظة الذين لا يلتبس عليهم الداعيان لما أتاهم من مدده بحسب استعدادهم وتأملهم به لذلك قال الله تعالى : ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ فمن حصل له اللبس وعمل بما أمر الله به من الرد إلى الله وإلى الرسول صلى الله عليه وآله وإلى أولي الأمر صلوات الله عليهم نجا لأن قولهم محفوظ عن الباطل لا يأتيه من بين يديه ولا من خلفه ولا من باطنه ولا من ظاهره لأن من عرف باطنه عرف ظاهره ، وفاز من الحظ الأوفر والنصيب بالمعلى [في المعلى] والرقيب ، ومن لم يعرف باطنه وسلم لظاهره نجا لموافقته للبديهة والفطرة والعقل الطبعاني الأولي الذي لا يخلو منه مكلف ، وكان من قولهم عليهم السلام في هذا الشأن : (**لا جبر ولا تفويض ولكن أمر بين أمرين**) ويأتي الكلام في هذا المقام إن شاء الله تعالى ومن لم يسلك هذا الطريق المظلم بمصباح يهتدي به سلك التيه وهلك فيه وصدق الشريف في قوله تحير فيها الأوهام واضطربت فيها آراء الأنام وإن كان من أولئك المضطربين ويأتي بيان اضطرابه والسبب في الاضطراب في النشأتين ما ذكرناه مرتين ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ .

قال : فذهب جماعة يريد بهم المعتزلة أصحاب واصل بن عطاء وهو أول من قال بالمنزلة بين المنزلتين وكان من أكابر تلامذة أبي الحسن البصري ، فلما أخذ واصل يقرر في المنزلة بين المنزلتين

واعتزل بالحسن البصري وأصحابه قال أبو الحسين : اعتزل واصل فسموا بالمعتزلة هو وأصحابه إلا [إلى] أن الله أوجد العباد وأقدرهم على تلك الأفعال بأن خلقهم [خلق لهم] الآلة والصحة وهي القوة التي يكون العبد بها متحركاً مستطيعاً للفعل وبتهيئة الأسباب التامة وهذا مذهب أهل العدل الإمامية والمعتزلية [المعتزلة] إلى هذا الحرف وفوض إليهم الاختيار فيها فهم مستقلون بإيجادها على وفق مشيتهم وطبق قدرتهم وهذا خاص بالمعتزلة ، وقولهم : فهم مستقلون تفريع على قولهم [قولهم وفوض إليهم] الاختيار يعني أن الله سبحانه بعد خلق الآلة والصحة وتهيئة الأسباب ليس له في أفعالهم إلا أمره ونهيه القوليان اللذان لا مدخل لهما في الفعل والترك بوجه وما سبق من الآلة والصحة هو معنى إقداره إياهم على الفعل وفعلهم الطاعة والمعصية بمشيتهم وزعموا أنه تعالى أراد منهم الإيمان والطاعة إرادة محبة [محبة بأمر] قولي فحسب وكره الكفر والمعصية كراهة ضد المحبة بنهي [بنهي قولي] قوله : قالوا : وعلى هذا يظهر [تظهر] أمور أي فوائد أمور يصح بها الاعتقاد :

الأول : فائدة التكليف بالأوامر والنواهي وفائدة الوعد والوعيد يعني أن العبد إذا لم يستقل بالفعل لم يصح أمره ونهيه [ولا نهيه] لأنه إما أن يستقل بفعل [بفعله] أو يستقل به غيره أو يشاركه [يشارك] فيه والأخيران باطلان ضرورة أن المستقل بالفعل هو المأمور به والمنهي عنه فإذا كان غير الإنسان توجه الأمر إليه فيرتفع التكليف عن العبد ويقع التكليف في الأمر المأمور [بالمأمور] وعلى التشريك يكون الأمر والنهي كذلك والواقع خلافهما فثبت

الاستقلال بالفعل في الأمر والنهي وفائدة الوعد بالثواب لا يكون لعبد على فعل غيره ولا يستقل بالثواب مع التشريك في موجبه والوعيد بالعقاب لا يكون على عبد بوزر غيره وكذا في التشريك ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ هذا في دار التكليف .

الثاني : استحقاق الثواب والعقاب في دار الجزاء إذ لا يستحق ثواب ما لا يعمله ولا عقاب ما لا يفعله لقوله تعالى : ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَـٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ﴾ وغير ذلك من الآيات والعقل شاهد بحسن هذا وقبح ما سواه .

الثالث : تنزيه الله تعالى عن إيجاد القبائح التي هي أنواع الكفر والمعاصي [و] عن إرادتها يعني إنّا لو قولنا كما تقوله الأشاعرة : إنه لا مؤثر في الوجود إلا الله لزمنا أن نقول : إنه أوجد الكفر في الكافر وجميع ما نهى عنه فلو كان كذلك لكان يقبح منه أن يعذب الكافر على ما لم يكن منه وهذا عند كل عاقل قبيح أن يأمر السيد عبده بالمضي أو يلقيه من سطح ثم يعاتبه لِمَ مضيت ولم وقعت ؟ ويعاقبه على ذلك وهذا قبيح لا يجوز من الغني المطلق العالم بقبح القبيح وحسن الحَسن ومثل الفعل إرادته في القبح والحسن وعلى أصلنا من أن العبد فاعل للحسنة والسيئة باختياره مستقل بالفعل والاكتساب صح الأمر والنهي والمدح والذم والثواب والعقاب ويكون سبحانه منزهاً عن إيجاد القبائح وعن إرادتها ولهم شواهد من ظاهر الكتاب والسنّة كثيرة جداً لا يحتاج إلى إيراده لكنهم غفلوا عما يلزمهم فيما ذهبوا إليه وهو إثبات الشركاء لله في الإيجاد حقيقة حيث ألا مؤثر في الوجود عند الأشعري إلا الله ، فإذا ثبت أن العبد فاعل كان شركاً [شريكاً] لأن الفعل تأثير يكون منه تأثر

المفعول به والتأثير وجود لا يفيض الوجود إلا من الحق سبحانه ، قال المعتزلي : لا يثبت موجد [لا نثبت موجداً] إلا ما أثبته الله العالم بما خلق حيث يقول : ﴿ وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ﴾ ، ﴿ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ ، ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ ﴾ ، ﴿ إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِن فَضْلِهِ ﴾ ، ﴿ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي ﴾ وغير ذلك قال الأشعري : إسناد الفعل إلى الفاعل مجاز وهذه الآيات من المتشابه [و] ترد إلى المحكم وهو قوله تعالى : ﴿ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ والموصول حرفي إذ الأصل عدم تقدير الضمير وهو شاهد بخلق الأعمال ، قال المعتزلي : ما تقولونه في أدلتنا نقوله في أدلتكم والموصول اسمي وحذف عائده قياسي وبالجملة بهذه [بالجملة بمثل هذه] المناقشة التي لا طائل فيها سودوا الدفاتر وأنفدوا المحابر ولو ردوه إلى أهله لكفاهم من القيل القليل ولا شبهة في أنه أي إثبات الشركاء [الشركاء لله] في الإيجاد حقيقة أشنع من جعل الأصنام شفعاء عند الله حيث إنه سبحانه توعد من قال بذلك : ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴾ فحكم عليه بالكذب والكفر ولم يجعلوهم أرباباً على الحقيقة بل جعلوهم غير مستقلين في الفعل وإنما هم شفعاء فما ظنك بمن جعل العبد فاعلاً مستقلاً فإنها مقالة أشنع من تلك ، وأيضاً يلزمهم أن ما أراده ملك الملوك لا يوجد في ملكه وأن ما كرهه يكون معه موجوداً فيه وذلك نقصان شنيع في السلطنة والملكوت وذلك أن ملك الملوك سبحانه إذا أراد من زيد الصلاة ولم يصلِّ وكره [وكره منه] الزنى وزنى كان في ملكه ما لا يريد

ولم يكن فيه ما أراد وأين ما يشاء [شاء] الله كان وما لم يشأ لم يكن ، وإذا كان تعالى كذلك لم تكن سلطنته تامة وما كان كذلك لم يكن عظيم السلطان ويكون ملكوته ناقصاً لأن ملكوته تابع لإرادته ، ويجب أن يكون الملكوت مطابقاً للملك والملكوت في الملك كالروح في الجسد ، والملكوت فعلوت من الملك للمبالغة كالرحموت من الرحمة والرهبوت من الرهبة ، فإذا أراد الصلاة من زيد كانت صورتهما [صورتها] في الملكوت فإذا لم يصلِّ زيد اضمحلت الصورة لأن الصلاة لا تقوم بدون المادة فكان نقصاً في الملكوت .

واعلم أن كل مفتون ملقن حجته وقد نصب الله لكم مرايا ومعلمين فمن أراد أن ينظر وجهه فلينظر في المرآة الصافية وهي القرآن والسنّة ، فمن لم يدرك صفة وجهه لضعف بصره فليرد إلى قوي البصر يريه [ليريه] صفة وجهه وهم المعلمون حيث الله يقول : ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ ﴾ وهم الذين قال الله تعالى فيهم : ﴿ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ ﴾ والمتعلمون هم : ﴿ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ بذوقه لما ألقي إليه من المعلم والباقي أوجب الله عليهم الرد إلى المتعلمين الذين عقلوا عن المعلمين فإنهم الوسائط بين الرعية وبين الراعين ، ولا يجوز لأحد من الرعية أن يسلك طريقاً بدون الوسائط من قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ ﴾ أي بين الرعية ﴿ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا ﴾ وهم الراعون ﴿ قُرًى ظَـٰهِرَةً ﴾ وهم الوسائط وقدرنا فيها السر أي لا بدّ لكل سائر من النزول في القرى الظاهرة والسير فيها أي في خلالها وفيما بينهما [بينها] ليتزود مما يحتاج إليه منها في

مسيره ليالي مما أفتوكم به عن المعلمين مما لم تعرفوا مأخذه ولا تعقلوه وأياماً مما عرفتهم [عرفتم] دليله من المتعلمين عن المعلمين وعقلتموه أو بالعكس على أحد التأويلين آمنين من العثرة والضلالة خارجين بذلك عن الغفلة والجهالة ، وفي رواية أن المراد بالقرى الظاهرة هم المعلمون ظاهراً وأن المأمورين بالسير هم المتعلمون وأن القرى التي بارك الله فيها أي [هي] علاماته سبحانه ومقاماته التي لا تعطيل لها في كل مكان ، ولذلك قال الصادق عليه السلام : (**لا جبر ولا قدر ولكن منزلة بينهما فيها الحق التي بينهما لا يعلمها إلا العالم أو من علّمها إياه العالم**) أو [و] أراد عليه السلام : (**بلا قدر**) لا تفويض (**فقالوا : ربنا باعد بين أسفارنا**) أي لا نحتاج إلى الوسائط (**وظلموا أنفسهم**) أي وضعوها في غير مواضعها (**فجعلناهم أحاديث**) أي مثلات ومواعظ والسعيد من وعظ بغيره والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين .

قال : وذهب طائفة والمراد بهم أصحاب أبي الحسن الأشعري إلى أنه لا يؤثر في الوجود إلا الله المتعالي عن الشريك في الخلق والإيجاد كما أنه متعالٍ [متعالي] عن الشريك في الخلق والإيجاد كذلك يتعالى عن القبيح والاتحاد [الإيجاد] وقد مضى بيان وجه الشركة عندهم في قول المعتزلة : يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد هذان الحرفان محكمان وليس في الحقيقة فيهما للأشعري حجة لا أنه [لأنه] سبحانه أجرى بحكمته مشيته على وجهين ويأتي بيان المشيتين إن شاء الله تعالى لا علة لفعله ولا رادّ لقضائه لأن العلة لو كانت لزم الدور و[أو] التسلسل إذا [أن] انحصرت في

مفعولاته وإن انتهت إليها [إليه] لزم الحاجة والكل محال ، أما الأول فلو خلق الأشياء كلها لعلة فإما [فتلك إما] أن تكون ذاته و[أو] انتهت إليها أو لا فإن كانت ذاته و[أو] انتهت إليها لها [إليها لزم] الاحتياج وإن كانت غير ذاته فهي مخلوقة إذ لا واسطة معقولة [ومعلولة] وإلا لم تكن لفعله علة فإن انتهت إلى أحدها جاء الدور وإن ترامت جاء التسلسل فلم يكن إلا أنه يفعل لا لعلة ولا راد لقضائه معلوم بالعقل والنقل ، ويلزم منه أن الأشياء كلها بقضائه خيرها وشرها وحلوها ومرها وإلا كان في ملكه ما لم يقضه وإذا كانت كلها بقضائه لا فعل للعبد مع فعل الرب : ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾ لأن أفعاله لا تجري على العلل سوى ذاته وهو يحكم ما يريد ولا يحكم عليه وهم يسألون لأنه يحكم عليهم ويسألهم عما أجراه على أيديهم كما أجراه على أيديهم بلا سبب سوى ذاته ، ولذلك [وكذلك] لا مجال للعقل في تحسين الأفعال وتقبيحها بالنسبة بل يحسن صدورها كلها عنه تعالى لعدم العلة في فعله ولقدسه ولعموم قدرته فكل ما يفعل المحبوب محبوب والأسباب التي ارتبط بها وجود الأشياء بحسب الظاهر بحيث تقرب عليه [تترتب عليها] المسببات ظاهراً في بادئ الرأي ليست أسباباً حقيقية لأن الأسباب سواء كانت تامة أو ناقصة لا بدّ وأن يكون [يكون لها] إما أثر استقلت به في المسببات تاماً كان أو ناقصاً ، وقد تقدم أنه وجود ولا يكون من غير الواجب تعالى وإذا أثبت [ثبت] ذلك ظهر أنه لا مدخل لها في وجودها لأن الارتباط الظاهري لا عبرة به لكنه تعالى أجرى عادته بأنه يوجد تلك الأسباب أولاً ثم يوجد تلك المسببات عقيبها والوجدان شاهد بعدم

وجود العادة وعدم الوجوب يدل على عدم السببية حقيقة وإلا اجتمع النقيضان ، فكل من الأسباب والمسببات صادرة عنه ابتداء لعدم فقرها إلى غيره وقالوا في ذلك تعظيم لقدرة الله وهو أن كل شيء منه وبه وله وإليه وتقديس لها عن شوائب النقصان بالحاجة ، الباء للسببية في التأثر إلى أمر آخر وحرف إلى متعلق بالحاجة أي الاحتياج فإنه [فإن] من احتاج في تأثره في معموله إلى سواه يكون ناقصاً وتمامه بذلك السواء ، وإذا قيل : بعدم التأثير من سواه مطلقاً كان تنزيهاً للقدرة عن شوب النقصان .

ثم قال السيد : وذهب آخرون وهم الحكماء الإلهيون إلى أن الأشياء في قبول الوجود من الواجب الوجود إذا نسبت [نسبت الأشياء إليه في القرب والبعد والشدة والضعف متفاوتة لا العكس لأن نسبته] سبحانه إلى جميع الأشياء نسبة واحدة لا تفاوت فيها قال تعالى : ﴿ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ﴾ أي في فعله لأن المتفاوت متهافت فبعض منها لا يقبل الوجود إلا بعد وجود آخر لأن ما نقصت قابليته عن قبل [قبول] وجوده لو كان موجوداً قبل تمامها لكانت [فكانت] الأشياء كلها على حال واحد والواقع بخلافه والآيات الشهودية بخلافه فيكون وجود ذلك الآخر تمام قابليته لوجوده كالعرض الذي لا يمكن أن يوجد إلا بعد وجود الجوهر لنقص قابليته عن قبول وجوده وتمامها وجود الجوهر الذي يحل فيه ونقص قابليته ليس من نقص في القدرة ولكن لضعف وجوده بالنسبة إلى الجوهر الذي لا يتوقف على وجود غيره مثلاً فلو تعلقت القدرة بوجوده بدون الجوهر [الجوهر من حيث هو عرض انمحق فيها لعجزه عن تعلق القدرة به بدون الجوهر] لأن

وجود المتحيز شرط في وجوده وتمام قابليته ، فالعجز والنقص منه لأنه سبحانه أغنى وأقنى وأعطى بالنسبة إليه سبحانه دفعة واحدة ﴿ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴾ ، فسالت : ﴿ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا ﴾ فقدرته تعالى في غاية الكمال تفيض الوجود على الممكنات بحسب قابلياتها المتفاوتة : ﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ﴾ فبعضها صادرة عنه بلا سبب كالعقل الكلي مثلاً وبعضها بسبب كالنفس الكلية بواسطة العقل ، أو أسباب كسائر الموجودات وتلك الأسباب لها مدخل في وجود ذلك البعض وإلا لم تكن الأسباب أسباباً لأنها تمام لقابلية مسبباتها للوجود والقابلية بسبب الوجود [سبب للوجود لأنها] انفعال الممكن في الحقيقة عند فعل الحق سبحانه وذلك لتتميم القابلية عن المحق لا لنقصان في القدرة بل لنقصان في القابلية للعجز عن الاستقلال وللطف الفاعل ورحمته وكيف يتوهم النقصان والاحتياج في القدرة مع أن السبب المتوسط صادر عنها أيضاً وهو الجوهر في المثل المتقدم متوسط بين فعل الرب سبحانه وبين العرض فالله سبحانه غير محتاج في إيجاده [إيجاد الأشياء] إلى ما ليس بصادر عنه .

أقول : ولا نرى [ترى] في هذا الكلام أن مفهوم الصفة حصر النفي الحاجة في المنفي بل أرادوا نفي الحاجة عنه إلى كل شيء في القدرة ، وكذلك أرادوا أنه ليس في مخلوقاته ما يتوقف وجوده على ما ليس بصادر عن الله ولا بالله ، وقالوا : لا ريبة [ريبة في] وجود موجود على أكمل وجه داخل في حيز الإمكان العام ولا ريبة في أن صدور الممكنات عنه على أبلغ النظام منه سبحانه وأحسن الانتظام فيها [فيها به] تعالى ، فالصادر عنه وهو الموجود لأنه

الوجود عند المتكلمين ومن حذا حذوهم عرض حال بالماهية فهو قائم بها وعند الإشراقيين أن الوجود هو الموجود والماهية قائمة [قائم] به ثابتة عنه ، واختلف المتكلمون والحكماء من الرواقين والمشائين هل الماهية مجعولة أم لا ؟ وليس هذا محل الكلام فيها ، والحق أنها مجعولة بالوجود أي بجعل الوجود أي [يعني] جعلا ثانياً وبالعرض وحيث كان كان هذا القول الثالث في القدر للإشراقيين الذين يذهبون إلى أن الوجود هو الموجود قالوا : فالصادر عنه وأرادوا به المفعولات ، ومن المعلوم أن الصادر عن الموجود سبحانه إنما هو الوجود وهو الموجود إما خير محض كالملائكة [كالملائكة وإما شر محض كالشياطين] وذلك أن المحدث من حيث هو يلزمه الاعتباران اللذان ذكرناهما آنفاً وهو الغنى من خالقه والفقر من نفسه ، فالغنى والخير في المخلوق هبة من الوهاب الواجب وتلك الهبة نفسها فقيرة إلى واهبها قال تعالى : ﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ ﴾ فالكلمة العليا هي الخير المحض بحكم التنزيل وهو الملك ، والكلمة السفلى هي الشر المحض وهو الشيطان فاسمع ثم ع ثم احفظ ، ويأتي تمام هذا الكلام وإما بكسر الهمزة ما يكون الخير منه غالباً على الشر كالإنسان وسائر الحيوان ، وإما ما قابل الملك فلان وراء الخير وخلفه موجود وإن كان شراً محضاً في نفسه ولكن إيجاده الذي هو من الخير غالب على عدميته التي هي الشر لأن إيجاده من تمام إيجاد ضده ولازم قيامه ومن نهاية قوامه فالخير غالب على الشر ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ فتكون الخيرات داخلة في قدرة الله بالأصالة لأنها وجود

والوجود خير كله ولأنها صفة القدرة ومنه : ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ ﴾ والشرور اللازمة للخيرات داخلة فيه بالتبعية لكون وجود الشر بتبعية وجود الخيرات ولأنها صفة نفس الصفة وبه لا منه ولا إليه فمَن ثمة : قيل إن الله يريد الكفر والمعاصي الصادرة عن العباد وإرادة تابعة لإرادة الخيرات لا إرادة ابتدائية ولكن لا يرضى بها لأن الرضا أول والسخط أخير ، وفي الحديث القدسي : (**سبقت رحمتي غضبي**) فالغضب والسخط يترتبان في وجودهما على الرحمة والرضا كل على مقابله والإرادة الابتدائية يساوقها السخط ، فإرادة الكفر والمعاصي تابعة لإرادة الإيمان والطاعة على قياس من لسع الحية وهي التي تقتل كالحية المسماة ببنت طبق وغيرها من الحيّات اللاتي لا علاج لها إلا بالقطع لأصبعه وكانت سلامته موقوفة على قطع أصبعه فإنه يختار قطعها أي قطع إصبعه بإرادته وهي إرادة تابعة لإرادة السلامة ، ولهذا قالوا لكن بتبعية إرادة السلامة لأن القطع شرط السلامة فلزم إرادة السلامة إرادة القطع ولولاها أي إرادة السلامة لم يرد القطع أصلاً ، فيقال : هو يريد السلامة ويرضى بها ويريد القطع لأجل السلامة لا لذاته ولا يرضى به لأنه مكروه ، وإنما طلب لدفع ما هو أكره منه وهو السلف [التلف] إشارة إلى الفرق الدقيق هذا كلام الشريف ، وأراد بذلك أن الحكماء إنما قالوا ذلك إشارة إلى الفرق الدقيق بين فعل الرب وفعل العبد في المعصية وأنت تعلم أن أسلم العقائد من [عن] الآفات وهي العيوب التي لا يستقيم معها الاعتقاد وأصحها عند ذوي البصائر يعني بهم أشاعرته و[وعين] الرضا عن كل عيب كليلة النافذة في حقائق المعارف لا ريب أن نفوذ بصائرهم في الحقائق

على نحو قوله تعالى : ﴿ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۗ ﴾ فبالله عليك أيها الناظر إلا ما نظرت بعين الإنصاف وتركت التعصب والاعتساف في هذه الثلاثة ، ثم إذا عرفتها وعرضتها على الفطرة بالكتاب والسنّة وصفا الحق وزهق الباطل فاختر لنفسك ما يحلو .

قال : ما ذكرناه ثانياً متوسطاً بين الأول والثالث وإنما وسطه في الذكر ليرتب عليه قوله فخير الأمور أوسطها فلو كتب المعتزلي هذا المذهب [هذه المذاهب] وجعل مذهبه ثانياً كان الحق معه وخير الأمور أوسطها ، وكذلك الحكيم إذا جعل مذهبه متوسطاً بالكتابة كان الحق معه وهذا آخر آفات التوهيم [هذه خرافات التمويه] ﴿ وَلِيَلۡبِسُواْ عَلَيۡهِمۡ دِينَهُمۡۖ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُۖ ﴾ ﴿ وَلِتَصۡغَىٰٓ إِلَيۡهِ أَفۡـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ وَلِيَرۡضَوۡهُ وَلِيَقۡتَرِفُواْ مَا هُم مُّقۡتَرِفُونَ ﴾ وليس يرضى به إلا أهل الغباوة ومن ختم الله على قلبه وسمعه وجعل على بصره غشاوة والله الملهم للصواب .

هذا الحرف محكم ومسلم وهو مما نحن فيه ، ولكنه تعالى ليس ملهماً للخطأ تعالى ربي وإليه المرجع والمآب ﴿ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ [لهم الـــذي) ٱلَّذِي يَخۡتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰذِبِينَ ﴾ واعلم أنك إذا أردت المذهب المتوسط بحيث يستدل عليه بخير الأمور أوسطها هو مذهب الحكيم وهو الأخير في الذكر لأن المعتزلي ذهب إلى أن الأفعال من العبد خيرها وشرها مستقل بذلك [بذلك وذهب الأشعري إلى أنها من الله تعالى خيرها وشرها مستقل بذلك] ليس لأحد من عباده فيها حال من الأحوال والحكيم مذهبه التوسط بأن جعل الخيرات من الله وبالله والشرور بالله لا منه

لكون الشرور وجدت بوجودات [بوجود] الخيرات فتكون صفة نفوس الخيرات فهو أوسط الثلاثة وخيرها وهو الحق المبين والصراط المستقيم وهو ميزان الاعتدال الذي ضرب الله فيه الأمثال وبيانه بلسان أهل الشرع وينبوع الأصل والفرع يحتاج إلى تقديم مقدمات وإشارة [إشارات] إلى بعض الآيات وشرح الحال بنصب المثال :

فاعلم أنه لما فاض الوجود من كتم الغيب ظهرت به الماهية لأنه ضده وكل شيء له ضد إلا الواحد الفردي [الفرد] عزّ وجلّ ، فالوجود من الله وإليه يعود والماهية من الوجود وإليه تعود ، فللوجود صفات وللماهية صفات وكل صفة من صفات الماهية مقابلة لضدها العام من صفات الوجود ، والوجود ، وكل صفة من صفاته بإرادة له من الله لذاته ورضى به كذلك والماهية وصفاتها تمام إمكان الوجود وصفاته فإرادته [فإرادتها] تابعة لإرادته فتكون الإرادة لها للوجود لا بذاتها ، فإرادتها لذاتها ثانياً وبالعرض وكذلك صفاتها في مقابلة صفات الوجود على نحو واحد فالوجود من الله وإليه يعود ، وإرادته له إرادة محبة ورضى أولاً وبالذات والماهية من الوجود وإليه وبالله و[ولا] منه ولا إليه وإرادته تعالى لهما [لها] إرادة عزم وقضاء لا محبة ورضى والأمثلة المضروبة لذلك كثيرة جداً في العوالم ومنها الشمس وأشعتها الواقعة على وجه الجدار مثلاً ، والظل الممدود خلف الجدار فالوجود شعاع الشمس الظاهر عن يمين الجدار هو من الشمس وإليها يعود وإرادتها له في الظهور لو كانت مختارة مثلاً في مقام الدور الرابع إرادة محبة ورضى لذاته ولولا الجدار وكثافته لم تظهر الأشعة

للبصر ، فالشمس بالشعاع الظاهر أولى من الجدار ولولاه لم يحس وإن كان موجوداً عندها لا فيها ، ومثال الماهية الظل الظاهر عن شمال الجدار هو من الجدار وإليه يعود لا من الشمس ولا يعود إليها ولكنه بها ظهر ولولاها لم يظهر وإن كان موجوداً في الجدار بمعنى أنه لا يوجد إلا بها وإرادتها للظل في الظهور لو كان مختاره [كانت مختارة] كذلك [كذلك مثلاً] إرادة عزم وقضاء لا محبة ورضى إذ لو أحبته ورضيت به [رضيته] لعاد إليها ولو عاد إليها لم يكن ظلاً ولو لم يكن ظل لم يكن شعاع ، لأن الجدار في المثل هو نفس الشعاع من حيث نفسه لا من حيث الشمس وإنما تسامحنا في العبارة للبيان فالجدار أولى بالظل من الشمس ولولاها لم يكن ، وصفات الوجود وصفات الماهية بهذا النحو ، فإذا لاحظت هذا المعنى وهذا المثال ولاحظت الداعيين المتقدم ذكرهما العقل والنفس ولاحظت جهة الصلوح الذي يأتي ذكره عرفت الطاعة والمعصية وإرادتها [إرادتيهما] من الله ومن العبد وإلى ما ذكرنا الإشارة بقوله تعالى : ﴿ **ومثل كلمة طيبة** ﴾ إلخ ، فمثل الطاعة بالشجرة الثابتة الأصل لأن الطاعة أصلها الوجود الثابت الباقي ببقاء ربه وقال تعالى : ﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ ﴾ فمثل المعصية بالشجرة المجتثة لأن المعصية من الماهية وأصلها مجتث لانتهائه إلى الإمكان الممتنع من البقاء لذاته ومثله قوله تعالى : ﴿ وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ ﴾ فأسند الخبث إلى الخبيث وكذا خروج نباته إلى نفسه ومثله قوله تعالى : ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ ۚ ﴾ فالقصد عليه والجور منها وقوله تعالى : ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ

ٱللَّهُۚ﴾ فأسند المشيئة إلى العباد وجعل وجودها موقوفاً على مشيته وقوله تعالى : ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰۚ﴾ فنفاه عنه أولاً وآخراً وأسند إليه ظاهراً وإلى هذه الأولوية التي ذكرناها في المثال أو أبانت لها الآيات المذكورة للاستدلال الإشارة بقوله تعالى في الحديث القدسي : (**أنا أولى بحسناتك منك وأنت أولى بسيئاتك مني**) وبيانه في العبد أنه سبحانه خلق في عبده الآلة الصالحة للطاعة والمعصية خلقها للطاعة لا للمعصية ولا يستتم خلقها للطاعة إلا إذا كانت صالحة للمعصية ليتم [ليجيء] الاختيار وينتفي الاضطرار ويترك المعصية مع القدرة عليها وخلق فيه الصحة وهي القوة التي يكون العبد بها متحركاً مستطيعاً للفعل ويكون [تكون] صالحة للضدين إذ شرط التكليف بأحدهما التمكن من الآخر وصحة الاقتدار ليتم الاختيار ، فصلوح الآلة والصحة للطاعة والمعصية لازم لصلوحهما للداعيين العقل والنفس ، فإذا صلح العقل والنفس ، لاستعمال الآلة والصحة بمقتضى كل منهما وصلح العبد لاستعمال العقل والنفس بشهوته لمقتضيات [لمقتضى] كل منهما صلح لأن العبد مظهر لأمر كن فمن الكاف جاء العقل ومن النون جاءت النفس صح الاقتدار على الطاعة والمعصية [المعصية والاختيار فيهما ولولا هذا الصلوح في هذه الأمور لزم الجبر في الطاعة والمعصية] لأن الصلوح شرط الاختيار ، وإذا لم يكن العبد مختاراً كان مجبوراً ولولا كون مشيئة العبد للطاعة من مشيئة الله لها بالذات وللمعصية من مشيئة [مشيئة الله] لها بالعرض كما مر مكرر لزم أن يكون في ملكه ما لا يريد وما يريد لا يكون وإلى هذه الشقوق الثلاثة الإشارة بقول الرضا عليه السلام : (**إن الله لم يطع**

بإكراه ولم يعص بغلبة ولم يهمل العباد في ملكه هو المالك لما ملكهم والقادر على ما أقدرهم عليه) الحديث ، فلأجل هذا الصلوح الذي هو مدار الاختيار لم تكن الطاعة لله بإكراه ولأن المكره غيره [غير] مطيع ولأجل كون مشيئة العبد لمعصية الله من مشيئة الله لها بالعرض لكون مشيئة الله لها بالعرض من تمام مشيئة الله للطاعة بالذات كما مر فلاحظ ، فلأجل ذلك لم يعص بغلبة ، ولاحظ الصلوح المذكور آنفاً هنا وإلى هذه المشيئة أشار بقوله تعالى : ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ ولأجل خلق الآلة والصحة التي يستعملها [يستعملهما] العبد بالمشيتين الاختياريتين جاء التكليف ولم يهمل العباد في ملكه وأشار إلى الأمر بين الأمرين بقوله هو المالك لما ملكهم قوله : [فقوله] هو المالك نفي للتفويض كما قاله المعتزلي ، وقوله : لما ملكهم نفي للجبر كما قاله الأشعري وهو قول الصادق عليه السلام : **(لا جبر ولا تفويض بل أمر بين الأمرين)** [لكن أمر بين أمرين والأمر بين الأمرين] الذي [الذي هو] أوسع مما بين السماء والأرض هو أن الطاعة التي هي من الله وإليه وبأمره ورضاه ومحبته ومشيته لا تظهر إلا بالعبد المختار على نحو ما مضى فلاحظه تجد ثلج الإيمان ، وأن المعصية التي هي من العبد وإليه لا تكون إلا بالله لا منه ولا إليه ولا بمحبته ولا رضاه ولكن بإرادته التي هي إرادة الحتم الثانوي التي عبرنا عنها سابقاً بالقدر والقضاء ولاحقاً بأنها إرادة بالعرض وتارة بالترك والخذلان وبخلقه الآلة والصحة ، فلذا كان سبحانه أولى بالحسنات من العبد **(ما أصابك من حسنة فمن الله)** واستحقاق العبد الثواب عليها من جهة أنها لا تظهر إلا به على نحو

ما ذكره الحكيم من نقص قابليتها وتمامها بما من العبد ، فلذلك كان أولى بالسيئات من الله واستحقاقه العقاب مع ظاهر المشاركة المفهومة من الأولوية من حيث إنها منه وأن المشاركة الظاهرة بأنها لا تظهر إلا بالله لا منه وليس كونها بالله من تمام قابليتها كما في الطاعة لأن ما في العبد [بالعبد] في الطاعة من الله أيضاً كما في الدعاء : (**وجعل ما امتن به على عباده كفاء لتأدية حقه**) وليس ما بالله في المعصية من العبد وإلا لزم التفويض والاستقلال .

فإن قلت : لِمَ كان ما بالعبد في الطاعة من الله وذلك يلزم منه الجبر في الطاعة .

قلت : كلامنا كله ووضع هذه الكلمات إنما هو لبيان هذه المنزلة بين المنزلتين في القدر وما وراء ذلك ، وما وراء ذلك ليس أن نتكلم به قبل الإذن لأنه من المكتوم والمراد حاصل على أنه إذا ظهر لك الأمر بين الأمرين بلا لبس في المعصية فلا تطلب ما وراءه وإن أَبيت إلا التمحل فافهم ، قوله : من الله ولا يؤذن في الزيادة ومعنى كون المعصية بالله خلقه الآلة والصحة والمشيئة والاختيار وإن لم يكن خلقن لها فتمامها العبد وقوامها بذلك منه ، (**وما أصابك من سيئة فمن نفسك**) ولذلك كانت مجتثة على نحو ما مر ، ولو تحققت المشاركة لم تكن مجتثة وإنما اختلف ظهور مشيئة الله حتى تعددت بمشيئة القابل وقابليته لها مع أن كلتا يديه يمين لاختلاف مركبها وتعدده ، فتنوعت في ظهورها بالآثار بتنوع محلها الذي تتعلق به ونظيره أشعة الشمس الواقعة على الزجاجات المختلفة الألوان فتنعكس عنها مختلفة وإن كانت الأشعة متفقة في

نفسها فالاختلاف بما من العبد ونظيره أيضاً [أيضاً كما] قال الشاعر :

أرى الإحسان عند الحر ديناً

وعند النذل منقصة وذما

كقطر الماء في الأصداف درّ

وفي بطن الأفاعي صار سما

وإلى ذلك الإشارة بقول الصاحب عليه السلام في دعاء رجب [رجب المشهور] (**باسمك الأعظم الأعظم الأعظم الأجل الأكرم الذي وضعته على النهار فأضاء وعلى الليل فأظلم**) ومثل ذلك في فعل الفاعل على ما رواه [ما رواه الشيخ حسن بن سليمان الحلي من تلامذة الشهيد الأول وهو شريك] الشيخ أحمد بن فهد الحلي [رحمه الله] جميعاً روى في كتابه بسنده المتصل إلى الصدوق [رحمه الله] أنه قال رجل لعلي ابن الحسين عليه السلام : جعلني الله فداك أبقدر [بقدر] يصيب الناس ما أصابهم أم بعمل ؟ قال عليه السلام : (**إن القدر والعمل بمنزلة الروح والجسد فالروح بغير جسد لا تحس والجسد بغير روح صورة لا حراك لها [بها] فإذا اجتمعتا قويتا وصلحتا كذلك العمل والقدر فلو لم يكن القدر واقعاً على العمل لم يعرف الخالق من المخلوق وكان القدر شيئاً لا يحس ولو لم يكن العمل بموافقة من القدر لم يمض ولم يتم ولكنهما باجتماعهما قويا ولله فيه العون لعباده الصالحين**) الحديث ، فافهم وهذا هو الأمر بين الأمرين وقد كشفت القناع لذوي الأشفاع [الانتفاع] وكثرت الترديد في العبارة بما هو مفيد

والحكيم وإن كان الحق فيما قال من بين الثلاثة وهو الأوسط [الأوسط من بين الثلاثة] لكنه لا يقطع حجة من يعرض [يعترض] إلا إذا كان من أهل العرفان واستفاد من أهل [أهل المعاني] البيان وكلامنا هذا لمن عرفه قاطع لكل عذر لأنه في هذا الشأن ثمرة الحجج الثلاث : حجة الحكمة وحجة الموعظة الحسنة وحجة المجادلة بالتي هي أحسن ممن سكن بيوتنا وأكل وشرب من طعامنا وشرابنا فليسلك هذا الطريق المظلم بمصباحنا حتى يصل إلى الفضاء الواسع والضياء اللامع وإلا فليحذر ولينظر إلى قول أمير المؤمنين عليه السلام للأغيار الذين لا يفرقون بين الليل والنهار قال لمن سأله عن ذلك فقال : (**بحر عميق فلا تلجه**) ، وسئل ثانية فقال : (**طريق مظلم فلا تسلكه**) ، وسئل ثالثة فقال : (**سر الله فلا تتكلفه**) الحديث ، فإذا نظرت إلى كلماتي هذه فإن عرفت مرادي وإلا فلا تتكلف سر الله ورده إلى الله وإلى رسوله وإلى الحفظة وإلى من علموه ذلك ، وتمام بيان الحجة الثلاثة بإيراد كلام في الجملة في الرد على المعتزلي والأشعري وهو أن قول المعتزلي فوض إليهم الاختيار فيها ثم فرع على هذا أنهم مستقلون بإيجادها إلخ لا يمكن تعقله مع القدم وإنما يكون مع الحدوث ، لأن القديم لا يكون في ملكه ما لا يريد وهذا لا يجتمع مع الاستقلال بدونه تعالى ربي [ربي تعالى ربي] وقد قال الصادق عليه السلام : (**ومن زعم أن الخير والشر بغير مشيئة الله فقد أخرج الله من سلطانه ومن زعم أن المعاصي بغير قوة [قوة الله] فقد كذب على الله ومن كذب على الله أدخله [أدخله الله] النار**) ، قال أمير المؤمنين عليه السلام في حديث الشامي : (**ولم يملك مفوضاً**) وقال الصادق عليه

السلام : (**ولو فوض [فوض إليهم] لم يحصرهم بالأمر والنهي**) .

وفي رواية حريز وابن مسكان عن أبي عبد الله عليه السلام : (**أنه لا يكون شيء في الأرض ولا في السماء إلا بهذه الخصال السبع بمشيئة وإرادة وقدر وقضاء وإذن وكتاب وأجل فمن زعم أنه لم يقدر [يقدر] على نقص واحدة فقد كفر**) ، وعن أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام قال : (**لا يكون شيء في السماوات ولا في الأرض إلا بسبع بقضاء وقدر وإرادة ومشيئة وكتاب وأجل وإذن ومن زعم غير هذا فقد كذب على الله**) أو (**رد على الله**) انتهى ، وهذا الترديد من الراوي وبيان هذا قد مضت الإشارة إليه فلاحظ كي لا يلتبس عليك الأمر من هذين الحديثين اللذين ظاهرهما الجبر ، فإن هذه السبعة على نحو ما قلنا لك في المشيئة و[وقد] قال أبو الحسن الرضا عليه السلام : (**إن لله إرادتين ومشيئتين إرادة عزم وإرادة حتم [حتم وإرادة عزم] ينهى وهو يشاء ويأمر و [يأمر وهو] لا يشاء أو ما رأيت أنه نهى آدم وزوجته أن يأكلا من الشجرة وشاء ذلك ولو لم يشأ أن يأكلا لما غلبت مشيئتهما مشيئة الله ، وأمر إبراهيم عليه السلام أن يذبح إسحاق عليه السلام ولم يشأ أن يذبحه ولو شاء لما غلبت مشيئة إبراهيم مشيئة الله**) فقد ظهر لك مما مر [مضى] بيان المشيئتين والإرادتين والفرق بين المشيئة والإرادة مذكور في رواية يونس الآتية وإن كنا وعدناك الزيادة واختصرنا خوف الإطالة هنا إلا أنه لا بأس ببعض الإشارة وهو أنه تعالى شاء الأمر بالشيء وشاءه مشيئة محبة ورضا وقضاء لما علم مشيئة اقتدار لما له واختيار لهم وهو واقع ، وشاء نفس الأمر بالشيء مشيئة محبة ورضى كذلك وشاء ألا يقع ذلك

الشيء مشيئة قضاء لا رضى كذلك ، وهذه المشيئة عن شمال المشيئة الأولى وتلك يمين وأنقل الكلام في النهي وفصل بهذا المعنى في الخصال السبع التي يتوقف عليها الشيء من طاعة ومعصية وليس للأشعري بمثل أخبار الخصال السبع حجة مع ما يلزمه في مذهبه ويأتي بعض ما يلزمه فقد ظهر بطلان كلام المعتزلي في قوله بالتفويض ولا ينافي هذا وهو نسبة التفويض إليه قولنا قيل : إنه أول من قال بالمنزلة بين المنزلتين لأن مراده ليس في هذا ، وإنما هو يقول : إن صاحب الكبيرة لا مؤمن ولا كافر لا في [في هذا] الشأن وإلا لكان محققاً [محقاً] والتنزيه الذي حداه على الضلالة والكفر وكذلك الثواب والعقاب والوعد والوعيد يحصل بدون القول بالتفويض وغير ذلك ، واعلم أن هذا القول هو التفويض لأنهم يسمون لهذا تارة مفوضة وتارة قدرية وهم قدرية هذه الأمة .

ومن كتاب الشيخ حسن بن سليمان الحلي عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : (**إن أرواح القدرية تعرض على النار غدواً وعشياً حتى تقوم الساعة فإذا قامت الساعة عذبوا مع أهل النار بأنواع العذاب فيقول ربنا [يا ربنا] : عذبتنا خاصة وتعذبنا عامة فيرد عليهم ذوقوا مس سقر إنّا كل شيء خلقناه بقدر**) ، وسأذكر لك بعض الروايات مسرودة شرحها فيما ذكرنا فأعطها التأمل الحق ليعظك [تعطك] المذهب الحق وتصدق ما ذكرت ذلك وأما قول الأشعري أنه لا يؤثر في الوجود إلا الله فإن أراد بالوجود من حيث هو هو خالفت إرادته عبارته وإن أراد به الوجود [الموجود] من العباد وأفعالهم فقد تقول على الله حيث الله يقول : ﴿ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ

أَمِ ٱللَّهُ﴾ والله الذي يعلم ما خلق يقول حكاية عما ينسبون ما عملوه إليه : ﴿فَوَيۡلٌ لِّلَّذِينَ يَكۡتُبُونَ ٱلۡكِتَٰبَ بِأَيۡدِيهِمۡ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشۡتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ فَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا يَكۡسِبُونَ﴾ وقال تعالى : ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَۚ﴾ وكقوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾ وقال : ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُۚ﴾ وأسند [فأسند] الهداية إليه وأسند الضلالة إلى نفسها إشعاراً بالفرق لا يقال : إنه تعالى أسند الضلال [الإضلال إليه] أيضاً لأنا نقول : إن الإضلال المسند إليه إنما هو استنطاق طبائعهم واختيارها ، وقد بينه سبحانه في كتابه بحيث لا يكاد يحتاج مع التدبر إلى تفسير ، وذلك أنه قد علم ما الخلق إليه صائرون بعلمه الذي هو ذاته الأول الآخر الظاهر الباطن فافهم ثم فافهم وفي الخلق السعيد الذي يستحق السعادة [السعادة وما يترتب عليها من الثواب والشقي الذي يستحق الشقاوة] وما يترتب عليها من العقاب وقد أجرى حكمته كما مر أنه لا يمضي مفعوله إلا مشروحاً مبيناً وأنه يبلي الأعذار : ﴿قُلۡ فَلِلَّهِ ٱلۡحُجَّةُ ٱلۡبَٰلِغَةُۖ﴾ فلو عذب الشقي قبل أن يعمل مقتضى العذاب [مقتضاه] وأسعد السعيد كذلك لكان للشقي أن يقول : لِمَ تعذبني قبل المعصية وتشهد له الخلق فأراد أن يخبرهم [يختبرهم] ويستنطق حقائقهم (**ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيى عن بينة**) ولا يستنطقهم إلا بما لا يعلمون ولا يكون إلا بعد تعرفه لهم بأنه لا يقول إلا الحق وهو العليم الخبير وإنما يفعل للمصلحة ، ويأتي بيان هذا الحرف فبعد أن عرفهم نفسه

وصفاته وأفعاله في العالم وفي كتابه وفي أنفسهم وعلى ألسن الهادين كلفهم بما فيه نجاتهم وأراد أن يستنطقهم بالحق الذي لا يعلمونه : ﴿ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ ومما استخبرهم به ما قال في لظى : ﴿ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴾ فقال الكافرون : عجز عن إتمام العشرين وقال المؤمنون : هو أعلم بما خلق وفي ذلك فوائد ذكرها في كتابه : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ والمراد به الاختبار واستنطاق الطبيعة بدليل ما أخبر به عن مال فتنة [فتنته] لهم إلى ما برز [برز عنهم] في عاقبتهم ومما أسنده إليهم ولم يسند [لم يسنده] إليه ولا إلى فتنة [فتنته] لهم لكونه منهم وإن كان بفتنته [بفتنة] كما مر : ﴿ لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ﴾ بموافقته لما في توراتهم وإنجيلهم وزبورهم أن الزبانية تسعة عشر وليزداد [يزداد] ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ بأنه لا يقول إلا الحق وأنه أعلم بما خلق إيماناً بذلك وهو موافق [موافقته] للكتب المنزلة ﴿ وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا ﴾ واللام في : وليقولوا للعاقبة في الظاهر وفي الباطن مما أمرنا بكتمانه ويأتي في رواية صالح بن الحكم النيلي نظيره وهو من المكتوم فلما رأوا [ما روا] في عدد الزبانية بعد ما تعرف سبحانه إليهم بأنه لا يفعل إلا بعلم وهو يعلم ما خلق بقولهم ماذا أراد الله بهذا مثلاً لم لا يتمم [لا يتمها] عشرين وبعض منهم يقول عليها [على] سبعة عشر أفتعجزون التتميم [أنتم] عن اثنين فيسخرون من الحق ويستهزئون لأنهم من : ﴿ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ﴾ فاستنضج ما فيهم فنضجوا بما فيهم وهو سبحانه : ﴿ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ﴾ فكان منهم ما في علمه

بابتلائه واستنطاقه لهم بعد هداية النجدين وإبلاء الأعذار والتقدم بالوعد [بالوعيد] والتلطف في الترغيب فبلغت حجته وعلت كلمته : ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلۡعَبِيدِ ﴾ وقال تعالى : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا ﴾ أي عقلاً أو عاقلاً فهذا إضلاله سبحانه لهم ولذلك قال بعد قولهم : ماذا أراد الله بهذا مثلاً وبعد قوله للمؤمنين : ﴿ وَلَا يَرۡتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾ قال : ﴿ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ ﴾ ومثل ذلك قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۖ ﴾ أنه لا يمثل بالبعوضة فما فوقها وهو جناحها أو [و] الذبابة إلا ما هو كذلك بحيث لا يحسن أن يمثل به النسر والفيل لأنه يقول الحق ولا يستحي : ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلٗاۘ ﴾ يعني أن البعوضة والذبابة مستهجنة في المثل ولا يعلمون أن تمثيل حبة الخردل بالجبل أحسن [أهجن] وأقبح فاستنطقهم عما بين جوانحهم من الإنكار في الأظلة وقبل ذلك وبعد ذلك مرة بعد أخرى : ﴿ وَمَا كَانُواْ مُؤۡمِنِينَ [ليؤمنوا] بِمَا كَذَّبُواْ بِهِۦ مِن قَبۡلُۚ ﴾ فقال تعالى : ﴿ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرٗا وَيَهۡدِي بِهِۦ كَثِيرٗاۚ ﴾ أي يضل بالمثل المستجرية به كثيراً ممن مارى فيه ويهدي به كثيراً ممن علم أنه الحق من ربهم وكما وعد سبحانه على لسان نبيه موسى عليه السلام بني إسرائيل لتنزيل التوراة أربعين يوماً وأمره بكتمان عشرة أيام عنهم لما علم منهم فوعد موسى عليه السلام بذي القعدة وذلك بعد أن عرفهم عن الله سبحانه أنه يمحو ما يشاء ويثبت ولا يمحو ولا يثبت إلا لحكمة وقال لهم عنه : إنه لا يسأل عما يفعل وميعادي ثلاثون يوماً ذو القعدة وربي يمحو ما يشاء

ويثبت وهذا أخي خليفتي عليكم فإن نسيتم أو جهلتم وهو الذي نصبه الله لكم يذكركم ويعلمكم فلا تزيغوا عنه فتهلكوا ، فلما مضى الطور وصام واستاك آخر ذي القعدة وكرهت الملائكة ذلك منه وهو صائم أمره بإتمام عشر لذلك وليبتلي ما في صدور قومه فعبد الظالمون منهم العجل بفتنة [بفتنته لما] ابتلاهم واستنطق حقائقهم بإخفاء عشرة أيام فكذب لذلك الجاحدون ولأنهم قبل ذلك لم يجدوا ملجأ من [عن] الإقرار فلما وجدوا أظهروا ما كتموا وازداد بذلك المؤمنون إيماناً لثباتهم على إيمانهم مع ما يخالف أفهامهم ولإيمانهم بالبداء الذي ما بعث [ما بعث الله] نبياً إلا به فقال تعالى حكاية عن موسى عليه السلام في ذلك : ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ ﴾ أي اختبارك وابتلاؤك : ﴿ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ ﴾ أي بكتم العشرة أي بمحو إظهارها وإثباته : ﴿ وَتَهْدِي ﴾ بذلك ﴿ مَن تَشَآءُ ﴾ وأمثال ذلك كثير وعلى ما ذكرنا لك ينكشف [ينكشف لك] الحال من الهداية والإضلال وأيضاً على ما مضى في قول الأشعري إنه تعالى المتعال [المتعالي] عن التشريك [الشريك] في الخلق والإيجاد لأنه ينافي الوجوب ، فكذلك يتعالى عن القبيح والكفر والإلحاد وتقدس عن ظلم العباد لأنه ينافي الغنى المطلق ، وقد رد سبحانه على من رد بذلك حيث يقول : ﴿ وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَآءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٢٨) قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾ الآية ، وقال : ﴿ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ وقال : ﴿ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَٰٓئِهِۦ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ وقال : ﴿ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَآءَ اللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا

حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأْسَنَاۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴾ فلينظر العاقل في هذه الآيات المحكمات كيف صرفها الأشعري إلى المتشابه ؟ وهل هذا إلا ابتغاء التأويل ؟ وأنت إذا تدبرت القرآن كفاك في هذا الشأن بأن الله فعل الطاعة بالعبد والعبد فعل المعصية بالله على نحو ما مر أي أن العبد يفعل الطاعة بأمر الله ومشيته ورضاه ومحبته وتوفيقه [توفيقه ونعمته] ويفعل المعصية بقوة الله وقضائه وخذلانه وقول الأشعري لا علة لفعله خطأ ظاهر فإن الله سبحانه العالم بفعله نص على العلة فقال : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ ، ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا ﴾ ، ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴾ وحيث إنه لم يعرف العلة أنكرها وعليه بعد ما سمعها من ربه في كتابه أن يسلم والله يقول : ﴿ بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ واعلم أن أصحابنا من أهل الظاهر أثبتوا العلة وسلموا ولم يدعوا معرفتها وردوا ذلك إلى الله وإلى الرسول صلى الله عليه وآله وإلى الحفظة وأنا أشير إلى العلة وذلك مما كشفنا لك من السر المجرد وأبرزناه في اللفظ المردد وهو أن الله واحد لا شيء معه أزله أبده وسرمده وليس ثم شيء غيره فيكون معروفاً بالتميز معلوماً بالحدوث والتحيز تعالى ربي وهو الآن على ما كان فخلق كل شيء من خلقه في أزمنة وجوده وأمكنة حدوده فلذلك تفاوتت مفعولاته ليعلم ألا تتفاوت ذاته وألا زمان له ولا مكان فجعل بعضها علة لبعض وصفة بعض علة لذات آخر وبالعكس ليعلم ألا علة له وجعل بعضها محتاجاً إلى بعض ليعلم

ألا حاجة به إلى شيء ولا دور لاختلاف حيثياتها وتعاكس حركات أفلاكه [أفلاكها] ولا تسلسل لإحاطته بما لا يتناهى من الممكنات ﴿ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴾ فهو وراء ما لا يتناهى بما لا يتناهى كذلك الله ربي قال الله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً ﴾ ، ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ ﴾ فجعل الدفع علة لنظام الأرض وأهلها وما فيها كما جعل التوحيد علة لنظام السماوات [السماوات والأرض] قال تعالى : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ ففساد الأرض بعدم الدفع وفساد السماوات والأرض بعدم التوحيد ومجرى العلة واحد وإن كان في كل بحسبه وقال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْءَاخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ ﴾ ليميز الخبيث من الطيب ﴿ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰذِبِينَ ﴾ فخلقهم لينقل بهم حوائجهم من بعض إلى بعض فأصحاب اليمين وصفاتهم من باطن الرحمة [خلقهم للرحمة] لأنهم [لأنهم هم] وصفاتهم نهايات كمالاتها وهي اليمين ومنها خلقوا وإليها يعودون وأصحاب الشمال وصفاتهم [صفاتهم خلقهم] من خلف الرحمة وهو الغضب لأنهم هم وصفاتهم نهايات كمالاتها [كمالاته] وهو الشمال ومنها خلقوا وإليها يعودون قال تعالى : ﴿ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾ قال الصادق عليه السلام لأبي بصير : وللرحمة فتدبر هذه الآية تكفيك [تكفك] وذرهم في خوضهم يلعبون وقال تعالى : ﴿ ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ﴾ وقال

تعالى : ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا ﴾ ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَـٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴾ ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ فانظر إلى هذه العلل الظاهرة ، وبالجملة فالقرآن مشحون بأن فعله لغاية والعجب كل العجب من الأشعري يسمع الله يقول في كتابه فعلت [و] كذا لكذا وهو يقول ، إنما فعلت لا لكذا ولكن هذه من إحدى الكبر من أقواله واعتقاداته وقول الأشعري لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ليس فيه له حجية [حجة] هو لا يسأل عما يفعل لا يحكم عليه ولأنه لا يفعل إلا بعلم وحكمة قال تعالى : ﴿ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ ﴾ وهم يسألون لجهلهم ولأنه الحاكم عليهم وقوله : لا مجال للعقل في تحسين الأفعال وتقبيحها بالنسبة إليه ممنوع لأنه لو لم يكن للعقل مجال بطلت الثواب [لبطلت النبوات] وأفحمت الدعاة وارتفع التكليف لأنه تعالى يقول : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا ﴾ فكيف يأمرهم بالتدبر ويلومهم على عدم الفهم ، وقد تبين [بين] أنهم يعرفون الاختلاف وإلا لا فرق بين ما من عنده و[بين] ما من عند غيره إلا الاختلاف وهو يعلم أن كل شيء يحسن بالنسبة إليه من اختلاف وائتلاف ويعلم ألا مجال لعقولهم ألا يعلم من خلق ولأنه لو كان للعقل مجال بالنسبة إليهم لا بالنسبة إليه لارتفع حكم قوله تعالى : ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ وأيضاً من أين الفرق فإن كان منكم [معكم] فقد جعلتم القرآن

عضين إذ فيه : ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ﴾ وفيه ﴿ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴾ الآية ، وإن قلتم منه فهو تقول عليه لأنه قبيح [قبح] ذلك منه كما قبحه منهم حيث قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ﴾ ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ وهذا مجال العقل بالأحوال [في الأحوال] الثلاثة الذي تتوقف [يتوقف] عليه الدعوة إلى سبيل الرب وقوله : بل يحسن صدورها عنه مصادرة إذ لو كان يحسن صدورها عنه لما قبحها منه ومن عباده تعالى ربي وتوعد معتقد ذلك حيث يقول : ﴿ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ وقوله : والأسباب التي ارتبط بها وجود الأشياء بحسب الظاهر ليست أسباباً حقيقة ولا مدخل لها في وجودها متناقض لأن قوله بحسب الظاهر يناقض قوله ولا مدخل لها لأن الارتباط في الظاهر له مدخل في وجودها إلا أن تكون تقع بدون هذه الأسباب ولم تقع قط إلا في معجز وهو أعظم الأسباب لدى أولي الألباب وهذا المدخل في مقام الخلق وهذه الأسباب أسباب حقيقة في كل بحسبه ، ولهذا أسند الفعل إليه [إليها] وهو أعلم بما قال وبما خلق وقوله : أجرى عادته إلخ حق إلا أنه على سبيل الوجوب واللزوم في رتبة الإمكان ألا تسمع أنه قال تعالى قال : ﴿ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴾ وقوله : فكل من الأسباب والمسببات صادر [صادرة] عنه ابتداء مدخول لأنه يلزم منه من أن اعتقاد المشركين والكفار بأن الصنم آلهة وأنه المعبود في الأرض وأن تسميتهم له بذلك كلها مخلوقة لله

والأشعري لا ينكر أن كل مخلوق له معلوم له وهو يقول تعالى : ﴿ أَمْ تُنَبِّئُونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ والأشعري يقول : بل خلقه ويعلمه ما هذا إلا شيء ﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴾ وقال في هذا : ﴿ أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴾ والأشعري يقول : إنما دعوا للرحمن ولداً بفعله وخلقه ومشيته ولا مؤثر في الوجود إلا الله فكيف يستعظم ما هو منه وعن أمره وينكره تعالى ربي وقد قال تعالى : ﴿ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ وقوله في ذلك تعظيم لله تعالى إلخ ، فيه أن تنزيه الله وقدرته وفعله عن قبائح أفعالهم أشد تعظيماً للقدرة وهو على كل شيء قدير وقوله : وتقديس لها عن شوائب النقصان بالحاجة في التأثر إلى أمر آخر قد أجاب عن هذا الحرف الحكيم بما لا مزيد عليه بأن قدرة الله في غاية الكمال ، وإنما الحاجة راجعة إلى المقدور في قبوله للتأثير [للتأثر] إلى أمر آخر يتوقف عليه لنقص في قابليته وتمام ذلك [ذلك ذلك] الآخر ، ولقد أطلت في هذه الأبحاث ولم أهذب العبارة لئلا تخفى الإشارة فتأمل ، وأما مذهب الحكيم كما مر فهو على نهج الحق في المسألة وإن كان على طريقة البحث ولم يستقص فيه على شقوق المسألة وكلامنا ليس على طريقة البحث بل بالكشف على نحو البيان ، ولهذا لا أبين وجه الاستدلال من الدليل غالباً فدع الألفاظ وخذ المعاني تجدها جواهر نقية تشير [نفيسة تسير] بك في أنحاء الآفاق وتهجم بك على صافي المنهل وتسقيك شربة لا تظمأ بعدها أبداً و﴿ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ وها أنا مورد لك [موردك] ما سنح من الأخبار مما

وعدناك به مما هو كما في الفقيه في الاستبصار ، ففي الكافي في صحيحة البزنطي عن أبي الحسن الرضا عليه السلام : (**قال الله : يا بن آدم بمشيتي كنت أنت الذي تشاء لنفسك ما تشاء وبقوتي أديت فرائضي وبنعمتي قويت على معصيتي جعلتك سميعاً بصيراً قوياً ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك وذلك أني أولى بحسناتك منك وأنت أولى بسيئاتك مني وذلك أني لا أسأل عما أفعل وهم يسألون**) ، وعن أبي بصير قال : كنت بين يدي أبي عبد الله عليه السلام جالساً وقد سأله سائل فقال : جعلت فداك يا بن رسول الله صلى الله عليه وآله من أين لحق الشقاء أهل المعصية حتى حكم لهم بالعذاب على عملهم ؟ فقال أبو عبد الله عليه السلام : (**أيها السائل حكم الله عزّ وجلّ لا يقوم أحد من خلقه بحقه فلما حكم بذلك وهب لأهل محبته القوة على معرفته ووضع عنهم ثقل العمل بحقيقة ما هم أهله ووهب لأهل المعصية القوة على معصيتهم لسبق علمه ومنعهم إطاقة القبول منه فوافقوا [فواقعوا] ما سبق في علمه ولم يقدروا أن يأتوا حالاً ينجيهم من عذابه لأن علمه أولى بحقيقة التصديق وهو معنى شاؤوا هو ما شاء [ما شاء وهو] سره**) انتهى ، وقال علي عليه السلام في مسيره إلى الشام في الحديث المشهور لشيخ سأله : (**وتظن أنه كان قضاءً حتماً وقدراً لازماً أنه لو كان كذلك لبطل الثواب والعقاب والأمر والنهي والزجر من الله وسقط معنى الوعد والوعيد فلم تكن لائمة للمذنب ولا محمدة للمحسن ، ولكان المذنب أولى بالإحسان من المحسن ولكان المحسن أولى بالعقوبة من المذنب تلك مقالة إخوان عبدة الأوثان وخصماء الرحمن وحزب الشيطان وقدرية هذه الأمة**

ومجوسها ، إن الله تبارك وتعالى كلف تخييراً ونهى تحذيراً وأعطى على القليل كثيراً ولم يعص مغلوباً ولم يطع مكرهاً ولم يفوض مملكاً ولم يخلق السماوات والأرض وما بينهما باطلاً ولم يبعث النبيين مبشرين ومنذرين عبثاً ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار) وفي رواية يونس قال : قال لي أبو الحسن عليه السلام إلى أن قال : قال يونس : ولكني أقول لا يكون إلا بما شاء الله وأراد وقدر وقضى فقال عليه السلام : (**ليونس : [يا يونس] ليس هكذا لا يكون إلا ما شاء الله وأراد وقدر وقضى يا يونس تعلم ما المشيئة ؟ قلت : لا قال : هي الذكر الأول قال : تعلم [فتعلم] ما الإرادة ؟ قال : [قلت] لا قال : [قال هي العزيمة على ما يشاء ، فتعلم ما القدر ؟ قلت : لا قال] : هي الهندسة ووضع الحدود من البقاء والفناء قال ثم قال : والقضاء هو الإبرام وإقامة العين**) قال : فاستأذنته أن يأذن لي أن أقبّل رأسه وقلت فتحت لي شيئاً كنت عنه في غفلة انتهى ، وموثقة إبراهيم بن عمر اليماني عن أبي عبد الله عليه السلام قال : (**إن الله خلق الخلق فعلم ما هو [هم] صائرون إليه وأمرهم ونهاهم فما أمرهم به من شيء فقد جعل لهم السبيل إلى تركه ولا يكونون آخذين ولا تاركين إلا بإذن الله**) انتهى .

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال : (**قلت أجبر الله العباد على المعاصي قال : لا**) قلت : فوض [ففوض] إليهم الأمر قال : **لا**) قلت : فماذا ؟ قال : (**لطف من ربك بين ذلك**) انتهى ، وعن أبي عبد الله عليه السلام : (**لا جبر ولا تفويض ولكن أمر بين أمرين [أمرين قيل : وما أمر بين أمرين] قال : مثل ذلك رجل رأيته على معصيته فنهيته فلم ينبه [فلم ينته] فتركته ففعل تلك المعصية فليس**

حيث لم يقبل منك فتركته كنت أنت الذي أمرته بالمعصية) انتهى .

وعن صالح النيلي قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام للعباد من الاستطاعة شيء ؟ قال : فقال لي : (**إذا فعلوا الفعل كانوا مستطيعين بالاستطاعة التي جعلها الله فيهم**) قال قلت : وما هي ؟ قال : (**الآلة مثل الزنى إذا زنى كان مستطيعاً للزنى حين زنى ولو أنه ترك الزنى ولم يزن كان مستطيعاً لتركه إذا ترك**) قال ثم قال : (**ليس له من الاستطاعة قبل الفعل قليل ولا كثير ولكن مع الفعل والترك كان مستطيعاً**) قلت : فعلى ما يعذبه ؟ قال : (**بالحجة البالغة والآلة التي ركب فيهم أن الله لم يجبر أحداً على معصية ولا أراد إرادة حتم الكفر من أحد ولكن حين كفر كان في إرادة الله أن يكفر وهم في إرادة الله وعلمه ألا يصيروا إلى شيء من الخير**) قلت : أراد منهم أن يكفروا ؟ قال : (**ليس هكذا أقول ولكني أقول : علم أنهم سيكفرون فأراد الكفر بعلمه [لعلمه] فيهم وليست إرادة حتم وإنما هي إرادة اختيار**) انتهى .

أقول : وجميع ما أشرت إليه بالكتمان فقد أشير إليه في هذا الحديث الشريف بالبيان فمن أراد السر المكتوم عن الأغيار وقنع لإخفائه بمستسر الأسرار فعليه بتفهمه على وجهه فمن وفق فاز و[ومن] ذلك قول الرضا عليه السلام الذي مضى بعضه قال عليه السلام : (**إن الله لم يطع بإكراه ولم يعص بغلبة ولم يهمل العباد في ملكه هو المالك لما ملكهم والقادر على ما أقدرهم عليه فإن استمر [ائتمر] العباد بطاعته لم يكن عنها صاداً ولا منها مانعاً وإن استمروا [ائتمروا] بمعصيته فشاء أن يحول بينهم وبين ذلك فعل وإن لم يحصل وفعلوه فليس هو الذي أدخلهم فيه**) ثم قال عليه

السلام : (**من يضبط حدود هذا الكلام فقد خصم من خالفه**) انتهى ، وأمثال ذلك كثير وبيان هذه الأخبار يعرف بما مضى والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين [وكتب مؤلفه في العشرين من جمادى الأولى سنة ١٢٠٤ من الهجرة النبوية على مهاجرها أفضل الصلاة والسلام والحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً وفرغ من نسخها هنا مؤلفها العبد المسكين أحمد بن زين الدين في التاسع عشر من ذي الحجة ١٢١٢ والحمد لله على كل حال وصلى الله على محمد وآله الطاهرين] .

❋ ❋ ❋

رسالة في جواب
الملا محمد حسين الأناري

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين .

أما بعد ، فيقول العبد المسكين أحمد بن زين الدين الأحسائي : إنه عرض جناب قرة العين والعارف بلامين جناب الآخوند الملا محمد حسين الأناري الكرماني بلغه الله غاية الأماني لمحبه ومخلصه ببعض المسائل يريد جوابها وأنا الآن ليس لي قوة الجواب لكثرة الأشغال بالأعراض وملازمة الأمرض ولا أقدر على مطلوبه ولكن لا يسقط الميسور بالمعسور وإلى الله ترجع الأمور فسارعت إلى ما يمكن من إجابته وجعلت عبارته كالمتن والجواب كالشرح كما هي عادتي في أجوبة المسائل .

قال سلمه الله تعالى : إن فيما قاله دام ظله في جواب سؤال الشاه عن أوضاع عالم البرزخ وأحواله ألفاظاً ومطالب غامضة منها لفظة هورقليا وعالمه وعناصره وأفلاكه أولاً : ما المراد بتلك اللفظة ؟ وثانياً : من أية لغة هي ؟ وثالثاً : ما المراد بعالمه وعنصره وفلكه ؟ والرابع : ما الدليل على ذلك من الشرع أو العقل ؟

أقول : أما لفظة هورقليا فمعناها ملك آخر لأن المراد به عالم البرزخ ، وعالم الدنيا هو عالم الأجسام أي عالم الملك وعالم النفوس عالم الملكوت وعالم البرزخ المتوسط بين عالم الملك

وعالم الملكوت عالم آخر ، فهو ملك آخر يعني أن عالم الأجسام عالم الملك وهنا عالم ملك آخر وهو في الإقليم الثامن أسفله على محدب محدد الجهات في الرتبة لا في الجهة ، إذ لا شيء وراء محدب محدد الجهات ولا وراء له ولكن عالم هورقليا أسفله على أعلى فلك الأطلس في الرتبة والصورة التي تراها في المرآة من أسفل ذلك العالم .

وأما أنه من أي لغة هي فهي من اللغة السريانية وهي لغة الصابئة الآن وهم في هذا الزمان يسمون بالصبة وهم الآن في البصرة ونواحيها كثيرون لعنهم الله .

وأما أنه ما المراد بعنصره وعالمه وفلكه ، فاعلم أن عالم البرزخ الواسطة بين الدنيا والآخرة هو عالم المثال الواسطة بين عالم الملكوت وعالم الملك ، ويطلقون هورقليا على أفلاكه وما فيها من الكواكب ، ويطلقون جابلقا وجابرسا على سفليه ويقولون جابلقا مدينة بالمشرق أي جهة الابتداء وجابرسا مدينة بالمغرب أي الانتهاء ، ومن عناصره خلق الجسد الثاني الباقي وهو طينته التي تبقى في قبره مستديرة وفي مشرق هذا العالم نيران الدنيا وفي مغربه جنان الدنيا جنان آدم عليه السلام وهي التي تأوي إليها أرواح المؤمنين وهي المدهامتان المذكورة في القرآن .

وأما الدليل عليه من جهة الشرع فالأحاديث الكثيرة الدالة على وجود عالم البرزخ والقرآن مثل قوله تعالى : ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ والأخبار الدالة على وجود مدنه ، وقد ذكرت في شرح الرسالة العرشية في المبدأ والمعاد لملا صدراً وغيرها أحاديث مصرحة بذلك والعقل شاهد بوجوده لأن عالم الملكوت من

المجردات وعالم الملك من الماديات ، ولا بدّ أن يكون بينهما برزخ ليس في لطافة المجردات ولا في كثافة الماديات وإلا وجدت الطفرة في الوجود وما دل على ثبوت الحالة التي بعد الموت وقبل القيامة أكثر من أن يحصى ولم ينكره أحد من العلماء وإن اختلفت مقاصدهم وعباراتهم فيه .

قال أيده الله تعالى : ومنها أن في تضاعيف كلماته الشريفة في ذلك الجواب ما يدل على أن هذا الجسم العنصري يفنى ولا يعود في الآخرة وذلك ظاهراً منافٍ لظاهر الآية الشريفة وصريح الأخبار الواردة .

أقول : اعلم أن الجسد الذي في الإنسان جسدان : أحدهما الأول وهو فانٍ لا يعود والجسم فيه جسمان الأول لا يعود والجسد الثاني يعود والجسم الثاني يعود وهذا هو الذي ذكرناه في تلك الأجوبة ، والمراد أن الإنسان نزل من عالم الغيب من الخزائن كما قال تعالى : ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ﴾ فلما نزل إلى الدنيا دار التكليف ليأخذ منها متاعه للآخرة كل ما وصل إلى رتبة في نزوله تلوث بأعراض تلك الرتبة مثل جبريل عليه السلام إذا نزل إلى الدنيا في زمان النبي صلى الله عليه وآله لبس صورة دحية الكلبي ، فإذا صعد إلى السماء لم يصعد بصورة دحية الكلبي ولا تعود معه وإذا نزل على الأنبياء كل نبي ينزل عليه في صورة رجل جميل من أهل زمانه ، فكذلك الإنسان لما نزل بالجسم الأصلي الثاني الحامل للنفس ومر بعالم المثال لحقه من عالم المثال الجسم الأول وهذا لا يعود لأنه ليس من الإنسان وإنما هو بمنزلة الوسخ الذي في ثوبك فإنك إذا غسلته ذهب الوسخ ولا يعود فلما نزل إلى الدنيا

لحقه الجسد الأول من العناصر وهو عرض لا ذات وإنما هو من وسخ هذا العالم فإذا مات وخرج من الدنيا ودفن في قبره أكلت الأرض الجسد الأول وبقي الجسد الثاني في قبره إلى يوم القيامة ، فإذا كان يوم القيامة أتته الروح ودخلت فيه ودخلت معه الجنة أو النار وهو العائد الباقي ، وأما الجسد الأول الدنيوي العنصري أعني الأعراض والأوساخ التي من الدنيا ما كانت منه ولا معه وإنما لحقته في هذه الدنيا فتعود إلى أصلها كما أن ثوبك من القطن فإذا لحقه طين أو وسخ وغسلته ذهب ولا يعود ولا تقول أنت ولا غيرك إنه ذهب من الثوب شيء وإنما ذهب عنه ما ليس منه ، فإذا كانت الروح في عالم البرزخ فهي في الجسم الأصلي ولحقه جسم من البرزخ ليس منه وإنما هو عرض زائل فإذا كان يوم القيامة عاد الإنسان كله وتخلّف عنه ما ليس منه ألا ترى أنك إذا كسرت خاتمك ذهبت صورته فإذا صغته عاد الخاتم الأول بصورته بعينه مع أن الصورة الأولى لا تعود وهو معنى قوله تعالى : ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ﴾ مع أن الجلود المبدلة هي الأولى وإنما سماها غيرها لأن صورتها الأولى ذهبت وبدلت صورة أخرى ولهذا قال الصادق عليه السلام : في الآية : (**هي هي وهي غيرها ثم مثل باللبنة تكسرها وتردها في قالبها فهي هي وهي غيرها فالجسد الأول والجسم الأول اللذان قلنا : لا يعودان نريد بهما الأعراض التي تلحق الإنسان من مراتب تنزله وهذا الجسد الظاهر المحسوس المرئي الملموس هو الذي لا يفنى ولا يذهب منه شيء بل هو باقٍ إلى يوم القيامة حتى يعاد ويحشر فيه إلى الجنة أو إلى النار ، نعم لا بدّ من كسره وصوغه ثانياً فإذا كسر صفّى من**

كل شيء ليس منه ثم يصاغ لأنه لو لم يصف من الأعراض لم يصلح للبقاء لأن امتزاجه بالأعراض في هذه الدار هو المانع له من البقاء) .

قال سلمه الله تعالى : ومنها ما المراد بانجذاب الروح إلى ثقبها من الصور بين النفختين ؟ وما المراد بمخازنه الستة وما الدليل على ذلك ؟ .

أقول : اعلم أن الروح قد قام الدليل على أنها هي الإنسان المخاطب المكلف وأن هذه البنية الظاهرة بيت لها حبست فيه لما خيف عليها لو تركت في عالمها الفسيح أن تدعي الربوبية كما دلت عليه الأخبار ولأنها أنزلت فيه لأنه آلة لها تتوصل بتوسطه إلى العلوم الظاهرة والباطنة المودعة فيها ، ولما أريد إنزالها اقتضت طبيعة الكون توسط النفس الفلكية الحيوانية الحسية لئلا تقع الطفرة في الوجود والفيض فلما حان الرحيل إلى عالمها الأول عادت الواسطة أعني النفس الحيوانية الفلكية إلى النفوس الفلكية عود ممازجة كعود قطرة الماء إلى البحر وبقيت الروح ساهرة لا تنام كما قال الصادق عليه السلام : وهي إذا عادت تعود إلى ما منه بدئت عود مجاورة لأنها باقية فإذا نفخ في الصور النفخة الأولى نفخة الصعق بطلت وعاد كل شيء إلى أصله ، فهي مع جميع ثيابها تعود عود مجاورة ، ولما كانت أنزلت من الخزائن تعود إليها وبطلانها تفككها لا فناؤها فلما تفككت عاد مثالها إلى خزانته التي نزل منها وهباؤها إلى خزانته التي نزل منها وطبيعتها إلى خزانته التي نزلت منها ونفسها إلى خزانته التي نزلت منها وعقلها إلى خزانته التي نزل منها هي الخزائن كما في الآية : ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُ ﴾

هي المعبّر عنها بالمخازن ومجموعها خزائن الروح المعبر عنها بثقبتها في الصور .

وأما أدلة ما ذكرنا فهي ليست في حديث واحد أو عشرة بل في روايات متعددة وأيضاً مدركها من طريق دليل المجادلة بالتي هي أحسن لا يمكن إلا بذكر كثير منها بل هو من دليل الحكمة وهو لا يعرف كونه دليلاً إلا بتوفيق من الله تعالى خاص يهبه الله سبحانه للقلوب المجتمعة : ﴿ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ .

قال أيده الله تعالى : وأيضاً ما ورد فيما ورد في أحوال يوم القيامة وأهواله أنه خرج من جهنم كذا ولولا منعه لأحرق السماوات وظاهر الآية وصريح الأخبار أن السماوات مطويات فانية فكيف التوفيق بين ذلك وهذه ؟ .

أقول : (**إن الله سبحانه خلق ألف ألف عالم وألف ألف آدم أنتم في آخر العوالم وأولئك الآدميين**) وكل عالم فيه مثل ما في عالمنا من السماوات والأرضين والجبال والبحار والحيتان والأشجار والثمار والصحارى وما فيها من الوحوش والأطيار والحشرات ، وهذه العوالم كلها في الدنيا وفي الآخرة فيوم القيامة يحشر الناس في الأرض والسماوات حينئذٍ فوقهم ، ولقد روي (**أن يوم القيامة تنزل الشمس من السماء الرابعة إلى السماء الدنيا**) فمعنى طي السماوات وتبديلها وكشطها هو كسرها وتصفيتها فكل شيء على قياس الإنسان فإن كان جسدك يفنى ولا يعود فكذلك السماوات فإن كنت تعتقد أن جسدك هذا بعينه يعود بعد كسره فكذا السماوات وكل شيء هكذا وقد قال تعالى في حق أهل الجنة : ﴿ خَٰلِدِينَ

فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ ﴾ وقال تعالى : ﴿ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ﴾ ولذا ورد أنه : (**يوم القيامة خرج من جهنم عنق] إلخ والعنق طائفة منها**) .

قال سلمه الله تعالى : وأيضاً ما المراد بنورانية إنا أنزلناه والخيط الذي أعطاه السجاد الباقر عليهما السلام كما في الخبرين المرويين في البحار في المجلد السادس إلى آخر كلامه .

أقول : هذا آخر كلامه أعلى الله مقامه ، المراد بنورانية : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾ الذين إذا أرادوا عليهم السلام شيئاً سألوه فآتاهم بما سألوا هو روح القدس في قوله تعالى : ﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا ﴾ وهو روح القدس الذي يكون معهم يسددهم ويسألون منه كل ما يريدون ويأتيهم به وهو شريك القرآن وبدله لأن النور الذي نزل من الدواة الأولى صلى الله عليه وآله والدواة ملك يؤدي إلى هذا الروح وهو القلم وهو ملك يؤدي إلى اللوح وهو ملك يؤدي إلى إسرافيل عليه السلام والنور الذي أنزل من الدواة الأولى صلى الله عليه وآله انقسم قسمين قسم ظهر ملكاً وهو روح القدس وهو نور : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ ﴾ وقسم ظهر كلاماً وهو القرآن في قوله : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ .

وأما الخيط الأصفر في الحديث الذي رواه جابر بن يزيد عن علي بن الحسين عليهما السلام فهذا خيط النظام القيومي الذي به قامت الأشياء به قيام تحقق وهو خيط الإشراق المحمدي صلى الله

عليه وآله الذي به قام كل شيء وإنما كان أصفر لأنه مظهر اسم الرحمن الذي استوى به الرحمن على عرشه فأعطي كل ذي حق حقه وساق إلى كل مخلوق رزقه فإذا وصل الجواب إلى هنا فقف والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين .

وقع الفراغ بقلم مؤلفه أحمد بن زين الدين الأحسائي ليلة الثامن والعشرين من جمادى الأولى سنة ١٢٣٥ خمس وثلاثين بعد المائتين والألف من الهجرة على مهاجرها وآله السلام حامداً مستغفراً مصلياً مسلماً ، تمت .

* * *

الرسالة الموسوية
في جواب الشيخ موسى البحراني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين .

أما بعد ، [وبعد] فيقول العبد المسكين أحمد بن زين الدين : إنه قد ورد علي خط من الشيخ موسى البحراني ساكن مشهد الكاظم عليه السلام في سنة ست ومائتين وألف يذكر فيه أنه قد أتانا شخص يقول أنا وكيل صاحب الزمان عليه السلام وأنه وصل الجزيرة الخضراء والبحر الأبيض والظلمات ، وأنه أتى بيت المقدس والمدينة المنورة ومكة المشرفة في لحظة وأتى بلاداً مخفية قدر بغداد ولها قرى كثيرة وإذا فيها مسجد ينتظرون صلاة الجماعة مع القائم عليه السلام وصلى بهم وولده حاكم بتلك البلاد وأهل تلك البلاد شغلهم إرشاد الضال ونصرة القائم عليه السلام والمؤمنين وهم الذين أوصلوا هذا المدعي إلى الجزيرة الخضراء وأنه قد حج بهم القائم عليه السلام وهو معهم تسع سنين ، وأن القائم هو الذي أمره بأن يمضي ويخبر بهذا الكلام وغير ذلك هذا بعض مختصر ما كتب لي أيده الله وقال لي : إن هذا الشخص زاهد في الدنيا والناس بين مصدق ومكذب فكتبت له جواب ذلك على استعجال وتشويش بال وهو :

بسم الله الرحمن الرحيم عافانا الله وإياكم من مضلات الفتن ألا تسمع [ألا تسمع إلى] قول علي عليه السلام : **لتبلبلن بلبلة**

ولتغربلن غربلة [غربلة ولتبلبلن بلبلة] ولتساطن سوط القدر) الحديث ، اعلم غير معلم أن في الأرض الثالثة سكاناً شأنهم إلقاء الشبه والشكوك والتمويهات على الناس قد قيضوا لقرنائهم من الناس الذين يعشون عن ذكر الرحمن يكلمون الناس باللسان الملحد في أسماء الله قد حقت عليهم الضلالة والغواية فأغووا إنهم كانوا غاوين وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً كما قال الصادق عليه السلام : (**هيهات فات قوم وماتوا قبل أن يهتدوا وظنوا أنهم آمنوا وأشركوا من حيث لا يعلمون وربما أصغى إليهم بعض المؤمنين الذين يجهلون الفرق بين اللسانين اللسان المقتصد واللسان الملحد وذلك لأن الباطل يشبه الحق**) انتهى .

وفي الإنسان داعيان داعي الله العقل وداعي الشيطان النفس فالعقل يطلب الحق لا غير والنفس تطلب الباطل لا غير وانبعاثها سواء ومطلوباهما وهو الحق والباطل متشابهان وبيان ذلك في القرآن كقوله في الحق تعالى : ﴿ كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ وفي الباطل : ﴿ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً ﴾ والسراب أشبه شيء بالماء ألا ترى إلى أن الوطء مع التراضي بحدود الله نكاح وبإهمال الشيطان سفاح وكقوله تعالى : ﴿ فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ فجعل الباطل زبداً يذهب جفاء يعني لا ثبات له ولا أصل والحق زبداً ماكثاً في الأرض يعني ثابتاً .

فلما كان الباطل الذي هو مطلوب النفس مشابهاً للحق الذي هو

مطلوب العقل التبست على القاصر الأمور ولم يميز المباح والمأمور من المحذور ، ولذلك ابتلى الله العباد وخلقهم كما أراد ليعلم الله من يخافه بالغيب وبعث إليهم الهادين قرى ظاهرة للسائرين إلى الله وقدر في هداهم السير (**سيروا فيها ليالي وأياماً آمنين ، فبهداهم اقتده ، إن الدنيا بحر عميق قد غرق فيها عالم كثير**) لاشتباه الداعيين واختلاط الحق والمين إذ لو (**خلص الحق لم يخف على ذي حجى**) ، وأولئك الملحدون يظهرون باطلهم الذي بنوا أساسه على زيغ قلوبهم وابتغاء الفتنة وابتغاء التأويل وأبرزوه في صورة الحق ويؤولون المحكم على طبق زيغهم في زبرج وقارهم ومتلون عفافهم ألا تسمع قول الله تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴾ فهذا الشخص من أولئك الملحدين الذين يتكلمون بلسان أهل التصوف الذين قال الصادق عليه السلام في حقهم : [الذين قال في حقهم الصادق عليه السلام] كما رواه الورع الأقصد الشيخ أحمد الأردبيلي في حديقة الشيعة بإسناده قال : قال رجل للصادق عليه السلام : قد خرج في هذا الزمان قوم [قوم في هذا الزمن] يقال لهم : الصوفية فما تقول فيهم ؟ فقال عليه السلام : (**إنهم أعداؤنا فمن مال إليهم فهو منهم ويحشر معهم وسيكون أقوام يدعون حبنا أهل البيت ويميلون إليهم ويتشبهون بهم ويلقبون أنفسهم بلقبهم ويؤولون أقوالهم ألا فمن مال إليهم فليس منا وإنّا منهم براء ومن رد عليهم كان كمن جاهد الكفار مع رسول الله صلى الله عليه وآله**) ، وغير ذلك وأصل مأخذ [مأخذهم] ما ثبت عقلاً ونقلاً أن الإنسان نسخة العالم الكبير وأنه انطوى فيه

العالم الأكبر كما نقل عن علي عليه السلام أنه قال : (**الصورة الإنسانية هي أكبر حجة الله على خلقه وهي الكتاب الذي كتبه بيده والهيكل الذي بناه بحكمته وهي مجموع صور العالمين وهي المختصر من اللوح المحفوظ وهي الشاهد على كل غائب وهي الحجة على كل جاحد وهي الصراط الممدود بين الجنة والنار**) وكما قال الصادق عليه السلام : (**العبودية جوهرة كنهها الربوبية فما فقد في العبودية وجد في الربوبية وما خفي في الربوبية أصيب في العبودية**) الحديث .

وغير ذلك من الأدلة ودليل العقل معروف في محله ، فلما عرفوا بعض تفصيل ذلك أولوا جميع ما ورد من الشارع عليه السلام في العالم الكبير على العالم الصغير وهو الإنسان ، وجحدوا ما في الكبير جهلاً لما وجدوا في أنفسهم من الإحاطة بالصغير ولم يقدروا على الإحاطة بالكبير فـ ﴿ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ﴾ والحق أن ما وجد في الصغير فإنه من الكبير كما [كالذي] في المرآة من المقابل لها ، وبالجملة بيان ما يقتضيه المقام كثير لا يليق بالمكتوب ولكن أشير إلى بعض ما يعنون على سبيل الذكر والإشارة ، فإذا قالوا : القائم يريدون به العقل وإذا قال شخص منهم : أنا القائم يريد أنه الذي استقام عقله بجنده الخمسة والسبعين المذكورة في أول كتاب الكافي فملأ طبيعته وجسده قسطاً وعدلاً ، وإذا قالوا : أعور الدجال يريدون به النفس الأمارة المدجلة بمعنى أنها تخلط عليه الأمر تخلط عليه الباطل فتظهره في صورة الحق من أدجل فلان عليه إذا لبس [ألبس] عليه الأمر ومقتضى شهواتها هي جنة التي هي طريق أهل الشقاوة ومخالفتها

هي ناره التي هي طريق أهل السعادة ، وإذا قالوا : الجزيرة الخضراء يريدون بها سماء الخيال وهو السماء الثالثة في الإنسان ، ويقولون : سكانها أولاد القائم عليه السلام يعني العقل لأن الخيال فيه صور المعلومات المجردة عن المادة والعقل فيه معاني تلك الصور المجردة عن المادة والصورة وكل صورة في الخيال تبرز من أصلها المعنوي الذي هو في العقل ، فهم إذاً عيال القائم أي العقل والحاكم عليهم فيها الخضر عليه السلام ومرة يقولون : ولده ويريدون بالبحر الأبيض ماء العقل المحيط بالفكر والخيال وأن سفن الأعداء تغرق فيه لأن العقل لا تصدر عنه صور الباطل ولا تصعد إليه معانيها والظلمات هي الماهية التي ما شمت رائحة الوجود كما أن الظلمة ما شمت شيئاً من النور وبيت المقدس هو فناء العقل والكعبة هي القلب وهو عرش الرحمن والمنظر الأعلى والمدينة هي مدينة العلم أي الصدر الذي عبرنا عنه سابقاً بالخيال وأمثال ذلك من الأشياء التي في الإنسان ، ويقولون : ليس مراد الشارع عليه السلام من جميع إشاراته إلا هذه وكذبوا بل مراد الشارع عليه السلام هذه الأشياء المعروفة عند العوام وآياتها هذه الأشياء التي ذكروا وكل مراد للشارع عليه السلام لكن الظاهر في العالم الكبير هو المراد وهو المدلول عليه وهو للعامة والخاصة ، وللخاصة ما في العالم الكبير لأنه المدلول عليه وما في العالم الصغير وهو الإنسان لأنه الدليل لأن الخاصة لهم المدلول عليه والدليل كما قال الله تعالى : ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ فاستعينوا بالصبر والصلاة وأمسكوا على ما في أيديكم من الحق فإن ارتبتم فارجعوا إلى العلماء الذين

نصبهم الله لتشييد الدين وإزالة انتحال المبطلين وراجعوا الكتب التي جمعها الأصحاب شكر الله سعيهم في الرجعة فإنها تشد القلوب الضعيفة لما فيها من ذكر العلامات وبيان الآيات في حديث المفضل بن عمر المشهور عن الصادق عليه السلام في شأن الصاحب عليه السلام [السلام] (**يغيب في آخر يوم من سنة ست وستين ومائتين فلا تراه عين أحد حتى يراه كل واحد وكل [كل عين]**) .

وكما روي من الأمر بتكذيب مدعي الرؤية قبل خروج السفياني وأن قبل قيام القائم عليه السلام اليماني والسفياني والسنين كسني يوسف والمطر أربعين يوماً ونشر بعض الأموات كما في محكم الآيات والخوف والجوع ونقصاً من الأموال والأنفس والثمرات والموت الأحمر والموت الأبيض حتى لا يبقى إلا ثلث الناس من سكان الدور الثلاث وهم سكان الدور [الدار] الثالثة الآخرة وظهور الشخص في قرص الشمس وخسف القمر بخمس وكسوف الشمس بخمس عشرة وطلوع الشمس من مغربها والمنادي من السماء والمنادي من الأرض وخسف بالبيداء وقتل النفس الزكية وغير ذلك من العلامات المذكورة في الروايات ، ومنها المحتوم كالسفياني وقتل النفس الزكية ودعوات بعض أئمة الضلال وغيرها وكل ما يكون منها يكون قبل قيامه وقبل رؤيته والعاقبة للمتقين وسحقاً وبعداً للقوم الظالمين وحصر هذه على الباطن باطل كما أن بطلان حصرها على الظاهر ظاهر كما مر ولولا خوف الإطالة لأطلقت عنان القلم برهة من الزمان ولمعة من الدهر وسيبة من السرمد في بيان فساد دعوى المتلونين الذين هم أعداء الدين على

أني لو حضرت لزهق الباطل لاتساع فج التصرف في اللفظ ، ولأن المشاهد تطرد العصافير بقطع الشجرة لا بالتنفير والحمد لله رب العالمين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين .

* * *

رسالة في جواب بعض الإخوان
في المعاد الجسماني

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين .

أما بعد ، فيقول العبد المسكين أحمد بن زين الدين : إن بعض الإخوان أنهى إلي اعتراضاً من بعض العلماء الأعلام على بعض كلمات لي في بيان أحوال الإنسان وذكر الأجسام والأجساد فيما يتعلق بأمر المعاد والأصل في الاعتراض عدم معرفة مرادي من كلامي فطلب مني بيان ذلك في وقت كنت في أهبة السفر ولا توجه لي بفكر ولا نظر ولكن الميسور بالمعسور [لا يسقط الميسور بالمعسور] وإلى الله ترجع الأمور وجعلت عبارته أصلح الله أحواله [حاله] متناً وجوابي له شرحاً أو كالشرح ليتبين به المراد ومن الله التوفيق والسداد .

قال : نستدعي من رئيس المشائخ وقطب الأفاضل أن يبين لنا توضيح ما اعترض على بعض الأجوبة المنسوبة إلى جنابكم عن سؤال المعاد الجسماني فقد ذكرتم في الجواب أن للإنسان جسمين وجسدين والجسد الثاني مركب من العناصر الأربعة الموجودة في عالم الطبيعة المحسوسة وفي المعاد بعد الموت لا تعود الروح إلى هذا البدن العنصري الطبيعي المركب من الأخلاط الأربعة إذ لا حس له ولا شعور .

أقول : اعلم هداك الله تعالى أني ما ذكرت إلا ما هو رأي الأئمة عليهم السلام ومن يعترض إنما اعترض [ومن يعترض علي يعترض على الأئمة عليهم السلام لأنه ما عرف المقصود ولا علم أيضاً أنه من كلام أئمته عليهم السلام فلذا قال ما قال مع أني لم أقل من هذا شيئاً ولكنه ما فهم مرادي ، ومعنى كلامي ومرادي هو أن الإنسان له جسدان وجسمان الجسد الأول مركب من العناصر الأربعة المحسوسة وهو الآن في هذه الدنيا عبارة عن الكثافة العارضة ، وفي الحقيقة هو الجسد الصوري ومثاله الخاتم من الفضة مثلاً فإنه إذا كان عندك خاتم من فضة فإن صورته هي استدارة حلقته وتركيب موضع فص [الفص] المركب منه مثلاً فإذا كسرته وأذبته وجعلته سبيكة أو سحلته بالمبرد وجعلته سحالة ثم بعد ذلك صغت [صنعت] تلك الفضة أعني السبيكة أو السحالة خاتماً على هيئته الأولى ، فإن الصورة الأولى التي هي الجسد الصوري لا تعود ولكن صغته [صنعته] على صورة كالأولى فهذا الخاتم في الحقيقة هو ذلك الخاتم الأول بعينه من حيث مادته وهو غيره من حيث صورته ، ونعني بالجسد العنصري الذي هو الكثافة البشرية هذه الصورة التي هي الجسم الصوري لأن اعتقادنا الذي ندين الله به ونعتقد أن من لم يقل به ليس بمسلم هو أن هذا الجسد الذي هو الآن موجود محسوس بعينه هو الذي يعاد يوم القيامة وهو الذي يدخل الجنة أو النار ، وهو الخالد الذي خلق للبقاء ، وهو الذي نزل إلى هذه الدنيا من ألف ألف عالم حتى وصل إلى التراب ثم أخذ ليصعد من النطفة والعلقة والمضغة والعظام وهكذا صاعداً في مقابلة تلك العوالم ألف ألف رتبة من الترقي [الترقي إلى] آخرها

لا انتهاء له فهي باقية ببقاء الله سبحانه بلا نهاية ، فهذا الجسد المحسوس هو بعينه المعاد وهو بعينه متعلق الثواب أو [و] العقاب لا يشك في ذلك إلا من يشك في إسلامه لأن هذا من أصول الإسلام ولكن أصله مادة [ومادته] نورية كما نزلت جمدت مثل الحجر الأسود الذي كان في الأصل ملكاً فلما نزل كان حجراً ومثل جبرئيل عليه السلام الذي [الذي هو] جوهر مجرد عن [من] المادة العنصرية والمدة الزمانية فإذا نزل لبس صورة دحية الكلبي أو غيره فكذلك هذا الجسم كان نورياً مجرداً عن المادة العنصرية والمدة الزمانية فأخذ يتنزل إلى أن وصل إلى الزمان والعناصر فلبس هيئتها وكثافتها أعني الصورة المعبر عنها بالمادة العنصرية والكثافة البشرية مثل الماء الذي هو لطيف ، فإذا جمد لبس الصورة الثلجية فإذا ذاب عاد إلى أصله من غير أن يختلف إلا محض [بمحض] الصورة المعبّر عنها بالجسد العنصري فإذا جمد ذلك الماء مرة ثانية لم يعد إليه الجمود الأول [الأولى] وليس جموداً ثانياً [ثانوياً] مع أنه بعينه هو ذلك الماء لم يتغير مع أنه قد تغير جموده وهذا هو مرادنا بذهاب جسد [الجسد] الأول الذي لا يعود فالموجود في الدنيا بعينه وهو المرئي بالبصر هو جسد الآخرة بعينه لكنه كسر في أرض الجرز وأرض القابليات وصيغ في العقول معنى ، ثم صيغ ذلك المعنى في رتبة الأرواح رقيقة ثم صيغت في النفوس نفساً ثم كسرت في الطبيعة طبيعة وحصصت حصصاً في جوهر الهباء وتعلقت بها الصور في المثال ، ثم كسرت في محدد الجهات ومنه إلى الرياح ومنه إلى السحاب ومنه إلى المطر والأرض والنبات ثم صيغت نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظاماً ثم كسي لحماً وأُنشئ

خلقاً آخر فكان إنساناً في هذه الدنيا ثم يكسر في القبور ثم يصفى في الأرض بمعنى أن الأرض تأكل جميع ما فيه من الغرائب والأعراض والكثافات المعبر عنها بالجسد العنصري ويخرج يوم القيامة هذا الجسد بعينه أعني الموجود في الدنيا بعينه هو الذي يخرج يوم القيامة بعد أن يصفى ، ومعنى قولنا : بعد أن يصفى هو أن يذهب عنه الجسد العنصري ، ومعنى قولنا : هو أن يذهب عنه الجسد العنصري يعني يذهب عنه الكثافات الغريبة وهي الصورة الأولى لأنه إذا صيغ ثانياً لا تعود الصورة أولى فافهم فهذا مرادي وأبرأ إلى الله تعالى من غير هذا وهذا [هذا هو] مذهب أئمة الهدى عليهم السلام : (**إن افتريته فعلي إجرامي وأنا بريء مما تجرمون**) ، وروى الطبرسي في الاحتجاج في تفسير قوله تعالى : ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ﴾ بسنده إلى حفص بن غياث قال : شهدت المسجد الحرام وابن أبي العوجاء يسأل أبا عبد الله عليه السلام عن هذه الآية فقال : ما ذنب الغير ؟ فقال عليه السلام : (**ويلك [ويحك] هي هي هي غيرها**) قال : فمثّل لي في ذلك شيئاً من أمر الدنيا قال : (**نعم أرأيت لو أن رجلاً أخذ لبنة فكسرها ثم ردها في ملبنها فهي هي وهي غيرها**) ، وفي تفسير علي بن إبراهيم قيل لأبي عبد الله عليه السلام : كيف تبدل جلودهم غيرها ؟ قال : (**أرأيت إذا [لو] أخذت لبنة فكسرتها ثم صيرتها تراباً ثم ضربتها في القالب أهي كانت [أم غيرها] إنما هي ذلك وحدث تغيراً [تغيير] آخر والأصل واحد**) انتهى ، وهذا [بهذا] المعنى كثير في الأخبار مع أن الله تعالى قال : ﴿ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا ﴾ وهو يريد أنها إذا احترقت أعادها بعينها إلا أن

صورتها الأولى ذهبت وأحدث صورة غيرها مثل الأولى بحيث صدق بها التغاير مثل ما مثلنا لك في الخاتم مع أنه هو بعينه حقيقة مع صدق التغاير فافهم .

وأما قوله : والجسد الثاني مركب من العناصر الأربعة الموجودة في عالم الطبيعة المحسوسة فهو غلط ومعاذ الله أن أقول ذلك ولكن المعترض غفل عن قولي فليراجع ، وإنما قلت : إن الجسد الثاني هو الباقي في القبر مستديراً إلى أن يخلق منه ثانياً كما خلق أول مرة مثل ما مثلت بالخاتم فإنه صيغ من الفضة وبعد أن كسر ذهبت الصورة والهيئة التي هي بمنزلة الجسد الأول أعني العنصري وهو الكثافة الغريبة التي [التي هي] ليست في الحقيقة من الإنسان ألا ترى أن زيداً يمرض ويضعف حتى لايبقى منه قدر من [من من] اللحم وهو زيد لم ينقص ولم يتغير ويصح ويسمن حتى يكون عشرين منًّا وهو زيد ، ثم يمرض ويذهب كل ذلك اللحم وهو زيد فهذا الزايد والناقص بحكم الثوب تلبسه وتخلعه ولا يتعلق به شعور ولا إحساس وفي الحقيقة هو الصورة والكثافة وهو الجسد الأول الفاني لأنه إنما لحقه في هذه الدنيا ، وأما الجسد الثاني فهو مركب من عناصر أربعة لكنها ليست من هذه العناصر الزمانية المعروفة الفانية بل هي من عناصر باقية جوهرية وهي من عناصر هورقليا في الإقليم الثامن الذي فيه الجنتان المدهامتان وجنان الدنيا وإليها تأوي أرواح السعداء من الأنبياء والأوصياء والمؤمنين ، وهذا هو الجسد الثاني وهو الباقي وهو الذي نزل إلى الدنيا ولبس الكثافة البشرية العنصرية وهي [هو] بعينه هذا الجسد الموجود في هذه الدنيا إلا أنه عليه غبار ووسخ يعبّر [المعبّر] عنه بالفارسية بالجرك

وهو البشرية وهو من العناصر المحسوسة ، ويوم القيامة يعود كل شيء إلى أصله وهذه الكثافة ليست [ليس] من الجنة حتى تعود [يعود] إليها وإنما هي من هذه الدنيا ، فإذا انتقل وعاد كل شيء إلى أصله كما قال أمير المؤمنين عليه السلام في حديث الأعرابي للأعرابي عند سؤاله عن النفس فقال : يا مولاي ما النباتية ؟

قال : (**قوة أصلها الطبائع الأربع بدؤوا إيجادها عند مسقط النطفة مقرها الكبد مادتها من لطائف الأغذية فعلها النمو والزيادة وسبب فراقها اختلاف المتولدات فإذا فارقت عادت إلى ما منه بدئت عود ممازجة لا عود مجاورة**) الحديث ، فافهم قوله عليه السلام عود ممازجة لا عود مجاورة حيث دل كلامه عليه السلام على أن كل شيء يعود إلى أصله وأصرح منه ما رواه في أصول الكافي بسنده عن الكلبي النسابة قال : قلت لجعفر بن محمد عليهما السلام : ما تقول في المسح على الخفين ؟ فتبسم ثم قال : (**إذا كان يوم القيامة ورد الله كل شيء إلى نبته [بنيته] ورد الجلد إلى الغنم فترى أصحاب المسح أين يذهب وضوؤهم**) الحديث ، والحاصل أن عود كل شيء إلى أصله مما لا خلاف فيه ، فإذا ثبت أن الكثافة من هذه العناصر وأن الإنسان إنما تعلقت به في هذه الدنيا وأنه إذا عاد إلى أصله كل شيء لم تصحبه الكثافة إلى الجنة فمن يشك في هذا من المسلمين فنسأل الله أن يصلح وجدانه ولا تظن أنّا إنما نقول : بأن هذا الجسم لا يعود لأن هذا قول منكري البعث من الكفار وغيرهم ، وإنما نريد بالجسد الثاني غير العنصري الذي هو الكثافة فالعبارة الحق أن هذا الجسد الموجود في الدنيا هو بعينه جسد الآخرة فمن قال غير ذلك فليس بمسلم ، لكنا نسمي

هذا الجسد ونقسمه على أربعة أقسام فنقول : هذا الإنسان له جسدان وجسمان فالجسد الأول من العناصر المحسوسة ونريد به هذه الصورة والتركيب في الدنيا لأنه [إلا أنه] إذا مات وكان تراباً ذهبت هذه الصورة فإذا أعيد على هذه الصورة بعينها ليست هي الأولى مثل ما مثلنا لك في الخاتم ومثل ما مثل الإمام عليه السلام باللبنة ، وهذه الصورة الأولى هي الجسد الأول الذي لا يعود وهو مخلوق من العناصر المحسوسة وهو الكثافة والجسد الثاني هو الباقي وهو الذي يعود وهو مخلوق من عناصر هورقليا أعني العالم الذي قبل هذا العالم وفيه جنان الدنيا والجنتان المدهامتان وإليه تأوي أرواح المؤمنين وهورقليا معناه ملك آخر ، وهذا اسم لتلك الأفلاك وفي أرضها بلدان جابرسا وجابلقا والجسم الأول هو الذي يلبسه الروح في البرزخ ما بين الموت إلى نفخة الصور الأولى ، فإذا نفخ في الصور وبطل كل روح وكل متحرك أربع مائة سنة طهر ذلك الجسم عن أوساخ البرزخ وكثافاته بالنسبة إلى عالم الآخرة وهذه الكثافات هي مرادنا بالجسم الأول الذي لا يعود ويبقى الجسم الثاني الجوهري الصافي حتى تحله الروح وتمضي معه إلى الجسد الثاني بين أطباق الثرى فتدخل بجسمها فيه فيخرج في النشور من القبور والحساب بجسمه وجسده الصافيين وهما هذا الجسم والجسد الموجود [الموجودين] في الدنيا بعينه ، وإنما يطهر ، لعن الله من قال بغير هذا فافهم فإن من لا يفهم المراد الحق من هذه العبارات المكررة المرددة لا ينتفع بغيرها .

قال سلمه الله : والاعتراض الذي أورد عليه أن الضرورة قائمة على أن المعاد الجسماني أو [و] الجسداني يكون في هذا البدن

العنصري وظواهر الآثار والأخبار كلها ناطقة بذلك وكيف التوفيق مع أن مسلك جنابكم إمساك الظاهر والسلوك منه إلى البواطن [الباطن] بحيث لا ينافي الظواهر في الاستدعاء من جنابكم أن تبينوا تلك المسألة على نحو يجمع بين الظاهر والباطن بحيث يحصل الاطمئنان للفريقين ؟ وإن كان هذا لا يمكن إلا لذي العينين .

أقول قوله : إن الضرورة قائمة على أن المعاد الجسماني أو [و] الجسداني إنما يكون في هذا البدن العنصري ، اعلم أن الضرورة عند أئمة الهدى عليهم السلام قاضية بذلك ولكن الناس يسمعون كلاماً ولا يعرفون معناه مثل ما قال الشاعر :

قد يطرب القمري أسماعنا

ونحن لا نفهم ألحانه

لأنهم يسمعون [يسمعون كلاماً وهو] أن المعاد في هذا الجسد ويأخذون بظاهره [بالظاهر] وهو حق كما قلنا ولكن هذا الجسد العنصري هل يدخل الجنة بهذه الكثافة أو يصفى عن الأعراض الغريبة التي ليست منه ؟ فإن قلت : يدخل الجنة بهذه الكثافة على هذه [بهذه] الحالة فقد خالفت العقل والنقل الدالين على أن صفاء أبدان أهل الجنة ومطاعمهم بحيث يأكلون [يأكلون ويشربون] ولا يتغوطون ولا يبولون لأن طعامهم [طعامهم وشرابهم] صاف لا ثفل فيه وأبدانهم كذلك حتى أن الحورية لتلبس سبعين حلة ويرى مخ ساقها من وراء ذلك كله لشدة نوريتها وصفائها ، وأن المؤمن إذا أخذ في جماعها يرى صورة وجهه في صدرها وترى صورة وجهها في صدره وذلك الجسد هو هذا بعينه إلا أنه يصفى ولو لم

يصف لبقيت فيه الأعراض والغرائب فلا يبقى في الجنة بل يموت ويزول لأن علة الموت والزوال إنما هي ممازجة تلك الأعراض والكثافات الأجنبية الغريبة مثل الذهب فإنك إذا أخذت مثقالاً من الذهب ومزجته بمثقالين من النحاس والحديد ودفنت ذلك الممزوج في الأرض فإنه يتفتت [تفتت] وتأكل الأرض جميع ما فيه من الحديد والنحاس وتبقى أجزاء الذهب متخللة متفتتة متفرقة ، ولو أنك صفيت مثقال الذهب وسبكته وحده ودفنته إلى أن ينفخ إسرافيل عليه السلام في الصور ما تغير لأنك صفيته عن أسباب الفناء بخلاف الحال الأولى [الأول] فإن أسباب الفناء فيها فلو دخلت أجسام الأناسي الجنة على هذه الحالة لفنيت لأن فيها أسباب الفناء هذا على ظاهر الدليل ، وأما على حقيقة الأمر فكما أشرنا [أشرنا إليه] سابقاً إليه من أن كل شيء يرجع إلى مبدئه وأصله وأصل الإنسان لطيف وإنما لحقته [لحقه] هذه الكثافات الغريبة في هذه الدنيا لأن هذه الدنيا دار تكليف لم تخلق للبقاء فلما خلق الخلق رحمة بهم أنزلهم في دار التكليف والمشقة ليتزودوا منها لدار مقامهم وألزمهم مقتضى هذه الدار من لزوم الأعراض والغرائب والكثافات التي هي أسباب الانتقال ودواعي الزوال لئلا يبقوا في دار المشقة دائماً فلا يصلوا إلى دار الجزاء والحال أنه سبحانه خلقهم وبرأهم رحمة بهم ليوصلهم إلى النعيم الدائم الذي لا ينفد والبقاء الدائم المخلد ، فإذا قلت : إنهم يعودون في هذا البدن العنصري وتريد به [به أنه يعود] مع ما هو عليه من الكثافة والغرائب التي يعني لها [نعني بها] الجسد العنصري [العنصري الموجود] المحسوس البشري لزمك أنهم [لزمك القول بأنهم] لا

يبقون في الجنة ولا في النار لأن العلة الموجبة للانتقال من هذه الدار هي تلوث ذلك الجسد اللطيف أعني الثاني والجسم النوراني أعني الجسم الثاني [الثاني بما ذكر من الكثافة والغرائب الدنيوية] وهما حقيقة الجسم الذي هو الإنسان وما سوى هذين فهي أعراض [الأعراض] وكثافات حقيقة والأمر فيها مثل ما مثلت لك في الخاتم وتبدل الصور [الصورة] عليه مع عدم تغير [تغيير] الفضة وتبدلها ولا نعني بالبشرية وبالعنصرية وبالكثافة والأعراض وغيرها إلا هذه الصور [الصورة] العارضة له في هذا المقام أعني دار التكليف وإن [إذا] أردت به أن هذا الجسد الموجود يُكسر ويصاغ صيغة ليس فيها من مقتضيات الفناء شيء فذلك الذي أشرنا إليه وما ذكرنا [ذكرناه] في الأجوبة السلطانية من تمثيل الجسد الأول بكثافة الحجر والجسد الثاني بالشيش المصفى منه فلا نعني غير هذا فانظر ما هنا و[وانظر] ما هناك فإنك ترى المعنى واحداً والله سبحانه الموفق والمعين [وكتب العبد المسكين أحمد بن زين الدين في ليلة الخميس آخر جمادى الأولى سنة ١٢٣٢، نسخة ١٤٩م] ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . تمت .

* * *

رسالة في جواب بعض الإخوان

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين .

أما بعد ، فيقول العبد المسكين أحمد بن زين الدين الأحسائي : قد سألني بعض الإخوان الذين تجب علي طاعتهم بمسائل منها مسألتان فكتبت جوابهما على جهة الاستعجال المقرون بالملال وتشويش البال والاشتغال بأفكار الحل والارتحال والحمد لله على كل حال .

قال سلمه الله تعالى : ما يقول شيخنا ومقتدانا في مسألة أهل النار هل يكون تعذيبهم دائماً أم يؤول أمرهم إلى النعيم فإن كثيراً من العلماء العارفين المحققين قائلون بذلك .

اعلم أن من قال بذلك أعني قولهم : إن أهل النار مآلهم إلى النعيم حتى أنهم يتنعمون بالتعذيب بل [لو] أدخلوا الجنة تألموا منها فتكونون كالجمرة في النار إنما تبقى وتصلح بالنار لأنها تلائمها وتقويها وتزيدها مدداً من جنسها فهي تتلذذ باللهب وتنطفئ بالماء وتتألم منه لأن كل شيء يتنعم في جنسه ونوعه ويتألم في ضده ولهذا قال الله تعالى حكاية عن سليمان عليه السلام في حق الهدهد : ﴿ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا ﴾ فقال فيه بعض المفسرين : أراد أنه يضعه مع غير أبناء جنسه .

وقالوا أيضاً : في الدليل على ذلك إن الله سبحانه تمدح بالعفو والمغفرة ولم يتمدح بالتعذيب فمن تتبع الآيات الشريفة والأخبار الصحيحة رآها جارية على هذا المنوال .

وقالوا أيضاً : إن الآيات التي تدل على دخولهم في النار وتعذيبهم بحيث يتألمون بالتعذيب إنما تدل على الزمان الطويل لا على التأبيد وما هو يوهم التأبيد فمحمول على الخلود لا على التألم وذلك مسلم لا يشك أحد فيه وما أشبه ذلك ، فمن قال بذلك فقد أخطأ الصواب وخالف نص الروايات والكتاب والأصل في هذا ومثله أن هذا المذهب في هذه المسألة وفي أن المعلوم يعطي العالم بحيث يجعله عالماً وفي أن وحدة المشيئة تنافي الاختيار بمعنى أن ليس لله في مشيته إن شاء فعل وإن ترك لأنه لا يشاء إلا ما علم وليس في علمه إلا حال واحد فليس له أن يشاء تركه لئلا ينقلب علمه جهلاً وفي أنك أنت الله بلا أنت ولهذا يقول شاعرهم :

وما الناس في التمثال إلا كثلجة
وأنت لها الماء الذي هو نابع
ولكن بذوب الثلج يرفع حكمه
ويوضع حكم الماء والأمر واقع

وأمثال ذلك من الآراء الباطلة التي لا تجري على طريقة عقل ولا نقل وقالوا : إن علمنا هذا وهو التصوف شرطه أن يكون على مذهب السنة والجماعة كما صرح به عبد الكريم الجيلاني في كتابه الإنسان الكامل ، والعلة في ذلك أن الله سبحانه خلق الخلق في

الكون على هيكل التوحيد وهو قوله تعالى : ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ وخلقهم في العين وهو الخلق الثاني بحكم الوضع لأنه أمرهم فمن أطاعه خلق طينته من الطاعة أي من عليين وهي الإنسانية التي هي صورة الربوبية أي الصورة التي اختارها واصطفاها فلا تفعل بمقتضاها إلا محبته فتنطبق على هيكل التوحيد لأنها صورته ، ومن عصاه خلقه من المعصية أي من سجين وهي طينة المسخ والشياطين وهو قوله تعالى : ﴿ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ﴾ فلا تفعل بمقتضاها إلا ما يكره ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم فخلقهم كما سألوه بعصيانهم وهذه الرتبة لهم وللمطيعين هي الطينة وفيها خلقوا هكذا وهو الخلق الثاني وهؤلاء سلكوا في علومهم طريق الضلالة ، ولهذا اشترطوا أن يكون على هذا المذهب الخاص الذي هو الباطل قال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ إلى أن قال تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ ﴾ ثم قال : ﴿ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ ﴾ وهذه الآيات لا تحتاج إلى بيان في ضلالة من بنى أمر دينه على غير مذهب الحق .

فإن قلت : إن هؤلاء الذين عنيتهم إنما دونوا ما حصل لهم بالكشف والكشف إنما هو إظهار ما في غيب الحقائق التي هي أعيان الموجودات على ما هي عليه وهي هياكل التوحيد فلا تكشف العقول المزكاة إلا عما هو الواقع ولا خلاف بيننا أن الواقع هو التوحيد .

قلت : من كشف عن حقيقته التي لم تبدل ولم تغير بالعقل المستنير بنور الله الذي هو اتباع من أمر الله باتباعهم وجعل الحق

معهم وفيهم وبهم ولهم وإليهم من غير التفات إلى قواعد أو مذاهب آباء أو لزوم عادة أو غرض ما ، بل بمحض ما يدركه العقل من غير التفات كما قال سبحانه : ﴿ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴾ فإن ذلك لا يخطئ الصواب لأنه جاهد في الله أي من غير التفات إلى شيء غير الحق فإن الالتفات من الشيطان فيكون محسناً والله معه فهذا هو الذي كشف عن الواقع ولو أنه بنى علمه على طريقة أو غرض أو مذهب لم يكن كاشفاً عن حقيقته بل هو يلتفت إلى غرضه وليس هذا الالتفات إلا لتبديل خلقه وتغييره إذ لو لم تغير الفطرة لم يلتفت فإذا بدلت الفطرة كانت هيئة ثانية غير هيئة التوحيد فإذا كشفت عن حقيقة ما فيه ظهر له وبدا لهم سيئات ما عملوا فيظهر له حقيقة التبديل والتغيير وهو خلاف التوحيد وهذا مما لا شك فيه عند آل الله لأنه لا يكشف إلا عن حقيقته الثانية التي خلقها الله ثانياً وهي الأم المشار إليها في تأويل قوله صلى الله عليه وآله : (**السعيد من سعد في بطن أمه والشقي من شقي في بطن أمه**) لأن الحقيقة الثانية إما طينة الفطرة وهي طبق التوحيد بل هي هيكل التوحيد أو طينة التبديل لخلق الله وهي طينة خبال طينة الإلحاد : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا ﴾ وطينة الجحود ﴿ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴾ وطينة الشقوة التي يقال لأهلها : ﴿ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾ والأصل في ذلك بعد ما بينا من علة الميل إلى هذه الأقوال الباطلة أنهم لما جاهدوا أنفسهم تفجرت ينابيع الحكمة من قلوبهم على ألسنتهم وهذه في الحقيقة ليست حكمة خرج في أدق مسلك لا يكاد يدرك فضلاً عن أن يترك فيأتي أناس كانت القواعد وعلوم التصوف والحكمة النظرية قد سبقت الحق على

قلوبهم فألفوا بها وأنسوا بها فإذا أتاهم من كلام ابن عربي وعبدالكريم والبسطامي وأمثالهم ممن أظهروا الباطل في صورة الحق بدقة تعبير كان مشابهاً لما عندهم من جهة الأخذ مع الالتفات ولم يقدروا على تزييفه لأن أولئك أشد غوراً فاستحسنوه وأخذوا به حتى تكلفوا في صرف ظاهر القرآن والنصوص إلى التأويلات البعيدة اعتماداً على فهم القوم لما رأوا منهم دقة المسلك وما علموا من أين أوتوا حتى انتهى بهم الحال إلى أن استوحشوا من عرف أهل الحق عليهم السلام فإنهم عليهم السلام قالوا : (**إنا لا نخاطب الناس إلا على ما يعرفون**) ، والمعروف من كلام الله تعالى مثل قوله تعالى : ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَـٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ﴾ عدم انقطاع التألم فإذا قالوا : يحتمل أن يراد به الزمان الطويل لا عدم التناهي وأن يراد بقوله : ﴿ لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ﴾ عدم التألم لأنه قال : ﴿ لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ﴾ ولا شك في دوام صورة العذاب ولكنهم يتنعمون بذلك كما مثلنا سابقاً بالجمرة وكما قال ابن عربي ما معناه إنهم لتضربهم عقارب النار فتجري فيهم تلك السموم الشديدة حتى يتخدروا بذلك فيحصل لهم أعظم اللذة والنعيم ، وأنا أقول : عظم الله نصيبه من ذلك التخدير وهذا لازم كما قال سبحانه : ﴿ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَـٰذِبِينَ ﴾ .

وبالجملة الآيات والأحاديث في دوام التأليم لا تكاد تضبط ولكنهم يؤولون كل شيء على طبق مرادهم إذ ليس أصرح من الآية المتقدمة وهي لا تدل على الدوام غير المنقطع وأما ليذوقوا العذاب

فيقولون : يعذبون لكنهم يتنعمون بذلك التعذيب ولكن الحجة عليهم الأحاديث الدالة على أن الحجة فيما يختلفون فيه الإحالة على ما تعرف الناس والذي تعرفه الناس من الآيات والروايات المتكثرة هو عدم انقطاع التأليم عنهم لأنه صريح الآيات مثل : ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ ، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ ، ﴿لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ ، ﴿وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾ فإنهم لو كانوا في تنعم لما سألوا الموت .

فإن قيل : ذلك أول الأمر .

قلنا : أجيبوا أنكم ماكثون يعني على هذه الحالة .

فإن قيل : المكث لا يقتضي عدم الانقطاع .

قلنا : لو كان لا يدل على عدم الانقطاع لما حسن جواباً لسؤالهم وبالجملة فهذا شيء يطول فيه الكلام بلا طائل لكن الحجة الإحالة على العرف فإنهم لا يعرفون إلا عدم انقطاع التألم وذلك في كل الآيات والروايات فإذا نظرتها على ما يفهم العرف الذي عليه مدار الخطابات ودلت عليه الروايات .

وأما قولهم : إنه سبحانه تمدح بالعفو ولم يتمدح بالتعذيب ولا يتمدح إلا بما هو حسن عقلاً وما هو حسن فواجب في الحكمة فجوابه أن العفو إنما يحسن عن مستحقيه وهم الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً ، وذلك لأن أصل طينتهم من أسفل عليين وعظم اللطخ فيهم من أصحاب الشمال فلما لم يكن ذلك من مقتضى حقيقتهم حسن العفو عنهم ولو حسن التمدح بالعفو عمن لا يستحقه لحسن ألا يدخلهم النار ولا يعذبهم أبداً وهذا أولى بمناسبة التمدح وملاءمة عظيم الكرم .

فإن قلت : إنما استحقوا دخول النار والتألم في الابتداء بأعمالهم والآن قد انقطع الاستحقاق منهم فلو عذبوا كانوا مظلومين .

قلت : لم لا يعفوا عنهم من هو غني عن عذابهم من أول الأمر ؟ فإن كان التمدح بمطلق العفو حسناً كان بالعفو عنهم من أول الأمر أولى ، وإن كان لا يحسن أول الأمر لمنافاته لمقتضى العدل فهنا كذلك لأنهم يستحقون العذاب والتألم بما يستحق به أهل الجنة التنعم أبد الآبدين لأن أهل الجنة ما عملوا أعمالاً يستحقون بها نعيم الأبد الذي لا ينقطع إلا بنياتهم التي لا غاية لها بأنهم لو بقوا أبد الآبدين أنهم يطيعون الله فبذلك استحقوا نعيم الأبد عوضاً أو جزءاً بما كانوا يعملون من النيات الخالدة ، وأهل النار إنما استحقوا العذاب والتأليم الذي لا نهاية له لأن نياتهم أنهم لو بقوا أبد الآبدين أنهم يعصون الله فبذلك استحقوا التأليم الخالد عقوبة ﴿ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعۡمَلُونَ ﴾ فإن كان في حق أهل الجنة هذا استحقاقاً للتنعم الذي لا نهاية له فهذا في حق أهل النار استحقاق للتألم الذي لا نهاية له فلا يكونوا مظلومين لأنه ثمرة نياتهم لأن (**نية المؤمن خير من عمله ونية الكافر شر من عمله**) وهذا من الوجوه الصحيحة في تفسير هذا الحديث .

فإن قلت : ليس في النيات ثمرة .

قلنا : تنخرم القاعدة في حق أهل الجنة .

فإن قلت : لعل أهل الجنة إنما استحقوا التنعم الأول بأعمالهم وأما الخالد الدائم فبالفضل فيكون العذاب على أهله في أول الأمر بالأعمال ثم يكون التنعم بالنار بالفضل في كلٍّ بحسبه .

قلت : إن الفضل قسيم العدل وعكسه وقد علم بالدليل الذوقي والنقلي أن الفضل لخصوص الجنة وأهل المحبة فلا يشمل بصفته أهل النار كما أن العدل لا يشمل أهل الجنة بل لخصوص أهل النار أهل غضب الله وبغضه فلو جاز فيما يختص أن يعم فيشمل أهل النار الفضل لجاز في العدل أن يعم أهل الجنة وهو خلاف الضرورة من الدين على أن النص صريح في أن استحقاق أهل الجنة التنعم الذي لا يتناهى واستحقاق أهل النار التألم الذي لا يتناهى إنما هو بسبب نياتهم وهذا مما لا ينبغي الشك فيه .

فإن قلت : إن النص لا يدل على مطلوبكم وإنما يدل على الخلود خاصة ونحن نقول بموجبه ،

قلنا : إن قلنا بقولكم لزم انقطاع النعيم لأنه يلزم من ذلك أن أهل الجنة يخلدون فيها بسبب نياتهم والنعيم لا موجب له وأنتم لا تقولون به .

فإن قلت : إن الله يقول : ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ فيجب أن يسع أهل النار ولا فائدة في ذلك إلا رفع التعذيب عنهم .

قلت : ليس المراد بالرحمة الواسعة هي الثواب والملائم بل هي الوجود ونحن نقول بموجبه لأن أهل النار موجودون ولو أريد به إيصال الملائم والثواب لشملهم أول دخول النار لأنها وسعت كل شيء فلا يعذب أحد وهذا خلاف الضرورة .

فإن قلت قوله : (**وسبقت رحمتي غضبي**) يدل على انقطاع الغضب لأنه هو مقتضى المسبوقية .

قلت : معنى السبق بيان العلة والأولوية لا بيان الانقطاع على أنه

لا يلزم الانقطاع لكل مسبوق لأن هذه الرحمة مسبوقة والجنة مسبوقة وليس كل مسبوق منقطعاً وإلا لزم انقطاع نعيم الجنة لأنه مسبوق .

فإن قلت : إنهم إذا تطاولت الوصول استحالت أبدانهم وصورهم وأرواحهم إلى حقيقة النار فلا يتضررون بها وهذا معنى ما نريد .

قلت : إنهم متميزون غير النار فإن لم يتمايزوا عنها لم يكن فيها شيء وينفيه قوله تعالى : ﴿ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴾ وأيضاً هو خلاف الضرورة وإن كانوا مغايرين لها فليس ذلك إلا للتركيب والمشخصات والنار أبداً بطبعها وهو ظهور أثرها في كل ما يجاوره فهي أبداً تحرق وتفكك التركيب وهو التألم الأعظم فإذا أحالته أعاده سبحانه : ﴿ غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ﴾ ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا ﴾ أي أعدناها ليذوقوا العذاب .

فإن قلت : إنكم استدللتم على دوام التألم بالآيات والروايات وهي كما سمعت قابلة للتأويل وصرفها عما يفهم أهل العرف لا يخفى وإذا قام الاحتمال بطل الاستدلال .

قلت : قد أشرنا سابقاً أن التأويل مخالف لما يفهم أهل العرف والخطاب إنما يجري على ما يفهم أهل العرف ، وقد وردت الأخبار بذلك فإذا كان أمر لا بدّ أن يكون له حكم وهو البتة في الكتاب والسنّة إما ظاهراً وإما خفياً كما قال عليه السلام : (**ما من شيء إلا وفيه كتاب أو سنّة**) فإذا ورد فيه حديث فإن كان نصاً لا يحتمل التأويل فذاك وإلا فإن كان ظاهره مراداً أو يكون له معارض فلا بدّ أن يضعوا عليهم السلام في أحاديثهم وإشاراتهم ما يدل على الترجيح وإبطال الباطل وتصحيح الصحيح إما بنص آخر أو بإجماع

أو بإثبات نور من هدايتهم عليهم السلام في قلوب من شاؤوا حتى يقولوا به ولا يخفى الحق أن يحيلوا معرفته على العرف مع أنهم قالوا عليهم السلام : (**إنا لا نخاطب الناس إلا بما يعرفون**) ، ومثله حديث الرضا عليه السلام مع سليمان المروزي في المشيئة والإرادة حيث قال : (**أخبرني عنك وعن أصحابك تكلمون الناس بما يفقهون ويعرفون أو بما لا يفقهون ولا يعرفون**) ، قال : بل بما يفقه ويعلم قال الرضا عليه السلام : (**فالذي يعرف الناس أن المريد غير الإرادة**) الحديث ، فأحال الحجة على ما يعرف الناس وهذا لا إشكال فيه ونحن نقول : الذي يعرف الناس إذا سمعوا هذه الآيات والأحاديث هو دوام التألم ، ولو أريد غير ما يعرفون لنصب الحكيم عليه السلام لهم صارفاً عن تفاهم عرفهم وإلا قصر في التبليغ ولم يكمل الدين على أن الاستدلال إنما يبطل بقيام الاحتمال المساوي لا بالمرجوح ، فإن الاحتمال المرجوح لا يبطل الاحتجاج لحصوله بالراجح ، والظاهر .

وأيضاً احتمالكم ليس له مستند وما لا مستند له وهو مخالف للمعروف لا يصار إليه لأنه خلاف مقتضى العقول .

فإن قلت : إنه قد ورد أن الجبار يضع قدمه في جهنم فتقول قط قط فينبت موضع قدمه شجر الجرجير فتكون على أهلها برداً وسلاماً وهذا الحديث وإن كان من طرق الجماعة لكن العلماء قبلوه وأنتم كثيراً ما تقبلون أحاديث العامة وتستدلون بها في الأحكام إذا لم يعارضها ما هو أقوى منها ، وقد حصلت الشروط في هذا الحديث فيصلح أن يكون مستنداً للدعوى لأن ما سواه مطلق وهذا مقيد والمقيد يحكم على المطلق .

قلت : إن هذا الحديث من الأحاديث المردودة التي لا يجوز التعويل عليها وإنما احتج به أهلها وأوله أهل التصوف منهم لاستلزامه التجسيم ، وأما الحنابلة والكرامية فجارٍ على أصولهم ، وأما أهل الظاهر من العامة فقالوا : هذا من الأحاديث الصحيحة فمنهم من قال : إذا ورد ما يخالف العقل فإن فسره الشارع عليه السلام وجب اتباعه وإلا وجب الإيمان به من غير سؤال عن معناه **ومنهم** [من] قال : يجب حمله على ما لا يخالف العقل كأن يقال له : قدم يليق بالقديم لا كأقدام الخلق ولا على جهة التشبيه وبالجملة فالحديث حديثهم والمعتقد معتقدهم والله سبحانه (**سيجزيهم وصفهم**) أما أنتم معاشر الشيعة فما لكم فيه من نصيب ليس هذا حديثكم ولا الأصحاب أصحابكم فما لكم كيف تحكمون فإن أردتموه مستنداً قلنا : جهة أخذ المستند لأحد أمرين إما أن يكون حكم قد حكم العقل به فتجعل الحديث مستنداً له أو يكون حديث لا معارض له فتفهم منه حكماً هو مستنده ولا يجري هذا على شيء من ذلك لأن هذا مخالف للعقل كما قررنا ، ويأتي الدليل الذوقي الكشفي والدعوى والمستند سواء في المخالفة بما ينبغي إنكاره ، ولو كان هذا الحديث مما قبله العلماء لاعتنوا بتأويله لأن اعتقاد ظاهره كفر ولكن المعروف منهم رد هذا الحديث في ظاهره ومعناه لا يؤوله أحد منهم لأن التأويل نوع من القبول ، هذا والمعارض له أقوى منه وأصح سنداً ومتناً ودلالة وهو على الضد فلم يحصل شيء من شروط القبول والتقييد إنما يحكم على الإطلاق إذا تساويا في رتبة القبول ولو كان أحدهما مقبولاً والآخر مردوداً فلا يحصل التقييد ، لأن التقييد فرع قبولهما على أن

الإطلاق المدعي لا أصل له بل هي صريحة في دوام التألم من الأدلة ما هو صريح ومنها ما يحتمل ولكن القرائن والحمل على الصريح يقويه ويلحقه بالصريح ، وقد ثبت الاعتقاد على ذلك والنافي يطالب بالدليل والله يهدي إلى سواء السبيل ولو أراد أن يصرف الآيات عن المقصود منها إلى ذلك لقال في قوله تعالى : ﴿لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ أن لا يفتر لا يدل على الدوام ، وإنما يدل على نفي مطلق المستقبل وكلما قالوا في الآيات من هذا ولو تأملوا لعرفوا أن لا يفتر يفيد الدوام الذي لا نهاية له لأنه نفى تفتير العذاب عنهم ، فلو كان له غاية لما حسن أن يقول : ﴿فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ لأن الإبلاس لا يناسب الانقطاع لأن الإبلاس هو اليأس من روح الله وإذا كان يرجو الانقطاع لا يبلس وثانياً لا يناسب قوله : ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ﴾ في مقابلة ﴿لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ بل أقول : إن نفس لا يفتر يفيد التأبيد لأنه نفي المستقبل ولا يصدق نفي المستقبل مع الإطلاق في منفى بعده مستقبل مثبت فمن عرف مطارح الخطابات لم يشك في شيء مما قلنا .

والدليل الكشفي الذي وعدناك به هو أنّا نقول : إن الإمكان الذي هو العمق الأكبر لا نهاية له ولا غاية فهو طبق المشيئة لا يزيد أحدهما على الآخر فليس في المشيئة ما لم يكن ممكناً وليس في الإمكان ما لا يمكن أن يشاء ، فكان أول مشاء الرحمة التي استوى بها على عرشه ونريد بقولنا مشاء أي مشاء بنفسه لأن المشيئة في التنزيل الحقيقي لها أربع مراتب :

الأولى : هي هذه الرحمة المشار إليها .

الثانية : هي النَفَس الرحماني بفتح الفاء .

الثالثة : هي السحاب المزجى .

الرابعة : هي السحاب المتراكم وذلك أنها المخلوق غير المتناهي فخلق منها الجنة وما فيها من النعيم ولما كان المخلوق لا يكون إلا وله ضد خلق النار وما فيها من العذاب المقيم فالجنة ، وما فيها لا يتناهى ولا انقطاع له ولا نفاد قال تعالى : ﴿ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾ والنار ضد الجنة وما في النار ضد ما في الجنة كل شيء مقابل لضده وكل شيء من النار وما فيها من قليل وكثير فهو ضد لما يشاكله من الجنة فإن كان نعيم الجنة ينقطع ويتغير كان تألم أهل النار ينقطع لأنه ظله ومن نفسه ، فإذا انتهى الظل دل على انتهاء الشاخص وحيث امتنع انتهاء الشاخص ودل الدليل على عدم تناهيه فلا غاية لنعيمه وجب أن يكون ظله وضده لا غاية له بحكم المقابلة وإذا حكمت بانتهاء التألم وجب الحكم بانتهاء التنعم فافهم واشرب صافياً ودع الأوهام واتبع أحسن الكلام والله عزيز ذو انتقام .

مسألة : ما يقول شيخنا فيمن قال : بإيمان فرعون ما حاله وما دليل شبهته فإن هذا ينسب إلى محيي الدين بن عربي .

أقول : اعلم أن حياة الدين مبنية على الحق لأنه في الحقيقة هو الماء الذي جعل الله منه كل شيء حي ومن الحق إن فرعون كافر هو ومن معه وتبعه ولقد دلت الروايات على أن من أنكر نص القرآن أنه كافر والإجماع قائم على ذلك فلئن قال بذلك ابن عربي فهو أهل لذلك لأنه مميت الدين .

ووجه شبهتهم أنهم قالوا ما معناه : إن الله سبحانه غني عن العباد وإنما أمرهم ونهاهم ليعرفوه وهو الذي لا يجهل لأنه أظهر لكل شيء من كل شيء وفرعوا على ذلك سهولة التكليف وهونوا

الخطب ، وقالوا : إنما التشديد تخويف للجهال وما كان فاعلاً بهم ما توعدهم ولا يستلزم هذا الكذب لأنه أخبر أنه إن شاء رحمهم وإن شاء عذبهم ، وعذابهم لا يزيد في ملكه شيئاً والعفو عنهم ثناء على نفسه وهو يحب الثناء على نفسه ولذلك خلقهم لأنه حق يحب الحق ، وقالوا : لو أنه أظهر هذا لعباده لبغوا في الأرض ولكنه كتمه عن الجهال وأعثر عليه العارفين لأنهم موضع سره في خلقه وأمثال ذلك ، لكنه بالإشارة لأهل الإشارة لأنه وعد التائبين بالمغفرة ورحمته وسعت كل شيء ولو صرح للجهال بالمغفرة لفرعون لارتد الناس وذلك لا يضر في ملكه ولكنه يحب لهم اليسر والخير والطاعة لا شك أنها خير ولو لم يلوح بذلك للعارفين لقنط المذنبون ولما جرت عادته بمزج الحق بالباطل بأن يؤخذ من هذا ضغث ومن هذا ضغث تأديباً للجهال بقوله : ﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا تَسۡعَىٰ ﴾ أشار إلى قبول توبة فرعون بصورة التهديد والتبكيت ولأنك لو تبت قبل ذلك لم يقع بك الغرق ﴿ ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾ يعني أنك كنت قبل هذا من المفسدين ولما غرقت قلت آمنت : ﴿ فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنۡ خَلۡفَكَ ءَايَةٗ ﴾ يعني تخويفاً لهم كما قال تعالى : ﴿ وَمَا نُرۡسِلُ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّا تَخۡوِيفٗا ﴾ والأصل في تمويهاتهم كلها تسهيل التكليف على أنفسهم خاصة فما وجدوا ما تستريح به أنفسهم إلا هذا ومثله تسكيناً لحركة بقية الفطرة وإعداداً للحجة لمن عسى أن يرد عليهم وهذا ما قال الله سبحانه في حق أمثاله : ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ ﴾ أي الكفر والضلالة ﴿ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۗ ﴾ على ما تشتهيه أنفسهم لأجل شؤونهم وأغراضهم

وهؤلاء أهل التصوف الذين يتلونون بألوان الدين والزهد طلباً للرئاسة الكبرى أي الولاية قال النبي صلى الله عليه وآله : (**يكون في آخر الزمان قوم يلبسون الصوف صيفهم وشتاهم يرون أن لهم الفضل بذلك على غيرهم أولئك يلعنهم أهل السماوات والأرض**) وكفى في ذمهم وما هم عليه ما رواه الأردبيلي في حديقة الشيعة بسنده عن محمد بن أبي الخطاب الزيات قال : كنت مع الهادي عليه السلام في مسجد النبي صلى الله عليه وآله فأتاه جماعة من أصحابه منهم أبو هاشم الجعفري وكان رجلاً بليغاً وكانت له منزلة عنده ثم دخل المسجد جماعة من الصوفية وجلسوا في ناحية مستديرة وأخذوا بالتهليل فقال عليه السلام : (**لا تلتفتوا إلى هؤلاء الخداعين فإنهم حلفاء الشياطين ومخربوا قواعد الدين يتنزهون لإراحة الأجسام ويتهجدون لتصييد الأنام يتجوعون عمراً حتى يذبحوا للإكاف حمراً لا يهللون إلا لغرور الناس ولا يقللون الغذاء إلا لملء الغساس واختلاس قلوب الدنفاس بأخلائهم في الحب ويطرحونهم بأدلائهم في الجب أورادهم الرقص والتصدية وأذكارهم الترنم والتغنية فلا يتبعهم إلا السفهاء ولا يعتقدهم إلا الحمقاء فمن ذهب إلى زيارة أحدهم فكأنما أعان يزيد ومعاوية وأبا سفيان**) فقال له رجل من أصحابه : وإن كان معترفاً بحقوقكم ؟ قال : فنظر إليه شبه المغضب وقال : (**دع ذا عنك من اعترف بحقوقنا لم يذهب في عقوقنا أما تدري أن أخس الطوائف الصوفية والصوفية كلهم كلهم مخالفونا وطريقتهم مخالفة لطريقتنا وإن هم إلا نصارى أو مجوس هذه الأمة أولئك الذين يجهدون في إطفاء نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون**) انتهى .

والإكاف ككتاب وغراب الحمار والغساس كغراب داء في الإبل ، والدنفاس بكسر الدال الحمقاء ، والأحلاء إما من الحلي ومن الحلاوة ، والأدلاء جمع دلاء ودلاء جمع دلو وفيه : **(ومن سمى نفسه صوفياً للتقية فلا إثم عليه وعلامته أن يكتفي بالتسمية ولا يقول بشيء من عقائدهم الباطلة)** ، وفيه بسند صحيح عن الرضا عليه السلام : **(من ذكر عنده الصوفية ولم ينكر عليهم بلسانه أو بقلبه فليس منا ومن أنكرهم فكأنما جاهد الكفار بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله)** وفيه بسنده قال : قال رجل للصادق عليه السلام : قد خرج في هذا الزمان قوم يقال لهم الصوفية فما تقول فيهم ؟ فقال : **(إنهم أعداؤنا فمن مال إليهم فهو منهم ويحشر معهم وسيكون أقوام يدّعون حبنا ويميلون إليهم ويتشبهون بهم ويلقبون أنفسهم بلقبهم ويؤولون أقوالهم فمن مال إليهم فليس منا وأنا منه براء ومن أنكرهم وردّ عليهم كان كمن جاهد الكفار مع رسول الله صلى الله عليه وآله)** انتهى .

وروى شيخنا البهائي في كشكوله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : **(لا تقوم الساعة على أمتي حتى يخرج قوم من أمتي اسمهم صوفية ليسوا مني وأنهم يهود أمتي يحلقون للذكر رؤوسهم ويرفعون أصواتهم للذكر يظنون أنهم على طريق الأبرار بل هم أضل من الكفار وهم أهل النار لهم شهقة كشهقة الحمار وقولهم قول الأبرار وعملهم عمل الفجار وهم منازعون للعلماء ليس لهم إيمان وهم معجبون بأعمالهم ليس لهم من عملهم إلا التعب)** ، وفي الأمالي بإسناده إلى جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال : قلت له : إن قوماً إذا ذكروا بشيء من القرآن أو حدثوا به صعق أحدهم حتى

يرى أنه لو قطعت يداه ورجلاه لم يشعر بذلك فقال : (**سبحان الله ما بهذا أمروا وإنما هو اللين والرقة والدمعة والوجل**) انتهى .

وأمثال ذلك في ذمهم كثير حتى أن الشيخ الحر [رحمه الله] في جواب بعض المسائل .

قال : إن الأحاديث الواردة في ذم الصوفية عموماً وخصوصاً وفي لعنهم وتكفيرهم وبطلان كل ما اختصوا به متواترة تقرب من ألف حديث وليس لها معارض انتهى ، فانظر ما في هذه الأحاديث وهي قليل من كثير .

ففي الأول : (**لا تلتفتوا إلى هؤلاء الخداعين فإنهم حلفاء الشياطين ومخربوا قواعد الدين يتنزهون لإراحة الأجسام**) ، وفي آخره : (**من اعترف بحقوقنا لم يذهب في عقوقنا**) إلى أن قال : (**كلهم مخالفونا وطريقتهم مخالفة لطريقتنا**) .

وفي الثاني : ولا يقول بعقائدهم الباطلة .

وفي الثالث : إلى أن قال : ويؤولون أقوالهم فمن مال إليهم فليس منا وأنا منهم براء فمن هذه حاله فيجب ألا تتبع أقواله .

فإن قيل : إن في أقوالهم حقاً .

قلت : إن الحق ليس من أقوالهم ولا يقولون به وإنما يتكلمون به تدليساً وليلبسوا عليهم دينهم : ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴾ .

وأما حال من قال بإيمان فرعون والله قائل بكفره فاعلم أن الأمة مجمعة على تصديق نص القرآن وأن المنكر لنصه راد على الله وهو

على حد الشرك وفيما كتب علي بن محمد الهادي عليه السلام في رسالته إلى بعض مواليه من أهل الأهواز في القدر قال عليه السلام : (**وقد اجتمعت الأمة قاطبة لا اختلاف بينهم أن القرآن لا ريب فيه عند جميع أهل الفرق وفي حال اجتماعهم مقرون بتصديق الكتاب وتحقيقه مصيبون مهتدون وذلك بقول رسول الله صلى الله عليه وآله : لا تجتمع أمتي على ضلالة ، فأخبر أن جميع ما اجتمعت عليه الأمة كلها حق هذا إذا لم يخالف بعضها بعضاً والقرآن حق لا اختلاف بينهم في تنزيله وتصديقه فإذا شهد القرآن بتصديق خبر وتحقيقه وأنكر الخبر طائفة من الأمة لزمهم الإقرار به ضرورة حيث اجتمعت في الأصل على تصديق الكتاب فإن هي جحدت وأنكرت لزمها الخروج من الملة**) انتهى .

فأخبر عليه السلام أن القرآن إذا شهد لخبر فأنكره شخص وجحده لزمه الخروج عن ملة الإسلام هذا والقرآن نصَّ في أن فرعون لعنه الله كافر وظالم وجاحد إلى غير ذلك والقرآن ينطق بما لا يحتمل التأويل مثل قوله تعالى : ﴿ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱتَّبَعُوٓاْ أَمْرَ فِرْعَوْنَ ۖ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾ يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾ ﴾ وقال تعالى : ﴿ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْءَاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴾ وأمثال ذلك من الآيات المحكمات التي أجمعت الأمة على أنها نص لا تحتمل النقيض وعلى أن منكر نص القرآن خارج عن ملة الإسلام ونص القرآن ونص أحاديث أهل العصمة عليهم السلام في ذلك كثير لا يكاد يحصى والأمة مجمعة على ذلك كما ذكره الهادي عليه السلام في الكلام المتقدم .

فمن اعتقد إيمان فرعون وهو يسمع كتاب الله يحكم بكفره ويلعنه فقد رد على الله وخرج بذلك عن ملة الإسلام وكان مع فرعون في الدنيا بالحكم وفي الآخرة بالمأوى وإن التجأ في ذلك إلى تأويل الآيات بحيث يصرف ظاهر القرآن ونصه فقد ابتغى الفتنة وابتغى تأويله ، وإذا جاز التأويل في مثل ما جاء في فرعون فلا يجوز العمل على شيء مما في القرآن لأن كل شيء يقبل التأويل على وجه يصرفه عن ما يفهم منه ويبطل وعد الله ووعيده ، وهذا أعظم خطراً وأشد ضرراً مثل ما أول بعضهم قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ يعني بغير الله وآمنوا به وجحدوا وجود ما سواه ﴿ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ ﴾ أن يرجعوا إلى ما سوى الله ويعاملوا الناس بما يعرفون ﴿ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ بما سوى الله ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾ فلا يعرفوا إلا الله ﴿ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ﴾ فلا يسمعوا إلا الله ﴿ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ﴾ فلا يروا إلا الله ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ ﴾ من المحبة ﴿ عَظِيمٌ ﴾ شأنه عند الله ، وأمثال ذلك فهذا الذي يفعل هكذا إن اعتقد أن القرآن ظاهرة حجة وحق لا مرية فيه في أخباره وأسراره ووعده ووعيده وأمثاله : ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ ثم إنه أوّلَ في مقام بعض الآيات لبعض المعاني بشرط اعتقاد المعنى اللغوي من القرآن وحقيته وهذا بطن من بطونه وكان عارفاً بطرق التأويل عن أهل العصمة عليهم السلام فلا بأس به .

وإن كان إنما فعل لزعمه أنه ليس يريد الله إلا هذا كما يراه بعض السفهاء الذين لا يعلمون أو يقول : إن الله عزّ وجلّ أنزل القرآن بذلك الظاهر وبهذا التأويل أو يؤول على غير طريق أهل البيت

عليهم السلام بل بطريق أعدائهم كما ذكرنا نقلاً عن بعضهم بالمعنى في آية : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ الآية فقد ضل وسلك ذات الشمال فإن تأويل هذه الآية المذكورة بهذا النمط ليس من لسان أهل الحق عليهم السلام ولا من فهم أتباعهم ولا على دينهم وإنما هو على لسان أعدائهم وعلى دينهم .

فإن قيل : إن هذا التأويل لا يخلو إما أن يكون علمه الله أو لا فإن علمه فإن كتابه يشتمل على كل شيء وهذا شيء ولا يجوز أن يكون أوجد قرآناً اشتمل على شيء لا يريده هو وإن أراده فقد ثبت المطلوب وإن قلت لهم : يعلمه فلا جواب لك .

قلت : ما هذا إلا كما نقل أن رجلاً تنبَّى في زمن علي عليه السلام وأمر به فأُحضر فقال له علي عليه السلام : (**أنت تدعي النبوة ؟**) قال : نعم قال عليه السلام : (**إن الأنبياء إذا ادّعوا النبوة أتوا بمعجز يدل على نبوتهم**) فقال : وأنا عندي معجز قال عليه السلام : (**وما هو ؟**) قال : أعلم ما في الضمائر قال : عليه السلام : (**ما في ضميري ؟ قال : في ضميرك أني كاذب فضحك عليه السلام**) فهذا الاعتراض يريد به صاحبه أني أقول ما يعلمه الله أو يعلمه ويريده كما فعل ذلك المتنبي يريد أن قال علي عليه السلام : ليس هذا في ضميري قال : قد أقر لي وإن قال : هذا في ضميري قال : قد ثبت معجزي والإلزامان باطلان غير لازمين .

فإن الجواب في الأول أنه علمه وأحصي علمه في كتابه وأعلم أولياءه بيان ذلك في قوله تعالى : ﴿ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ

وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِي شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴾ وهم الذين ﴿ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۗ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ ﴾ على مذهبهم وضلالتهم وهو التصوف الذي هو مبني على مذهب المخالفين .

والجواب في الثاني أن يقول له علي عليه السلام مثلاً : معجزك أن تعلم ما في القلوب هذه المرة أو أبداً فإن قال : هذه المرة خاصة قيل له : إذاً أنت لست بنبي على أحد لأن كل أحد يعلم مرة ما في الضمير بالاتفاق وبالقرائن كما عرفت أنت فهو نبي ولست بنبي على أحد وإن قال : أبداً قيل له : فما في قلبي الآن فهو ينقطع فالحق لا يخفى وطريقه لا يجهل فمن لم يعرف الحق ولا طريقه لم يكن ملوماً فورد : (**فليس على العباد أن يعلموا حتى يعلمهم الله ، الناس في سعة ما لم يعلموا ، وما كان الله ليضل قوماً بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون ، وعلى الله قصد السبيل**) ، فالتأويل هداية من الله للمؤمنين فيما يخفى وجه الحق فيه كما في قوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٥٢﴾ لِّيَجۡعَلَ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمۡۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤۡمِنُواْ بِهِۦ فَتُخۡبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمۡۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ أي وأن الله لهادي الذين آمنوا إلى صراط أي طريق من التأويل مستقيم وذلك فيما يخفى وجه الحق فيه وذلك قوله : ﴿ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ ﴾ فإن الحق أن الرسل والأنبياء ليس للشيطان عليهم سبيل ، ففي مثل هذا يجري التأويل لا صرف الحق الظاهر الذي ليس عليه غبار إلى معنًى

تخالفه العقول والآثار كالمسألة التي نحن فيها وكتأويل الآية التي ذكرناها تمثيلاً فهذا الذي سمعته هو حال فرعون وحال من قال بإيمانه وإنما ذلك على غير طريق الحق والله سبحانه : ﴿ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴾ .

وكتب العبد المسكين أحمد بن زين الدين في التاسع من جمادى الثانية ١٢٢٣ الثالثة والعشرين والمائتين والألف حامداً مصلياً مستغفراً تائباً والحمد لله .

* * *

رسالة في بيان اصطلاح المصنف في الجسم والجسد

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أما بعد ، فيقول أحمد بن زين الدين : اعلم أيها الناظر في كتبي ورسائلي أني بعون الله وتوفيقه ما كتبت فيها إلا ما فهمته على نحو اليقين أنه مذهب أهل العصمة عليهم السلام وما تتوهمه مخالفاً من كلامي فليس منافياً لدليل العقل والنقل معاً ولكنه على اصطلاح غير مأنوس عندك وذلك في مثل قولي : إن للإنسان جسدين وجسمين وأن الجسد الأول يتكون من العناصر من كل ما تحت فلك القمر يلحق كل شيء من حرارته إلى النار ومن هوائه إلى الهواء ومن مائه إلى الماء ومن ترابه إلى التراب ، وهذا لا يرجع فهذا كتبت لأهله ومرادي منه والله الشاهد على أنه الجسد التعليمي والجسم التعليمي وهو ذو الأبعاد الثلاثة من دون مادة كالصورة في المرآة فإنها عرض والأعراض الغريبة التي ليست من ذوات الشيء لا تعاد منه ، ألا ترى إلى جلد كتابك إذا كان أحمر ثم عاد يوم القيامة إلى الشاة لا تعود الحمرة معه لأنها أجنبية من الجلد ومن الشاة ، ولا يقال : إنك قلت من العناصر وهو يدل على أن المراد الجواهر لأنّا نقول : كل ما في هذه الدنيا مما تحت فلك القمر كلها من العناصر جواهرها وأعراضها والأعراض الغريبة من الشيء كلها من العناصر ومع ذلك لا تعاد يوم القيامة مع ذلك الشيء إلا سمعته ما كتبت في كثير من كتبي ، فإني كتبت أن الجسم الذي يعاد يوم القيامة لو وزن

بهذا المرئي الموجود في الدنيا الملموسة لم ينقص عن هذا الذي في الدنيا قدر ذرة ولو كان مرادي به الجسم أو جزءاً منه ولم أرد العرض لكان المبعوث ينقص إذا وزن البتة وإن خفي عليك فهم مرادي فانظر في هذه المسألة في كتب العلماء (**كالتجريد وشرحه**) للعلامة وكتب المجلس مثل (**حق اليقين**) وغيرهما مما هو متفق عليه بينهم ، وقد أشار سيدنا أمير المؤمنين علي عليه السلام في حديث الأعرابي إلى تلك الفضلات التي قال العلماء إنها لا تعاد ، قال عليه السلام حين سأله الأعرابي فقال له : يا مولاي ما النباتية ؟ قال : (**قوة أصلها الطبائع الأربع بدء إيجادها عند مسقط النطفة مقرها الكبد مادتها من لطائف الأغذية فعلها النمو والزيادة وسبب فراقها اختلاف المتولدات فإذا فارقت عادت إلى ما منه بدئت عود ممازجة لا عود مجاورة**) إلخ وهو معروف عند أهل الفن ومقبول لا راد له منهم ، وإلى هذا المعنى الذي أشار إليه عليه السلام هو مرادي في قولي : إنه يلحق كل شيء من حرارته إلى النار ومن هوائه إلى الهواء إلخ ، والحاصل العاقل المنصف يعرف من هذا الكلام ونحوه اعتقادي في ضميري وفي جميع كتبي ولعنة الله على من يعتقد غير هذا الذي كتبته هنا مني ومن غيري والله على ما أقول وكيل وهو شاهد علي وكفى به شهيداً وهو حسبنا ونعم الوكيل : ﴿ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَيَّ إِجْرَامِى وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴾ وحسبي الله وكفى وكتب العبد المسكين أحمد بن زين الدين الهجري الأحسائي في ثامن ذي القعدة سنة ١٢٤٠ ما كتبت في هذه الأوراق هو اعتقادي الذي أدين الله به يوم العرض عليه وقد خاب من افترى والسلام على من اتبع الهدى مستغفراً مصلياً مسلماً .

رسالة في جواب بعض العلماء
في أحوال البرزخ والملك النقالة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين .

أما بعد ، فالمأمول من العالم الرباني والعارف الصمداني قطب دائرة العلم والمعرفة ومدار رحى الفضل والحكمة شيخ العلماء الراسخين وفخر الفضلاء العارفين بأسرار الدين العاثرين على خفايا علوم الأئمة الطاهرين عليهم السلام أدام الله ظلاله أن يبين لنا أحوال البرزخ وحقيقته وكيفية معيشة الإنسان هناك وما يعرض له من خير وشر ويبين معنى الملائكة [الملك] النقالة وكيفية نقلهم وبيان سره وما يناسب هذين المقامين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته وصلى الله على محمد وآله الطاهرين .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

اعلم أن البرزخ هو الحائل بين الشيئين والمراد به الحائل بين الروح والجسد وهو ما يراه في النوم لأن النوم من البرزخ والبرزخ المسؤول عنه هو أنه إذا مات الإنسان خرجت روحه من البدن لابسة لقالبه [لقابله] الذي يشابه صورته في الدنيا وهذا القالب منذ نزلت روحه ودخلت في جسده هي لابسة له ما دامت في الدنيا فإذا قبضها الملك خرجت به من البدن وراحت إلى جنة الدنيا جنة آدم عليه السلام المدهامتان تتنعم فيها إن كان سعيداً ونعيمه في البرزخ

أقوى من نعيم الدنيا بسبعين مرة وأشد تيقظاً وانتباهاً من أحوال الدنيا بهذه النسبة ، وإن كان الميت شقياً راحت روحه إلى نار الدنيا التي في المشرق يعذب فيها إلى وقت غروب الشمس فتأخذهم الزبانية إلى برهوت بحضرموت وهو وادٍ باليمن ، وإذا طلعت الشمس أخذ بهم الزبانية إلى النار في المشرق وإن كان من المؤمنين وعليه ذنوب ولم تكفّرها بلايا الدنيا ومحنها ومصائبها أخذته الزبانية إلى النار في المشرق وفي الليل إلى برهوت حتى يستوفي فيه قدر ذنوبه ثم تأتيه الملائكة من جنود رضوان وتأخذه إلى الجنتين [الجنة] المدهامتين عند مغرب الشمس ، وإن كان الميت من الجهال الذين عاشوا في الدنيا بجهلهم لا يعلمون شيئاً ولا يدرون ولا يعرفون ما يريد الله منهم ، بل كانوا غافلين كالبهائم فهؤلاء إذا ماتوا دفنت أرواحهم مع أجسادهم وليس لهم برزخ لا بثواب ولا بعقاب [عقاب] ولا يأتيهم منكر ونكير ولا يحاسبون ، بل تبقى أجسامهم ونفوسهم في قبورهم كالحجر إلى يوم القيامة ولا يرجعون إذا رجع محمد وآله صلى الله عليه وآله وشيعتهم وأعداؤهم فإذا كان يوم القيامة جدد لهم التكليف ويحاسبون فمنهم من يكون من أهل الجنة ومنهم من يكون من أهل النار .

والحاصل الناس ثلاثة أقسام ، قسم من محض الإيمان محضاً وقسم من محض النفاق أو الكفر محضاً وهذان القسمان في البرزخ ﴿ فَرِيقٌ فِي ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ ﴾ وكل ما في الدنيا من خير أو شر فإنه في البرزخ أعظم منه في الدنيا بسبعين رتبة ، والقسم الثالث وهم الذين لم يمحضوا الإيمان ولا الكفر أو النفاق بل كانوا جهالاً لا يعرفون ما يراد منهم ليس لهم برزخ وإذا ماتوا انطفأت حياتهم

وشعورهم فكانوا كالجماد لا ينتبهون [لا يتنبهون] من نومهم إلا يوم القيامة وإذا بعثوا يوم القيامة ، حوسبوا فمنهم من يلحق بالسعداء ومنهم من يلحق بالأشقياء والله سبحانه أعلم بما يصيرون إليه .

وأما الأطفال من المؤمنين فإنه إذا مات الطفل حمله الملائكة إلى سيدة النساء فاطمة الزهراء عليها السلام وتسلمه إلى سارة وهاجر وآسية وكلثم أخت موسى عليه السلام ويربينه حتى يقدم أحد من أقاربه المؤمنين فيطيبنه ويسلمنه إلى قريبه القادم عليهم يربيه ولا يزال على قدره في الحجم حين مات إلى يوم القيامة فإذا كان يوم القيامة ودخل الجنة بعد أن يشفع لأبويه ولمن شاء ممن يحتاج إلى الشفاعة ثم بعد ذلك فهو مختار إن شاء أن يكبر وإن شاء بقي على حاله .

وأما النقالة فإن الله سبحانه خلق سبعين ألف ملك وجعلهم ينقلون الأموات إلى موضع تربته وأصل ذلك أن نطفة الرجل حارة يابسة كالنار ، ونطفة المرأة باردة رطبة كالماء فإذا وقعت نطفة الرجل في رحم المرأة نفرت نطفة المرأة من نطفة الرجل ونطفة الرجل من نطفة المرأة لما بينهما من التنافر ولا يخلق إلا منهما معاً كما قال تعالى : ﴿ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴾ لأن نطفة الرجل من صلبه ونطفة المرأة من ترائب صدرها فأمر الله سبحانه ملكاً فقبض تربة من الأرض وهي باردة يابسة فخلطها بالنطفتين فبيبوستها توافق نطفة الرجل لأن نطفة الرجل حارة يابسة وببرودتها تسكن حرارة نطفة الرجل وببرودتها توافق نطفة المرأة لأنها باردة رطبة وبيبوستها رطوبة نطفة المرأة فيحصل التوافق بين النطفتين فكانت مادة الإنسان

ثلث من الرجل وثلثان من المرأة لأن نطفتها أثقل من نطفة الرجل وشيء من قبضة التراب وهي أقل منهما ، إلا أنه كلما كان التراب أكثر كان الجنين أعقل فإذا مات الإنسان لا بدّ أن يدفن في الموضع الذي أخذت منه تلك القبضة التراب فإن دفن الميت فيها لم ينقل وإن دفن في غيرها لا بدّ أن ينقل من ذلك المكان إلى موضع ترتبه وأيضاً ربما يكون الرجل تربته من كربلاء ويدفن في يزد سنة أو أقل ثم ينقله أهله إلى كربلاء والسر في ذلك أن التربة التي قبضها الملك وخلطها بالنطفتين كانت من كربلاء ونقلتها الرياح أو الملائكة إلى الموضع الذي دفن فيه في يزد وبقيت تلك التربة في ذلك الموضع سنة مثلاً قبل أن يأخذها الملك ليخلطها بالنطفتين فيدفن في ذلك الموضع بقدر ما بقيت تربته فيه ، فإنه يدفن في الموضع الذي نقلت التربة إليه بقدر [فقدر] ما بقيت إن كان يوماً وإن كان عشر سنين أو أقل أو أكثر لكن الأموات تختلف أحوالهم فإن لم ينقله أهله فمنهم من تنقله الملائكة في أيامه بغير مهلة لأجل أسباب يعلمها هو سبحانه وإن كان ما حصل له سبب موجب لنقله بلا مهلة بقي في قبره إلى أن تأكله الأرض من جسده كل الأعراض والموانع وتبقى طينته الأصلية خاصة فتحمله الملائكة الطبيعيون الموكلون بها ، وبالجملة الملائكة النقالة دل على ثبوتهم ووجودهم العقل والنقل ، والنقل دل على أن عددهم سبعون ألف ملك وذلك مما لا إشكال فيه وكتب العبد المسكين أحمد بن زين الدين [الأحسائي] .

* * *

فهرس المحتويات